

الإخوان المسلمين في سوريا



مذكرات وذكريات

العلاقات السياسية لجماعة الإخوان في ثمانينيات القرن العشرين وما بعدها

عدنان سعد الدين

مكتبة مدبولي

الإخوان المسلمون في سوريا

مذكرات وذكريات

**العلاقات السياسية لجماعة الإخوان
في ثمانينيات القرن العشرين وما بعدها**

اسم الكتاب: الإخوان المسلمين في سوريا
مذكرات وذكريات

العلاقات السياسية لجماعة الإخوان

في ثمانينيات القرن العشرين وما بعدها

المؤلف: عدنان سعد الدين

الطبعة: الأولى ٢٠١٠

رقم الإيداع: ٢٠٤٤٧ / ٢٠٠٩

الترقيم الدولي : ٩٧٧ - ٢٠٨ - ٨١٦ - ٩

الناشر: مكتبة مدبولى

٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة

ت: ٢٥٧٥٦٤٢١ ف: ٢٥٧٥٢٨٥٤

Web site : www.madboulybooks.com

E_mail : info@madboulybooks.com

الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر المؤلف

ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الناشر

عدنان سعد الدين

الكتاب الخامس

الإخوان المسلمين في سوريا

مذكرات وذكريات

العلاقات السياسية لجماعة الإخوان
في ثمانينيات القرن العشرين وما بعدها

مكتبة مدبولي
٢٠١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بِقَلْمِ الْأَسْتَاذِ الْأَدِيبِ: عَبْدُ اللَّهِ الطَّنطَاوِي

بِسْمِ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مُصْطَفَاهُ، وَالرَّحْمَةُ
وَالرَّضْوَانُ عَلَى صَحَابَتِ الْكَرَامِ، وَمَنْ اهْتَدَى بِهُدَيهِمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

الكاتب:

قارئ هذا الكتاب -المجلد الخامس من الكتاب الموسوم:
الإخوان المسلمين في سوريا: مذكرات وذكريات- سوف يقف على
خصيصة من خصائص شخصية المؤلف: ديناً، وعقلاً، وثقافة،
وحصافة، وكىاسة، ودهاء، واهتمامًا بعظام الأمور دون سفافها،
واستشرافاً للمستقبل، من خلال الإفادة من الماضي بما فيه، ووعي
الحاضر بتعقيداته، ومن خلال تجاربه الغنية طوال سبعة عقود،
وتجارب الشعوب والأمم الأخرى.. . وسوف يقلّ العاذلون
والمتلاومون حوله -فيما أحسب- أولئك الذين يكثرون الجدل فيما
يضرّ ولا ينفع.

تراه دائم التفكير، وهو يحدّثك، وهو يسامرك ويؤانسك، وهو
يجالسك ويعاكلك.. حديثه فيما الجماعة فيه من أزمات، وما

يعترضها من مشكلات، ومعوقات، ويقترح الحلول، فهي همة الكبير، لأنها المحيط الذي نشأ فيه وترعرع، وليس له من حياة في غير الوسط الإخواني، في سائر أحواله، وهو جندي، وهو قائد.

عندما رأى ابتعاد أبنائها عن الربانية التي أقام عليها الإمام البنا جماعته الراشدة، بادر إلى تأليف كتابه الرائع: في التزكية والسلوك. إنه صاحب مشروع وطني عربي إسلامي كبير، طالما حلم به، وعمل على تحقيقه، وبذل الكثير من جهده، ووقته، وراحته، وماله، من أجله، وكتبه كلها تصب في هذا المشروع الطموح الذي يبدأ في تحصين الجماعة، والتخطيط لها لتكون المؤهلة الممهدة لقيام الدولة المؤسسة على مبادئ الإسلام وعدالته وشريعته وأخلاقه.

يحدثك فيما الأمة العربية والإسلامية فيه من تخلف وعجز، لابد من السعي لتخليصها منها، فتحسن أن هموم الأمة هي ما يشغله، إلى جانب هموم جماعته، التي هي الشعب السوري المظلوم جزء من تلك الأمة التي كانت خير أمة، فصارت إلى ما هي عليه، حتى طمع بها من لا يذب عن نفسه، واحتل جزءاً عزيزاً من أرضها المقدسة، وأبناء الأمة في عجز مريع، لا يدفعون عن أنفسهم، ولا عن مقدساتهم.. ضاعت فلسطين، وضاع شعبها، وضاع العراق وتمزق شرّ ممزق، وعيون المسلمين حسيرة، خاسئة، تذرف الدمع في انكسار وارتياج ويأس..

سيالته الفكرية في توقد، لا تعرف الراحة، ولا ترتاح للبلاء، حتى لو كانوا يلبسون لباس الكبار، ليظهروا بمظهر الكبار في الأعين

الكليلة.

والروح الجهادية ظاهرة في كل ما خطّته يمينه، ومنها كانت انطلاقته ومنظلماته، حيثما كان، في حلّه ومرتحله، ومنذ يفاعته، نما معه، واشتد به عوده، ومن هنا كانت علاقاته، وما تزال، مع كل من يحمل راية الجهاد، مع قلة النصير، أولئك الذين ظنوا النصر وشيكاً وغير مكلف، أما هو، فلم يضعف، ولم يفتر، ولم يصبه كلل ولا ملل، ولا ونى، حتى هذه اللحظات التي يصارع فيها أشدّ أنواع المرض.. بارك الله في عمره، وشفاه وعافاه وألبسه ثوب الصحة والعافية.

الأستاذ المؤلف شخصية عامة، ذو طموح غير محدود، لو أتيح له الأعوان الصادقون من ذوي الكفايات ، لقطع أمداء وسيعة في تحقيق مشروعه الكبير، ولكن الظروف القاسية التي مرّ بها ومرّت الجماعة، من كيد، وحسد، وتربيص، وترصد، وسعى حيث لتشويه سمعته، والتشكيك فيه، من الداخل والخارج، من (الصدقاء) والأعداء على حد سواء، كل ذلك، حل دون أن يأخذ الرجل الصلب مداه في النهوض بمشروعه، برغم حركته الدؤوب التي عرف بها، فهو لا يكلّ ولا يملّ، ولا ينام، ولا يترك من يعمل معه ينام.. لا يستريح ولا يدعهم يستريحون، وهذا لم يعتد جلُّ الإخوان، فكان من بعضهم ومنه ما كان، فتعثر السير، وتعكرت النفوس، وكانت النتيجة ما نراه الآن.

وقارئ هذا المجلد، سوف يتسائل بحق وصدق: من كان يظن

أن رجلاً مثله - مثل المؤلف الكبير - يمكن أن يقوم بكل هذه الجهود، وبكل هذه الاتصالات، في وقت لم يكن ليتيح له شيئاً معقولاً من الإمكانيات المادية، والظرفية، لينهض بهذه الأسفار.. الأعباء.. من بغداد إلى السودان، إلى الأفغان، إلى جاكرتا، فالجزائر، ومصر، ومالزيا، وفلسطين، واليمن، وتركيا، وأوروبا وأمريكا، وسواءها من بلاد الله الواسعة الشاسعة، ليس سائحاً، ولا متفرجاً متربماً، بل هو في مهمات شاقة، تدفعه إليها، وإلى خوض غمارها وغمراتها، هموم دعوته، وهموم المسلمين التي تشغل حيزاً عظيماً من نفسه، وتجافي بجنبه عن المضاجع ولذاذات العيش الرغيد، والحياة المترفة التي تهيأت له، فأعرض ونأى بجانبه عنها..

ويتساءل قارئ هذا المجلد الذي كتب على عجل، ومن الذاكرة، وفي ظرف مرضي قاس جداً: ثرى.. لو هيئت لهذا الرجل الإمكانيات الالزمة، والأعون الأكفياء، والمكاتب والدراسات: ماذا كان سيفعل؟.

والجواب: سعادة أبي عامر في نصبه:

وما في طبّه: أني جواد أضرّ بجسمه طول الجمام

إنه هو ذاك.. فقد كنا نقرأ سعادته في وجهه، ويطالعنا بها لسانه الذرّب، بعد كل جولة يجولها شرقاً وغرباً، وشمالاً وجنوباً.. ولم تتمكن الهموم الثقيلة من أن تطغى على سعادته التي كانت في تناهى الراحة عنه، وتجافي لذذ المنام عن عينيه المرهقتين، وحرمانه من

الطعام الذي اعتاد، والوطاء الذي تركه وراءه ..

تغشاه سعادته وهو يسعى في أفغانستان ليجمع قادة المجاهدين الأفغان، مع كبار المسؤولين العراقيين، ليؤمن لهم المال والسلاح، وليرجع القادة المجاهدين على كلمة سواء بينهم، بعد أن تمزقت صفوفهم، مخافة أن تذهب ريحهم .. وكذلك الأمر في السودان، واليمن، وباكستان، والجزائر، وسواها من بلاد العروبة والإسلام.

كنا نصافح السعادة، وتلتقاها وهي تطفح من وجهه الوضيء، وعينيه الحالتين بمستقبل صحيح سليم للإسلام والمسلمين، ومن كلماته التي تعبّر عن مكنون نفسه، وحصافة عقله، وذكاء لبّه .. سعادة تغمره في بيان لا يحتاج إلى بيان، سعادته في توحيد صفات، وجمع كلمة، ووحدة موقف، ليكون المنطلق سليماً، قوياً، في تذليل العقبات، من أجل الوصول إلى الهدف المنشود.

تقرأ في حياته شوقاً عارماً للحرية التي يعشّقها، وتطلعاً وعملاً دؤوباً لتحقيقها قيمة إنسانية في حياته، وحياة شعبه، وأمته، بل والإنسانية والبشر أجمعين .. وكل ذلك في تفاؤل يتجاوز عوامل الإحباط -وما أكثرها- في تحدّ لا يعرف الحدود والقيود، ولا يقف أمام المعوقات، إلا ريثما يحطمها، أو يقفز فوقها.

عرف طريقه فسلكه، ولم يكن ممهداً، يملأه إيمان المجاهد مذلل الصعاب، في تصميم من لا يجد الفشل أو الخوف من الفشل إلى نفسه سبيلاً.

وكم كنت، وما أزال، أعجب لتساميه على الجراح، من أجل المشروع الذي يسعى إليه، حتى إذا ما كان منه قاب أقواس، حالت الحوائل دونه، وهي فوق طاقته وطاقات من معه، فيحيط من يحيط، ويستمر هو، مستعيناً بالله، ثم بما جباه من طاقات خبيثة لا تخفي على المراقب الليب.

صاحب هذا الكتاب رجل سياسة وإعلام، يحسن الدخول وإدخال محاوره أو محاوريه إلى الجو الذي يريد.. صاحب مبادرة وبدиهة واقتحام، كان يده مفتاح الجو الذي يقتتحمه دونما استئذان، بحسن الحديث الذي كان قد تهيأ له قبل الولوج فيه، يعيشه في ذلك توقد ذهنه، ودقة إحساسه بطبيعة من يحاور، وإنماه بجوانب الموضوع، ووضوح الهدف والوسيلة إليه، وتقويمه السريع لمن يلقاه أول مرة، فينحرف بالحديث ذات اليمين وذات الشمال، ليجد المنفذ الذي يسلمه إلى لبّ محاوره، وكثيراً ما كان يصيب في تقويمه للشخصية، وتقديره للموقف، والتغلب على ما يطرأ مما لم يكن في حسبانه، لأنّه قد أعد للطائئ عدة، فيكسب الجولة بعون الله وتوفيقه وتسديده، وبما آتاه من فطنة وذكاء ودهاء، ومن تجارب، ومن ثقافة عامة، وبُعد نظر في تقدير الأمور والرجال، ساعدت في نجاحه بإقناع محاوريه، ليبرم معهم ما يسعى إلى إبرامه، كما ترى في توفيقه بين ياسر عرفات والمسؤولين العراقيين، وكان بينهم ما صنع الحداد، وما بين الأفغان وال العراقيين، مما سوف تقرأ تفصيلاته في هذا الكتاب المهم.

بعد محاورات شاقة بينه وبين محاوريه، كسب ثقة كثير منهم، وثقوا بعقله، وسرعة بديهته، وإخلاصه، وتجرده من المطامع الشخصية، وصدقه، وأنه صاحب رأي يتطلع جلساؤه لمعرفته، وكان تقويمهم له إيجابياً، وكان نجاحه بسفاراته، مدعاه لمزيد من الثقة بلغت شأواً عظيماً لدى بعضهم، الأمر الذي أثار حسد الحاسدين عليه، من الحلفاء والأصدقاء والخصوم والأعداء، وخاصة بعض كبار البعشين وبعض قادة المخابرات، أولئك الذين نعموا عليه حركته المؤوب، وثقة كبارهم به، واستماعهم لرأيه، وتقديرهم لنجاحاته في سفاراته، وكانوا يفاجئون بصبره عليهم، وعدم الكيد أو التحرير عليهم، وهو يراهم يفتعلون المشكلات لإفشاله في مهماته، ولو أراد لأمكن منهم، ولكنه بشهادته ومرؤته وعقله، تجاوزهم وما يثرون، وأعرض عنهم، لأن القافلة كانت تسير، وهم مع الخوالف.

سارت به قافلته، وتمكن من بناء علاقات سياسية، وإعلامية، ودعوية، مع عدد من الحكومات والتنظيمات ذات الشأن، وبذلك -كما سيطالع القراء في هذا السفر النفيسي- جعل لأبناء الجماعة موطئ قدم في العديد من الدول العربية والإسلامية، وهيأ للجماعة مكاتب إدارية وإعلامية وسياسية ودعوية، لتمتين تلك العلاقات، ولضبط تصرفات الإخوان في البلدان الصديقة ضبطاً حال دون أي تصرف يسيء للبلد المضيف أو يحرجه.. وبهذا جنَّب الجماعة وأبنائها، التعرض للمضايقات، بل والتنكيل أو الإزعاج.

ال توفيق والتسلية من عند الله الرحمن الرحيم، العليم الحكيم،

الذي يهمني لكل مرحلة رجالها، ولكل مهمة عناصر نجاحها، فلننصر رجاله في شتى الميادين السياسية، والإعلامية، والعسكرية، والإدارية، والمالية، والدعوية، ومنها العلاقات العامة التي غدت علمًا من العلوم المهمة في هذا العصر، بل في كل عصر، قد لا يكون مؤلف هذا الكتاب قد قرأ الكثير من كتبه، ولكنه -بتسديد من الله الذي حباه العقل والذكاء اللماح- نجح فيما بني من علاقات، خاض معها بعقل وصبر ودهاء، وخاصة مع الأضداد المتشاكسين.

قد يحسب بعض الناس أن علاقة المؤلف مع المسؤولين في الدول والتنظيمات الصديقة، اقتصرت على العلاقة السياسية، ولم يكن يهتم بالجانب الدعوي، وهو المسؤول الأول أو الثاني في جماعة الإخوان المسلمين السوريين، وفي التنظيم العالمي للإخوان.. وهذا افتتاح على الحقيقة، فمن خلال ما نطالع في هذا الكتاب، وفي حدود معرفتنا وما كنا نسمع منه بعد كل لقاء مع من كان يلتقيهم ويحاورهم من قادة الدول والتنظيمات، أنه ما كان يفوّت فرصة تنسح للدعوة إلى الله إلا ويقتضيها والتي هي أحسن، فيذكر محاسن الإسلام، ويذكر بمبادئه الإنسانية العظيمة، ويشيد برجاته وعظمائه في التاريخ البعيد والقريب، ويهدى بعض الكتب الدعوية لهم، ويتحدث عن دعوة الإخوان، عن مبادئها، وشعاراتها، وسيرتها مؤسسها الإمام الشهيد، وإخوانه من القادة العظام، كمصطفى السباعي مؤسس الجماعة في سوريا، رحمهم الله جميعاً.

وأختم هذه الفقرة بما سمعته من الداعية الأستاذ غانم حمودات،

-أحد مؤسسي جماعة الإخوان المسلمين في العراق- حفظه الله تعالى:

«الأستاذ أبو عامر عدنان، ممن أوقف حياته على خدمة الإسلام والمسلمين، وجعل خدمة الإسلام، والاهتمام بالمسلمين وأمورهم، أكبر همه، ومبّلغ علمه، ولا أزكيه على الله تعالى.. وقد قدمته على الشيخ الصواف الذي كان عظيم النشاط، عالي الهمة، وما أحسب أن عالماً من العلماء أهمه أمر فلسطين، كما أهم الأستاذ الصواف، إلا الحاج محمد أمين الحسيني. رحم الله الجميع».

الكتاب:

المعركة السياسية لا تقل أهمية عن المعارك الحرية، إن لم تفّقها، والإخوان في سورية خاضوا عدداً من المعارك السياسية والإعلامية في العهد الديمقراطي الذي جاء به الاستقلال، وتبناه رجالات سورية الذين كافحوا الاستعمار الفرنسي إلى أن طردوه، وكانت سورية أول بلد في العالم الثالث، يتزعزع استقلاله من مستعمرية، إلى أن جاء الانقلابيون من العسكر، فأساؤوا، واستبدوا، ونشروا ثقافة الانقلاب والاستبداد، ثم جاء انقلابيو آذار التاسع عام ١٩٦٣ فانحرفوا بانقلابهم انحرافاً ما عرفته سورية من قبل، بل ولا سائر الأقطار العربية، أعني نشر ثقافة الطائفية، والتمكين للطائفية بقوة الحديد والنار، وهؤلاء استبدوا استبداداً فظيعاً غير مسبوق في الانقلابات التي سبقت، فقد كانت السجون، والتعذيب والدماء والأشلاء، والنفي، والاغتصاب، وتخريب الضمائر، وإشاعة الفساد

بين الناس، حتى غدا نهجاً لا يزيغ عنه واحد منهم، ثم عمّ المجتمع ودوائر الدولة، والجيش، والأجهزة الأمنية التي تكاثرت وتکاثر عناصرها وضباطها كالخلايا السرطانية في جسم المجتمع السوري الذي أنهكه ببرامجهم وسلوكياتهم اللاوطنية، واللألاقية، وغير الإنسانية.

وقد نزل بالإخوان من البلاء أضعاف ما نزل بسائر شرائح المجتمع المدني، واجتاحت الاضطهاد الطائفي والقتل على الهوية والوشایة آلافاً منهم، وهم المكسوفون أمنياً، لأن تنظيمهم من أعرق التنظيمات السياسية السورية، ومرانزهم وشعبيهم وفروعهم في كل المحافظات والمدن والقرى، يعملون تحت ضوء الشمس، ودعوتهم علنية، وأهدافهم وخططهم وشعاراتهم، وكتبهم، ونشراتهم مبذولة لمن يريدها، ليس في سلوكيهم ظاهر وباطن، ولم يمسّ تاريخهم ما يشين، برغم كل الكيد والتآمر والعنف الذي لحق بهم.. تاريخهم ناصع، يدعون الناس على بصيرة، بالحكمة والموعدة الحسنة، والكلمة الطيبة، لم يحملوا السلاح إلا في فلسطين والقناة، ولم يقاتلوا إلا الصهابية والمستعمرين الإنكليز والفرنسيين، يدعون إلى السلم الاجتماعي، ولا يقولون للناس إلا حسناً.. إنهم مواطنون صالحون، يبنون ولا يهدمون، مسامرون لا عدوانيون، أصحاب دين وأخلاق وعلم وأدب، بعيدون من الجهلة والجاهليين ومن هم في سوق الفاسدين، فأحبابهم الطيبون وناوئهم الأشرار والعملاء والفسادون، فكانوا يعرضون عنهم، ولا يبغون عليهم ولا يفتئتون،

وكانوا يصبرون عليهم صبر أصحاب الرسالات على الأشرار والبغاء والطاغيت.. وقد شهد لهم بهذا وبغيره خصومهم من أصحاب الضمائر، ناهيك عن عقلاً الأمة وأبرارها من الحياديين والمستقلين والمنصفين..

إنهم خاضوا معارك سياسية مشرفة، وما زالوا وخاضوا معارك فكرية، وإعلامية، وكلها تشهد لهم بالوطنية، وحب الوطن، والحرص عليه، على أرضه، وشعبه، ودينه، وقيمه، ونظامه، الجمهوري وعروبيه، ووقفوا في وجه الأحلاف الاستعمارية، والدعوات المشبوهة التي تمس استقلال الوطن، وناصروا العمال والفلاحين، ودعوا إلى إنصاف المظلومين، وشاركوا في الانتخابات البرلمانية، وأسهموا في الوزارات الائتلافية، ولم تُسجل عليهم حادثة واحدة تخلّ بالأمن، ولم يرفعوا سلاحاً في وجه أحد قط، إلا في فلسطين، وفي وجوه الإنكليز المستعمرین، واليهود الصهایین الغزاة المعتدلين.

فالإخوان المسلمون حركة دعوية، وسياسية، وجهادية، متشرة في أنحاء المعمورة، لا تخلو منها قارة، بل ولا دولة من دول العالم، شرقية وغربية، مسلمة، ونصرانية، ولا دينية، ولا بد لهذه الجماعة من التعايش مع المحيط الذي هي فيه، والرسول القائد ﷺ رائدتها الأول في حركته بين القبائل العربية، ثم في بعثته إلى الملوك والزعماء، وقد أثمرت تلك العلاقات والصلات.. وجاء الإمام الشهيد ليتحف في صحر مصر، والأحزاب المصرية، ومئتها، ولكن

التأمر عليه وعلى جماعته الربانية الراشدة لم تمهله، وامتدت الأيدي
الآثمة لقتاله وتغتال مشروعه، قبل أن يؤتي أكله، ثم كانت الكوارث
والماسي التي لحقت بالجماعة، وحدثت من نشاطها.

وأصيب الإخوان فيسائر البلدان بأقل مما نزل بأخوانهم في
أرض الكنانة، ما عدا التنظيم الإخواني السوري الذي نزل به من
الباء ما لم ينزل بأخوانه الآخرين قاطبة، وكانت الهجرات الجماعية
بالآلاف إلى دول الجوار، بل إلى أصقاع المعمورة، وقد تطلب هذا
حركة سياسية واعية، الهدف منها: توطيد العلاقات السياسية مع
الدول المضيفة، ولكسب الأنصار، وفضح جرائم النظام الفئوي
الطائفي في دمشق، ولبناء علاقات ودية، وتحالفات سياسية تقي
الجماعة من غواصات النظام الدموي، وتحميها من عملااته وزبانيته
وعصاباته وميليشياته المدربة على عمليات القتل والاغتيال، والتي
باشرت أعمالها الإجرامية في الداخل والخارج، وبلغت ضحاياها آلافاً
مؤلقة..

وفي هذا الكتاب كنز من المعلومات عن العلاقات والتحالفات
بين الإخوان وبين الذين تحالفوا معهم، لا يمكن معرفتها إلا من هذا
الكتاب، فأكثر الناس، والإخوان منهم، لا يعرفون الكثير مما ورد
فيه.

تحدى المؤلف الكبير عن النظام الطائفي الذي أهدر دماء
الإخوان، ورصد المكافآت لكل من يدل على واحد من الإخوان أو
يقتلهم بيده، فقد أباح دماءهم لكل من يقدر عليها، وسن لقتلهم

القانون ٤٩ لعام ١٩٨٠ الذي أطلق الناس عليه (قانون العار) في سابقة خطيرة لم تعرفها البشرية إلا في بعض العهود المظلمة، كعهد ستالين الذي اتخذه رموز النظام قدوة لهم ولعهدهم الأسود، كرفعت أسد، فعمت فوضى القتل في كل مكان من سورية الحضارة، في الشارع، والجامعة، والمدرسة، والجامع، والمعلم، والحقل، فكانت هجرة الإخوان إلى الجهات الأربع . . إلى دول الجوار، إلى الأردن، ولبنان، والعراق، وتركيا، فراراً بدينهن، ودمائهم، وأعراضهم . . من القرامطة الجدد . . وهو ما لا يمكن أن ينساه التاريخ لهؤلاء الأباش الذين روّوا أحقادهم وبؤسهم الإنساني من دماء الشعب السوري عامة، ومن دماء الإخوان المسلمين خاصة . .

وربّ ضيارة نافعة - كما قيل ويقال - فقد فتحت هذه الهجرة آفاقاً جديدة أمام الإخوان، ما عرفوها، ولا تطلعوا إليها، وما رادوا ميادينها الفساح، غالبوها مأساتهم، وقفزوا فوق جراحهم التي لم ولن تندمل في حاضر أو قابل، فهي عميقـة، عميقـة، واستقبلوا حياتهم الجديدة بعزم الرجال، وفتحت لهم الحياة قلبها وصدرها، واستقبلتهم بما هم له أهل، مصداقاً لقول الله تعالى : ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَيِّلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ وقد وجد الإخوان المراغم الكثير والسعـة في أرض الله الواسـعة، حيث حلوا وارتـحلوا لأنـهم مهاجرون إلى الله أولاً، وأنـهم من صفوـة الشعب السوري، هـمـما وعـزـائمـ، وثقـافـةـ وآخـلـاقـ، وانـفتـاحـاـ منـضـبـطاـ علىـ الـحـيـاةـ . . والأـحـيـاءـ . .

التقوا إخواناً لهم وأنصاراً حيث نزلوا، وعقدوا تحالفات مع من نزلوا بأرضهم، ومع من وصل إليهم صوتهم، وتفاعل الأحرار مع قضيتهم الإنسانية العادلة، فأووهم ونصروه، وأخوهم وصادقوهم، وشاركوه، وتزوجوا منهم وزوجوه، في صور أعادت إلى الأذهان ما كان من شأن المهاجرين الأولين إلى الجبعة وإلى المدينة المنورة، رضي الله عنهم وأرضاهم، وصلى على قدوة المهاجرين وقائدهم: محمد رسول الله.

أنت واجد في هذا الكتاب، بفصوله أو تجاربه الاثنتي عشرة، كما أحب المؤلف أن يسمى فصوله، الكثير الجديد عن العلاقات التي أقامها الإخوان المسلمين السوريون مع الأردن، والعراق، ومصر، وال سعودية، ولبنان، وتركيا، والسودان، واليمن، ومنظمة التحرير الفلسطينية، وتونس، والمغرب، والجزائر، وماليزيا، وباكستان، وأفغانستان، وعن جولات المؤلف الإعلامية في أوروبا وأمريكا وأسيا.

سوف تقرأ دراسات مستفيضة عن العراق، وعن التحالف الوطني لتحرير سوريا، وعن النشاط الواسع للجihad لإصلاح ذات البين بين المجاهدين الأفغان والعربي القومي الذي بذل ما بوسعه لهم، وعن العراق الذي أنقذ السودان من براثن الوحش الجنوبي المدعوم من الغرب وأمريكا وإسرائيل.. . أنقذه بما قدم له من سلاح هو في مسيس الحاجة إليه.. .

تقرأ عن المصالحة التي أجراها المؤلف بجهود مضنية بين العراق ومنظمة التحرير، ورؤسها ياسر عرفات، ثم ما كان من تعاون كبير

بينهم .. وبين الإخوان المسلمين السوريين.

تقرأ دراسة جديدة ومهمة عن تونس، وفيها من المعلومات ما لا يعرفه أكثر الناس ..

وتقرأ عن الجزائر ومشكلاتها وأساتتها ومحبتها بقادتها وجنرالاتها وبعض الدعاة فيها.

تقرأ دراسة جادة وجديدة عن العلوين، نشأتهم، وتوضّعهم في سورية وتركيا، وعقائدهم، وصلاتهم وعلاقاتهم المشبوهة عبر التاريخ ..

تقرأ الجديد عن الأرمن وضلوعهم بارتكاب جرائم فظيعة بمشاركة إيران ..

تقرأ عن الأكراد في تركيا، وال العراق، وتطلع على معلومات مهمة وجديدة، لتكون على بصيرة مما جرى ويجري ..

تقرأ عما لقيه الإخوان من ترحيب في الأردن الحبيب، من الملك الهاشمي الحسين بن طلال، رحمهما الله رحمة واسعة، ومن بعض أركان دولته، ومن تنظيم الإخوان الأردنيين، ومن الشعب الأردني العربي الأصيل الذي آوى ونصر، وفتح للإخوان المهاجرين إلى أرضه، قلبه وبيته، وفهم مأساتهم، وعرف حجم معاناتهم، فعمل على تخفيف ما يعانون بأريحية العربي المسلم.

وحدث المؤلف عن العراق الشهيد لا يعني عنه أي حديث أو تلخيص، فالتجربة الإخوانية على أرض العراق غنية، وقد تحدث عن

بدايتها، وعن تطورها الإيجابي والسلبي بأمانة وصدق ..

ما ورد في هذا الكتاب القيم دراسات ومعلومات ميدانية، ولن يست مجرد ذكريات، وسوف يستفيد الباحثون والدارسون والمؤرخون الكثير منه، وسوف يقفون على الأسباب الوجيهة التي أودت بالعراق ونظامه وأرضه وشعبه .. معلومات ميدانية صادقة باشرها بنفسه، في رحلات استغرقت من المؤلف زمناً طويلاً، وجهوداً، وعرقاً، ودموعاً، ثم لخصها تلخيصاً مركزاً مكثفاً فيه توضيح وخلاصات لكثير من المسائل الشائكة التي كان لها مآلات توقعها المؤلف قبل وقوعها، في العراق، والجزائر، وأفغانستان، وسوهاها مما تجدها واضحة جلية وأنت تطالع هذا الكتاب.

هذا الكتاب للتحقيق السياسي، بربزت فيه حنكة المؤلف في عدد من المواقف الحرجية، فعالجها بطروحاته الذكية، وبمبادراته التي كانت تبهر أصحابها، فلا يملكون إلا التسليم لها ..

وهو ذكريات حفظتها ذاكرته الحديدية التي لا تنسى، ومن هنا تأتي أهميته، لأنها لا توجد إلا في هذا الكتاب الذي سدّ ثغرة كبيرة في مكتبة الإخوان المسلمين السوريين خاصة، فيه ذكاء وحضور بديهية، وسياسة، وعمق، وفكرة، ودعوة، وإعلام، وأعلام، وما لستَ واجده في سواه.

ومن المفيد لأولادنا أبناء الدعوة، أن يطلعوا على تجارب شيوخهم، بما فيها من إيجابيات وسلبيات، لتخصر لهم طريق التجارب والآلام، فيتجنبوا السلبيات، ويفعلوا الإيجابيات، فقد

حرص المؤلف الكبير على تبيانهما معاً، بيان الإنجازات الضخمة لجماعة بطش بها خصومها وأعداؤها، وتقاعس عن النصرة أنصارها، وخاصة في غربتها القاسية، حتى ظنَّ من ظنَّ أنها النهاية، ففرح من فرح، وحزن من حزن، والجماعة تصارع الأمواج العاتية، وعيونها وقلوبها معلقة بالسماء، وعقول قادتها ومفكريها تبحث في الأرض، لا لتواري سوءة، بل لثبتت به الأقدام، ذاكرين أن الله يدافع عن الذين آمنوا، وإن الله على نصرهم لقدير، برغم كل الظلم والظلمات والظالمين.. تلك التي تراكم بعضها فوق بعض، في الداخل والخارج.

إني أدعو المخلصين إلى قراءة الدارس بعمق، وأن يحاولوا سد الشغرات فيه، فما خلا كتاب بعد كتاب من ثغرات، فهو وحده لا ريب فيه ولا تناقض ولا نقص ولا زيادة، فهو كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير..

اقرؤوه بعمق، ويألاخلاص، لعل الله يفتح العقول والقلوب، فتزيد وتتنقّح، ليكون الأقرب إلى الكمال، خدمة للدعوة، ولللوطن، وللإنسان، ويبيقى الكمال لله العظيم، والعصمة لأنبيائه ورسله الأكرمين.

كتبه المؤلف في ظرف صحي بالغ الشدة والقسوة، وأنجزه في وقت قياسي، ومن ذاكرته الحديدية الحية التي أتعبه وأتعبتنا، وجرت عليه علينا الخصومات، لأنها لم تنس شاردة ولا واردة، فتعب وأتعب، وأرجو أن يثاب عليها ولا تتره معقباتها..

والحمد لله أولاً وآخرأ.

وصلى الله على سيد الخلق محمد المبعوث رحمة للعالمين.

وآخر دعوانا: أن الحمد لله رب العالمين.

ـ ١٤٣٠ / ١٠ / ٨

م ٢٠٠٩ / ٩ / ٢٧



توطئة

خاضت جماعة الإخوان المسلمين معركة شرسة فرضتها عليها حكومة الأقلية الأمنية، لم تكن الجماعة مستعدة لها، ولا راغبة فيها، إذ إن الجماعة أصرت في أكثر من مكان في خطتها العامة التي نشرتها كاملة في نهاية المجلد الثاني من هذه الموسوعة، على تجنب الصدام مهما بلغت درجة استفزاز السلطة، ولكن حكومة الأقلية بما تملكه من أحقاد دفينة من جهة، وحماسة الشباب الناشئ، واندفاعهم الذي يفتقر إلى الوعي والحكمة، جر علينا وعلى السوريين جميعاً كوارث غير مسبوقة، وتسلطاً رهيباً، وكيداً تجاوز كل الحدود والتصورات.

من جهة أخرى خاض الإخوان السوريون معركة موازية من نوع آخر، كان ميدانها الفكر والإعلام والسياسة، وأجرروا حورات، وأقاموا صِلاتٍ وعلاقات، وعقدوا اتفاقيات، نرجح أن أيّاً من التنظيمات الإخوانية الأخرى لم تمارسها ولم ترق إلى مستواها.

ولأهمية هذه التجارب السياسية الثرية، وما تنطوي عليه من نتائج وأسرار، آثرت أن يكون هذا المجلد الخامس مسرحاً لها، ومحظياً

لأحداثها ذات الأهمية البالغة .

لقد امتدت فترة هذه العلاقات قرابة عقد من الزمن ، منذ أواخر السبعينيات ومعظم سني الثمانينيات وحتى مطلع التسعينيات ، وشملت دولًا كثيرة كالاردن والعراق ومنظمة التحرير الفلسطينية واليمن وال سعودية ومصر والسودان ودول المغرب العربي ، ودولًا إسلامية عدّة مثل باكستان وأفغانستان وماليزيا وأندونيسيا بدرجات متفاوتة تراوّح بين الزيارات والحوارات وبين المواثيق والاتفاقيات ، شملت حكومات وأحزاباً وشخصيات ، واكبتها لقاءات مع وكالات أنباء وصحف عالمية شهيرة كاللموند والتايمز وغيرهما .

ألفيت كل هذا جديراً بالبحث والدراسة والتحليل ليطلع الأبناء وأبناؤهم والأنصار والخلفاء والعاملون في الحقل الإسلامي من شتى المدارس الفكرية والدعوية على هذه التجارب ليستفيدوا من إيجالياتها ، ويتجنبوا سلبياتها إن وجدوا ذلك ، ليبدأ الأواخر من حيث انتهى الأوائل ، لا من حيث بدأوا .

ألف الإخوان أو معظمهم الانطواء على أنفسهم ، وأن ينأوا عنم يختلفون معهم في المعتقد والفكر والسياسة ، وهم بهذا المفهوم غير تحالفين ولا جبهيين ، بل كان الصراع الحزبي هو السائد ، وذلك الواقع من تمسكهم بمبادئهم ، والغيرة عليها ، دون النظر إلى ما هو أبعد من ذلك في وجوب الاطلاع بدقة وموضوعية على ما لدى الآخرين من برامج وأساليب في الحكم والسياسة ، ولقطع الآخرون

على ما لدينا من مناهج وأفكار ومشروعات وخطط ونظارات في السياسة والدولة والمجتمع، وبهذا حُجبنا عن آفاق ما كان ينبغي أن تُحجب عنها، وحرمنا من فوائد ومزايا الحوار من الآخرين، لتعرف على ما لديهم، ونطلعهم على ما لدينا، فنستفيد من الذين سبقونا إليه، ونصحح لهم الفهم الخاطئ عن حقيقتنا وصدق توجهاتنا وصلاح مبادئنا وشريعتنا السمحاء، فيحل الحوار محل الجدل، والعلاقات الحميمة مكان الخصام والصدام.

الحوار هو الأسلوب الوحيد في الدعوة والتبلیغ ونشر مبادئ الإسلام، وهو الأسلوب الذي طبقه وأخذ به سيدنا المصطفى ﷺ مع المشركين والدهريين والمسيحيين واليهود، وكل المخالفين، دون أن يضيق ﷺ بحوار قط، بل إن جميع الذين حاورهم انتهوا إلى الاقتناع أو المودة على أقل تقدير، ولم يعرف عنه ﷺ أنه ضاق بحوار، أو توقف عنه، أو تبرم من رأي مخالف، أو واجه الآخرين بشدة أو بأس، بل كان بقلبه الكبير، يسع الجميع، فيقول قائلهم، كالذي ورد على لسان هند بن عتبة رضي الله عنها: «التقينا برسول الله ﷺ وهو أبغض الخلق إلينا، وتركناه وهو أحب الناس إلينا».

إنبعد عن الناس وعدم الاختلاط بهم، وتأليف قلوبهم سياسة خاطئة لا تمت إلى الأسلوب النبوى بصلة، فرسولنا ﷺ يقول: «المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم، خير من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم».

كان الرسول ﷺ وكل صحابته دون استثناء يدعون إلى الله بالحكمة، ويؤلفون القلوب، ويرغبون الناس بالإسلام الذي أرسله الله جل وعلا رحمة للعالمين.

إن في الحوار فوائد جمة، منها: تعرفنا على مواقف الناس وأفكارهم، وعلى تأليفهم، وتعريفهم بالإسلام ودعوته ومبادئه وأحكام شريعته، ومنها تهدئة الخواطر، وإطفاء نار العداء، وإمساك الخصوم عن التهجم على الإسلام وأهله، وكسب الكثير من نحاورهم ليدخلوا في الإسلام كافة، أفراداً وأفواجاً، أو كسبهم كأصدقاء أو حلفاء في بعض الظروف، كما حدث في العهد المدني من حياة النبي ﷺ.

بيد أن الحوار الذي يكون مجدياً هو الذي يضطلع به ذووه والمؤهلون له، فالداعية المتمكن كالجوهر الذي يزيد تالقاً عندما تضنه في الماء، وأما الذي يبعد الله على حرف، فليس مؤهلاً لمثل هذه المهمة الجليلة، لأنه كالملح الذي سرعان ما يذوب ويختلاشى عندما يرمى به في الماء داخل الإناء.

ومن فضل الله ومنه: أن فريقاً من أبناء الجماعة بلغ مرحلة النضج، وأضحى جديراً بإدارة الحوار مع الآخرين من مثقفين وسياسيين ومسؤولين ورجال دولة بصورة تدعو إلى الثقة والطمأنينة، وتتلألج قلوب الدعاة.

وخلال سنوات عشر أو ما يزيد، دخل الإخوان في حوارات

وتحالفات مع دول وحكومات وأحزاب وهيئات وشخصيات أفضت إلى نتائج إيجابية مذهلة، ومكاسب عظيمة لدعوة الإخوان المسلمين السوريين بعد أن خرج الآلوف منهم من ديارهم وأموالهم، وانتقلوا إلى أرض الله الواسعة إثر مطاردتهم والإمعان في قتل شبابهم وتشريد بنיהם وأهليهم.

وفيما يلي نماذج كثيرة من إنجازات الجماعة في الحقل السياسي والعلاقات الدبلوماسية.





التجربة الأولى

مع الأردن الشقيق

بعد أن استحر القتل في سوريا بمراسيم كتبها حافظ أسد، أو كتبت له، وأحياناً دون مراسيم طبقاً للقانون ٤٩ الصادر عام ١٩٨٠ وأحياناً دون النظر إلى مرسوم أو قانون، فقد خول السفاح كل ضباط برتبة رائد فما فوق من ضباط الجيش والأمن أن يعقد محاكماتأمنية أو ميدانية لمن يريد، وله أن يصدر أحكاماً وينفذها بحيث أضحمى كل من يمت إلى الإخوان أو يقف بصفتهم أو يتعاطف معهم أو تربطه بالمعارضة قرابة أو جوار أو صداقه، أو يكون قد استقبل ملحاً في منزله) مستباحاً، يقتله أزلام السلطة في منزله أو السجن أو في الشارع دونما مساءلة أو حماية قانونية أو قضائية، الأمر الذي حمل الألوف على الهرب، وترك الوطن، والسفر إلى دول الجوار القرية أو البلاد البعيدة.

هُرُع الألوف بل وعشرات الألوف إلى تركيا والعراق ولبنان، وكان نصيب الأردن من هؤلاء الفارين والتازحين كبيراً لسهولة الانتقال إليه، إذ لم يكن السوري بحاجة إلى تأشيرة دخول من جهة، وللقرب

المكاني من جهة أخرى، فتجمع في الأردن أعداد كبيرة جداً طلباً للنجاة من الموت والقتل على قارعة الطريق.

كانت العلاقة بين جمهور الإخوان والمملكة الأردنية الهاشمية ذات ثلاثة أبعاد:

١ - مع ملك المملكة الأردنية الهاشمية الملك حسين بن طلال غفر الله لنا وله: إذ أفسح صدره للوافدين، وأصدر توجيهاته لأركان دولته بتسهيل إقامة الوافدين السوريين، فوجدوا الرعاية التي لا تنسى، والدعم المعنوي الذي أتاح لهم ومحنهم من مزاولة العمل بكل أشكاله وفروعه، فلم تمض على إقامتهم فترة وجيزة حتى صار السوريون الوافدون أصحاب محلات تجارية، ومكاتب هندسية وعيادات طبية، ومحلات شهيرة في الحلويات الشامية والمعجنات السورية وصار بعضهم من ذوي اليسار.

إن سياسة الملك الراحل حسين بن طلال حيال السوريين كلفته عداء السلطة السورية، فدخلت معه في خصومة بلغت حد إغلاق الحدود حيناً، وحشد قوات عسكرية سورية على حدود الأردن حيناً، والتهمج العلني بعبارات لا تليق إلا بمن صدرت عنه ضد الملك وعائلته الهاشمية.

لم تشن الملك حسين رحمة الله هذه الأزمة عن الاستمرار في نهجه، وإتاحة المجال واسعاً أمام السوريين، وكأنهم أبناء الأردن سواء بسواء، بل لقد اعتبرهم ضيوفه، وأمسينا على مدى ثلاثة عقود نذكر من نراجع من المسؤولين في مناسبات كثيرة بأننا ضيوف الملك

حسين، حتى بعد رحيله رحمه الله.

ولربما يقول قائل من المتربيصين أو المتصيدين أو المراقبين: إن للملك حسين سياسة خاصة به في الحقلين الداخلي والخارجي، وتأتي إجابتنا سراغاً: سواء أكانت السياسة الأردنية متطابقة مع ما نطمح إليه أو غير ذلك، فإننا لم نتدخل قط في سياسة بلد أوينا إليه، ولم ولن ننسى معرفةً أسمدي إلينا، أو يداً حانية امتدت لمساعدتنا، وهذا الخلق تلقيناه عن سيدنا رسول الله ﷺ الذي كان يعتبر الوفاء جزءاً من إيمان المؤمنين، وبهذا المقياس أو الخلق النبيل، لن ننسى ما قدمه الأردن الشقيق للإخوان السوريين من أفضال لا تنسى على مر الأيام وكر السنين.

٢ - كانت الجهة الثانية التي كنا نرجع إليها في معاملاتنا وشئون إقامتنا وما يتصل بذلك هو الفريق أحمد عبيدات مدير المخابرات العامة طبقاً للأوضاع الحكومية والظامانية الأردنية.

كان الفريق أحمد عبيدات - أبو ثامر، مثال الرجل في التعامل مع الآخرين، وكان يتصف بشكل ملموس بالشهامة والحمية العربيتين، وكان يؤنس زواره، ويتعامل معهم بلطف ورجلة، وبالرغم من أن ضابط الاتصال بين الإخوان وأبي ثامر هو الأخ علي البيانوني - أبو أنس - فقد كنا نزوره بين الفينة والفينية في منزله في حي الشميساني على شكل وفد أو مجموعة قد تضم الشيخ سعيد حوى رحمه الله وأبا أنس وكاتب هذه السطور، وكان مثال المضيف الذي يقوم بنفسه على خدمة زواره في تقديم الضيافة لهم، وتجاذب أطراف الأحاديث

الطلية معهم .

إن الفترة التي عرفنا بها الأستاذ الكبير أحمد عبيدات لا ينالها النسيان، ولا يدانيها من الاحترام والمعاملة الراقية إلا الذي لمسناه من الفريق مصطفى القيسي فيما بعد من خلق كريم ومعدن أصيل، ومعاملة مثلثي سيزيد مع الأيام رسوخها في ذاكرتنا ونفوسنا إذ نشعر بالعجز عن الوفاء للرجلين في ذمتنا، فإننا ندعو الله لهما بالتوفيق، وأن يجزيهمَا خير الجزاء وأحسنَهُ .

٣ - أما استقبال رجال جماعة الإخوان بالأردن فقد ذكرنا باستقبال الأنصار لإخوانهم المهاجرين - مع الفارق - إذ أكرموا وفادتنا، وغمرتنا بفيض مودتهم، وفتحوا لنا قلوبهم وبيوتهم، وكلفوا أحدهم بالقيام على أمورنا وإيواننا وتأمين جميع حاجاتنا من مأكل ومشرب وإقامة، وقد كان التوفيق حليفهم عندما كلفوا الأخ الشهيد إبراهيم المشوخي - أبو عبد الله - الذي قام هو وأهله وذووه على تأمين أمورنا، وكانت والدته - رحمة الله - ترعانا وتتطهّر لنا طعامنا كما تفعل مع أبنائهما لفترة طالت دون أن نلمس من إبراهيم ضجرًا أو تبرماً، أو أي مظاهر من مظاهر الضيق بضيافتنا المُكلفة .

لقد استمر أبو عبد الله الذي لم نر شهامة كشهادته، ولا أخوة كأخوته، على هذا المنوال في ترتيب أمور الجميع بأعمال مفيدة ومجازية سبقت الإشارة إليها منذ قليل .

إن ما لمسناه من الأخ إبراهيم من صدق الوفاء والإخاء، وموافق الفضل عصبية على التقادم والنسيان، وكذا إخوانه وعلى رأسهم الأخ

المراقب العام محمد عبد الرحمن خليفة طيب الله ثراه وإخوانه الكرام، وإذا كان الشيء بالشيء يذكر، فإن من المعادن الثمينة التي عرفناها عن قرب هو الأخ الفقيد أحمد قطيش الأزايدة الذي أشعر بالعجز عن التعبير عما يكتنف القلب من توقير وتقدير وإجلال لهذا الرجل الذي قل أن تلد الأرحام مثيله في الخلق الرفيع والأدب الجم والكرم النادر، والمودة التي يفيض بها على إخوانه وعارفه وزائره. رحم الله الأخ أحمد قطيش الأزايدة رئيس كتلة الإخوان في البرلمان الأردني، ورئيس بلدية مأدبا التي أحبه شعبها مسلّمهم ومسيحيهم، لأنّه كان صادقاً مع الجميع، ومخلصاً للجميع، ويخدم الجميع دونما تقصير أو تمييز بين المواطنين في تعامله معهم، كما لا يسعني إلا التنويه بالأخ الفقيد شاعر الأقصى يوسف العظم أبي جهاد لوفائه الذي ظللّت ألمسه فيه حتى أيامه الأخيرة قبل أن يسبقنا إلى رحاب الله وغفوه، غفر الله لنا وله، وجمعنا به في مستقر رحمته وواسع جنانه ورضوانه.



التجربة الثانية

مع العراق الشقيق

أعلنت السلطات السورية عن مطاردتها لعدد من أعضاء التنظيم الإخواني، ورصدت مبلغ خمسين ألفاً لكل من يقبض على أي منهم أو يدل عليه، فلجا المطلوبون المطاردون إلى بيروت فراراً بأرواحهم، وصادف أن سافرت إلى بيروت في تلك الأونة، فالتيقitem، وكانوا خمسة أعضاء يتمنون إلى عائلات كريمة من آل العلواني وآل الحداد وآل الزعبي من مدينة حماة، وكانوا في ريعان الشباب، لا تتجاوز أعمارهم العشرينات، بل إن بعضهم لم يبلغ العشرين من عمره، كالشهيد مهدي علواني رحمه الله، عرضت عليهم مبلغاً من المال، فقالوا: لسنا بحاجة لذلك، فالحقت عليهم أن يستلموا مبلغاً يضيفونه إلى ما لديهم حساباً للطوارئ ولما قد يتعرضون إليه فقبلوا ذلك، ثم ذكروا لنا أنهم تلقوا عرضين للجوء السياسي، أحدهما من مصر، والآخر من العراق، وسألونيرأي في ذلك، فقلت: إن أردتم الراحة وبعد عما يحدث في سوريا، فمصر هي الأفضل، وإن أردتم الاستمرار في المعارضة والاتصال الدائم بما

يجري في سوريا، فالعراق أفضل، فاثروا التوجه إلى بغداد، بعد أن رُتّب لهم أوراق السفر، فتوجها إلى المطار، وكت مع بعضهم مودعاً.

من هنا بدأت علاقتنا ببغداد، إذ دخل الإخوان الخمسة إلى العراق، فاحتضنوا بهم قوات الأمن لبعض الوقت، ثم أخلت سيلهم بعد تحقيق سريع معهم، وهيات لهم مكان السكن والإقامة في العاصمة العراقية.

١ - أرسل إلينا العراقيون واحداً من هؤلاء، (الذين وصلوا إلى بغداد) إلى الإمارات - حيث كنت أعمل - يحملون عرضاً بزيارة بغداد، فكان ذلك مفاجأة لنا ووقفنا أمامها في ذهول وحيرة، فعقدت لقاء مع ممثلي التنظيمات الإخوانية من أردنيين وفلسطينيين ويمنيين ومواطنين وسودانيين وعراقيين .. إلخ وسألتهم آراءهم قائلاً: جاء من بعض الجوار استعدادهم لاستقبال الأعضاء الذين يطاردون في كل مكان من سوريا، وتستباح دمائهم على الأرصفة وفي قارعة الطريق، فكانت الإجابات متباعدة، منها الحذر، ومنها المتحفظ، ومنها المتوقف عن إبداء الرأي، باستثناء المندوب السوداني الذي قال: إذا أتيحت لكم فرصة تنقذون فيها أبناءكم من القتل، ولم تهتبوا لها فأنتم آئمون.

حملت هذه الآراء في طريقي إلى عمان، وأجريت مناقشةً موسعة مع قيادة الجماعة حيال هذا الأمر، فكان الحذر والتخوف سائدين، إذ كيف نفر من بعث إلى بعث (قبل أن نعرف الفرق بين التنظيمين من

حيث المنشأ والتركيب والأفكار والموافق والتطلعات والتباين الكبير بين الحزبين) واستشرنا إخواننا في مكتب الإرشاد حول دعوة تلقيناها لزيارة بغداد، فأشاروا علينا بالاستجابة لذلك، باستثناء المراقب العام بadier ذي بدء.

زار الإخوان القياديون بالتتابع العراق، وذهب كل من الإخوة محمد الحسناوي وسعيد حوى ومحمد ديب الجاجي، وعادوا يتحدثون عن زيارتهم التي صادفوا فيها ترحياً وتكريماً، وشعروا بالطمأنينة، وهكذا فتحت لنا أبواب العراق على مصاريعها، لتنشأ عنها أمور كثيرة وكبيرة جديرة بعرضها وتسجيلها.

١- كانت البداية إرسال مجموعة مؤلفة من خمسة عشر أخاً إلى بغداد ليتحققوا بدورة تدريبية عسكرية، ولشدة خوفنا أجرينا للإخوة دورة دعوية گلف الشيخ سعيد حوى رحمة الله بالإشراف عليها، لتحسين شبابنا قبل أن يتوجهوا إلى دولة علمانية، فذهب الإخوة بقيادة واحد منهم هو الأخ الشهيد زهدي عبد الكريم -أبو النور-، والتحقوا في دورة للتدريب على السلاح، مدتها خمسة عشر يوماً، وحدث في ذات صباح أو يوم أن الضابط العراقي المناوب هتف بشعار البعث في أفراد الدورة، وكان الإخوان ضمنهم، فلم يردهه الإخوان، ورفع مسؤولهم -أبو النور- يده، وطلب الحديث مع المناوب، قائلاً له: نحن من فصيل آخر، ومن اتجاه إسلامي، وننتمي إلى تنظيم خاص بنا، فجاءت الإجابة: عدم تكرار هذا الأمر طيلة مكثنا في العراق حوالي ربع قرن.

عاد الإخوة الخمسة عشر من دورتهم - وكان أحد أبنائي في عدادهم - وقدم مسؤولهم تقريراً عن كل ما شاهدوه وسمعوا، وكيف كانت معاملة العراقيين لهم، وما الذي استفادواه من خبرة تدريبية دون أن يصادفوا أي عقبة أو أمر سلبي، فاطمأنت الجماعة إلى سلامتها وأبنائها، واحتفاظهم بما هم عليه من أصول وفروع، بالإضافة إلى ما اكتسبوه من خبرة في التدريب على السلاح.

بـ- تالت الدورات بأعداد أخرى لاحقة، كما تتالي تقديم التسهيلات والأمور اللوجستية، وفتح العراقيون أبواب الجامعات على مصاريعها لأعضاء الجماعة، إذ كان أكثر المطاردين من الطلاب ومن أبناء الجامعات، فالتحق كل طالب بالكلية التي كان بمثابة في سوريا، وبالفصل الذي كان طالباً فيه دون أن يفوتهم أو يضيع عليهم من دراستهم شيء، وهكذا أنقذ مئات وأكثر من أعضاء تنظيمنا مستقبلهم الدراسي، واستمرروا حتى أنهوا دراستهم، وحملوا شهاداتهم الجامعية، وحمل كثير منهم الشهادات العليا في جميع الاختصاصات، وأضحتي عدد منهم أستاذة في جامعات العراق واليمن ودول الخليج وغيرها.

كما حمل أبناء تنظيمنا جوازات السفر العراقية حتى بلغ في إحدى الفترات ألفاً ومئتي جواز سفر، ثم تقلصت فيما بعد حسب الظروف التي جدت إلى دون العشرة اقتصرت على أعضاء القيادة دون غيرهم.

غير أن الأهمَّ من هذا كله، من الدراسات والتدريب وجوازات السفر، ما خصصته إذاعة المعارضة التي كنا نشارك بها في ركن

خاص بالإخوان يبث فيه الإخوان لمدة ساعة ما لديهم من أفكار وثقافة إخوانية ومبادئ إسلامية على تردد كان يغطي كل بلاد الشام في سورية ولبنان والأردن وفلسطين، وكم كانت دهشتنا بل وفرحتنا حين علمنا أن شباب فلسطين كانوا يتبعون بثنا في ركن المجاهدين، ويستمعون إليه على نطاق واسع، وأنهم تشعوا بالروح الجهادية التي كان الركن يركز عليها ويشرّبها، ويستنهض أبناء الإسلام على رفع رايتها والاستعداد ليوم كريمة وسداد ثغر.

٢ -رأينا أن الإخوان لم يكونوا قبل الأحداث الساخنة يمليون إلى التحالفات والمشاركة في الأعمال الجبهوية، ولكن بعد أن فتح العراق أبوابه، طرح البعثيون السوريون المعارضون موضوع التحالف بين الإخوان والفصائل الأخرى، فترددنا في ذلك وتخوفنا منه، ثم مر بنا الأستاذان حمود الشوفي وخالد الحكيم، وهما اثنان كان ثالثهما نسيم سفرجلاني، ظل ولاؤهم لصلاح البيطار ثابتاً. وكانوا من أركان المعارضة البعثية للنظام السوري .

حضر الشوفي والحكيم إلى عمان، والتقييدهما مرتين، كانت الثانية في منزل الأخ عبد الله الطنطاوي حفظه الله، وكان تشكيل جبهة عريضة من كل أطياف المعارضة مدار البحث على مدى ساعتين تقريباً، ولقد لخصنا موقفنا بطلب واحد لا تتجاوزه: أن يكون الإسلام دين الدولة، والشريعة الإسلامية مصدر التشريع في أي ميثاق تتفق عليه، فقال أحدهما وما زلت أذكره: إن الموافقة على ذلك واجبة، وإن إهمال هذا المطلب لتشكيل التحالف يعتبر تفريطأ

وانحرافاً وطنياً.

٩- شعرنا بالطمأنينة، وجرت ترتيبات اللقاء في بغداد لتشكيل التحالف والاتفاق على ميثاقه، وعبر اللقاءات جرت ترشيحات من كلا الفريقين المعارضين لتشكيل الهيئة التأسيسية، فرشح البعثيون والاشتراكيون: أكرم الحوراني وشibli العيسى و Hammond الشوفى وخالد الحكيم وأسماء أخرى، ورشحنا شيوخنا: مصطفى الزرقا ومحمد المبارك وعمر بهاء الدين الأميري والشيخ عبد الفتاح أبو غدة وأسماء أخرى، ولم يعرض أي من أطراف التحالف على أي ترشيح، لأن الرغبة كانت في توسيع دائرة الهيئة التأسيسية، لتشمل أطيافاً واسعة من المعارضين.

عقدت الهيئة التأسيسية أول اجتماعاتها برعاية نائب الرئيس العراقي الأستاذ طه ياسين رمضان، ورئاسة أكبر الأعضاء سناً: أكرم الحوراني، وطربت مبادئ الميثاق، وجرت مبادرات متشعبة في الحديث الأعضاء، فلمسنا أن الذين زارانا في عمان ووافقا على دين الدولة، وعلى أن تكون الشريعة مصدر القوانين، قد تحدثوا بلهجات أخرى، فتكلم رئيس مجموعتنا الدكتور حسن هويدى رحمه الله حديثاً مطولاً، وأسهب في الحديث عن أهمية أن يكون الإسلام دين الدولة وأطال، ثم تحدث شibli العيسى حديثاً مشبعاً بالروح العلمانية، ومما جاء في حديثه: إننا نكافح منذ ثلاثين سنة لإرساء قواعد العلمانية في المجتمع، فاستفزنا حديثه و موقفه الذي يتعارض مع الذي اتفقنا عليه معهم قبل تشكيل الهيئة التأسيسية، فأجبته في

حدة وشدة وانفعال: ونحن نقدم شهادتنا، لا لنكون أمراء أو وزراء، بل لنرسى قواعد الإسلام في المجتمع، ونثبت مبادئ الإسلام في الحياة العامة، وعندما بلغ التوتر مداه، بادر السيد طه رمضان إلى إيقاف الحوار مقترحاً رفع الجلسة، وقد كان.

بـ- في ردهات المبني الذي عقدنا الجلسة فيه -مبني قيادة الجيش الشعبي- تجاذبنا أطراف الحديث مع عدد من أعضاء الجبهة، كان من أهمهم نائب الرئيس العراقي طه رمضان الذي لمسنا فيه ميلاً واضحاً لموقفنا وأفكارنا حول الإسلام وشريعته، واكتشفنا أن الدستور العراقي المؤقت ينص بوضوح على أن الإسلام دين الدولة، فوقع البعثيون السوريون في مأزق، لأن إصرارهم على مواقفهم يعني خروجاً على مواقف قيادتهم العليا، فحملهم ذلك على الانسحاب من مواقفهم، والتراجع عنها، والتسليم بمبادئ ميثاق التحالف التي تقدمنا بها.

لقد أرضى البعثيون أنفسهم في أمور طرحوها لا تتناقض مع أفكارنا ومبادئنا، فنص الميثاق على الحرية التي كانت أحد أركان الشعار الذي أعلنه الإمام البناء (الحق والقوة والحرية) وعلى الوحدة العربية التي يعتبرها البعثيون -غير الطائفيين- ركناً ركياناً من شعاراتهم، ويعتبرها الإخوان جزءاً من معتقداتهم ومبادئهم، وليس من سياساتهم فحسب، وبذلك تم الاتفاق على ميثاق التحالف الوطني الذي وصفه أحد أركان التحالف اللواء محمد الجراح مثل التوجه الناصري، بأنه -أي الميثاق- يصلح أن يكون ميثاق حزب، وليس

ميثاق جبهة وتحالف يضم عدداً من التيارات المتباعدة في أهدافها وسياساتها.

٣ - احتوى الميثاق الذي تقدمت به لجنة صياغة مشتركة من مقدمة أو توطئة شرحت مأساة الشعب السوري، والنكبة التي أصابته وحلت بساحتها، ومن ستة عشر بندأً أو مادة، وتم التوقيع عليه وتصديقه في ١٥ جمادى الأولى ١٤٠٢ هـ الموافق ١١ آذار ١٩٨٢.

٤- نصت التوطئة أو المقدمة على ما يلي: لم يشهد التاريخ مثيلاً للمساء الكبرى التي يعيشها شعبنا في سورية تحت وطأة نظام حافظ أسد، الذي فرض على شعبنا أشكالاً من الإرهاب والقمع الدموي، أخرجت هذا النظام من دائرة الوطنية، وجعلت منه عدواً حقيقياً لشعبنا، ولكل قيمه وتطلعاته، فقد لجأ هذا النظام المجرم إلى مصادرة الحريات العامة والخاصة، وملأ السجون بالمعتقلين، وسلط عليهم أبشع أنواع التعذيب، وأغتال المئات منهم في السجون، دون تحقيق أو محاكمة، كما حدث في الرستن عندما قتل مئة وعشرين امرأة، وفي مجزرة تدمر الرهيبة عندما قتل بأمر مباشر من رفعت أسد سبعينات معتقل، .. وبالبعض يقدر عدد الضحايا بآلاف وسبعينات معتقل، وأطلق هذا النظام عصابات القتل والإجرام التي أصبحت سنته الأساسية في تحكمه بالبلاد، إذ أطلق يدها في المدن السورية، فاستباحت كل شيء بكل وحشية وهمجية، تسلب وتنهب، وتنهك الأعراض والحرمات، وتدوس على المصاحف وتمزقها، وتهدم المساجد والكنائس، وتقتل المواطنين، وتمثل بهم، وتمزق لباس

الحشمة، وتقتل من يتعرض سببها، وقد ازدادت في الستينيات الأخيرتين مظاهر الظلم والطغيان هذه زيادة خطيرة، فتعرضت أحياء ومدن بكماتها لعمليات الهدم والتمشيط التي شملت دمشق وحلب وحمص وحماة ودير الزور وإدلب وجسر الشغور وسرمدا واللاذقية، مع ما رافقها من سلب ونهب، وقتل واعتداء.

لقد كان غرض هذا النظام السفاح واضحًا في إذلال الشعب، وإهانة كرامته، وتحدي معتقداته الدينية ومشاعره الوطنية، وبلغ به الأمر أن أصدر القانون ٤٩ لسنة ١٩٨٠ القاضي بإعدام كل من يثبت انتماؤه إلى جماعة الإخوان المسلمين، وقدم المكافآت المغرية، لكل من يقتل أحد أعضائها، واتخذ من هذا القانون ذريعة لقتل كل من يرفع صوته، أو يقف في وجه جرائمه، ليشارك معه في هذه الجرائم أكبر عدد ممكن من عصاباته وأزلامه.

لقد بلغ من طغيان رئيس هذا النظام وإجرامه حداً ينافي أي أهلية للمسؤولية والحكم، عندما أعلن مراراً أنه سيصفي جسدياً خصومه ومعارضيه، وسيلاحقهم في الداخل والخارج، كما صدر مثل هذا الإعلان المنكر عن أخيه رفعت، وقام السفاحان معاً بعمليات اغتيال عديدة داخل سوريا وخارجها.

وكان تدميره لمدينة حماة جريمة فاقت أي طغيان سجله التاريخ، فقد حاصر المدينة المجahدة، وقطع عنها الماء والطعام، وقصف بيوتها ومساجدها وأماكن العبادة فيها بكل أنواع السلاح، بالمدفعية والصواريخ والطائرات والدبابات، فهدم منها أحياء كاملة على من

فيها، واستباحها، وارتكتب عصاباته فيها من أعمال السلب والنهب والهتك ما لم يسبق له مثيل، ثم منع حافظ أسد أولئك الذين تمكنا من مغادرة المدينة وهي تحترق، من العودة إليها مثل الذي فعله الصهاينة في فلسطين.

إن هذه السياسة القمعية الدموية لنظام حافظ أسد، إنما تستهدف تغيير الطابع التاريخي والسكاني لسوريا، عن طريق محاربته للعروبة والإسلام، وفرض واقع غريب ومصطنع، يلغى انتماها العربي، ويقطع صلتها العميقه بالإسلام، ويهدد بتمزيقها إلى دويلات طائفية.

لقد أصبحت سوريا على يد هذا النظام بمرض الطائفية السياسية الذي لم يعرفه تاريخنا الطويل، إذ كانت العلاقات بين الأديان والمذاهب فيها، نموذج البلد الذي ارتفع بالعلاقة بين المواطنين إلى مرتبة المودة والمؤاخاة.

والطائفية السياسية هنا ليست تعدد الأديان والمذاهب، فهذه مسألة تضرب جذورها في التاريخ، وتتجدد علاجها في التعامل الوطني الديمقراطي، وإنما هي عصبية فئوية لنظام معزول عن الشعب، استخدمها لبقاءه وتحكمه وطغيانه، إنها من مخترعات هذا النظام، ومن حفنة المتجارين بالطائفية، وإثارة الفتنة من نظام ينشر الرعب في أوساط بعض الطوائف، ويصور لها أن حياتها مهددة بالخطر من قبل الطوائف الأخرى، إن هي لم تؤيده وتتكلل حوله.

إن نظام الطائفيين الانتهازيين الذين احتلوا المراكز الحساسة الأساسية في الدولة والجيش وأجهزة الأمن، مراكز التقرير

والإشراف على التنفيذ، إنه النظام الذي مارس سياسة التمييز الطائفية التي ألحقت الأذى بأبناء طائفته التي حاول استغلالها ووضعها معه في صف معادٍ للشعب والوطن.

إن نظام حافظ أسد كارثة حقيقة، حلت بشعينا ووطتنا، وتمثلت بإلغاء الدور العربي الطليعي لسوريا، وبالسلط العسكري الدموي على لبنان بعد تدميره وتمزيق شعبه، وضرب الحركة الوطنية فيه، واغتيال عدد من قادتها، وذبح الفلسطينيين في مخيمات تل الزعتر والكرنتينا ونهر البارد وغيرها، كما تجسدت هذه الكارثة بالمواجهة الدموية مع المقاومة الفلسطينية في لبنان، بعد أن أغلق في وجهها حدود سوريا مع الأراضي المحتلة، بقصد تحجيمها وتحويلها إلى مجرد أداة طيعة في سوق المساومة الدولية الرامية إلى فرض الاستسلام على العرب، وتمكين الكيان الصهيوني منهم.

النظام الذي كان فيه حافظ أسد وزيراً للدفاع وقائداً للجيش، وأمراً لسلاح الطيران، وعضوًا في أعلى قيادة سياسية له، يتحمل مسؤولية هزيمة حزيران سنة ١٩٦٧، ويتحمل حافظ أسد أكبر مسؤولية عن تلك الكارثة، حيث إنه حرم الجيش العربي السوري من شرف القتال، وسلم الأرض للصهاينة دون قتال، عندما أمر الجيش بالانسحاب الكيفي، وأعلن عن سقوط القنيطرة قبل وصول العدو إليها.

أما مسؤوليته عن حرب ١٩٧٣، فقد كانت أكبر وأشد خطراً، في بينما اعتقد ضباط الجيش ومقاتلوه أن الفرصة قد حانت لاستعيد

الجيش كرامته، وتحرر سورية أرضها، وتسهم في تحرير فلسطين، تصرف حافظ أسد بما ينافي رغبات الجيش وتطلعات الشعب.

وعندما وصل الجيش العراقي الباسل إلى أرض المعركة، وأسهم في وقف الاندفاع الصهيوني باتجاه دمشق، أصدر حافظ أسد أوامره بوقف القتال، فكانت النتائج العملية لتلك الحرب، أن احتلت الصهيونية أراضي جديدة في بلادنا، واستمر الخط التأمري وأبرم اتفاق فك الارتباط مع العدو الصهيوني، وتمركت قوة المراقبين الدوليين داخل أراضينا، وقبل حافظ أسد رسمياً بقرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨ الذي يعترف بالكيان الصهيوني.

لم يكن تصرف أسد على الساحة العربية أو الدولية مختلفاً عن تصرفه الشائن ضد شعبنا في سورية، فقد استخف حافظ أسد بالمصلحة الوطنية السورية، وبطلعاتها العربية والإسلامية، فجعل من الوحدة العربية لعبة يبعث بها، فيدخل فيها أو يخرج منها، ويتأمر عليها دون أي شعور بالمسؤولية تجاهها، يقيمها يوماً مع هذا القطر العربي أو ذاك، ليهدمنها، ويتناسها في يوم آخر، مستهدفاً بذلك تمييع شعار الوحدة العربية، وزرع الشكوك حول إمكانية تحقيقها، كما حدث في حشوده على حدود الأردن الشقيق، وفي تمزيقه للصف العربي، ومقاطعته لمؤتمرات القمة العربية، وسعيه لإبقاء الدول العربية عاجزة عن رسم أي سياسة جادة لمواجهة الكيان الصهيوني، ونظراً لما يشكله القطر العراقي من مركز قوة في أي مواجهة عربية، فقد خص حافظ أسد العراق الشقيق بأكبر قدر من التآمر والغدر،

فتحالف مع شاه إيران، ومع الصهيونية والإمبريالية، لتمزيق العراق وشغله داخلياً، وتحالف مع النظام الإيراني المدعوم من الكيان الصهيوني -في تلك الفترة- لاستنزاف طاقات العراق البشرية والمادية، وإبقاء العرب عاجزين عن وقف التدهور، والقدرة على النهوض في مواجهة الصهيونية، وأعداء الأمة العربية.

إن مجمل سياسات حافظ أسد المتمثلة داخلياً بإضعاف سوريا وإجهادها، وتعظيم القتل والدمار والتهجير فيها، وتهديدها بتمزيق وحدة شعبها وترابها، ومحاربته لعروبتها، واعتدائه على الدين الإسلامي فيها، وتهديم دور العبادة الإسلامية والمسيحية، وتشويه المناهج الدراسية، ولاسيما مناهج التربية الإسلامية، والخارجية المتمثلة كذلك فلسطينياً وعربياً، بتمزيق لبنان إلى طوائف متقاتلة، وعقد الاتفاques مع العدو الصهيوني لاقتاسم لبنان، كما في اتفاقية الخط الأحمر الشهيرة، ومحاولاته الدائمة لشق صفوف الثورة الفلسطينية لإنهائها، وتأمره على الوحدة العربية، والتضامن العربي الفعال، واستخفافه بالروابط التاريخية العميقة بين الإسلام والعروبة.

إن مجمل سياسات حافظ أسد هذه إنما تخدم واقعياً خطط الصهيونية في منطقتنا، وتجعل منه أداة منفذة لها، وخنجراً مسماً تغزه في جسم العروبة والإسلام.

ولما حَرَمَ هذا النظام شعبنا من كل حقوق المواطن، وفرضَ على العباد هذه الأجواء السامة المخيفة، وجعل من التمييز الطائفي سياسة ثابتة، فقد أصبح شعبنا مضطراً للدفاع عن بقائه، وعن حقوقه

وحرياته، بكل الوسائل، وعلى رأسها الكفاح المسلح.

إن حمل شعبنا للسلاح -مع أنه حق تقرره له كل شرائع السماء والأرض، وواجب تفرضه عليه دواعي الدين والوطنية والنخوة والشرف- كان ردًّا طبيعياً على ممارسة القهر والظلم والتمييز الطائفي السياسي والقمع الدكتاتوري العسكري، والإرهاب الفكري، والتضليل الإعلامي، ومصادرة الحريات، وهدر حقوق الإنسان، وفقدان العدالة والقانون، وتعشيش الفساد، وتفشي الإثراء غير المشروع.

إن الدور الخيانى والإجرامى الخطير الذى يلعبه هذا النظام، والذى دفع شعبنا إلى حمل السلاح، والنهوض بعبء المقاومة الباسلة، وتقديم ألف الشهداء البررة، سيقتضى من جميع الأحزاب والتنظيمات والشخصيات الوطنية، أن تنهض بمسؤولياتها كاملة، في دعم ثورة شعبنا المجاهد وتطويرها لاختصار الآلام والمعاناة، والتعجيل بإعادة الصحة والعافية للجسم الوطنى الجريح.

لذلك: فقد التقت التنظيمات والأحزاب والشخصيات الوطنية العازمة على إنقاذ سوريا -عبر حوار بناء ومسؤول- على إسقاط نظام حافظ أسد الخيانى، وإقامة النظام الدستوري النيابي، على أساس فصل السلطات، والذي يكفل تعدد الأحزاب والاتجاهات، ويتساوى فيه جميع أبناء الوطن بالحقوق والواجبات، النظام القائم على احترام كرامة الإنسان، وضمان حرياته العامة والخاصة في حدود الدستور والقانون، النظام الذي يرفض التمييز بين المواطنين جمیعاً، على اختلاف أديانهم ومذاهبهم واتجاهاتهم، ذلك لأن مثل هذا النظام

وحده، هو النظام الذي يكفل إعادة سورية، لتأدي دورها الوطني والعربي والإسلامي والدولي، وهو الذي يمتنع معه التفرد والسلط، أو العودة لنظام الفردية والطائفية والسلط، أو العودة لنظام القمع والإرهاب.

وكان لابد أمام هذا الخطر الداهم الذي يهدد سورية بتمزيق وحدتها الوطنية، وتفتيت شعبها، وجعلها عرضة للهجوم الصهيونية والاستعمارية، أن ترتفع جميع الأطراف إلى مستوى المسؤولية التاريخية التي تحملها إياها طبيعة هذه المرحلة، فتبذل خلافاتها، وتتجاوز سلبيات الماضي وتناقضاته وأخطاءه، وتبث عن الإطار المشترك الذي يجتمع عليه أبناء هذا الشعب، لتعمل يداً واحدة، من خلال المبادئ المشتركة، على إنهاء الفرقا المصطنعة بين العربة والإسلام، وإيجاد تحالف وطني بين هذه القوى، مفتوح أمام الجميع، قادر بإذن الله على إسقاط نظام الخيانة، وإرساء الأسس الصالحة، لحياة سياسية نشطة، ومتفتحة، تكون سورية في ظلها مصدر إشعاع في جميع المجالات الوطنية والعربية والإسلامية.

بــ وتعبيرأ عن المعاني الوطنية السامية، والتزاماً بها، فقد اتفق أطراف التحالف على المبادئ التالية:

- العمل الجاد الدؤوب لإسقاط النظام الحالي، باعتماد كافة الوسائل: السياسية، والإعلامية، والجماهيرية، والنضالية لتحقيق هذا الهدف.

- محاكمة كبار المسؤولين في هذا النظام عن جرائمهم التي

- ارتكبواها في حق الشعب والوطن.
- تأليف حكومة مؤقتة، تقوم فور إسقاط النظام الحالي، وتعمل بأسرع وقت ممكن للإشراف على انتخاب مجلس تأسيسي، بغرض وضع دستور دائم للبلاد.
 - الإسلام دين الدولة، والشريعة الإسلامية هي المصدر الأساس للتشريع والتقنين، باعتبارها تراثاً حضارياً وفقيهياً للعرب وللمسلمين كافة، بل وللإنسانية جماء، لا يمس تطبيقها حقوق غير المسلمين في عقيدتهم، وأداء شعائرهم، وتطبيق قوانينهم الخاصة بهم، بكل حرية وأمان.
 - ضمان الحريات العامة لجميع المواطنين في سوريا، وفي مقدمة ذلك حرية الاعتقاد، والتعبير، والاجتماع، وتأليف الأحزاب السياسية.
 - إعادة بناء الجيش العربي السوري، وسائل مؤسسات الدولة، على أساس الإخلاص والكفاءة، ومبدأ تكافؤ الفرص، بما يعيد ويحفظ الوحدة الوطنية في سوريا ضماناً لدورها الرائد في المنطقة.
 - معالجة الأوضاع الاقتصادية المتدهورة، وإعادة بناء الاقتصاد السوري على أسس متينة، بما ينهي -بكل حزم- حالة الاستغلال والسلب والنهب والرشاوي، ودعوة الخبرات والطاقات المهاجرة، لتساهم في إعادة بناء البلد.
 - إنقاذ العمال وال فلاحين والثقات الكادحة، من عبث النظام في

مكتسباتهم، والعمل على تعزيز هذه المكتسبات التي حققوها في
نضالهم الطويل منذ فجر الاستقلال.

- إعادة النظر في المناهج الدراسية، والمعاهد العلمية، وجميع
مؤسسات الدولة، بما ينذرها من حالة التردي الراهنة، ويؤهل البلاد
للاضطلاع بمسؤولياتها كاملة.

- التعويض الكامل لذوي الشهداء والمتضررين والمصابين في
مرحلة الصراع ضد النظام الخائن.

- الإيمان المطلق بتحرير فلسطين من الاغتصاب الصهيوني،
والهيمنة الإمبريالية، واعتماد كافة الوسائل التي لا تفرط بالحق العربي
والإسلامي فيها، والسعى لتعبئة كل الطاقات، البشرية والعسكرية
والسياسية من أجل التحرير.

- التضامن الكفاحي مع الثورة الفلسطينية، وممثلها الشرعي
والوحيد، منظمة التحرير الفلسطينية، من أجل تحقيق أهداف الشعب
العربي الفلسطيني في التحرير، واستعادة وطنه.

- العمل الجاد من أجل أوثق العلاقات العربية الأخوية مع الدول
والمنظمات العربية، وحشد جميع الطاقات لمواجهة الأخطار التي
تهدد الوجود العربي.

- النضال الجاد لإقامة الوحدة العربية، وبذل كل الجهود لاتخاذ
خطوات وحدوية عملية في هذا السبيل.

- إقامة أوثق العلاقات الأخوية مع العالم الإسلامي - شعوراً

ودولًا ومنظمات - بما يعزز دور الرسالة الإسلامية في العالم أجمع باعتبار الإسلام عملاً إستراتيجياً ومبدئياً للعروبة، وأن المسلمين هم سند قوي للعرب، ورافد أساسي للشعب العربي .

- عدم التورط في الصراعات الدولية، والالتزام بمبادئ حركة عدم الانحياز، واعتماد سياسة خارجية مستقلة .

إن سورية التي كانت أول بلد حقق الاستقلال التام في العالم العربي لجدية بأن تتجاوز مأساتها، وإن الأطراف المشاركة في هذا التحالف لتتحقق أن يكون هذا الميثاق محوراً للحركة الحالية، وإطاراً للمستقبل الدستوري والعملي للسياسة السورية، وإن هذه الأطراف كلها لتأمل أن تكون الجمهورية القادمة في سورية، معقد الأمل، ومحط الرجاء، على المستويين العربي والإسلامي .

وقد حرصت أطراف هذا التحالف، على أن يجتمع في سيرها: الأصالة مع المعاصرة، والأخلاق مع التقدم، والعدالة مع إطلاق الطاقات، وهي إذ تستلهم من الله التوفيق، وتسأله سبحانه النصر، فإنها - أي أطراف التحالف - لتدعو الشعب العربي في كل أقطاره، وتناشد شعوب العالم وقادته، دعمها في كفاحها العادل، لإنقاذ سورية من المأساة التي تعانيها، وإقامة نظامها الديمقراطي متعدد الأحزاب .

﴿أَذْنَ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾
صدق الله العظيم / ١٥ جمادى الأولى ١٤٠٢ الموافق ١١ آذار ١٩٨٢ .

صادقت عليه الهيئة التأسيسية التي تمثل كل أطراف التحالف بالإجماع، وتم بعد ذلك تشكيل الأمانة العامة -قيادة التحالف- لعدم الاتفاق على أمين عام لفترة طويلة، ثم تم تكليفي بمهمة الأمين العام للتحالف فيما بعد.

جـ- في وقت لاحق من هذه الفترة تمت ولادة الجبهة الإسلامية التي ضمت في صفوفها الإخوان وطيفاً واسعاً من العلماء، عقدوا اجتماعات كثيرة في عدد من المدن على هامش الحج والعمره، كان منها مؤتمر في مكة المكرمة بمناسبة موسم الحج، وأكملوا فيه على اختيار الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رئيساً للجبهة، والشيخ أبو النصر البيانوني أميناً عاماً، غير أن أهم اجتماعات الجبهة الإسلامية كان في الرياض حيث ضم كبار علماء سوريا من جميع المدن السورية.

حضر من حلب سبعة علماء كبار، ومن حماة عدد قريب من ذلك، ومن شيوخ أجياله، وكذلك من حمص ودمشق ودرعا وغيرها، وكانت المودة بين الجماعة والعلماء سائدة وملموسة، وقد ذكرت في كلمة قصيرة أن على شباب الإخوان أن يستفيدوا من علم العلماء باعتبارهم جماعة إسلامية تدعوا إلى الله على بصيرة ، وأن يتلقوا توجيهات المربيين من السادة العلماء لينشروا الأخلاق الإسلامية والأداب المحمدية، ويتمثلوا بمبادئ الإسلام المنقذة للبشرية جموعاً، وكذلك ينبغي على شباب الجماعة أن يتعاونوا مع جميع طلاب العلم وتلاميذ الشيوخ والمربيين من كل المشارب، لتنشأ لحمة بين جميع العاملين للإسلام، تجعل منهم جسداً واحداً وبناناً متراصاً، كما

ذكرت تقصير الإخوان أحياناً مع السادة العلماء، ووجوب احترامهم والاستفادة من علومهم وتوجيهاتهم، فكان لهذا الحديث المقتضب أثر إيجابي كبير في نفوس الحاضرين، حتى إن الشيخ عبد القادر عيسى رحمه الله وغفر لنا وله، قال لمن يجلس بجواره: لو تحدثت في هذا اللقاء لأشرت إلى تقصير الشيخ والعلماء مع أبناء الدعوة من جماعة الإخوان المسلمين.

غير أن ظروفاً كثيرة طرأت على هذه الجبهة حالت دون استمرارها في عملها، وتطویر أنشطتها، من ذلك أن بعض العلماء أثروا الانكماش، والعمل على عودتهم إلى سوريا للنهوض بأعمال العمل الدعوي بعد أن فرغت الساحة السورية، أو كادت من كثير من علماء سوريا المؤثرين لدى جماهير المسلمين في أرجاء الوطن، ومنها أن بعض العلماء ظنوا أن الجماعة تستأثر بالعمل ولا تشارك العلماء المشاركة المطلوبة، ومنها أن عدداً من الشيوخ فضلوا الانصراف إلى التعليم والتوجيه، وجمع التلاميذ على الدراسات القرآنية والنبوية والفقه الإسلامي، لتنشئة عدد من العلماء يضطلعون بمسؤولية الدعوة إلى الله، وتوعية أبناء الشعب بأمور دينهم وعلوم إسلامهم.

٤ - جرت حوارات كثيرة مع نائب الرئيس العراقي الأستاذ طه ياسين رمضان، وحوارات قليلة مع الرئيس العراقي صدام حسين، ساقتصر على نموذجين منها:

أ- كان السيد طه رمضان يحضر للحوار مع الإخوان على رأس ثلاثة من أعضاء حزب البعث سورين وعراقيين، ويتحدث باسمهم،

وكان الإخوان يحضرون بعدد أكبر، ويحاول كل منهم أن يكون متحدثاً، وفي ذات يوم تناول الحوار الأفكار لكل فئة، فقال نائب الرئيس طه ياسين:

إننا نقدر في الإخوان صلابتهم وتمسكهم بمبادئهم، وهذا ما يجعلهم موضع احترام لدينا، ثم قال: نحن كذلك نتمسك بشعاراتنا، ونحرص عليها، ولا نتساهل بها، فلو قلنا لكم مثلاً: تركنا مبدأ الحرية، فهل تصدقوننا؟

قلت له: لا.

ثم قال: لو قلنا لكم تركنا مبدأ الوحدة العربية، فهل تصدقوننا؟

قلت له: لا.

ثم قال: لو قلنا لكم تركنا مبدأ الاشتراكية، فهل تصدقوننا؟

قلت: نعم، نصدق ذلك، لأن في الشريعة الإسلامية غنى عن الاشتراكية، وعن المذاهب الأخرى المستوردة.

فسكت، ولم يعقب على ذلك بأي كلمة سلبية أو إيجابية.

لقد كان طه ياسين يتغاضب مع كل آرائنا وموافقتنا وطلباتنا، فيما يلزم أعضاءنا من الاتساق إلى الجامعات، وحمل الجوازات وتسهيلات السفر وغير ذلك، حتى إن بعض الحزبيين السوريين البعيدين كانوا يطلبون منا مراجعته في الأمور التي لا يلبيها لهم، فقد طلبوا حصة من الدواء الذي توزعه وزارة الصحة على صيدليات

القطر، وأن يخصص للجالية السورية صيدلية وحصة لها، فلم يستجب، وطلبوا تشكيل هيئة لمساعدة الضعفاء من أبناء الجالية، فلم يلب طلبهم، وعندما راجعته في الأمرين بأسباب طرحتها له، استجاب قائلاً: بهذه التفسيرات لا نرد مثل هذه الطلبات.

كان الأستاذ طه ياسين رمضان، رحمة الله وعفا عنه، متفاعلاً مع تنظيمنا، ومقدراً لأفكارنا وموافقتنا، ومستجيباً لكل ما يعنيانا، وفي ذات يوم حمل مفتاح سيارة لي في بيته الضيافة الذي كنت فيه نزيلاً، فقلت:

- أشكركم جزيل الشكر، فإن أي هدية تحرجني ولو كانت قلم رصاص، وعندما نضطر سوف نقبل هديتكم باحترام.

وكان لهذا الموقف ما بعده، فعندما استوردت سيارة من المنطقة الحرة في الأردن، وطلبت جمركتها، جاء الرفض على لسان النائب من رئيسه، فربطت بين الأمرين في عدم قبولي الهدية الذي لم يالفوه ولم يصادفوه، ولم يرتاحوا له، وبين عدم الموافقة على جمركة السيارة المستوردة، فاضطررت إلى بيعها بثلث تكاليفها دون حسرة أو ندم، وإنني أسجل كل الامتنان للأستاذ طه ياسين رمضان على موافقه هنا خلال عشرين عاماً، طالباً له من الله تعالى الرحمة، وأن يتغمده بالرضوان والغفران.

بـ- أما النموذج الآخر من الحوار، أو النماذج الأخرى معه، فأذكر منها حواريين مهمين، كان الأول عندما جئنا إلى بغداد لأول مرة

على شكل وفد برئاسة الدكتور حسن هويدى رحمه الله، والثانى عندما طلب الرئيس صدام عن طريق نائبه إجراء حوار مع الإخوان حول المبادئ والأفكار، وأثبت هنا كلا الحوارين لأهميتهم فى علاقتنا مع العراق كواحدة من العلاقات التي شملت دولًا عربية وإسلامية وأجنبية في أنحاء العالم كما سيأتي.

في الحوار الأول مع الرئيس صدام حسين، غفر الله لنا وله، جاء مندوبنا في بغداد الدكتور رشيد عيسى ينقل رغبة القيادة العراقية للقيام بزيارة رسمية إلى بغداد، فتشكل وفدنا من الدكتور حسن هويدى المراقب العام رئيساً وعضوية كاتب هذه السطور، والشيخ سعيد حوى رحمه الله، وأخر لم يستطع اللحاق بنا.

استقبلنا مدير المكتب السوري السيد نزار حمدون رحمه الله، وحملنا بسيارته إلى مقر الضيافة الذي نزلنا فيه، وبتنا ليلتنا مساء الأحد، وفي يوم الاثنين الذي تلاه فوجئنا مساءً بترتيب اللقاء مع الرئيس، فحملتنا السيارات إلى قصر الرئاسة المطل على النهر بجانب جسر ١٤ تموز، ومكثنا بعض الوقت في الانتظار، ثم انتقلنا مع الرئيس ونائبه إلى جهة نائية في حديقة القصر الواسعة، ومعهم للإنارة نيون صغير أو شمعة حسب التسمية العراقية، فكان تعليق الرئيس على ذلك:

- إن العدو لم يترك سلك هاتف أو شريط كهرباء إلا استخدمه. تبريراً لجلوسنا في أرض فلاة، والاكتفاء بإنارة خافطة دون الإنارة الساطعة بالكهرباء.

كان المتحدث بادئ ذي بدء الدكتور حسن هويدى رحمة الله، فأسهب في كلمته التي كانت يغلب عليها الأسلوب الخطابي والمشاعر العاطفية، ليشير حماسة الرئيس صدام على ما يقع على السوريين ولا سيما المعارضون من تعذيب وتنكيل واضطهاد وحشى، لم تشهده سوريا من قبل.

استمر الدكتور حسن في كلمته زهاء ساعة والرئيس يصغي، بل يحسن الإصغاء، وعندما انتهى عقب صدام على الكلمة قائلاً:

- هل طلبتكم شيئاً وحجبناه عنكم؟ هل تريدون أن نحمل لكم الدبابة إلى حلب؟

ثم شرع الرئيس في كلام مفصل استمر زهاء ساعة، عرض فيه موضوعات متنوعة كثيرة، كان من أهمها أن إقامة مجتمع إسلامي، كما تهدفون، ليس بالأمر الهين أو السهل، وقال: إذا أراد مهندس أن يشيد بناءً على الأرض في كل مراحله، فإن ذلك أسهل عليه من ترميم بناء متتصدع طال عليه الزمن، وقد فهمنا من شرحه أن المجتمعات العربية الإسلامية في أكثرها متتصدعة واهية، والعمل على إصلاحها يحتاج إلى جهود كبيرة، وإرادات صلبة وعزائم قوية، وعندما انتهى من حديثه استأنفت بالكلام فقلت دون مقدمات:

- عندما جيء بصناديد قريش وقادتها مكبلين بين يدي رسول الله ﷺ بعد انتصار المسلمين في بدر، نظر إليهم سيدنا رسول الله ﷺ وقال: لو كان المطعم بن عدي حياً لجعلتهم فداءه، وكان المطعم قد

مات كافراً، وكان شديد الوطأة على أبي طالب كعضو في وفد قريش الذي طالب أبا طالب بتسليم ابن أخيه لقريش وتسليميه رهينة من قريش مقابل ذلك، والمطعم كان أحد الموقعين الخمسة من زعماء قريش على صحيفة المقاطعة لمحمد ﷺ ومن معه، والتي كانت معلقة في جوف الكعبة، لكن المطعم هذا كان له يد عند رسول الله عندما أدخل محمدًا ﷺ في جواره بعد عودته من الطائف في رحلة شاقة تعرض فيها ﷺ لإيذاء السفهاء من ثقيف، فلم ينس عليه الصلاة والسلام هذا الصنيع للمطعم بن عدي، بل تذكره في يوم كريمه عاصب الله فيها قريشاً. وعندما جاءت امرأة من الباادية ودخلت على النبي ﷺ فسألها من هذه المرأة، فقيل لها: إنها من بنى سعد، خلع ﷺ رداءه وفرشه لها إكراماً لحليمة التي كانت من بنى سعد.

يا أبا عدي: ليس الوفاء ديناً في أعناقنا فحسب، ولكنه عقيدة في أ福德تنا، إننا لن ننسى معروفكم نحن وشبابنا وأبناء تنظيمنا ما دمنا أحيا نتنفس الهواء.

وتكلم الشيخ سعيد حوى رحمة الله لمدة خمس دقائق بعد أن انتهيت من كلامي الذي استمر زهاء ربع ساعة، وورد في كلام الشيخ وهو يخاطب صدام كلمة رفيق، فأسرع صدام قائلاً: لا أحب هذه اللفظة لأنها جاءتنا من الخارج، وكان آخر المتكلمين الأستاذ عزت إبراهيم لمدة دقيقة واحدة قال فيها: كم كنت أتمنى أن يحدث مثل هذا اللقاء، أما وقد حدث، فأقتصر على كلمة واحدة هي: الحمد لله. عدنا إلى مكان النزل المخصص لنا في حي المسجع على شاطئ

دجلة، وبعد يومين من المكث فيه والتجول في عاصمة الرشيد وما
لمسناه من إكرامنا واحترامنا عدنا أدراجنا إلى مدينة عمان، ونحن
نشعر أن هذه الرحلة كانت ناجحة بكل المقاييس، وأن العراقيين
المعروفين بالنخوة والشهامة العربيتين فتحوا لنا الأبواب على
مصاريعها، التحاقاً بالجامعات، وحملأً للجوازات، وتدربياً على
صنوف السلاح، وتسهيل حركة الأسفار، وما إلى ذلك من الخدمات
اللوجستية، فجزى الله العراق وأهله خيراً على معرفتهم الذي لا
يمكن لأبناء دعوة الإسلام أن ينسوه أو يمحى من ذاكرتهم، وهذا من
الوفاء الذي تعلموه وتلقوه من قائدتهم وسيدهم وحبسهم المصطفى

عليه السلام .

الحوار الثاني مع الرئيس كان ذا أهمية من لون آخر، فقد ذكر لي
السيد نائب الرئيس كلاماً نقله عن الرئيس قال فيه:

لقد قال السيد الرئيس: هل ستبقى علاقتنا مع الإخوان مقتصرة
على التدريب والسلاح؟

فشعرت بالغبطة والبهجة وأجبت: إن هذا يسرنا كثيراً، ونرحب
به، وننافق عليه، وقلت: إن الشخصيات الإخوانية التي تقدم على
غيرها هم: فضيلة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله، وفضيلة
الدكتور حسن هويدى رحمه الله، والفقير إلى عفو ربه كاتب هذه
الكلمات.

لم تمض إلا أيام -وكنا في اجتماع للهيئة التأسيسية- إذ جاءنا
خبر مكتوب بأن الرئيس بانتظار زيارتنا له في قصر الرئاسة، وفي

داخل الجلسة تداولنا أمر الزيارة، فكتب لي فضيلة الشيخ عبد الفتاح على ورقة صغيرة: ماذا ينبغي علينا من مواقف في هذه الزيارة الأولى - وكان الشيخ رحمه الله كثير الاستشارة - أجبته كتابة:

- أرى أن نقتصر في الحديث الأول مع الرئيس صدام على ما يتحدث عنه أهل الدعوة والتبلیغ من عقيدة وعبادة ومكارم الأخلاق.
أجاب الشيخ كتابة: هذا ليس كافياً.

فهممت أن أكتب فلم يتع لى ذلك، لأننا طلبنا للتوجه إلى حيث يتظر الرئيس، ركبت إلى جانب الشيخ في المقعد الثاني من السيارة، ولم يكن معنا أحد باستثناء السائق، فأجبت شيخنا مشافهة وهمساً:

- إن الرئيس يصادف ويقابل العشرات بل المئات ممن يمدحون ويتملقون، وأظنه لا يلتقي إلا القليل الذين يقولون ما يرضي ربهم، ويريح ضمائركم، ويشهدون شهادة الحق.

دخلنا القصر، فإذا بالرئيس قد أعد عشاءً من المشويات على الطريقة العراقية في كل مساء. لقد كان صدام لطيفاً للغاية، وكانت أحاديثه لطيفة طلية، وعندما بدأنا بتناول الطعام، قدم لكل منا - نحن الثلاثة - طبقاً ملأه بالطعام، ثم أعاد الكرة بعد حوالي عشرين دقيقة ليقدم لنا أطباقاً أخرى بيده ملأها باللحوم والطعام.

بعد أن فرغنا من تناول الطعام شرع الرئيس يوجه جملة أسئلة، ويستفسر عن بعض الأفكار، وكان مما وقف عنده، حكم الإسلام في موضوع الرق، فأجاب شيخنا أبو غدة رحمه الله إجابات فقهية في

هذا الشأن.

شعرت أن الرئيس يحمل في داخله أفكاراً متباعدة بين ما تلقاه من حزب البعث الذي كان يتهم الإسلام بتبنيه لنظام الرق، وبين ما ورثه عن بيته المحافظة في تكريت، وتذكرنا صراعاتنا مع البعثيين السوريين في أربعينيات القرن الماضي وما تلاها من نيلهم للدعوة الإسلامية واتهامها بتبني أنظمة الإقطاع والرق، وتهجئهم على أحكام العقوبات، تلك المواقف والأفكار التي انتقلت منهم إلى بعث العراق، وهذا كله يتناقض مع البيئة العراقية وما نشأت عليه من التقاليد والأعراف والغيرة على الإسلام.. إلخ.

لقد وقع في نفسي أن الرئيس صدام ينافق في داخله هذه التناقضات، ولاسيما أن العمر قد تقدم به، وأضحت في أواسط الخمسينيات، فأراد أن يستمع إلى قادة من الحركات الإسلامية أو الإخوان حول آرائهم في مسائل جدلية أثارت في الماضي نقاشات وحوارات ساخنة.

استأذنت بالكلام، وناقشت موضوع الرق من زاوية فكرية، فقلت: جاء الإسلام والبشرية كلها تعامل بنظام الرق، وكأنه جزء من الطبيعة البشرية والحياة الاجتماعية، فقد أقره سقراط ودافع عنه، وأكد عليه أفلاطون، وجعله جزءاً من المجتمع في جمهوريته المثالية، وأقرته الديانة اليهودية، وكذلك المسيحية، وتعاملت الإمبراطوريات والحكومات والدول والمجتمعات على أنه جزء من الحياة العامة، فعالج الإسلام هذه الظاهرة على ثلات مراحل: بشرط في الأولى بالعتق

وشجع عليه، وفتح له ستة عشر باباً يخرج منها الأرقاء إلى ساحات الحرية، فالذى يضرب رقيقاً فكفارته أن يعتقه، ومن يحث بيمينه أو يقارب زوجه في أثناء الصيام فالكافارة عتق رقيق، ومن قتل إنساناً وهو عاجز بطبيعة الحال أن يرد له الحياة، فليرد الحرية إلى رقيق، فيعتقه ويأخذ بيده إلى الحياة الحرة الكريمة، وكأنه رد الحياة إلى مخلوق بديل، وإذا رغب الرقيق بالعتق فعلى سيده أن يستجيب له، ويكتب معه اتفاقاً يسد الرقيق بموجبه أقساطاً من المال ثمناً لعتقه وحريته كما جاء في كتاب الله العزيز: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ . وهكذا، كما سد الإسلام في هذه المرحلة أبواب الاسترقاء كلها، واعتبر ذلك (أي استرقاء الحر من الجرائم الكبرى) باستثناء ما يقع في الحروب لأنها من قبيل المعاملة بالمثل، ويتوقف حالها على اتفاق الأطراف في معاهدات دولية كما حدث في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي.

أما المرحلة الثانية فهي التعامل مع الأرقاء كأفضل ما يكون التعامل الإنساني، إذ كانت وصية المصطفى ﷺ: أطعموهم مما تأكلون، وألبسوهم مما تلبسون، ولا تكلفوهم ما لا يطيقون، فإن كلفتموهم، فأعينوهم، وفي ظل هذه المعاملة الكريمة الراقية بُرِزَ في صفوف الرقيق علماء وفقهاء وقضاة كبار، جلس البعض من علية القوم بمن فيهم الخلفاء أمام منصة القضاء ليحاكمهم ويصدر حكمه عليهم قضاة، كانوا في يوم ما عبیداً، فرفعهم الإسلام إلى مصاف قادة الرأي والفكر والفقه والقضاء.

في المرحلة الثالثة عقدت دول العالم اتفاقاً دولياً نصّ على تحرير الرقيق في كل الحالات، ومنها الحروب، ليحل محله الأسر، وتم التوقيع على ميثاق بذلك، سرعان ما استجاب له المسلمون ووقعوا مختارين في عهد السلطان العثماني عبد الحميد وما بعده.

كان الرئيس صدام يصغي باهتمام إلى ما ذكره شيخنا عبد الفتاح، وإلى ما ذكره كاتب هذه السطور، وشعرنا أنه كان مرتاحاً لما قدمه قادة الإخوان من أفكار وطروح وشروح لمختلف القضايا، كان علاج الإسلام للرق من أولها وأهمها.

٥ - كان السودان يشكل في نفوسنا أملاً كبيراً في تجربة الحكم الإسلامي أو المجتمع الإسلامي منذ أن أعلن الرئيس السوداني جعفر النميري أنه بصدق تطبق مبادئ الشريعة الإسلامية في المجتمع السوداني، والتي لم يكتب لها النجاح إلا في حيز ضيق، وكانت الجبهة القومية الإسلامية بزعامة الدكتور حسن الترابي ناشطة وفاعلة، وتعمل وتخطط على تنفيذ مشروعها الإسلامي.

بدلتْ جهوداً كبيرة باءت كلها بالفشل من أجل إيجاد علاقة بين العراق وبين الجبهة القومية الإسلامية في السودان، وكان التسويف أو الصمت هو السائد، ولم أجد لذلك تفسيراً بعد أن عرفت الطبيعة العراقية التي تبادر دونما تردد في الحوارات مع الآخرين، وإقامة الصلات السياسية والتحالفية معهم، استمرت هذه الجهود منذ عام ١٩٨١ وحتى العام ١٩٨٣ .

وفي ذات يوم قال لي نائب الرئيس في إحدى زياراتي له:

- هل تعرف بدر الدين المدثر؟ الأمين العام القطري لحزب
البعث السوداني؟

قلت: لا، ولكتني أسمع به.

فأتصل هاتفياً به، وقال له: أتعرف أبا عامر؟

وكان الجواب كان: لا أعرفه، فاقتصر زيارتني له في القيادة
القومية (القرية من مبني قيادة الجيش الشعبي) التي كان المدثر يداوم
فيها، وعندما التقىته أحببت أن يكون الجو بيننا طيباً والحديث محبياً،
فقلت:

- إن السودانيين على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم يوقرون
الإسلام، ويحملون في صدورهم جذوة الإيمان.

فإذا به يسكت، ولا يجادل هذا التلطف معه بمثله أو ببعضه، ثم
استدعي بدر الدين المدثر موظفاً لديه قائلاً له:

- اكتب محضر هذه الجلسة.

فاعتراضت على ذلك قائلاً للكاتب: ارفع القلم والورق، فإني
جئت في زيارة مجاملة، ولا حاجة أو ضرورة لكتابة محضر لهذه
الزيارة.

وبعد دقائق من تجادب أطراف الحديث، قال المدثر:

- إن الرفيق طه يطلب إقامة صلة مع الجبهة القومية الإسلامية في
السودان، لكتني كنت أعتراض على ذلك.

فقلت في نفسي، وجدت التفسير لتلكؤ العراقيين في إقامة صلة مع الجبهة في السودان، كما وجدت الخصم العنيد للجبهة، والنظر إليها بمنظار حزبي مناوئ، وكان المدثر يعوض عن ضعف حزبه في السودان بالمبالغة في مدح الرئيس العراقي وإرسال البرقيات المطولة التي يملأ بها الصفحات، وهو قابع في مبنى القيادة القومية تعويضاً عن ضعف الحزب جماهيرياً في السودان حيث لم يستطع -رغم المساعدات العراقية السخية له- أن يشق طريقه، فعندما جرت الانتخابات الحزبية في عهد سوار الذهب، نال حزب الأمة مليوناً ونصف مليون صوت، ونال الاتحادي مليوناً ومئة ألف صوت، ونالت الجبهة القومية الإسلامية تسع مئة ألف صوت، ونال الحزب الشيوعي ٦٤ ألفاً، ونال حزب البعث بقيادة المدثر ٣٢ ألف صوت، رغم أن إحدى دفعات العراق من الدولارات دعمأً للانتخابات النيابية كانت خمسة ملايين كما سمعت ذلك من حسن الترابي ومن الصادق المهدى حسب شهادة الجمارك.

٩ - كانت زيارتي لمقر القيادة القومية مفيدة للغاية، إذ عرفت منها ما كنت أجهله، مما حملني على تغيير التكتيك في بذل المساعي الحميدة والمجدية لإقامة علاقات سودانية قوية من العراق، فشرعت في مباحثات جديدة مع الأستاذ طه رمضان حول موضوع الصلة مع السودان، باعتبار حزب البعث السوداني الضعيف جداً يشكل حاجزاً لتطوير هذه العلاقة، وأن الجبهة منفتحة بأفكارها وحواراتها، وأنها ترغب بإقامة علاقات دبلوماسية حميمة مع الآخرين من الدول العربية

لصالح التعاون والتضامن العربيين، فراجع السيد النائب رئيسه في هذه الشؤون، وتقرر إجراء حوار، وإقامة صلات على مستوى الحكومات والدول والقيادات العليا بصرف النظر عن موقف الحزب القطري الذي له أن يتصرف بحدود صلاحيته وقطريته.

من جهة أخرى زرت السفير العراقي عاصم الجعفري في مكتبه في الخرطوم وسألته: هل لك أي صلة أو معرفة بالجبهة ورئيسها الدكتور الترابي؟

قال: لا، ولكنني أرغب في ذلك، ويمكنك أن تحمل له ولعدد من إخوانه دعوة للغداء في منزله.

وكان الوقت قريباً من الزوال وصلاة الظهر، فانتقلت على وجه السرعة إلى مقر الجبهة، وبلغت الترابي أن السفير العراقي يأمل بحضورك إلى منزله لتناول طعام الغداء مع نفر من إخوانك.

فخاطب اثنين من إخوانه، ليتهيئوا لذلك، وعندما أبلغت السفير تلبية الترابي لدعوته، فوجئ بذلك وهرع إلى مقر الجبهة لتعزيز دعوته والالتقاء بالترابي.

في منزل السفير جلسنا نتحدث عن مصالح الأمة، وعن الحرب العراقية الإيرانية وشأن السودان، فكان لقاء مثمرأً وودياً للغاية، ثم قال مسؤول العلاقات الخارجية في الجبهة الدكتور عبد الله سليمان العوضي:

– ما رأيكم بتناول طعام العشاء في متزلي؟

فاستجاب الحضور، واجتمعوا على طعام العشاء، وهكذا تمت في أقل من عشرين ساعة ثلاثة لقاءات بين العراقيين والسودانيين، في مقر الجبهة، وعلى طعام الغداء، وكذا على طعام العشاء، فأنهينا في هذه الساعات الخمس عشرة ربع قرن من التباعد والقطيعة. وكتب السفير العراقي تقريراً رفعه إلى حكومته حدثهم فيه عن هذا التقارب السريع.

ب- كانت الحرب في جنوبى السودان على أشدّها، فتوجه محمد أمين خليفة عضو مجلس قيادة ثورة الإنقاذ، ورئيس البرلمان السوداني المؤقت إلى بغداد، والتقي الأستاذ عزت إبراهيم، وجرت بينهما أحاديث كثيرة سمعت تفصيلات عنها من الأستاذ محمد أمين خليفة، كان منها ما نصح به نائب الرئيس العراقي السودان بوجوب المصالحة مع جنوبى السودان على غرار ما فعلته قيادة العراق من اتفاق مع الأكراد في شمالي العراق، ولما علم الأستاذ عزت بما يعانيه السودان من شح الوقود قال لضيفه: اذهب إلى عدن، فإن للعراق كميات من البترول في عدن لتكرارها في مصفاة عدن الكبيرة، اذهب إلى هناك، واستلم كل ما عندهم من البترول العراقي: سواء الخام منه، والمكرر، ثم أردد الدوري قائلاً: هذا البترول هو ملك الأمة كلها وليس للعراق فحسب، وإن كان ينبع من أرضه.

ج- وجد السودانيون الحل لأزمة الوقود لدى إخوانهم العراقيين الذين لم ينس السودانيون صنيعهم ومواففهم ومعرفتهم، ثم تالت مجالات التعاون في كل المجالين بسرعة فائقة، أكثر مما كان متوقعاً،

كان من أهمها توريد السلاح الذي كان السودانيون بأمس الحاجة إليه في حربهم مع الجنوبيين المحرضين والمدعومين من القوى المعادية، والذين يواصلون زحفهم بتأييد الغرب والشرق والفاتيكان وكوبا، لاحتلال الشمال، فتدفقت الأسلحة بكميات كبيرة جداً، حتى صار ما وصل إلى كل موقع في السودان من السلاح يقدر ما كان لدى السودان كله، كما قال أحد كبار السودانيين الذي سمعت منه، حتى بلغ ثمن ما استلمه السودانيون من العراق مليار دولار، فقال لهم صدام، حسب القائمة التي استلموها من السلاح: هذا السلاح يقدر بـ ٦مليار دولار، فإن استطعتم دفعها، وإنما سامحناكم به كأشقاء لنا، فاستطاع الجيش السوداني أن يرد هجمات الجنوبيين، ويعدهم عن منابع النيل التي كانت على بعد ميلين من زحف الجنوبيين.

حاول البعض السودانيون القيام بانقلاب بقيادة اللواء دلول المسراح من الجيش، وهو من دفعة الرئيس البشير، فاستدعاه وحضره من تحركه الذي عرفت الحكومة تفصيلاته، فأنكر ذلك، ووعد بالابتعاد عن أي تحرك، وقد كان في إيجابته مراوغةً ومخادعاً، فلم تمض أيام قليلة حتى قام بمحاولة انقلاب دعمته فيها دول عربية أخرى، لكن باء بالفشل، ولم يتمكن من الاحتفاظ بالأمكنة التي احتلها في جوار الخرطوم -موقع الشجرة- وألقي القبض عليه وعلى مساعديه في الانقلاب، فكلفة ذلك حياته وحياة عدد ممن شاركوه بعد محاكمات عسكرية حكمت بإعدامهم.

خشى البعض أن يتوقف الدعم العراقي بعد محاولة الانقلاب

الفاشلة التي قام بها بعثيو السودان، لكن الواقع أثبت عكس ذلك، وبعد المحاولة خرجت من البصرة باخرة تحمل للسودانيين أكبر كمية من السلاح سبق أن أرسلها العراق إلى الخرطوم.

زادت وتيرة التعاون بين العراق والسودان، لتشمل كل الميادين العسكرية والبترولية، وفي مجال الطيران، في التدريب وغير ذلك، وكثرت زيارات الوفود المتبادلة بين بغداد والخرطوم التي شملت اتحادات الطلاب والشباب، والاتحاد النسائي، والبعثات العسكرية في مجالات كثيرة وغير محدودة.

إن السودانيين جمِيعاً من رجال وشباب ونساء وسياسيين وإعلاميين وأكاديميين، لا ينسون موقف العراق من بلدهم، ووقفه بجانبهم في أحر الأوقات التي مر بها السودان، ومدى المساعدة إليه، في وقت كان فيه السودانيون أشد ما يكونون احتياجاً إليها.

يدرك السودانيون ذلك في كل مناسبة، ليكون هذا التعاون بين البلدين أنموذجاً حياً للتضامن والتعاون والتلاحم، ودليلًا على الترابط العضوي الوثيق بين أبناء الشعب العربي الواحد، وأعضاء الأمة العربية الواحدة ذات الرسالة السماوية الخاتمة.

لم يعد لحزب البعث السوداني أي دور بعد محاولاتة الكثيرة والمكررة في عرقلة كل المساعي للتقارب والتعاون بين الخرطوم وبغداد، فلم يعد له أي شأن في هذا التضامن الذي قدم مثالاً حياً، على سياسة العراق الإيجابية والأخوية بين أقطار الأمة الواحدة التي تمتد من المحيط إلى الخليج، بطول سبعة آلاف كيلو متر، وعلى

مرانة السودانيين في كل علاقاتهم الدبلوماسية مع الأشقاء والأصدقاء، بالرغم مما يبيت للسودان من كيد وتأمر من جنوبه وشرقه وغربه وداخله لتعطيل مسيرته، والنهوض به، والتي عطلت الكثير من مشروعاته التنموية، ورغم ذلك كله ما زال صامداً ومستمراً. كذلك يدل ما رأينا من مساعي تنظيم الإخوان السوري في التقريب بين وجهات النظر، وقيامهم بالمساعي الحميدة والمثمرة، بالرغم مما يعانونه من ظروف قاسية، ومعاناة بالغة الشدة، شتت شملهم، وألحقت الأذى في شبابهم وأعضاء تنظيمهم، وإخراجهم من ديارهم، ومع كل ذلك لم ينسوا واجبهم تجاه أمتهم ووطنهما، فقاموا بهذا الجهد الذي لا ينسى بين القطرين الشقيقين: السودان والعراق.

٦ - لم يكن لنا علاقة من قبل مع منظمة التحرير الفلسطينية وياسر عرفات رئيس المنظمة، وفي ذات يوم التقى بعض إخواننا الكبار أمثال سيف الإسلام حسن البنا وغيره مع رئيس المنظمة في مسعى لم أعد أذكر مناسبته، تم الاتفاق على لقاء عرفات مع الشيخ عبد الفتاح أبو غدة والدكتور حسن هويدى رحمهما الله وبعد تبادل الأحاديث الودية، وكان السيد عرفات ودوداً في استقباله لهما كما تحدثا فيما بعد، وفي آخر جلسة سألهما عن العبد الفقير قائلاً: أين فلان؟

واتفق الطرفان على عقد لقاء آخر، يضم عرفات والإخوة الثلاثة الشيخ عبد الفتاح والدكتور حسن وكاتب هذه السطور، وقد جرى اللقاء بعد أيام قليلة في جدة وفي ساعة متأخرة من الليل بعد أن فرغ

عرفات من استقبال ضيوفه وأنصاره وأعضاء المنظمة، فالتقينا بعد الثانية ليلاً، أي بعد منتصف الليل.

كان انطباعنا نحن الثلاثة إيجابياً عن السيد عرفات، فقد كان شديد التواضع، يقوم على خدمة ضيوفه بنفسه، وكان عذب الحديث، يقبل على ضيوفه بروح المودة وطيب الكلام، جرت أحاديث متنوعة ومتشعبة، وكان قد أصابه ضر من سياسة حافظ أسد في سوريا ولبنان، فشمل الحديث أحوال السوريين الذين تضرروا هم والفلسطينيون واللبنانيون والعراقيون من حكومة الأقلية في سوريا وما عاناه الجميع من هذا الحكم الشمولي الفاسد في سوريا.

كانت العلاقة -كما أشرت- بين المنظمة والنظام السوري قد ساءت إلى درجة كبيرة بلغت حد العداء والصدام، وسبق أن التقى في الرباط في نطاق جولة المكتب السياسي للمعارضة السورية بالسيد خالد الحسن عضو القيادة في منظمة التحرير، فشن حملة على العراق، متهمًا إياه بإغلاق معظم مكاتب المنظمة في بغداد، وبقطع الإمدادات من التمور التي يحتاج إليها الفدائيون في تحركاتهم، واستخدم كلمات حادة عن موقف الحكومة البعثية في بغداد. وعندما سألت السيد ياسر عرفات عن الصلة بين الجانبين، كرر بعض ما سمعناه من السيد خالد الحسن رحمة الله في الرباط، قلت يا أبا عمار: هل تستطيع منظمتكم أن تستمر في كفاحها بعد خروجها من لبنان، وتوزيع فصائلها على عدن وتونس والجزائر، وبعد أن أضحت تحركها في الأردن ومصر وسوريا ولبنان متعدراً؟ هل يوجد أقرب من

العراق لفلسطين؟ وهل يوجد غير العراق لتهيئة الفرصة لكم،
لتستمروا في كفاحكم؟

فأجاب بمر الشكوى عن معاملة العراق لمنظمتهم.

قلت: ينبغي من أجل القضية الكبرى في مواجهة المشروع الصهيوني الاستيطاني أن تتجاوزوا خلافاتكم، وأن تفتحوا صدوركم لأشقاءكم في أي بلد يتاح لكم الاستمرار والتحرك، والعراق كما عرفناه إذا أدبر فإن المعاملة معه عسيرة، وإذا أقبل يسابق الجميع في موافقه.. فما رأيك يا أبو عمار بأن يبذل تنظيمنا المساعي الحميدة لعودة المياه إلى مجاريها بين الشقيقين: العراق ومنظمة التحرير الفلسطينية؟

صمت عرفات قليلاً، ثم قال:

- لديكم الخط الأخضر في أي مسعى تبذلونه في هذا المضمار.
خرجنا من لقائنا مع أبي عمار في الساعات الأخيرة من الليل،
باتجاه الفندق لنأخذ قسطاً من الراحة، ولو لوقت قصير.

سألني إخوانى عن السبب في طرح هذه المبادرة والتأكد عليها مع عرفات، فقلت: إنها ورقة مهمة، بل هي أهم ورقة لدينا لا نملك سواها.

سمى لنا أبو عمار مندوياً عنه للتنسيق فيما بينا، ألا وهو السيد عبد الله لبيب الملقب بهواري قائلاً: لن تجدوا أشد منه وأكثر صرامة في معارضته للنظام السوري.

في بغداد تناولت حديث التقارب بين المنظمة والعراق مع السيد نائب الرئيس الأستاذ طه رمضان، فكان قاسياً في رده، شديداً في نقه له منظمة التحرير، طارحاً موضوعاً شائكاً، وهو أن أبا عمار كان ينسق مع بومدين رئيس الجزائر ضد حياة الرئيس صدام حسين.

بعد حديث طويل، ومناقشة الموضوع من كل جوانبه، واستعراض الأخطار التي يتعرض لها الوطن العربي من قبل الصهيونية والغرب وأمريكا، والدسائس الداخلية وغير ذلك كان ختام الحديث مع السيد نائب الرئيس :

- يا أبا أحمد: لابد من أن نتجاوز خلافاتنا، وأن تحل المصالحة محل الخصام، وأن يمد أحذنا يده لأن أخيه مصافحاً ومساماً، لاسيما أن السيد ياسر عرفات أبدى استعداده ليفتح صفحة جديدة في علاقاته مع العراق.

أ- كان هواري أحد العصي الغليظة في يد السيد ياسر عرفات، وكان شديد المراس، سريع الاندفاع ضد الصهاينة وخصوم المنظمة، وقد جفاه جميع أعضاء اللجنة المركزية في فتح، وقررروا إبعاده، فلم يستطعوا، بل بقي ثابتاً في مكانه في المنظمة، وموضع ثقة رئيسه عرفات.

حضر هواري إلى بغداد زائراً، بعد أن توثقت العلاقة بيننا وبينه، فهياانا له حضوراً في المكتب السياسي للتحالف الذي أصبحت أمينه العام بقرار من الهيئة التأسيسية في التحالف دون أن أكون حاضراً، بل

بلغته في عمان من السيد مطاع الصفدي رئيس الهيئة التأسيسية.

حضر هواري جلسة للمكتب السياسي، وقال كلاماً أثلج به صدور أعضاء المكتب، وأبدى استعداداً قوياً للتعاون مع المعارضة السورية، ودعماً لها بما تحتاج إليه، فكان لهذا اللقاء ما بعده على المدى البعيد، وفي لقاء لاحق للسيد طه ياسين من أعضاء المكتب السياسي ذكر السيد أمين حافظ أمام السيد طه رمضان أن هواري أبدى استعداده لدعم المعارضة بما تريده. فانزعج السيد النائب وقال:

هل ينقصنا السلاح أو المال حتى ننتظر الدعم من هواري؟

وفي هذا الجو المتوتر قلت للسيد النائب:

اقتراح عليكم اللقاء بهواري واستقبالكم له.

فنظر ولم يجب على الاقتراح، فأعدت كلامي وقلت:

- أرجو يا أبا أحمد أن تتجاوز البروتوكول، وتلتقي هواري في مكتبك.

وبعد برهة قال: لا بأس، أحضره معك، واتئيا إلى مكتبي.

واتفقنا على موعد اللقاء.

ذهبت على التو إلى هواري في فندق بابل، وطلبت منه النزول إلى الصالون كيلا تكون في غرفة مغلقة، وسرعان ما نزل، فأخبرته أن فرصة سانحة قد أزفت، وأن السيد نائب الرئيس طه ياسين مستعد لاستقبالك في مكتبه، وأنك تستطيع أن تكسب وده إذا تعاطفت معه

فيما وقع على مفاعل تموز، وأنك مستعد لثار للعراق ضد الصهاينة.

تمت زيارة السيد النائب في مكتبه، فتحدث هواري دون أن يوفق في حديثه، فالرجل خلق للصدام لا للكلام، ولدى خشتي من فشل المقابلة، تدخلت في الحديث قائلاً:

- إن السيد هواري مرتبك ومتهيب، لأنه يلقاءكم لأول مرة، وإنني سمعت منه كلاماً واضحاً في التعاطف مع العراق والغيرة عليه.

ثم تكلمت عما أريد باسم السيد هواري وعلى لسانه، ولاسيما فيما يخص الثأر لمفاعل تموز وبما يكفيه هذا الثأر، فإذا بالسيد النائب ينشرح صدره لما سمعه، ويقول لهواري:

- اتفقنا، ومنذ الآن نعتبر أننا معكم في اتفاق ووفاق.

ب- توثقت الصلة بين حكومة بغداد وبين منظمة التحرير الفلسطينية على جميع الصعد، وتكررت زيارة أبي عمار إلى بغداد والتقاءه الدائم مع صدام حسين، وفي ذات يوم سالت أبو عمار عن اتجاه القبلة فأجاب: رأيت الرئيس الذي زارني فجراً يصلني بهذا الاتجاه، وأشار إلى اتجاه الكعبة.

فتحت المنظمة عدداً من المكاتب في بغداد، وصار التنسيق بين الجانين أمراً معتاداً، ورشح أبو عمار هواري مندوبياً عنه، فتم تشكيل لجنة مشتركة من اثنين من الإخوان -المراقب العام والمسؤول العسكري -واثنين من العراقيين- مدير المكتب السوري والسيد فاضل صلفيج العزاوي أحد مساعدي مدير الأمن، ومن السيد هواري، وفي

هذه الأثناء اشتعلت نار الحرب ضد المخيمات الفلسطينية في لبنان، فوق تنظيمنا بجانب المقاومين الفلسطينيين بما يحتاجونه من أمور لو جستية، كما وقف العراق بجانب الفلسطينيين معاوناً ومناصراً، وهكذا أصبحت بغداد الساحة الرئيسية لتحرك منظمة التحرير الفلسطينية بعد الهوة السحرية التي كانت تفصل بين الجانبين.

لم ينس الفلسطينيون جهود الإخوان المسلمين السوريين فيما تحقق من عودة المياه إلى مجاريها بين قيادتي صدام وأبي عمار، فوقفوا بجانبنا في أزمات عاتينا منها وعجزنا عن حلها، وكان هواري مندمجاً معنا بشكل لفت أنظار بعض قادة المقاومة في المنظمة، فقد ذكر هاني الحسن أن هواري تغير إلى الأفضل منذ التقاضم، ونسق معكم، وفي ذات يوم ذهبنا إلى قرية العوجا لنقدم العزاء إلى مدير المكتب السوري بوفاة قريب له، وعند العودة طلبت من هواري التوقف أمام باب مسجد في مدخل مدينة بلد، حتى أصلى الظهر والعصر صلاة المسافرين، فالوقت لا يتحمل التأخير، وتركته مسرعاً إلى داخل المسجد لأسبغ الوضوء تمهدأً لأداء فريضة الصلاة، فإذا بي أفاجأ أن هواري لحق بي واتجه إلى الميضاة، ثم إلى الحرم ليؤدي الصلاة معي في جماعة.

كان هواري مسموع الكلمة لدى السيد ياسر عرفات، فكان لا يرد له طلباً، وكان يعتبره أحد القادة الفدائيين الذين يعتمد عليهم في المهمات الصعبة، فكان هواري يؤكد على أبي عمار في تنفيذ كل الأمور التي يحتاجها إليها تنظيمنا وسرعان ما كان يستجيب، وفي

ذات يوم وقع لنا في الأسر سبعة أعضاء في بوخارست عاصمة رومانيا، وصدرت ضدهم أحكام قاسية ما بين المؤبد وخمس سنوات، وكان الرومان يقبلون الفدية لإطلاق سراح المعتقلين، وكان المطلوب فوق قدرتنا، فاستنفرنا إخوتنا المقيمين في بعض الأقطار، فاستجابوا، شكر الله مساعهم، لكن ذلك كان دون المطلوب (فدية كل محكوم بالمؤبد ربعمليون دولار)، فتحرك هواري بحماسة ملmosة طالباً من رئيسه أن يقف معنا، وقد كان ذلك، إذ استجاب أبو عمار وساندنا، ووقف بجانبنا في أزمنة، فخرجنا منها ظافرين محبورين، ونحن نرى إخوتنا السبعة يأتوننا في بغداد لإكمال دراستهم، فيما كانوا عليه في الجامعات الرومانية، ولم تمض سنوات قليلة حتى كان منهم الطيب وغيره، بفضل الله أولاً، ثم بمساعي إخوتنا وتعاطف أبي عمار، والتسهيلات التي كانت بغداد تقدمها لأبناء تنظيمنا كما مر معنا على مدى سنوات طوال.

وهذا كله حدث بجهود تنظيمنا في التقرير والمصالحة بين منظمة التحرير الفلسطينية، وبين حكومة بغداد بقيادة صدام حسين، وما نتج عن ذلك من تعاون وإنجازات كثيرة لسياسة الجماعة في حل المشكلات السياسية المعقدة.

٧ - بعض الساسة والقادة لا يتعظون بأحداث التاريخ، بل ولا يقرأونه، فيركبهم الغرور، فيخوضون معارك ومخاطر تؤدي بهم وبشعوبهم إلى موارد الهلاك، كالذي فعله نابليون وهتلر، وما فعله الإنكлиз والسوفيات في أفغانستان.

غدر رئيس الوزراء الأفغاني بابن عمه ظاهر شاه، وقام بانقلاب جاء بالشيوعيين إلى الحكم، فشرعوا يسفكون الدماء ويقطشون بأبناء وعشائر أفغانستان.

تغطي الجبال والهضاب والسلالل المعقدة العالية جداً ثمانين بالمئة من مساحة أفغانستان، وهي جبال تكسوها الثلوج معظم أشهر السنة، وتقع فيما بين سلاسل الجبال الأفغانية واحات صغيرة وكبيرة، يعيش فيها الأفغان بما لديهم من زراعة الخضار والفاكهة التي تغذيها الينابيع والثلوج المذابة في الربيع والصيف وبعض أيام الخريف، وكذا بما يملكونه من حيوانات أليفة ودواجن يعيشون على لبناها ومن لحومها، ولا يمكن لقوة مهما بلغت أن تقتتحم عليهم واحاتهم، وإلا عرضت نفسها للدمار.

جرب الإنكليز في القرن التاسع عشر احتلال أفغانستان فوقعوا في فخ على الطريق ما بين كابل وجلال آباد في وسط سلسلة وعرة من الجبال الشاهقة (وقد رأيت المكان في سفر من كابل إلى جلال آباد لا يصله ولا يتورط في الدخول إليه إنسان عاقل) فأيد الجيش البريطاني عن بكرة أبيه، وكان تعداده، كما ذكرت بعض المصادر، خمسين ألفاً، لم ينج منهم إلا طبيب عاد ليخبر عن هول المعركة والقضاء المبرم على الجيش البريطاني المحتل.

لقد غرّ السوفيات جيشهما الأحمر والحزب الشيوعي الذي قام بالانقلاب في كابل، فلم يمض على وصول الشيوعيين إلى السلطة فترة قصيرة، إلا ظهر أمران مهمان، الأول ميلاد المقاومة التي بدأت

متواضعة، وانتهت كقوة ضاربة حفرت للسوفيات قبورهم، والأمر الثاني هو الصراع على السلطة بين أجنحة الشيوعيين، وتصفية بعضهم البعض، الواحد تلو الآخر.

أضعف الصراع على السلطة فوق الهضبة الأفغانية، وبين سلاسل الجبال، الجيش السوفيaticي الذي تورط وانتشر في بقاع أفغانستان الوعرة وجبالها السامقة، ولم تكن المقاومة قد استكملت قدراتها، وعندما هم السوفيات بسحب قواتهم وجدوا الأمر عسيراً، فكان التورط السوفيaticي أحد أهم الأسباب في انهيار هذه الإمبراطورية، أي الاتحاد السوفيaticي صاحب أكبر مساحة بين دول الأرض ٢٦ مليون كم² - وأعظم ترسانة في الأسلحة الحديثة والقدرة النووية، فلم تعد تجدي طائراتهم التي كانت تتجلو بين الجبال فيراها المجاهدون، وينظرون إليها ساخرين، ثم يدخلون الأنفاق والمغارات قبل أن تصل القذائف إلى الأرض لتناثر على سفوح الجبال.

-٩- كانت صلات الإخوان السوريين بالمجاهدين الأفغان كبيرة، فكلتا الحركتين -الجهاد السوري والجهاد الأفغاني- ولدت في عام ١٩٧٩، وكلتاهما رفعت راية الجهاد، ونادت بوجوب العودة إلى الإسلام، بتحكيم شريعته في المجتمعات الإسلامية، وكنا لا ننقطع عن السفر إلى يشاور لنلتقي قادة الجهاد الأفغاني السبعة، وبعد التعرف إليهم، والاختلاط بهم، والوقوف على أفكارهم تبين لنا أن الحركتين الكبيرتين من بين الحركات السبعة هما: الحزب الإسلامي بقيادة قلب الدين حكمتيلار، والجمعية الإسلامية بقيادة برهان الدين

رباني، وقد قرر المعنيون الباكستانيون وعلى رأسهم حميد گل، رئيس المخابرات العسكرية الباكستانية أن الحزب الإسلامي يشكل أربعين بالمئة من مجموع المجاهدين الأفغان، أما الحركات الخمسة الأخرى، فتأتي بعد الحركتين الكبيرتين، وهي الحزب الإسلامي جناح يونس خالص، وحركة الثورة أو الانقلاب بقيادة مولوي محمدي رئيس علماء باكستان، والحركة الوطنية بزعامة الكيلاني ذي الأصل العراقي، وهو غربي التزعة في سياساته وفي حياته الخاصة كما شاهدنا ذلك في منزله، وكذا الحركة التي يقودها المجددي، وهي أقرب إلى السياسة الأمريكية، أما التنظيم السابع فهو الذي شكله عبد رب الرسول سیاف من المنفصلين عن أحزابهم، والمختلفين مع قيادتهم، بعد أن كان الجميع قد ارتضاه رئيساً وحكماً لاتحاد الفصائل كلها، لكنه صدم الجميع بتشكيل فصيل خاص به هو الاتجاه الإسلامي، فخسر الثقة والدور الذي كان منوطاً به.

لقد اختار تنظيمنا السوري من هؤلاء جميعاً العلاقة مع حكمتياز المهندس قائد الحزب الإسلامي لصدقه وصلابته وصراحته، ورباطة جأشه في التصدي لأى قوى خارجية محتلة أو طامعة، سواء أكانت سوفياتية أم أمريكية، وقد تعاونا معه بما نستطيع من دعمه، وتعاون معنا بما يستطيع من دعمنا، واستمر تعاوننا معه طيلة أيام الجهاد الأفغاني إلى ما بعد دخول المجاهدين إلى كابل.

لم نكن نرتاح، أو بالأصح، لم أكن أرتاح لبرهان الدين رباني بعد تجارب طويلة، فيما لمسناه من أسلوب زئبي لا نستطيع أن

نعرف منه ماذا يريد، أو أن يثبت على اتفاق كثيراً ما أبرمه المجاهدون
ولم يثبتوا عليه.

بـ- كنا نتطلع إلى وقوف العراقيين الرسميين مع حركات الجهاد الأفغانية، ولاسيما بعد أن صوت العراق في المؤتمر الإسلامي بالرياض لصالح المجاهدين الأفغان دون أن يلتفت إلى علاقته ومصالحه مع السوفيات، وكان هذا القرار بوجوب انسحاب السوفيات واستقلال أفغانستان قد حظي بتأييد جميع الدول الإسلامية والعربية، باستثناء حافظ أسد الذي اعتبر أفغانستان إحدى جمهوريات الاتحاد السوفيaticي مثل طاجيكستان وأوزبكستان وتركمانستان وقازاخستان وغيرها سواء بسواء، الأمر الذي أثار اشمئزاز المسلمين جمِيعاً من هذا الموقف النشاز.

كان العراق يستورد السلاح من السوفيات في حربه مع إيران كمصدر رئيسي، ومن ثم ليس من اليسير وقوفه ضدhem، وهو بحاجة ماسة لهم، ومع ذلك، فلم ن Yas من دعم العراق إلى الأفغان، بعد أن عرفنا نفسية العراقيين وطريقة تفكيرهم، فهم إذا اقتنعوا بأمر أقدموا عليه، ولو كان دون ذلك خرط القتاد، إنهم بحق رجال ذوو شهامة وحمية يلمسها فيهم من يخالطهم، ويتعرف عليهم عن كثب وقرب.

في ذات يوم، وفي لقاء ثنائي مع الرئيس العراقي، قلت له:

- يا أبا عدي: إن الأمن الأفغاني مرتبط بالأمن العربي منذ مئات السنين، فإذا كانت أفغانستان قوية، وعلى أرضها دول قوية مثل

الغزنويين والسلاجقة وأمثالهم، أعطانا الإيرانيون ظهورهم، وولوا وجههم شطر الشرق خوفاً من الأفغان، وحماية لهم من جبروتهم وبأسهم، أما إذا كانت أفغانستان مفككة ضعيفة، ومقسمة إلى ولايات متاحرة، تفرغ الإيرانيون للعراق، وأذاقوه شرور كيدهم، وظلمهم، كما حدث في أيام الصفويين ونادر شاه، عندما حاصروا بغداد والموصل، واضطروا السكان إلى أكل القطط من شدة الحصار الإيراني للعراق.

يا أبا عدي - وقد كانت الحرب مع إيران على أشدتها- إن كنت تريد أن تؤدب إيران وأنت في راحة وطمأنينة، فايدُ أفغانستان، وادعم الأفغان، وسلح مجاهديهم، ففي ذلك تأديب لإيران، وتصفية حسابات ضد إصرارها على الاستمرار في الحرب مع العراق.

نظر صدام وحدق بعينيه - باوع باللهجة العراقية- دون أن يتكلم، وبعد برهة قال كلاماً بعيداً عن الإجابة المطلوبة والمتظرة، قال: -الأفغان رجال، وإسلامهم نقى وصادق، لا تختالطه نعرات أخرى، كما نرى ذلك لدى بعض الشعوب التي تتسمi للإسلام، وسمى بعض الشعوب الإسلامية.

عدت إلى مقر الضيافة الذي كنت نزيلاً فيه، فجاء في اليوم التالي أو بعد ذلك نائب الرئيس السيد طه ياسين وقال:

- يقول لك الرئيس: إنه موافق على ما ذكرت، وهو يعتبرك مندوباً عنا لدى الأفغان.

حملت هذه الرسالة الشفهية وشددت رحال السفر إلى بيشاور ومنها إلى كابل للقاء قادة الأفغان.

كان المهندس أحمد شاه زي -من أنصار ربانى- قد قام بتشكيل وزارة من أطياف حركات وأحزاب الجهاد، فالتقى وتناولت في منزله طعام الغداء، وكان يتقن الحديث باللغة العربية، فنقلت له حديث الرئيس صدام حسين مستبشرًا وبهذا الدعم من دولة عربية قوية، وبعد التشاور مع إخوانه، جاءتنى الإجابة من رئيس الوزراء المؤقت أحمد شاه زي قائلاً:

- لقد قررنا أن تكون مندوبينا لدى الإخوة العراقيين.

وهو نفس التكليف الذي أسنده إلى العراقيون.

لم أكتف بهذا التكليف أو هذا التشريف، خائفاً من أن يبقى في نطاق المجاملة دون أن تترتب عليه خطوات عملية، فدخلت مع الشخص الذي هو أقرب الجميع من نفوسنا وقناعاتنا القائد حكمتىار، وعرضت عليه أن يقيم صلات مع بغداد، فلم تمض برهة من الزمن حتى زار العراق، والتقى السيد نائب الرئيس طه رمضان، ثم زارها مرة أخرى، والتقى السيد الرئيس صدام حسين، فوعده بتقديم معونة شهرية للتنظيم الجهادي القوى الذي يقوده حكمتىار، مقدارها مليون دولار شهرياً، استلمها قلب الدين حكمتىار لشهر، وقيل لشهر آخر، ثم وقعت الحرب اللعينة بدخول العراق إلى الكويت بارتکاب خطأ استراتيجي دمر كل شيء، وغير كل شيء، وسبب كارثة ليس للعراق

والكويت فحسب، بل للعرب والمسلمين، وأسفاه، في كل ديارهم وأقطارهم.

٨ - كان ظهور السيد نجم الدين أربكان على الساحة التركية يبعث أمل كبير في أن تستعيد تركيا دورها الإسلامي والتاريخي على الأرض التركية، وفي الساحة الدولية.

استطاع نجم الدين دخول البرلمان التركي باسم حزب السلامة وبعد قارب الخمسين نائباً - ٤٩ - وأن يدخل في وزارتين، مرة مع سليمان ديميريل، وأخرى مع أجاويد، لأن حزبه كان يرجع الكفة في الحصول على ثقة البرلمان، وهكذا دخل نجم الدين السياسة التركية من أوسع أبوابها.

كانت صلاتنا مع أربكان قوية، بحكم الجوار والجغرافيا، فكنا نتردد على أنقرة، ونزيوره في مقر حزبه، كما كنا نجتمع به في نطاق التنظيم العالمي للإخوان المسلمين - وكنت في هذه الفترة عضواً في مكتب الإرشاد - في جدة حيناً، وفي اسطنبول أحياناً، فلمسنا منه تعاطفاً في محنتنا في سوريا كما لمسنا منه طموحاً كبيراً في توسيع نطاق التعاون بين الحركات الإسلامية الكبرى مثل: الجماعة الإسلامية في باكستان بقيادة القاضي حسين أحمد، والإخوان المسلمين في البلاد العربية بقيادة مكتب الإرشاد، وحركة الشباب الماليزي بقيادة أنور إبراهيم، بل إن طموحه تجاوز ذلك إلى إقامة صلات مع ليبيا وإيران، وتشكيل تحالف إسلامي من ثماني دول إسلامية كبيرة مثل: باكستان وبنغلادش وأندونيسيا ونيجيريا

وماليزيا... إلخ وأن يكون لهذه الكتلة دينار إسلامي أي عملية موحدة.

لم يكن حال تركيا الداخلي -ومنها سلطان العسكر- والوضع الدولي في أوروبا وأمريكا يسمحان لهذه الطموحات أن تأخذ مداها، فلم يكتب لها النجاح، لأن أربكان كان أقرب إلى الخيال منه إلى الواقع، فلم يستطع إكمال دربه، ولا سيما أن عناصر ثقيلة في حزبه انشقت عليه، و اختللت معه في كيفية إدارته للحزب ومركزيته الشديدة التي لم يتحملها رفقاء مسيرته.

٩- كنا نتطلع إلى إقامة علاقة إستراتيجية بين بغداد واسطنبول، أو بين ورثة الخلافة العثمانية وورثة الخلافة العباسية، فإن في ذلك نجاحاً كبيراً في تقوية شعوب المسلمين من أهل السنة والجماعة، وتنسيقاً مثمراً بين العراق وتركيا على الحدود المشتركة بين الجارتين للحد من طموح الأكراد في إقامة دولة على حساب الأتراك والعراقيين ودول الجوار الأخرى، فكنا نبشر العراقيين بالمستقبل الواعد لحزب السلام أو حزب الرفاه الذي حل محله بعد أن حل الجيش التركي المتبص بنمو الحركة الإسلامية التركية، الذي يشكل صعودها خطراً على علمانية أتاتورك التي أرسى مصطفى كمال قواuderها منذ سبعين عاماً، فكان الجيش -حامي العلمانية كما يزعم- يصمم على إبعاد الإسلام عن الحياة العامة، وتحجيم دور الحركة الإسلامية، ومنعها من أي نهوض تركي.

كان العراقيون يستمعون لذلك، ويستقبلونه برغبة ملموسة، ومن

جهة أخرى كنا نلح على الأستاذ أربكان ومن معه أن يوثقوا صلتهم بالعراق، ويعملوا على التنسيق معه للوقوف في وجه الأخطار الكبيرة التي تغذيها الدول الأوربية وأمريكا والحركة الصهيونية.

كان سفير العراق في تركيا السيد رافع دحام رحمة الله متھماً للفكرة، ومتھراً باتجاه دعمها، وعندما أعطته حكومة بغداد الضوء الأخضر في هذا الشأن، كانت زياراته لأربكان وحزبه دائمة ومستمرة، وصارت الدعوات توجه إلى أربكان للحضور إلى بغداد، ومشاركته الفعالة في العديد من المؤتمرات، حتى صار شأنه كبيراً عند العراقيين.

بـ- جاءت حرب الخليج بعد دخول الكويت مفسدة للعديد من الصلات والعلاقات العربية العربية، والعربي الإسلامية، والعربي الإسلامية والدولية، فأصبحت العلاقات التركية العراقية الوليدة بضربة قاتلة، ولاسيما بعد أن اقترح أربكان، وهو رئيس الوزراء، استمرار القاعدة الأمريكية على الأراضي التركية -إنجلترا- دون الحاجة إلى تمديدها كل ستة أشهر بقرار من البرلمان كما كان الحال في ظل الحكومات التي سبقت حكومة أربكان، وبعد أن جامل نجم الدين الغرب والأمريكان بتنفيذ سياسات مع إسرائيل في شؤون الجيش والأمن، كان ينتقد من يفعلها ويقدم عليها قبل تشكيله الوزارة، فسبب ذلك ردود أفعال حادة لدى العراقيين، وصرنا نسمع انتقادات شديدة للأستاذ أربكان، فنضطر للصمت، بعد أن كان من أقرب الساسة الأتراك وغير الأتراك إلى قلوب العراقيين .. وصدق الله العظيم:

﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةً فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا
الْأَلْبَاب﴾^(١).

٩- بعد ظهور حركة حماس منذ عشرين عاماً ونيف، انتعشت آمال العرب والمسلمين في إحياء روح الجهاد الشرعي ضد المحتلين الغاصبين، ومقاومة العدو الصهيوني الذي لم يعد يجد في العرب من يتصدى له، أو يوقفه عند حده، كما ظهرت بعد ذلك حركات جهادية أخرى على الساحة الفلسطينية مثل حركة الجهاد التي أسسها الشهيد فتحي الشقاقي رحمة الله، وكتائب أخرى تحت مسميات جديدة.

رأى حماس أن ساحات سياسية فتحت أمامها، هيأت لها إقامة علاقات دبلوماسية مع عدد من الدول العربية والإسلامية، فقرعت أبواب طهران والأردن في أول أمرها، ودمشق، وكذا السودان واليمن وقطر والبحرين وغيرها، إلا أن منظمة التحرير بقيادة ياسر عرفات وجدت في حماس منافساً لها، ولتنظيم فتح، فاشتعلت بينهما نار حرب إعلامية استمر سعيرها لفترة طويلة، وكان عرفات يوجه التهم جزافاً لحماس، ويزعم أن إيران أمدتها بأموال طائلة، متذرعاً بذهباب وفود حماس إلى طهران ودمشق، في الوقت الذي كانت حماس تنفي ذلك نفياً قاطعاً، وترد على كل هجوم بما يوازيه.

١٠- كان الرد المقنع في نظرنا هو القيام بزيارة بغداد التي كانت في حرب، وفي خصومة مستمرة مع طهران، فذهب وفد من حماس

(١) سورة البقرة - الآية: ٢٦٩ .

برئاسة الأخ -خ. آ- إلى العراق، ولدى أول لقاء مع سبعاوي الحسن الأخ غير الشقيق للرئيس صدام، حصل توتر بين الفريقين، عندما سأله سبعاوي الوفد الذي حضر بواسطة عضو قيادي في تنظيم الإخوان السوريين: ماذا تريدون؟

أجابه رئيس الوفد: بل أنتم ماذا تريدون؟

فكانت الإجابة: إنكم رغبتم في زيارتنا.

وكان الرد: بل أنتم وجهتم الدعوة إلينا.

ليظهر أن الذين رتبوا لهذه الزيارة لم يحكموا ببرنامجها، ولم يأخذوا بأسبابها، وهكذا فشلت هذه الزيارة، وكان لها أثر سلبي، كانت حماس بمعنى عنه، فاستمرت الجفوة بل والقطيعة لفترة ليست قصيرة.

ب- كانت المباحثات بيننا وبين العراقيين قد اجتازت مسافة واسعة، أتاحت لنا أن نعيد بحث العلاقة بين العراق وحماس، وكانت قناعتنا كبيرة في ذلك للرد على من يقول إن حماس رهينة الصلة الباطنية، فجددنا بحث الصلة والزيارة والتعاون بين حماس وبغداد.

قلت لحماس -وهم في الأردن-: لا أتوقع نتائج كبيرة لأول وهلة في علاقتكم ببغداد، وأرى أن يقتصر الأمر بادئ ذي بدء على المطالبة بفتح مكتب لحماس، وتسجيل عدد من قياداتكم في الدراسات العليا لحمل شهادات الماجستير والدكتوراه، وكذلك ليدرك الجميع أن حماس تقيم صلات وعلاقات مع جميع الدول على

اختلاف أطيافها، فكما تزور حماس طهران تزور بغداد، وكذلك الأمر بالنسبة لدمشق، فيبطل مفعول الدعاية المضادة لحماس، واتهامها بالارتهان أو الارتباط بطهران.

تمَّ ترتيب الزيارة، وتحديد تاريخها وبرنامجهَا، فحضر وفد من ثلاثة أعضاء من قادة حماس، ومر بالحدود العراقية الأردنية في الوقت المحدد والمتفق عليه مع العراقيين، فلم يكن الاستقبال على المستوى المتوقع، ففسرنا ذلك بجهل أو إهمال بعض الموظفين، وكانت الترتيبات قد تمت مع السيد نائب الرئيس طه رمضان !!

نزل الوفد في فندق بابل، على أمل استقباله مساء يوم الأحد الذي وصل فيه الوفد، لكن ذلك لم يحدث، وأبلغ المرافقون وفد حماس أن اللقاء سيكون مع طارق عزيز الذي كان، كما زعم مشغولاً، وفي صباح اليوم التالي، اعتذر المرافقون عن اللقاء بدعوى أن طارق عزيز - المسؤول عن ملف حركات التحرر - منشغل كذلك، ثم تكرر الاعتذار مساء الاثنين وصباح الثلاثاء، فلم يعد الأمر طبيعياً، فقرر الوفد العودة، فاستمهلتهم قليلاً، وهرعت إلى فندق بابل، فرأيتمهم قد استأجروا سيارة تكسي استعداداً للسفر، فرغبت إليهم بأمرین، أولهما: إلغاء السفر بالتكسي، لتحملهم إحدى سياراتنا المناسبة التي لديها إذن بالسفر خارج الحدود، وثانيهما: أن يتكتموا على ما حدث ريشما ندب الأمر، ولاسيما أن نائب الرئيس قد استقبلهم، وفي هذا تغطية مناسبة لبرتوكول الزيارة، فتم الاتفاق على ذلك، وحملتهم سيارة الجماعة إلى عمان.

جـ- كنا نرجح أن طارق عزيز سعى بآفساد الزيارة، وتعطيل برنامجها، ثم جاءنا اليقين بلسان المقال، وليس بلسان الحال فقط، إذ أن السيد عبدالله الحوراني أحد قيادي فتح والمنظمة الذي لا ينقطع عن بغداد، وفي كل مرة يقابل بها جميع المسؤولين، باعتباره من أصول بعثية، وكنت على صلة به منذ كان معلماً في مدرسة الشعب الابتدائية في ديي، قبل أن يستدعيه صلاح جديد إلى دمشق مديرأً للإذاعة والتلفزيون!! وكنت إذ ذاك رئيس بعثة قطر في ساحل عمان -دولة الإمارات فيما بعد- فذكر أمامي الأستاذ عبدالله الحوراني أنه التقى بطارق عزيز، وسمع منه أن وفداً لحماس حضر إلى بغداد، ولم يكن لديه وقت لاستقباله، فتأكد لنا أن ما فعله طارق عزيز -الذي كان يظهر بمظهر المتسامح غير المتعصب- كان عن تصميم وقصد وكيد، لقيادة حركة المقاومة الإسلامية، فصار لدينا دليل واضح، هيأ لنا أو برر أن نشن هجوماً حاداً ضد طارق عزيز على مسمع من ضباط الأمن الموجودين في كل الدوائر والمؤسسات، ومنها مقر التحالف الوطني الإنقاذ سورية، ومما ذكرناه أمامهم: أنه ليس من شيم العرب والمسلمين والبدو وأبناء العشائر أن توجه دعوة إلى ضيوفِ ثم يهملون!! ولا يكرمون، وأن ما فعله طارق عزيز، ونطق به يتنافى كل المنافاة مع أخلاق العرب ومع تقاليدهم.

لم تمض على ذلك برهة وساعات قليلة حتى كانت التقارير على مكتب الرئيس صدام، فقرر في الحال إبعاد طارق عزيز عن هذه المسؤلية، وعن أي صلة بحماس، وإسناد موضوعها وملفها إلى

السيد نائب الرئيس طه ياسين وإلى مدير المخابرات العامة السيد رافع دحام.

د- جرت ترتيبات بديلة، دققة ومبرمجة لقيام وفد حماس برحمة إلى بغداد تمحو الأثر السيئ الذي أحدثه تصرف طارق عزيز، والذي كرره في العلاقة ما بين العراق وأفغانستان، وحضر الوفد المؤلف من قادة حماس: خالد مشعل، ومحمد نزال، وعضو ثالث، فكان الاستقبال على الحدود حاراً ولائقاً، وكذلك الأمر بعد وصول الوفد إلى بغداد.

كان البرنامج الذي أعد لحماس حافلاً، تضمن جولات سياحية، ودعوات كريمة، واستقبالات لائقية مع كبار المسؤولين، ومنها حفل غداء أقامه في منزله على شاطئ دجلة مدير المخابرات العراقية: رافع دحام الذي كان يتمتع بخلق رفيع ودماة ملموسة، وكنت أعرفه منذ كان سفيراً للعراق في أنقرة، فكان احتفاله بالضيف كبيراً، وعند مغادرة الوفد متزلاً، همس لي قائلاً حين توديعه:

- إن وفد حماس جدير بالاحترام والإكرام أكثر من أفراد يأتونه من الخارج، ويعاملون معاملة كريمة ليتحققوا بعض المكاسب، وليس لهم ثقل، وليسوا على مستوى المسؤولية الكبرى التي تتضطلع بها حماس، وإنني سوف أتولى الاهتمام بها والاعتناء بأمورها على أرض العراق، ثم توفي الرجل بأزمة قلبية، فكان فقدنا له خسارة لما لمسناه في هذا الرجل الفاضل من خلق كريم، وأدب جم، ودماة تدل على تربية رفيعة المستوى، رحم الله رافع دحام، وجزاه عما لمسناه نحن

وغيرنا منه خير الجزاء، وشمله بغفرانه ورضوانه.

هـ- افتتحت حماس مكتباً لها في بغداد، وقدم لها المسؤولون مقراً مناسباً في حي المنصور أرقى أحياء العاصمة، وفتحوا لها أبواب الجامعات والدراسات العليا، فكان عمر بن الدكتور موسى أبو مرزوق أحد خريجي الطب في بغداد، وكذلك منحوا محمد بن عبد العزيز الرئيسي مقعداً في الطب، وخصصوا مقاعد لعدد من رجال حماس في الدراسات العليا، فحملوا شهادات الدكتوراه وعادوا إلى أعمالهم في دمشق وعمان. وبهذه العلاقة الطيبة لم يعد من مجال لاتهام حماس بأنها مرتبطة بإيران، بل هي حركة مقاومة وسياسة تتصل بمن تشاء، وتزور أي دولة تريد، وتقيم علاقات واسعة لصالح برنامجها المعلن في السياسة والمقاومة والتوجيه الإسلامي، فشرب خصومها الصمت، ولم يعد ثمة أي مسوّغ للنيل منها واتهامها زوراً بما ليس له أي أصل أو أساس، وكانت حماس من قبل قد أجرت مباحثات مع مدير المخابرات الأردنية مصطفى باشا القيسي حول مساعي حميدية يbin حماس والأردن، وفق الله تعالى كاتب هذه الكلمات باسم جماعته وتنظيمه الذي يشرف بالانتماء إليه، فانقشع الغيم الذي كانت تلبد العلاقة بين الطرفين، وانفرجت الأزمة، وسمح للسيد موسى أبو مرزوق بالمجيء إلى عمان، وإقامته في ربوعها، وشراءه منزلاً لسكناه، ومقرأً لتنظيم حماس ومكتبه السياسي، وتم الاتفاق ضمن المساعي الحميدية، أن لا تخرج حماس المملكة الأردنية، وتسبب لها الأذى في أي مسعى أو تحرك أو عمل سلبي، وأن تعامل

الأردن بالمقابل حماس معاملة كريمة.

استمرت هذه العلاقة أو شهر العسل بين الفريقين لأكثر من ثلاث سنوات قبل أن تسوء الصلة جراء عوامل خارجية أو داخلية أدت إلى اعتقال عدد من قادة حماس لفترة وجيزة، ثم الطلب إليها أن تترك الأردن لظروف قاسية، بل أقسى مما يتحمل الأردن ويصبر عليه.

١٠ - تأتي ماليزيا في مقدمة الدول الإسلامية في سخاء طبيعتها وجمالها، وفي تقدمها الصناعي والاقتصادي قياساً على غيرها من الدول الإسلامية، وشعبها يتصرف بالأمانة والخلق الرفيع والمعاملة الراقية، والزائر لماليزيا يلمس الجمال والرونق في كل مرفق الحياة العامة فيها، حيث لم أجده كمساجدتها تنظيماً وأناقة ونظافة وجمالاً، وقل مثل ذلك في حدائقها ومنتزهاتها وريفها الفتان، وأناقة بيوتها ومساكنها، فكوالالمبور عاصمة ماليزيا نجمة متألقة في سماء العالم الإسلامي الممتد من جاكرتا إلى الدار البيضاء.

كان الحزب الحاكم -أمنوا- بقيادة مهاتير محمد يحكم ماليزيا لفترة طويلة، وكانت المعارضة تشمل الشباب المسلم الماليزي بقيادة أنور إبراهيم أحد ألمع الشخصيات في العالم الإسلامي، والحزب الإسلامي بقيادة فاضل نور الذي نجح في إحدى الولايات الشهيرة وحكمها في نطاق السلطات الفيدرالية التي تحكم ماليزيا.

١- لقد زرت ماليزيا أكثر من مرة، ورغبت إلى قيادة الحزب الإسلامي بزيارة بغداد بناء على رغبة الحكومة العراقية، وكان على رأس الحزب ثلاثة يقودونه، هم: فاضل نور ونائبه وأمين السر

شكرى خريج كلية أبي حنيفة في بغداد، وهو من ثم يتقن العربية، ويحمل في نفسه مودة تجاه العراق، وتقديرًا له، وقد لبى الدعوة إلى مؤتمرات عراقية عديدة هو ونائب رئيس الحزب. فقامت علاقة طيبة بين العراق والحزب المعارض، دون أن يعكر ذلك صفاء العلاقة بين العراق والحزب الحاكم -امنو- في كوالالمبور.

بعد دخول العراق إلى الكويت واحتلالها، ومعارضة دول العالم الإسلامي للعراق، شرع مجلس الأمن، بتحريض من الدول الكبرى، يصدر قراراته ضد بغداد، وكانت ماليزيا عضواً في مجلس الأمن، فطلب العراقيون منا السفر إلى ماليزيا لذكرهم بواجبهم وأخواتهم الإسلامية تجاه العراق.

سافرت مع الدكتور عرفان عبد الحميد -الأمين العام للمؤتمر الإسلامي- إلى ماليزيا للاتصال بحكومتها، وحثها على الدفاع عن العراق في مجلس الأمن ضد ما تبيته له الدول الكبرى من خطط تمهد بها لضرب العراق، وإلهاق هزيمة بجيشه وحكومته.

كان وصولنا إلى العاصمة الماليزية في أول العام الميلادي، فالفنادق ملأى بالزوار والمحتفلين بعيد رأس السنة، فتركتنا مندوب السفارة العراقية، ولم يحضر معنا إلى الفندق، رغم قوله لنا إنه في أثرنا، وجدنا بصعوبة في تلك الليلة غرفاً -سويفت- لا تطاق أسعارها، لم نجد أحداً بجانبنا من موظفي السفارة العراقية المستغرين بأعياد الميلاد دون شعور منهم بالأزمة الخانقة التي يمر بها وطنهم.

في اليوم التالي ذهبنا إلى السفارة ففاجأنا السفير -الطبقجي- أننا لن نجد من يتباين معنا في مناصرة العراق، لأن للسفارة الكويتية نشاطاً واسعاً، ورساميل كبيرة تستثمرها في ماليزيا، وأدخل اليأس إلى نفوسنا والإحباط إلى قلوبنا، فطلبت منه أن يصلني بالسفير الفلسطيني السيد أحمد الفرا -أبو ماهر- الذي عرفه في زيارات سابقة لأزوره وألتقيه، وما هي إلا دقائق حتى كنا في منزله المجاور لسفارته، وبعد مضي أقل من ساعة كان السفير العراقي بجانبنا في منزل السفير الفلسطيني الذي كان كما عرفناه من أفضل سفراء فلسطين، ومن القلة في خلقه الرفيع ومودته الظاهرة.

كان السفير الفرا يحدثنا عن تعاطف الماليزيين مع العراق، بشكل كاسح بمن فيهم الجالية الصينية ذات النفوذ الاقتصادي، وأن الشعب الماليزي يقف صفاً واحداً مع العراق في محنته ضد مجلس الأمن والدول المسيطرة عليه، فالتفتنا إلى السفير العراقي، فإذا به يكرر ما قاله الفرا بتناقض يبلغ 180 درجة مما كان قد حدثنا به في اليوم السابق، من أن العراق ليس له من يناصره!!!

أما موظفو السفارة العراقية، فلم نعد نسمع لهم حسماً ولا ركزاً لأنهم كانوا غارقين في ليالي رأس السنة الميلادية، ولم نرهم إلا بعد أربعة أيام، وقبيل السفر بساعات، فأبدينا لهم امتعاضاً واستنكاراً بلسان الحال والمقال دون أن يشعروا بالخجل أو الحرج.

أدركنا فشل دولنا الممثلة بعناصر لا تعرف إلا اللذات والشهوات معظم ساعات الليل، واحتساء الخمور، وتهريب الأموال وغيرها

بالحقائب الدبلوماسية، وجنبي الثروات الحرام، أما شعوبهم التي تدفع لهم المرتبات الباهظة، فلا شأن لهم بها، ولا يهمهم أمرها، لأن العمل الدبلوماسي لديهم وسيلة للثراء والتمتع والفواحش، في الوقت الذي لا تهدأ فيه البعثات الدبلوماسية للعدو في خدمة بلادها بكل الطرق وأسلوب المتأحة في سبيل أوطانهم والعمل على رفع شأنها.

بـ- خلال إقامتنا القصيرة في ماليزيا، عمل السفير الفرا على لقائنا بالسيد أنور إبراهيم، وزيرته في وزارة التربية التي كان يمسك بحقيقةها، وكان لنا علاقة به منذ عام ١٩٨١ عبر لقاء في مؤتمر لاتحاد الطلاب المسلمين، فرحب بنا أجمل ترحيب قائلاً: تفضلوا معي -في سيارته- لتزور إحدى المدارس التي سيفتحها الوزير، فحضرنا معه، ثم عاد بنا إلى وزارته لنبحث موقف ماليزيا ذات العضوية في مجلس الأمن ضد ما يبيت للعراق من كيد، تمهدأ لشن الحرب عليه.

قال السيد أنور إبراهيم: كل ماليزيا مع العراق، ولكن الأمريكان يمارسون ضغوطاً شديدة على ماليزيا، ومنذ فترة قصيرة اتصل بوش شخصياً رئيس الوزراء مهاتير محمد لحثه وحضه على الوقوف بجانب أمريكا ضد العراق.

قمنا بزيارة الشافعي الغزالى وزير الخارجية السابق، وكذا تكتو عبد الرحمن الذى قاد الشعب المالىزى إلى الاستقلال، وكان قد بلغ من العمر عتياً، وهو في أيامه الأخيرة من عمره المبارك، فالشعب

يقدره ويعجله، ويعتبره الأب الروحي للملاليزيين، وقائد ثورتهم التي أثمرت للوطن استقلالاً ناجزاً، رفعها إلى مصاف الدول الحرة والكريمة.

١١- في مطلع الثمانينيات واجهت حركة النهضة التونسية أزمة حادة مع الحكومة التونسية انتهت بزج قادة النهضة في السجن وتقديمهم إلى المحاكمة، فصدر حكم الإعدام على زعيم حركة النهضة الأستاذ راشد الغنوشي، فأحدث ذلك ضجة في أوساط الحركات الإسلامية والسياسية، ولدى استئناف الحكم صدرت براءة الأستاذ الغنوشي، وخرج من السجن خروج المتصرفين، فصار له شأن عربي ودولي، تلقى بعدها دعوات من عدد من الدول العربية، كانت السعودية في مقدمتها، فقدمه ولي العهد إذ ذاك الأمير عبدالله ابن عبد العزيز - الملك حالياً - وأجلسه بجواره في احتفال عام، ثم رغب العراقيون بتوجيه دعوة إلى الأستاذ راشد لزيارة بغداد، فقمت بتوجيه الدعوة إليه، فقبلها مبدئياً، ولكن ضابط الأمن في السفارة العراقية في باريس التقاه، وطلب منه أن لا تكون على علم ببرنامج الزيارة، لأجهل توقيتها وأي خبر عنها، فوجدت الأستاذ راشد غاضباً من هذا السلوك عندما التقى في باريس، وقال معقباً على ذلك:

- هل هؤلاء رجال دولة أم أفراد عصابة؟

١- بعد عودتي إلى بغداد شكت إلى بعض المسؤولين تصرف موظفيهم في سفارتهم في باريس، وما أحدهم سلوكهم في نفس الأستاذ الغنوши من ردود فعل، أدت إلى عكس المرغوب فيه من

توجيه الدعوة إليه، فأقسموا أنهم يفاجئون بذلك، وأن هذا التصرف كان خارج علم المسؤولين، بل كان تصرفًا فردياً واجتهاداً شاداً، واعتذرنا عن ذلك أبلغ الاعتذار بعد أن أبديت لهم استنكاري وأسمتازى ممن يُحذّرُ مني بعد أن وقع على الاختيار في توجيه الدعوة إلى الأستاذ راشد الغنوши.

سُوّي الموضوع وعادت الأمور إلى مجاريها، وقبلنا الاعتذار بعد أن شعرنا بجدّيته، وأن رؤساء الموظف الذي ارتكب هذا الخطأ، سوف يُسائلونه عن خطئه، وسوف يتحمل هو مسؤولية ذلك.

بـ- حمل الغنوши عصا الترحال وقصد عاصمة الرشيد ببغداد، فاستقبل من قبل المسؤولين المعنين استقبالاً حاراً، والتقي عدداً من كبار رجال الدولة، ثم توجت هذه الحفاوة بدعوة الرئيس صدام للغنوши في احتفال كبير في قاعة الاحتفالات الكبرى، وأجلسه بجانبه إشعاراً لجميع من حضر الاحتفال الذي غصت به القاعة بتقدير الحكومة العراقية للغنوشي، وعلى رأسهم أو مقدمتهم رئيس الجمهورية صدام حسين الذي رأى في الغنوши شخصية محترمة ومرموقة، وجدية بالتقدير على جهاده وصلابته ودفاعه عن قضايا شعبه العربي وأمته الإسلامية، فكانت هذه الزيارة دعماً كبيراً للغنوشي على ما يضطلع به من نضال صلب وجihad كبير (ولحركة النهضة التونسية - الإخوان المسلمين-) ووقفه بجانب كبار رجالات الأمة العربية، في الدفاع عن قضيائهما المصيرية، وتصديها لأعدائهما الألداء، وفي مقدمتهم الحركة الصهيونية الباغية التي اغتصبت فلسطين،

وطردت شعبها بعد أن ارتكبت مجازر وحشية بحق الفلسطينيين يندى لها الجبين .

جـ- صادف أن تلقينا دعوة من السيد ياسر عرفات لزيارة مقر منظمة التحرير في العاصمة التونسية شملت عدداً من الإخوة كان منهم الأخ علي البيانوني ، وقد تضاربت دعوة المنظمة لنا على حفل عشاء مع دعوة وجهها لنا الأخ راشد الغنوشي لإفطار رمضان في منزله ، فآثرنا الاستجابة لدعوة الأخ الأستاذ راشد ، والاعتذار للسيد عرفات وإخوانه عن الاستجابة لدعوتهم .

كان الأستاذ راشد قد بلغ شأواً كبيراً في سمعته ومقداره في البلاد العربية كما ألمحت من قبل ، وكذا في الأوساط الدولية ، وصار يدعى إلى المحافل الثقافية والمهرجانات الخطابية والندوات الفكرية والمؤتمرات السياسية ، حتى أصبحت شخصيته يُشار إليها بالبنان مع شخصيات المعية أخرى ، كالشيخ القرضاوي وعبدالله النفيسي وغيرهم .

ليقى الأخ الأستاذ راشد الغنوши من أعلام الحركة الإسلامية ، ومن الشخصيات التي تساهم في دراسة وتحليلات المواقف السياسية والفكرية التي تشهدها الساحة العربية ، وتواجهها الأمة الإسلامية .

١٢- كانت ثورة الجزائر ، وكان جهادها من أعظم ما خاضه شعب من شعوب الأمة الإسلامية ضد أعدائها ومحظلي أراضيها ، إذ استمر كفاحها ثمانية سنوات قاومت فيه دولة عاتية قوية إذ ذاك وهي

فرنسا، وقاومت ست عشرة دولة تشكل حلف شمال الأطلسي انضمت إلى فرنسا في ضربها للجزائريين أملأً في القضاء على ثورتهم، لكن جهاد الجزائريين كان أصلب من كل القوى الbagية التي واجهها، فاستمر المجاهدون في صلابتهم وثباتهم، وتقديمهم التضحيات التي بلغت أكثر من مليون شهيد، حتى انتزعوا استقلالهم وحررتهم من ينْ فكي الوحش الفرنسي والأوربي انتزاعاً، أذهل العالم، ونال إعجابه، وعندما أنقذ الوطنيون مصير وطنهم، كان الأمل منهم أن يقدموا نموذجاً صالحًا لحكم الجزائر يجسد آمال الشعب، ويتمثل عقائده وقيمه ومثله العليا التي حارب في سبيلها، إلا أن الواقع خيب آمال شعبهم بهم، فظهر الفساد في البر والبحر، وانتشرت الرشوة والسلب ونهب المال العام والثراء الفاحش، كما انتشرت المفاسد الأخلاقية والاجتماعية، حتى إن الجزائريين ذكروا أن ما شهدته الجزائر من فساد أخلاقي في عهد بوتفليقة، لم تشهد الجزائر مثله في ظل الاستعمار الفرنسي، كما سمعت من شخصيات جزائرية، كان منهم سلطاني أبو جرة رئيس حركة حمس - الإخوان المسلمين - في مكة المكرمة على هامش عمرة رمضانية منذ عامين، ومع ذلك اصطف أبو جرة في نفس العام مع بوتفليقة في الانتخابات، وفي المشاركة الضعيفة في الوزارة.

٩- هذا الواقع المرّ عبّاً جماهير الجزائر ضد حكومة حزب جبهة التحرير الوطني الجزائرية، وعرضها للتفكك والانهيار، وفي هذه الظروف ظهرت جبهة الإنقاذ الجزائرية بقيادة عباسي مدني وعلى

بلحاج، وطرحا باسم الجبهة التي يقودانها مع إخوانهم أمررين مؤثرين في ضمائر الجزائريين وهما:

- العودة إلى الإسلام الذي حاربوا من أجله - ومن أجل الاستقلال - ووجوب التمسك بأهدابه، بعد أن فرطت بمبادئه حكومة حزب جبهة التحرير.

- محاربة الفساد الذي استشرى حاله، واستحكم أمره، فأضحت في ظله الجزائر منهوبة من المتنفذين في السلطة، فاستجاب الشعب بأكثريّة ساحقة لنداءات وشعارات جبهة الإنقاذ، ومنحها ثقته شبه المطلقة، ومن هنا تحرك المفسدون وعلى رأسهم عدد من جنرالات الجيش الذين يرعون الفساد، ويحكمون البلاد بالحديد والنار، فأبطلوا الانتخابات، ومنعوا الجولة الثانية بعد أن اكتسح الإنقاذيون الموقف منذ الجولة الأولى، وعاقبوا من نال ثقة المواطنين، فزجوا الألوف منهم في السجون، وأبعدوهم إلى سجون الصحراء في جنوب الجزائر، فكان هذا الإجراء مبعث فتنة داخلية، وحرب أهلية، أصابت الوطن في الصميم، ودمرت اقتصاده، وبنيته التحتية، ووحدته الوطنية، فكانت ضحايَا هذه الفتنة عشرات الألوف من أبناء الشعب الجزائري المنكوب بجنرالاته وجلاديه.

بـ- التقيت الأستاذ المفكر مالك بن نبي في مكتبة العروبة بالقاهرة عام ١٩٦٥، وسمعت منه مقوله يذكر فيها: أن الجزائر منكوبة بهؤلاء الضباط، وأن ثروتها تنفق على الفساد، وعلى قتل شعبها، لأن هؤلاء الجنرالات - يقدر عدد المتنفذين منهم بخمسين -

كانتوا في الجيش الفرنسي ، يؤدون كل صباح التحية للعلم الفرنسي ، وكانوا اليد الباطشة بأيدي المحتلين ، وعندما انتصرت ثورة الجزائر ، انحازوا إلى الجيش الوطني ، واستلموا قيادته ، فكان هذا - كما قال مالك بن نبي - من أكبر وأخطر الأخطاء التي ارتكبتها الثورة الجزائرية ، عندما جاءت بأعون فرنسا ، وأسندت لهم مصير الجيش الوطني الناشئ ، وبالأحرى مصير البلاد والعباد .

كان الأستاذ عباسى مدنى كبير الثقة بالانتصار وحكم الجزائر ، فتبينَ سياسة حادة وموافق صدامية ، وقد استدعاه رئيس الجمهورية ابن جديـد ، وطلب منه الصبر والأناة قائلاً له :

- سوف تستلمون السلطة إن صبرتم ، لأنني أواجه تياراً في الجيش لا يمكن مقاومته والتغلب عليه ، فعليكم بالحلم والأناة ، وسوف تتحققون ما تتبعون .

إلا أن عباسى كان يحمل عقلية خاصة ، وقفنا فيما بعد على نوعها وكنها في مناسبات عدة كان منها : لقاونا به على هامش فريضة الحج ، فدعا الأستاذ عبدالله المطوع -أبو بدر- رحمة الله ، وأجزل له المثوبـة -في منزله بمكة المكرمة ، كلاً من عباسى مدنى ومحفوظ نحنـاح قائلاً :

- سوف أتحمل كل أعباء المعركة الانتخابية إذا اتفقتم وشكـلتـم جبهة واحدة متراصـة وقائمة مشتركة .

فوافق عباسى ظاهراً على ما طرحه أبو بدر ، إلا أن محفوظ كان

يحتفظ بسره في مشروع خاص به، فبدا وكأنه يتنصل من أي اتفاق.

قمت بزيارة للجزائر في مطلع التسعينيات في الفترة التي دخل بها الجيش العراقي الكويت، لحضور ملتقى في قسنطينة نظمته حركة النهضة التي كان جاب الله يقودها، وفي ختام اللقاء ذهبنا في سيارة واحدة إلى العاصمة، حملت جاب الله وعدداً من الضيوف لمقابلة الشيخ عباسى، فذهبت مع جاب الله إلى مقر جبهة الإنقاذ، وكان جاب الله يقول:

- لقد أرجأت تقديم طلب بتخريص الحزب -تأشيره- بانتظار موقف عباسى، عسى أن نشكل جبهة واحدة، كما وعد في مكة. التقيت على انفراد بالشيخ عباسى، قائلاً له: هذا جاب الله جاءك ليعرف ماذا ت يريد، وهو يتضرر الإجابة منك، فإن كنت تريد التفاهم، فها هو في الغرفة المجاورة.

فإذا به يقول في جاب الله ومحفوظ كلاماً لا أسوغ لنفسي ذكره، ويصفهما بأوصاف غير لائقة، رافضاً الدخول معهما في جبهة واحدة أو موحدة، فخرجنَا من مقر جبهة الإنقاذ في حي القبة، وغادرناها بخيية أمل مرة، وقلت لجاب الله:

- اذهب قبل أي شيء إلى وزارة الداخلية، واحصل على ترخيص الحزب الذي تقوده، فالشيخ عباسى مدني يود أن يخوض وحده معركة الانتخابات، ويستند تجربته التي بدأها تحت اسم جبهة الإنقاذ دون الاشتراك مع أي جهة أخرى، دون أن أشير إلى رأى عباسى به

وبمحفوظ، وكان الفراق، وتمزق الصف الإسلامي الذي تجرعت
الجزائر مراته.

جـ- رغب العراقيون في توجيه الدعوة إلى الشيخ عباسى مدنى
لإجراءات حوار معه، فأبلغته الدعوة في مقره في حي القبة، في وقت
لاحق، فقبلها شاكراً، وقصد بغداد برفقة نائبه علي بلحاج.

التقى الرئيس العراقي ومعه نائبه، ومكثا وقتاً ليس قصيراً مع
الرئيس صدام حسين، فكان عباسى يغلظ القول مع الرئيس، ويتحدث
بكلام خال من اللباقة السياسية والعرف الدبلوماسي، وبعدما خرج
عباسى وبلحاج من مقابلة صدام حسين، واتجها إلى الفيلا التي
يتزلان فيها، ذهبتو للتو إليهما، لأسمع من عباسى عن نتائج اللقاء،
فسمعت منه مالو نقله أحد إليّ لتشككـت بهـ، قال عباسى:

- العراق ينبغي أن توجه إليه ضربة.

ففوجئت بهذا التفكير الذي يصدر عن زعيم مسلم، متنيناً أن
توجه ضربة إلى بلد عربي مسلم، مهما كان التبـاحـنـ معـهـ كبيرـاـ فيـ
الموقفـ، وفيـ وجهـاتـ النـظرـ.

قلت لـ عـباسـيـ: إنـ التـرابـيـ والـغـنوـشـيـ يـنتـظـرـانـكـ فيـ فـندـقـ عـالـيةـ
بـجـانـبـ المـطـارـ فيـ عـمـانـ، تمـهـيدـاـ لـتـشكـيلـ وـفـدـ يـسـعـىـ لـإـيقـافـ التـوتـرـ بـيـنـ
دولـ الـمنـطـقـةـ، إـثـرـ دـخـولـ الجـيشـ العـراـقـيـ إـلـىـ الـكـوـيـتـ، فإذاـ بـهـ يـقـولـ:

- هذاـ الأـمـرـ لاـ يـحـتـاجـ إـلـىـ تـظـاهـرـاـ!

إـشـارـةـ مـنـهـ إـلـىـ رـفـضـ فـكـرـةـ الـوـفـدـ، وـأـنـ تـقـتـصـرـ الوـسـاطـةـ عـلـىـ

مساعيه الشخصية دون أن يشاركه أحد، ثم قال :

- على الحركة السودانية - وقد مر على ميلادها زهاء ستين سنة -
أن تستفيد من تجربة جبهة الإنقاذ التي يقودها - ولما يمض على
تأسيسها أكثر من ستين - فقلت في نفسي : الويل للجزائر من مثل هذا
التفكير ، ومن هذه العقلية التي يصعب على الإنسان تقدير الكارثة التي
ستجرها على الجزائر ، عندما قابلت الترابي في يوم لاحق في عمان ،
وسألني عن مواقف عباسي ومدني ، أجبته :

- الرجل يظن بنفسه أنه المهدى المنتظر ، ولا يريد أن يقف معه
أو بجانبه أحد تنسيقاً أو مشاركة أو مشاورة .

فقال الترابي : حبذا أن يسمع منك ذلك الأخ راشد الغنوши .

هكذا خسر عباسي العلاقة مع العراقيين الذين أبدوا امتعاضاً كبيراً
من الرجل ، ومن العقلية التي يخاطب بها الآخرين ، وخسر العراق
الصلة مع جبهة الإنقاذ بعد الجهود التي بذلناها لإقامة هذه الصلة ،
وقد ثوّضت جميع المساعي الرامية إلى تهدئة الأوضاع وإجراء
مصالحة بين العراق من جهة وبين السعودية ودول الخليج من جهة
أخرى ، فكانت خيبة الأمل كبيرة في تشكيل جبهة قوية من قادة العالم
الإسلامي تقوم بإطفاء الحرير الذي يوشك أن يدمر المنطقة بكل
أقطارها ، وقد كان ذلك ، وحدثت كارثة حرب الخليج التي كانت
خسائرها أكبر من أن تقدر أو تحصى ، وأسفاه .

١٣ - قمت مع وكيل وزارة الأوقاف العراقية الدكتور محمد

شريف بزيارة إلى باكستان، والتقينا القاضي حسين أحمد أمير الجماعة الإسلامية أكبر الحركات الإسلامية في باكستان، فأبدى تعاطفاً مع العراق، وفي إجراء مصالحة بينه وبين أشقائه في الخليج، كما زرنا الشيخ إحسان إلهي ظهير في منزله في لاهور، واقترحنا عليه زيارة العراق، فقال:

- وهل تضمنون لي مقابلة الرئيس صدام حسين؟
فأجبناه: ليس هذا الأمر يידنا، ولا نستطيع أن نعده به، لكنه في تقديرنا أمر ميسور ومتاح بإذن الله.

٤- ذهبت وفود باكستانية كثيرة إلى بغداد، كان في مقدمتها قادة الجماعة الإسلامية، وقادة جماعة الحديث، وقادة جمعية علماء باكستان برئاسة أحمد شاه نوراني رحمه الله، وبعض علماء السنة وعدد من الشيعة، فحضروا تجتمعاً كبيراً ضم قادة وعلماء من معظم الدول العربية والإسلامية.

كانت خطب إحسان إلهي ظهير شديدة، وكان كثير التخوف من امتداد النفوذ الشيعي إلى البلاد العربية والإسلامية ذات الأكثريات السنية، وأن يمتد الزحف الإيراني الشيعي من بحر الخزر أو بحر قزوين إلى البحر الأبيض المتوسط، ومن جنوبه تركياً إلى شمالي جمهورية باكستان الإسلامية، وأن يتبع هذا المد العراق وسوريا ولبنان والأردن وما حولها.

اهتم العراق بزيارة الوفود، وكان السيد طه ياسين نائب الرئيس العراقي يستقبلها في مكتبه، وقد صحبت بعضها مثل القاضي حسين

والدكتور الترائي، و كنت في الطريق إلى هذه المقابلات أحث القادة الإسلاميين على تذكير العراقيين بوجوب التمسك بالإسلام، والالتزام بأحكامه.

أولى العراقيون اهتماماً خاصاً بالشيخ إحسان إلهي ظهير، إذ استقبله الرئيس صدام استقبلاً مطولاً، وحضر إليه مندوبون من الديوان، ومن دوائر أخرى للباحث معه، والوقوف على آرائه ووجهات نظره، باعتباره مختصاً بالدراسات الشيعية، وكاتباً كبيراً في موضوعاتها، إذ أصدر عدداً كبيراً من المؤلفات في هذا الموضوع.

بـ- صحبنا الشيخ إحسان إلى معسكر خاص بالمجاهدين السوريين، فتكلم فيهم، وخطب في جموعهم معجباً ومشجعاً، بل ومؤيداً لهم في جهادهم.

كان الشيعة في إيران وباكستان يحملون كرهاً في نفوسهم للشيخ إحسان إلهي ظهير، ويرسلون له الوفود إلى منزله لتوجيه النصح له بالتوقف عن فضح شذوذ الباطنية، وفي ذات يوم زاره السفير الإيراني وسأله عن سر عدائء للشيعة، وبعد جدال طويل أمسك عن بعضه لأن فيه تجريحاً للخميني، قال الشيخ إحسان:

- لو توقفتم عن شتم الصحابة الأجلاء، وتوجيه الاتهامات الزائفة والباطلة ضدهم لحدث تقارب وتعايش بين السنة والشيعة.

فنفي السفير -كما روى لنا الشيخ إحسان- أن يكون الشيعة في صدد الهجوم على صحابة رسول الله ﷺ، فأجاب الشيخ إحسان:

- أنتم لو كتبتم كتاباً في الرياضيات لما خلا في أمثلته من النيل من الصحابة الكرام، وقال: مدلت يدي إلى كتاب في مكتبتي التي تجمع أعداداً كبيرة من الكتب في هذا الشأن، ولم أكن قرأته من قبل، وشرعت في تقليل صفحاته، لأعثر من فضل الله ولطفه بي على شتائم للخلفاء الراشدين وأصحاب رسول الله ﷺ الميامين، فبها السفير، وانتهت الزيارة الفاشلة.

ج- لم يعد باستطاعة زعماء الشيعة الصبر على أنشطة الشيخ إحسان في كتاباته العديدة ومؤلفاته العتيدة عن السنة والشيعة، وعن تحريفهم للقرآن الكريم، وعدائهم لأهل السنة والجماعة والتي أحدثت دوياً كبيراً في دول العالم الإسلامي، وفي البلاد العربية، حتى إن شيعة كثيرين -كما أخبر الشيخ إحسان- تحول عن التشيع، بعد أن رأوا من الطامات ما لا يستطيع قلب مؤمن بالله ورسوله والإسلام الصبر على سماعها، واعتنق مذهب أهل السنة والجماعة الذين يجلون الصحابة جمياً دون استثناء، ويعظمون آل البيت تعظيمًا يليق بمقامهم وأقدارهم دون غلو أو تفريط أو إسناد الآراء الشاذة لهم، بل وينشئون أبناءهم والأجيال على نهجهم والصلة عليهم في صلواتهم وأدعياتهم، وفي جميع المناسبات الإسلامية الأخرى. ضاق شيعة باكستان بالشيخ إحسان، وما أحدثه من تبنيه المسلمين إلى الشرور التي تلحق بالمسلمين من تشويه لدعوة الله، وتمزيق لأبناء الأمة الإسلامية الواحدة، فقرروا قتلها والتخلص منه، وراقبوه وتابعواه لتنفيذ جريمتهم، فاهتبوا فرصة إقامة حفل ديني في لاهور، ويعثروا عن

طريق طفل - مزهرية فيها أزهار ظاهرة، وعبوة ناسفة في داخلها، ووضعوها أمامه على المنصة، فانفجرت وألحقت به جراحات بالغة، حاول الملك فهد والرئيس صدام كلاهما نقله بطائرة لتلقي العلاج، إلا أن المنية عاجلته، فانتقل إلى جوار ربه فداء عقيدته، عقيدة أهل السنة والجماعة التي استشهد في سبيل الله دفاعاً عنها، وحماية لها.

١٤- لم توقف المعارضة الليبية ضد نظام معمر القذافي، وكان على رأسها أو في مقدمتها ذوو الاتجاهات الإسلامية التي جمعت صفوتها، وقدمت السفير الليبي السابق الدكتور محمد المقريف على رأسها، فاتخذت المعارضة من أرض السودان ملاذاً لها، الأمر الذي لم يحتمله القذافي، وضاق به ذرعاً، فقصف إذاعة أم درمان التي كانت تساعد المعارضة الليبية على بث برامجها.

حاول النميري الخروج من هذه الأزمة، وأن يهدئ عداوة القذافي للسودان، فرغلب إلى السيد محمد المقريف أن يغادر السودان، وكان حسن الترابي على صلة قوية بالنميري في نطاق المصالحة التي أجرتها معه، فشرح لي الترابي الموقف، ورغلب إلى أن توسط لدى العراق لقبول السيد المقريف لاجئاً سياسياً.

١٥- رحب العراق الذي كان على عداء سافر مع القذافي، بالمعارضة الليبية ويرئسها محمد المقريف الذي وجد في بغداد الأمان والتكريم، ومنذئذ صارت بغداد منطلقاً للمقريف يخرج منها في جولاته وأسفاره، ويعود إليها كمقر رئيسي له.

مررت فترة لم أعد أسمع عن المقريف شيئاً في العراق، ولم

أتمكن من مقابلته، حتى التقى في الطائرة التي كانت تقله إلى بغداد، فسألته معاً عن هذا الابتعاد، وتجنب أي لقاء معه، فلم يحر جواباً، ورد بكلام مبهم غير مفهوم.

عرفت مقر إقامته، فوجّهت له دعوى إلى طعام الغداء، ضمن طيف من الشخصيات السياسية المرمودة والمعارضة، وعندما حان وقت الغداء وحضر جميع الضيوف، تخلف المقيّف عن الحضور دونما عذر أو اعتذار أو اتصال، فلعلنا أن رجال الأمن الذين يتولون أمره قد نصحوه بعدم الحضور وتلبية الدعوة، والاستمرار في ابعاده عن الصلة فيما يبتنا، كما أدركنا أي نوع من الرجال كان المقيّف، وقد صادفنا مثل هذا النمط من الرجال الذين يبحثون عن المكاسب العاجلة، أما الوفاء وما إليه فلا علاقة لهم به أو بالقيم المماثلة.

بـ- من المدهش أن بعض المعارضين يصبحون رهن الأجهزة التي ارتبطوا بها دون النظر إلى حريةِهم وكرامتهم واستقلاليتهم، نظير مساعدات مالية أو تقديم خدمات لوجستية من سكن وسيارة وراتب وما إلى ذلك، ليصبحوا رهينة لدى مخابرات الدول التي لجأوا إليها، متناسين الذين مدوا إليهم يد المساعدة، ومهدوا لهم الطريق ليجدوا المأوى أو الملاذ.

ظل المقيّف على هذه الحال من عدم الوفاء، والاستغراق فيما أو مع من وضع مستقبله ومصير معارضته وبرامجه في التحرك والنشاط بأيديهم حتى ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلم نعد نسمع له ذكراً أو ركزاً.

وفي هذه الحادثة وكثير منها درس وأي درس لمن يسير في طريق المعارضة، فإذا به يقع في فخ منصوب له مقابل منافع رخيصة وعاجلة، ليكون كالمستجير من الرمضاء بالنار، ومن هذا المصير ينبغي على المعارضة، ولاسيما أبناء الدعوة الإسلامية أن يحصنوا أنفسهم وأبناء دعوتهم من المتربيين بهم وبآمثالهم، ويصطادون بالماء العكر، ويسخرون من يلتجأون إليهم في أغراض رخيصة، وأحياناً تكون خسيسة. وإذا لم يطمئن المعارضون على أبنائهم من الانزلاق أو السقوط، فخير لهم ألف مرة أن يصبروا ويصابروا بدلاً من أن يتنقلوا من ظلم إلى خضوع، ومن حرية وكرامة إلى ذل وخنوع.

١٥ - كان السيد جاسم علوان ذو الاتجاه الناصري واحداً من أقطاب المعارضة السورية لفترة لم يطل أمدها، لأنه كان مرهف الحس، شديد التأثر بأي موقف أو كلمة يسمعها من الآخرين إذ أغضبه كلام صدر عن السيد أمين حافظ في مقابلة صحفية، فانكفا على نفسه وانسحب من المعارضة بسلبية ليست في رأينا مبررة، لكنه ظل وظللنا معه على صلات وثيقة وصداقة مستمرة، لأن جاسم يتمتع بخلق رفيع ونفس مهذبة في تعامله مع الآخرين.

في أثناء صلته بالمعارضة، ومشاركته بنشاطها، وبعد تجميد عضويته بها، كنا دائمي اللقاء به في مقر إقامته بالقاهرة، والقيام بزيارة منزله، بمبادرة منا أو دعوة منه في مسكنه في حي الزمالك في العاصمة المصرية. وكثيراً ما كان يجمع بنا أو معنا أطيافاً من

شخصيات ناصرية ومعارضة وذات شهرة في مجالات الفكر والسياسة والإعلام.

اقترحنا عليه أن يدعو في هذه اللقاءات بعض الشخصيات الإسلامية، وسمينا له الأستاذ فريد عبد الخالق عضو مكتب الإرشاد السابق أيام الإمام حسن البنا، وقبل أن يمكث في السجن بضع سنين، وكان من قبل وكيلاً لوزارة الثقافة، وكذا الأستاذ المحامي الأخ أحمد سيف الإسلام ابن الشهيد الإمام حسن البنا، فلاقي هذا الاقتراح رغبة لدى السيد جاسم علوان صاحب الدعوة، ولدى الأخوين الكريمين فريد وسيف الإسلام، وسرعان ما لبى الدعوة، وصارا دائمي الحضور في المناسبات عندما تعقد اللقاءات، وكان الانسجام بين الجميع واضحاً وملموساً، حيث يتلقى الجميع على هم واحد، هو وجوب توحيد الأمة، وإخراجها من النكبات والأزمات التي تعاني منها.

انتقلنا من هذه المرحلة التي اقتصرت على اللقاء والمناقشات، إلى توجيه الدعوة للأخوين لحضور المؤتمرات الكثيرة التي كانت تعقد بالقاهرة بأسماء مختلفة، وتحت عناوين وطنية وقومية وإسلامية عديدة، ومن أجل العمل على إطفاء الحرب اللعينة بين العراق وإيران التي التهمت الأخضر واليابس، وأفقدت البلدين مئات الآلاف من أبناء البلدين المجاورين، ودمرت الحرث والنسل، وهدمت الطرق وشطراً من المدن في البلدين وأسلحة كثيرة، وأوقفت عجلة التنمية في كلا البلدين الجارين.

أضحت بغداد وجهة الكثير من زعماء العرب والمسلمين، فصار من المأثور أن نرى فيها أربكان والغزالى وسيف الإسلام، وزعماء العرب والمسلمين من شمال أفريقيا، من تونس وليبيا والجزائر والمغرب، وطيفاً واسعاً من الشخصيات المصرية والسودانية واليمنية والأردنية.

عندما حضر الشيخ الغزالى رحمة الله سألني: كيف يتم اللقاء باللواء محمود شيت خطاب؟

فقلت: أفضل أن تجتمعوا على طعام فطور حيث أسكن، تجنباً لإثارة حساسيات لدى العراقيين من اللقاءات الجانبية.

وقد كان ذلك، واجتمع العلمان الكبيران باسم دعوة إفطار كانت مألوفة على هامش المؤتمرات.

بـ- وفي آخر مؤتمر عقد في بغداد عام ١٩٨٧ وحضره محمد حسيني هيكل، ووفد سوداني برئاسة السيد علي عثمان والأستاذ محمد الغزالى والأستاذ أربكان وأعداد كبيرة كان سيف الإسلام ضمن هذه الوفود، التي وجهنا لها باسم المعارضة السورية الدعوة إلى طعام الغداء في مطعم تركي حجزنا لهذه الغاية، ولم يختلف أحد عن تلبية هذه الدعوة التي تكلمنا فيها مرحبين بالوفود، كما تكلم عدد من المدعويين كان السيد نجم الدين أربكان على رأسهم وتحدث باسمهم.

كان القائمون على المؤتمر ينظمون اللقاءات ما بين أعضاء الوفود والشخصيات البارزة وبين القادة العراقيين، من أمثال عزت إبراهيم

الدوري، وطه ياسين رمضان، وقد خص القائمون على المؤتمر شخصيات بعينها وصحبوها إلى زيارة الرئيس العراقي صدام حسين بناء على رغبتهما أو طلبهم.

لكن ما فوجئنا به أن الرئيس طلب من القائمين على ترتيب الزيارات أن يحضروا له الأخ سيف الإسلام ابن الإمام حسن البنا، فذهب تلبية لدعوة الرئيس والتلقى به، وكان الترحيب حاراً أكثر من المألف، وبعد لقاء طال وقته، وتخللته أحاديث شتى كما روى سيف الإسلام: أعرب الرئيس عن سبب هذه الدعوة، والرغبة في استقبال سيف الإسلام: كنت أسمع الكثير عن والدك، وعن دوره في الإصلاح، وعما كان يتمتع به من ميزات وخصائص، وعندما فاتني التعرف عليه والالتقاء به، رغبت بالتعويض عن ذلك بتوجيه الدعوة لك، كي أراك بعد أن فاتني رؤية والدك رحمة الله والتعرف به عن قرب.

١٦ - والفقرة المهمة من هذه التجارب الإخوانية مع العراق الشقيق تخص الفكر الإخواني وأمور الدعوة على أرض العراق، فقد كان الخطاب السياسي العراقي قبل هذه الفترة معبراً عن أدبيات حزب البعث والحكومة العراقية، وكانت الصبغة العلمانية هي الغالبة، وعندما أصرت جماعة الإخوان على تثبيت مبادئها في ميثاق التحالف مع أطياف المعارضة من بعثيين وناصريين ومستقلين، أعقب ذلك خطوة أخرى مهمة عندما خصص العراقيون للجماعة معسكر التاجي الذي يقع على بعد خمسة عشر كيلو متر شمالي بغداد، وهو معسكر

رائع في سعته وتنظيمه وموقعه، وكان مخصصاً قبل ذلك للكادر المتقدم في الحزب، فتحول باستلام الإخوان له إلى موئل، تلقى فيه المحاضرات الإسلامية والتوجيهات الإخوانية في الأسر التنظيمية، وفي الإذاعات الصباحية والمسائية ذات الطابع والمضمون الإسلامي. كما كنا نستقبل فيه الضيوف من الدعاة الكبار الذين يؤمّون بغداد، ليلقوا فيه المحاضرات الإسلامية، وهكذا أضحى معسكر التاجي عريناً للحركة الإسلامية في وسط بغداد، وفي أهم مواقعها.

حدث هذا ولم نجد من ينكر علينا من العراقيين، أو ينتقد توجهاتنا، أو يدي أمامنا ومن خلفنا امتعاضاً أو اعتراضاً. لقد كان معسكر التاجي معسكراً إخوانياً إسلامياً بكل ما تعنيه هاتان الكلمتان من تربية وتزكية وسلوك وتوجيه لسنوات طويلة.

أ- وفي المجتمعات الهيئة التأسيسية التي تضم أطياف المعارضة بإعداد تبلغ حوالي ثلاثة مندوبياً، وفي المكتب السياسي المؤلف من سبعة أعضاء كان للإخوان منهم عضوان، في هاتين المؤسستين الرئيستين في تشكيلات التحالف الوطني الإنقاذ سورية، أصبح الإسلام -في القرارات والنداءات والبيانات والكلمات والاحتفالات والبرقيات المرسلة إلى مختلف الجهات- يشكل جزءاً لا يتجزأ، وحضوراً دائماً في أدبيات التحالف بصورة مألوفة دون أي اعتراض أو جدل حول المصطلحات الإسلامية التي تلامس المجتمع، أو القرارات السياسية الصادرة باسم التحالف الوطني المعارض للنظام السوري.

كان الإخوان مشاركين في كل مؤسسات التحالف النقابية -الأطباء والمحامون والصيادلة والمهندسو- وفي الاتحادات العديدة، وأهمها اتحاد الطلاب الذي كان لأبناء الجماعة نشاط ملموس في احتفالاته ومهرجاناته و المناسباته الإسلامية والتاريخية والوطنية مثل: ذكرى المولد النبوي الشريف، والعام الهجري، وذكرى الإسراء والمعراج، وعيد الجلاء أهم الأعياد الوطنية السورية، فكان شبابنا من طلاب الجامعات دائمي المشاركة في إلقاء الكلمات وإصدار البيانات.

بـ- لكن المرحلة الحاسمة في الدعوة للفكر الإسلامي والتوجهات الدعوية كانت طرح أدبيات الإمام الشهيد حسن البنا طيب الله ثراه، فقد أذهلت ونالت إعجاب الجميع من غير الإخوان آراء الإمام البنا، وموافقه منعروبة المؤمنة والوحدة العربية العتيدة، وتبعة الأمة ضد الاستعمار والمحليين، والدفاع عن حقوق الفقراء والمستضعفين من حرفين وفلاحين وعمال، وفتات بائسة، إذ أصبحى من المأثور الاستشهاد بفكر البنا وأرائه في الاحتفالات العامة، ولا سيما تلك التي كان اتحاد الطلاب يقيمها، ومن ذلك: اهتمام البنا ببلاد الشام ولاسيما فلسطين، إذ أدرك الإمام رحمه الله ما يبيت لها من شرور ومخططات ترمي إلى خطفها من شعبها، وإحلال اليهود الوافدين إليها من الآفاق محلهم، بدعم من البريطانيين الذين أقطعوا فلسطين لليهود بموجب وعد بلغور في ١١-١٩١٧ . فشرع الإمام يرسل الوفود إلى فلسطين ليوقظ شعبها، ويحركهم عن طريق الدعاة الكبار الذين بعث بهم بدءاً من متتصف ثلاثينيات القرن الماضي

١٩٣٥- ليلقوا الكلمات الحماسية في مساجد حifa ويافا والقدس وغيرها... إلخ.

تعاون رحمه الله مع شيوخ فلسطين، وفي مقدمتهم الحاج أمين الحسيني وأعضاء الهيئة العربية العليا والعلماء الأجلاء أمثال الشيخ نمر الخطيب إمام وخطيب مسجد حifa الكبير، كما بعث الدعاة إلى كل أنحاء القطر المصري لتوجيه المصريين وتعبيتهم إلى ما يبيت ضد فلسطين والعرب والمسلمين من أخطار ومؤامرات لثيمة. وكذا دعوة الإمام البنا إلى الوحدة العربية بحماسة شديدة، وتحديثه عن ميزاتعروبة وخصائصها، والقيم التي تحلت بها وعرفت عنها، فقال في كلمة ألقاها في اجتماع رؤساء المناطق عام ١٩٤٥ :

«نحن نعلم أن لكل شعب ميزاته وقسطه من الفضيلة والخلق، ونعلم أن الشعوب في هذا تتفاوت وتتفاضل، ونعتقد أن العروبة لها من ذلك النصيب الأولي والأوفر، ولكن ليس معنى هذا أن تتخذ الشعوب هذه المزايا ذريعة للعدوان، بل عليها أن تتخذ ذلك وسيلة إلى النهوض بالإنسانية، ولعلك لست واحداً في التاريخ من أدرك هذا المعنى من شعوب الأرض كما أدركه تلك الكتبية العربية من صحابة رسول الله ﷺ».

ومما كان يسمعه العراقيون عبر التحالف والمناسبات عن حديث الإمام عن الوحدة العربية حديثاً يفيض بالحماسة والاقتناع، وربطه بالعقيدة وأصول الدعوة إلى الإسلام في مناسبات كثيرة، وفي فترات متغيرة، كان أوضحها ما جاء في خطابه بالمؤتمر الخامس عام

١٩٣٨ إذ قال:

«ثم إن هذا الدين نشاً عربياً، ووصل إلى الأمم عن طريق العرب، وجاء كتابه بلسان عربي مبين، وتوحدت الأمم باسمه على هذا اللسان يوم كان المسلمين مسلمين، وقد جاء في الأثر: إذا ذل العرب ذل الإسلام، وقد تحقق هذا المعنى حين دال سلطان العرب السياسي، وانتقل الأمر من أيديهم إلى غيرهم من الأعاجم والديلم ومن إليهم، فالعرب -كما يقول الإمام- هم عصبة الإسلام وحراسه، وأحب هنا أن أنبه -يقول البنا- إلى أن الإخوان المسلمين يعتبرونعروبة كما عرّفها النبي ﷺ فيما يرويه ابن كثير عن معاذ بن جبل رضي الله عنه: ألا إن العروبة اللسان، ألا إن العروبة اللسان، ومن هنا كانت وحدة العرب أمراً لا بد منه لإعادة مجد الإسلام، وإقامة دولته، وإعزاز سلطانه، ومن هنا وجب على كل مسلم أن يعمل لإحياء الوحدة العربية وتأييدها ومناصرتها، وهذا هو موقف الإخوان المسلمين من الوحدة العربية.

ثم أكد الإمام المرشد على هذا المعنى في المؤتمر السادس الذي عقد في عام ١٩٤١ فقال:

«العروبة لها في دعوتنا مكانها البارز، وحظها الوافر، فالعرب هم أمة الإسلام الأولى، وشعبه المتميز، ولن ينهض الإسلام بغير اجتماع الشعوب العربية ونهضتها، فهذه الحدود الجغرافية والتقييمات السياسية، لا تمزق في أنفسنا أبداً معنى الوحدة العربية الإسلامية التي جمعت القلوب على أمل واحد، وجعلت من الأقطار جميعاً أمة

واحدة، مهما حاول المحاولون، وافترى الشعوبيون، ونحن نعتقد أننا حين نعمل للعروبة نعمل للإسلام ولخير العالم كله».

في الشأن الاقتصادي آلم الإمام ما يعانيه المواطنون من فقر وبؤس ومرض وجهل، فأرسل رحمة الله صيحة مدوية حذر فيها من التأثير المترتب على ذلك، وذكر أن في مصر ٣٢٠ شركة يملكونها أجانب وغرباء وجاليات، بينما لا يملك المصريون سوى إحدى عشرة شركة، ونادي رحمة الله بتمصير -تأميم- الشركات، وإحلال رؤوس الأموال الوطنية محل رؤوس الأموال الأجنبية، واستقلال النقد المصري عن الإسترليني. كما تحدث عن نظام الملكيات، فدعا إلى إعادة النظر في تملك الأرض، وتشجيع الملكيات الصغيرة، وتعويض ذوي الملكيات الكبيرة، حتى يشعر الفقراء أن لهم في الأرض ما يعندهم أمره، ويهمهم شأنه، كما جاء في رسالة النظام الاقتصادي التي صدرت عام ١٩٤٨.

ج- وإن فقد صار مالوفاً أن نحمل رسائل البناء في العراق بأيماننا، ونقلب صفحاتها في مؤتمرات الطلاب، وفي الاجتماعات التحاليفية، ونقرأ منها على مسمع من الطلاب الذين يتعمون إلى تنظيمات غير إخوانية، فكانوا يصغون إليها باهتمام، دون أن يتحفظوا على سمعها، بل كانت رغبتهم ملحوظة في الاستماع إلى آراء الإمام الشهيد وأفكاره.

هكذا أصبحت أدبيات الإخوان وعلى رأسها ما سطره قلم الإمام في رسائله حول الوحدة والاقتصاد والنقد والملكية وقناة السويس

التي طالب بتمصيرها، وفي مختلف الآراء. فكان وجود الإخوان المسلمين في العراق، على كل المستويات السياسية والنقابية والطلابية سبيلاً واضحاً في التعريف بالفكر الإخواني والتذكير بأدبياتهم في كل المناسبات، حتى غدا الخطاب الإسلامي مألفاً ومرغوباً فيه على أرض الرافدين وفي عاصمة القطر العراقي الشقيق.

د- ومن إنجازات هذه المرحلة تذكيرنا الرئيس -في أحد لقاءاتنا به- بتخصيص إذاعة للقرآن الكريم التي أخذت بها دول كثيرة كالاردن ومصر وغيرها، ليكون في بغداد إذاعة خاصة بها تبث سور القرآن وأياته، وعلوم القرآن الكريم على مدار الساعة، وقد نفذ الرئيس هذا المقترح وأخذ به، دون أن نعلم أن ذلك كان بناءً على تذكيرنا له، أم أنه جاء بتذكير غيرنا، وإنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى.

كان الشيخ عبد الوهاب السامرائي من أبناء الدعوة البررة، لم يتوقف طوال عمره المديد عن خدمتها على كل الصعد، وكان لنا تعاون معه في مجالات عدة، أهمها توزيع الصدقات على مستحقها، وكان يصدر منذ أكثر من نصف قرن مجلة التربية الإسلامية، ويرعاها كما يرعى الأب ولده الوحيد، يجمع لها التبرعات، ويفسح صفحاتها لأقلام الكتاب والدعاة، ويقوم بتوزيعها في خارج العراق أكثر مما يوزع منها في داخل القطر.

صدر ذات يوم قرار بتوقيقها وإلغاء وجودها، فبادرت -دونما استشارة من الرجل الصالح عبد الوهاب رحمه الله- وراجعت السيد

نائب الرئيس بموضوع المجلة قائلاً له :

- مجلة التربية الإسلامية مجلة معروفة ومرموقة لدى أوساط كثيرة في خارج العراق ، وفي بلاد العرب والمسلمين ، وهي معنية بالعلوم الإسلامية ، وليس لها مساس في السياسة ، وهي مصدر دعاية إيجابية للعراق في الخارج كدليل على أن العراق يسمح بنشر العلوم الإسلامية . وتوقيفها يخالف موقفاً سلبياً لدى الأوساط الإسلامية في داخل العراق وفي خارجه .

لم تمض أيام على هذا اللقاء حتى استصدر النائب - وأرجح أن ذلك بعد استشارة الرئيس كما هي العادة في كل الأمور صغيرها وكبيرها - قراراً بإعادة المجلة إلى الصدور ، وعندما كنت أسير في ممرات القاعة الكبرى بعد حضور الاحتفال بذكرى سيد الخلق عليه السلام التقى الشيخ عبد الوهاب رحمه الله ، فرأيته مستبشراً بعودة مجلة التربية إلى الصدور ، فسألته : كيف عادت ؟
قال : لا أدرى .

فأعلمه عن المراجعة بشأنها ، فازداد سروره سروراً ، ودعا لي رحمه الله بخير ، ونسأله جل شأنه حسن القبول ، وأن يكون ذلك في سبيله سبحانه وابتغاء مرضاته .

١٧ - منذ منتصف الثمانينيات من القرن الماضي خطونا خطوة إيجابية مع العراقيين إذ أتيح لنا أن نقترح وننصح ونبه إلى بعض الأمور التي من شأنها أن تلفت النظر إلى محسن الإسلام ، أو تتجنب ما يخالفه دون أن نواجه برفض أو تحفظ ، بل أصبحنا نشعر بأن

ال العراقيين يتقبلون نصحتنا، ويأخذون بما نقترحه عليهم في كثير من الأحيان.

وعندما اقترحنا عليهم توجيه الدعوة إلى العلماء الكبار والمخلصين في أصقاع العالم الإسلامي ليقولوا رأيهم في الحرب المشتعلة بين إيران والعراق بعد أن مر على نشوئها سنوات دون أن ينطفئ لهيبها أو تقنع إيران بالتفاوض حول إنهائها.

سألنا العراقيون عن طريق المكتب السوري عن الطريق إلى إنهاء الحرب الضروس، فقلنا لهم: توجيه الدعوة إلى العلماء الصادقين الصريحين الذين لا يجاملون على حساب الحق، أو بذوافع غير شرعية، وذكرنا لهم أسماء المعروفين من الإخوان وغيرهم في البلاد العربية والإسلامية وفي الجاليات وفي القارات الغربية والآسيوية والإفريقية، ليسمعوا منهم صدق الحديث وأحكام الشريعة حيال هذه الحرب، ثم تقدمنا بمقترنات من شأنها تهيئة المناخ لإنجاح مثل هذا المؤتمر الفريد من نوعه، والذي يقبل به العراق لأول مرة في تاريخه الحديث.

١- تقدمت بورقة إلى الحكومة عن طريق وزير الأوقاف تحت عنوان: التمهيد للمؤتمر، تتضمن مجموعتين من الأفكار، في المجموعة الأولى ثلاثة عشرة فقرة تحت عنوان: التمهيد للمؤتمر وهي:

- عفو عام عن المقيمين خارج العراق، يعقبه اتصال بهم، لتسوية أمورهم، من جوازات ومرتبات وغير ذلك، ثم يترك لهم الخيار

بالعودة أو البقاء حيث يقيمون، لإكمال دراستهم أو الاستمرار في أعمالهم.

- إحياء التعليم الديني في المدارس الملحقة بالمساجد والاستفادة من الشيوخ المصريين والسوريين وغيرهم إن وجدت ثمة حاجة لذلك.

- إقامة معهد ديني خاص بأبناء العشائر - حديثة التشيع - تمهيداً للعودة بهذه العشائر إلى ما كانت عليه منذ عهد قريب، والإكثار من المساجد في مناطق هذه العشائر، وتزويدها بالأئمة والوعاظ المؤهلين.

- الحفاظ على ربع الأوقاف الإسلامية، وصرفها في وجهها الشرعية، والإنفاق على المؤسسات الدينية الأخرى من الربيع الخاص بها، أو من ميزانية الدولة.

- العناية بالتوجيه الإسلامي في الحزب، وتفسير الرسالة بضمونها الحقيقي، وبما يتفق ومقولات وتفسيرات عدد من المسؤولين، وما أدلوا به من تصريحاتهم في تحدثهم للعلماء ولرجال الصحافة.

- الاهتمام بتوجيه المرأة بشكل خاص نحو القيم العربية الأصيلة، والإسلامية السامية من حشمة ووقار، وتحل بالمثل الإسلامية الرفيعة.

- تشجيع الكتاب الإسلامي، ونشره محلياً كان أو خارجياً.

وإفساح المجال لاستيراده وتوزيعه، وكذا المجالات الإسلامية المتخصصة للدخول إلى العراق أسوةً بالمجالات الأخرى الوافدة من الكويت والبحرين وأوروبا وغيرها.

- الحد من انتشار الخمور، ومنع تقديمها في الملاهي والفنادق والمطاعم، وحصر ذلك في الحانات المخصصة لخدمة الأجانب، والتقليل من استيرادها كما حدث لمواد غذائية مهمة، ترشيداً للاقتصاد ورعاة للظروف، وانسجاماً مع مواد الدستور، والتماساً لمرضاة الله وتوفيقه، فالخمور ليست أكثر أهمية من بعض المواد الغذائية التي توقف استيرادها.

- مكافحة الزنى ومطاردته، تطهيراً للمجتمع من هذه الآفة، وما تجره من فساد للصحة، ودمار للأخلاق، وقتل للمرءة، والدولة قادرة على ذلك، بدليل ما أحرزته من نجاح في مكافحة الشذوذ والقمار والرشاوة وغيرها، وهذا ما يدفع بالشباب إلى الزواج والتفكير الجاد به، والإقبال الملحوظ عليه بعد أن ثُد في وجوه الشباب أبواب الفحش والدعارة، وكم من ذريعة سيغلق بابها، ومن مصلحة عظيمة ستتحقق، بعد أن ازداد عدد الأرامل بعد استشهاد العديد من الشباب والرجال المقاتلين.

- تعظيم الحرمات الإسلامية **﴿ذلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾** ولا سيما شهر رمضان المبارك، وذلك بإصدار الأوامر الصريحة من دوائر الدولة النافذة القرار، وليس من دوائر أخرى لا تكون لقراراتها الهيبة الكاملة والتنفيذ التام في نفوس

المواطنين .

- أن تأخذ المساجد دورها كعامل تربية وتوعية وتعبئة وتهذيب في تنشئة وتكوين الإنسان الصالح، والمواطن النافع، والمجتمع المتكامل والمتضامن، وذلك عن طريق دعوة علماء ووجهين أقوياء، يتم اختيارهم وتكونهم وأعدادهم بعناية، ليصبحوا قادرين على تفجير طاقات الشباب والشابات، فينشأ مجتمع صلب يستعصي على دواعي الرذيلة وأسباب الفساد.

- السير بالإعلام -صحفاً وإذاعة وتلفزيوناً- إلى حيث يكون منسجماً مع التوجيه في المدرسة والجامعة والمسجد، ومع عدد من المقالات والمقابلات الصحفية والرسائل التي صدرت، ومع بيانات الجيش العسكرية التي تفيض حماسة وإيماناً.

لقد كان التلفزيون العراقي منذ أكثر من عامين مثلاً طيباً لمحطات التلفزيون العربية في تأكيده على الفترات التاريخية الزاهية لأمتنا، في المسرحيات والتمثيليات التي يقدمها، وفي تكريس البرامج العلمية النافعة، مما كان يشكل نسبة عالية في برامج التلفزيون اليومية، وفجأة شرع يعرض برامج هابطة، فيها الكثير من التبذل والتعرى، الأمر الذي لم يكن مألوفاً من قبل .

- إعادة النظر في المناهج التعليمية، وإفساح المجال للتربية الإسلامية -عقيدة وعبادة وقيمًا ومثلاً وبحوثاً في مجالات الإسلام المتنوعة- لتأخذ حظها، أسوة بمواد المناهج الأخرى -علمية وأدبية

ورياضية - من حيث الكلم والنوع والامتحان والمدرس المختص، لتحقيق التكامل التربوي في تكوين الإنسان الكامل والمواطن الصالح الذي تفجّر معاني الإيمان ودعائم الإسلام في قلبه، معاني الوفاء والقداء والاستشهاد في سبيل الله، دفاعاً عن الأرض والعرض، وعن المبادئ والأمة، وعنده تكون أمتنا مهيئة للنهوض من كبوتها، واستئناف مسيرتها، والاضطلاع بدورها في أداء رسالتها للعالمين، فتعود أمّة السيادة والقيادة والريادة بإذن الله وعونه **﴿إِنَّ أُرِيدُ إِلَّا إِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تُؤْفِقُنِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾**.

وفي المجموعة الثانية تحت عنوان التمهيد للمؤتمر سبع فقرات

هي:

- أن تمثل جميع البلاد العربية والإسلامية دون استثناء، ولو مثل قطر أو البلد بشخص واحد، وأن يكون الوفد مناسباً في عدده مع أهمية الدولة، وعدد شعبها ومكانتها في المحيط الإسلامي، ومع وزن المدعوين علمياً واجتماعياً وسياسياً.

- توجيه الدعوة لشخصيات مؤيدة وحيادية ومعارضة، إذا كانت الأخيرة معقولة ومتزنة.

- التشاور في شأن المؤتمر مع عدد من الشخصيات المخلصة والصادقة، إما باستدعائهما، وإما بزيارتها في بلد إقامتهما.

- توجيه الدعوة لمنظمات غير إسلامية لترسل ممثلين عنها بصفة مراقب، مثل: الأمم المتحدة، الفاتيكان، منظمة العفو الدولية،

- الوحدة الإفريقية، منظمة المؤتمر الإسلامي، عدم الانحياز... إلخ.
- زيارات خاطفة يقوم بها واحد أو أكثر لعدد من البلدان والأقطار، بغية القيام بدراسة مستأنة للشخصيات، لمعرفة ما تمثله من وزن شخصي، وثقل شعبي، ومكانة سياسية، وقيمة علمية في محيطها بهدوء ودقة وكتمان.
- أن تشارك في الإعداد لهذا المؤتمر في الدراسة والاتصال والزيارات، شخصيات عراقية لها وزنها وصلاتها الوثيقة بالشخصيات الإسلامية العالمية، من أمثال: الندوى، وطفيل، وخورشيد، والغزالى، وممثل الزعامة الدينية في السنغال ونيجيريا، والقرضاوى وشيخ الأزهر، وتقي عثمانى، ومفتى تونس، ومفتى المغرب، واتحاد الطلاب المسلمين في أمريكا وإنكلترا، وحركة الشباب الماليزي برئاسة أنور إبراهيم، والجماعة الإسلامية في شبه القارة الهندية، والمفكر جارودى، وموريس بوکاي وغيرهم.
- يحسن أن يكون موعد الانعقاد في مطلع الصيف، وبعد الانتهاء من الموسم الدراسي، وفي موسم الإجازات الصيفية، كي يتاح لأكبر عدد من المرغوب بحضورهم تلبية الدعوة والمشاركة في المؤتمر.
- استلم وزير الأوقاف هاتين الورقتين في ٢٥-١٩٨٥ تحت عنوان: التمهيد للمؤتمر كما رأينا، بارتياح وقبول حسب ما بدا لنا، دون أن يكون لهذه المقترفات وما جاء فيها من نصح صريح موقف سلبي تجاهنا، أو تحفظ حيالنا، أو ردود حادة أو غاضبة، الأمر الذي

شجعنا وجرّأنا على توسيع دائرة النصح التي أدت إلى إصلاح الخلل في أمور عديدة كلما حانت الفرص أو وجدنا إلى ذلك سبيلاً، فنقتصر على إيراد أمثلة منها محدودة، كان النصح فيها يقدم إلى الرئيس العراقي أو إلى نائبه طه ياسين رمضان.

بـ- في الخامس عشر من شهر ربيع الأول عام ١٤٠٨ الموافق ١٩٨٧ فاجأ الرئيس صدام العراق والعرب والمسلمين بقرار يقضي أن يكون مولد المصطفى ﷺ عيداً قومياً للمسلمين ولغيرهم، تحفل الأمة كلها (دولة وشعباً ومنظمات) به، وتذكر بالمبادئ السامية والمقيدة التي بلغها الرسول ﷺ للعالمين بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، ودعا الوزارات والمؤسسات وجميع رجال الدولة الكبار، كما دعا البعثات الدبلوماسية ورجال السلك السياسي في بغداد إلى المشاركة في قاعة الاحتفالات الكبرى لإحياء ذكرى سيد الخلق، ورسالته الخالدة والخاتمة، فكان يوماً مشهوداً ملأ قلوب أبناء العراق، ومن يعيش على أرض العرب سعادة وسروراً، واستبشرأ بتحول عظيم نحو الإسلام، واتباعاً لسيد الأنام، عليه أفضل صلة وأذكى سلام.

انتهت هذه الفرصة لتنذير الأمة بمبادئ الإسلام ورسالته المنقذة، وأخلاقه العظيمة، وقدرته على النهوض بالعرب والمسلمين، ليعودوا خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتومن بالله.

سارعت إلى كتابة هذه الرسالة العفوية السريعة دون مقدمات أو

برتوكولات، ورفعتها بالحال إلى الرئيس صدام مباركاً ومشجعاً على هذا التوجه الميمون:

السيد رئيس الجمهورية العراقية صدام حسين حفظه الله:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد: فإن مولد محمد بن عبد الله عليه السلام كان ميلاد الأمة العربية مجداً وحضارة وسؤداً.

لقد أرسى سيد الخلق محمد رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه للعرب وحدة عتيدة، لم تقم على غير مبادئ الرسالة العظيمة قط على مدار التاريخ في القديم والحديث، وبني لأمتنا حضارة مجيدة أساسها الرحمة والحب والأخوة الإنسانية، ما زالت قادرة على إنقاذ البشرية من الدمار الذي يتهدها، كما أشاد لأمته صرحاً من العدالة كانت المجتمعات البشرية وما تزال تحلم بتحقيقها، وتلهث وراءها ذات اليمين ذات الشمال، وأعلن المساواة الكاملة بين الناس جمياً لا فرق بين أبيض وأصفر وأسود، منذ خمسة عشر قرناً في تطبيق فعلي لحقوق الإنسان، لم تبلغه حضارة اليوم رغم الإقرار النظري لهذه الحقوق في ميثاق الأمم المتحدة عام ١٩٤٨، وشق لهم طريق السعادة والفوز في هذه الحياة الدنيا، وفي الدار الباقية، وقادهم هو وخلفاؤه ومن سار على هديه من نصر إلى نصر حتى رفرت أعلامهم على بقاع الأرض وفي العالمين.

يا سيادة الرئيس الموقر:

إن الرسالة الإسلامية التي أقامت لأمتنا وحدتها، وشيدت

حضارتها، وأرست عدالتها، وصنعت أمجادها، لقادرة دون سواها أن تفعل ذلك مرة أخرى، فلن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها كما قال الصديق رضي الله عنه، فنعود كما كنا خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله.

إن اهتمامكم العظيم بميلاد الرسول العظيم الذي تملئ قلوب العراقيين بحبه، والإيمان بتعاليمه لهي البشرى يا ذن الله للنصر القريب الذي لا يخص العراقيين وحدهم، بل ستشمل فرحته الكبرى الشعب العربي والعالم الإسلامي وكل محب للحرية، وعاشق للسلام. ويومئذٍ يفرح المؤمنون بنصر الله، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم، ويسألونك متى هو قل عسى أن يكون قريباً.

المراقب العام ١٤٠٨ هـ
للإخوان المسلمين في سوريا ٧ تشرين الثاني ١٩٨٧ م

عدنان سعد الدين

ج- كان الأستاذ محمد المبارك في مقدمة المفكرين الإسلاميين الذينقرأوا الفكر القومي، وسبروا أغواره، وما ينطوي عليه من تطلعات، وما ينشق عنه من برامج وأفكار، وما تفرع من تنظيمات قومية وعلمانية ولبيرالية وراديكالية، وناقش أصحابه، والتقي رجالاته ومؤسسيه، ووضع يده على ما يتطلع إليه البعثيون والناصريون وأمثالهم، وما يتفرع عنهم، فحملته هذه الدراسة المعمقة والإحاطة الشاملة على تأليف كتابه: (الأمة العربية في معركة تحقيق الذات)

مبرهناً على أن العرب لن ينهضوا بغير الإسلام، ولا يملكون مقومات استئناف دورهم الريادي من دونه، وإن جميع محاولاتهم بما فيها استعارة الفكر من الخارج ومن الأيديولوجيات الوافدة، لن تجديهم نفعاً، وواجهه، رحمة الله، كل دعاة القومية والعلمانية بفكه المقنع، وأدلة الدامغة، وفي مقدمتهم ميشيل عفلق.

رأيت في هذا الكتاب خير ما يُهدى ويقدم إلى قادة الحزب في العراق من منظرين ومسؤولين، فاشترت من مكتبات عمان عشر نسخ، وضعتها بين يدي قادة الحزب: صدام ونوابه وأعضاء في القيادة، وكان في مقدمتهم صدام حسين قائلاً: أقدم لكم كتاباً تليداً وضعه أحد رجال الفكر والحضارة والإصلاح الأستاذ محمد المبارك عن مقومات الأمة العربية ومستقبلها وطريق نهوضها، رجاء التفضل بقبوله، آملاً أن يكون في وقتكم المليء بالأعمال الكبيرة، متسع للاطلاع عليه، أو على بعض فصوله، وتقبلوا أذكي سلام وأاعذر تحية. في ٩-٤-١٩٩٠.

دـ في متصف عام ١٩٩١ أصدر العراق قانوناً للأحزاب السياسية وإن لم يكن له تأثير على أرض الواقع - فاحتوى على مادة مسيئة للإسلام، لا يمكن السكوت عنها، فخاطبت نائب الرئيس طه ياسين بكتاب جاء فيه: لقد أثار قانون الأحزاب السياسية كثيراً من التساؤلات والتفسيرات، من أهمها وفي مقدمتها:

- هذا التباين بين أقوال الرئيس، وبين النص على إقصاء الإسلام عن السياسة.

- نصت المادة الخامسة من القانون على منع إجازة تأسيس الحزب السياسي على أساس زج الدين في السياسة، أو على أساس الإلحاد أو الطائفية أو العنصرية أو الإقليمية أو العشائرية، ليأتي إبعاد الدين عن السياسة في سياق الأوبيئة والأمراض الاجتماعية كالطائفية والإلحاد والشعوبية.

إن العرب والمسلمين يقفون مع العراق في محنته وتصديه للهجمة الصهيونية والاستعمار بقيادة أمريكا بعد أن أعلن العراق مواقفه الإيمانية، ورفع راية الجهاد وشعار الله أكبر، وجعل الإسلام دستوراً أسمى (من كلمة لصدام) تسير في ركابه وفي ظل مبادئه الوطنية والقومية دون أن تخالفه أو تخرج عليه أو على أحكماء، فإذا سمعوا مواد القانون الذي بدأت الإذاعات العالمية مثل مونت كارلو تعلن عنه، وتأكد على إقصاء الدين العمل السياسي، فإن ذلك سوف يؤدي إلى بلبة في وقت نحن أشد ما نكون فيه إلى المزيد من التلامح وتعزيز الثقة وتأكيد المواقف المبدئية كي نقطع الطريق على الذين طبعوا الدستور في إشارة منهم إلى مادة مماثلة تقصي الدين عن السياسة، ويفرضون على العراق وشعبه حصاراً لثيماً، ويهددون ويتوعدون.

إن الهدف الذي ترمي إليه المادة الخامسة في قانون الأحزاب هو قطع الطريق على الصراعات الطائفية التي تمزق الوطن، وتعرض وحدة الشعب للخطر، يمكن أن تؤدي إلى النتيجة نفسها لو جاءت كلمة الطائفية بدلاً من كلمة الدين، فنصت على عدم جواز قيام أي حزب على أساس طائفية أو مذهبية تخص فئة من المواطنين دون

الفئات الأخرى. فهل يمكن استدراك هذا التصحيح فتهداً النفوس وتطمئن القلوب هنا وهنالك، فتكون حجة المدافعين دامغة، وحجة المشككين داحضة؟

قال رسول الله ﷺ: الدين النصيحة... إن الخ ومن هذا المنطلق نقدم هذا المقترن.

لم تمض أيام حتى قرأتنا في جريدة أردنية، أرجح أنها الدستور، أن الحكومة العراقية أجرت تعديلين، أحدهما خاص بالأكراد، وثانيهما خاص بقانون الأحزاب، وتعديل المادة الخامسة بما لا يمس الإسلام في قانون الأحزاب أو في العمل السياسي.

هـ- نشأت في العراق حركة صوفية تسمى الكسنزانية، سجل العلماء والفقهاء المؤثرون عليها مأخذ كبيرة في مخالفاتها الشرعية، وفي انحرافاتها، وقد فاجأت المجتمع العراقي في مطلع عام ١٩٩٢ بيدعة شاذة وانحراف كبير، إذ أصدرت تقويمًا مطبوعاً على ورق صقيل، وصادر عن مطابع رسمية يحمل اسم التقويم المحمدي، فراعني ما قرأته فيه من تاريخ جديد غير التاريخ الهجري لم أسمع به من قبل، وفيه مسخ لأشهر القرمية التي أجمع المسلمون على تسميتها منذ فجر التاريخ الإسلامي، وخلاصة الشذوذات فيه:

- درج الغربيون على تسمية المسلمين بالمحمدية تشبيهاً بالأديان الأخرى التي سمى أتباعها أديانهم باسم النبي الذي جاءهم، فاليهود ينتسبون إلى يهودا، والمسيحيون إلى المسيح، وكذلك الأديان غير

السماوية كالبراهمة والبوديين وغيرهم، أما المسلمين فقد سماهم القرآن بالمسلمين نسبة إلى الدين الخاتم، لا إلى النبي الذي حمل لهم الرسالة العظيمة الخاتمة.

- اجتراً التقويم على الشهور القمرية فسمى بديلاً منها أو ما يوازيها، متناسياً أن الشهور القمرية قد وردت في السنة النبوية على لسان المصطفى ﷺ، قوله: اللهم بارك لنا في رجب وشعبان، وبلغنا اللهم رمضان، قوله ﷺ: من صام رمضان، وأتبعه بستٍ من شوال فكانما صام الدهر كله.

رفعنا إلى السيد النائب مذكرة احتجاج على هذه الفتنة المنحرفة التي تجرأت على تشويه التاريخ الهجري الذي أجمع المسلمين منذ ظهور الإسلام وحتى يومنا بأن بدء التاريخ الإسلامي هو يوم هاجر الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة وأقام دولته المباركة على أرضها الطاهرة، ولم يجرؤ على مخالفه ذلك إلا القذافي الذي ذهبت محاولته الفاشلة أدراج الرياح، وشرحت المذكرة جميع الشذوذات التي وردت في التقويم الذي طبعته مطبعة رسمية وأنفقت عليه بسخاء، وروجت له الإذاعة والتلفزيون، وذكرت أن صاحب التقويم الكسترانى رغم أنه استجاب للرئيس في إعادة كتابة التاريخ، جاهلاً أو متباهاً لفرق الواسع والبون الشاسع بين إعادة كتابة التاريخ لإبراز الصفحات الغر في أسفاره، وتنقيته من الزيف والدنس والتزوير، وهذا ما كان يحضر عليه كبار المفكرين من أمثال سيد قطب ومحمد محمد شاكر رحمهما الله، وبين المسخ والتشويه والعبث في المعالم

والثوابت والأصول التاريخية التي أجمعـت الأمة عليها بكل فرقها ونحلـها وما تزال.

تستلم السيد النائب المذكورة، وببذل جهده لرأـد هذه الفتـة ودفنـها في مـكانـها، فـتم القـضـاء المـبرـم عـلـيـها، وكـأنـها لم تـكـن بـفـضـل اللهـ، ثـمـ، بـجهـودـ النـائـبـ في استـجـابـتهـ السـرـيعـةـ رـحـمـهـ اللهـ.

وـ إنـ أـهمـ ماـ خـاطـبـناـ بـهـ العـرـاقـ بـاسـمـ التـحـالـفـ الـوطـنـيـ السـورـيـ مـذـكـرـةـ تـضـمـنـ حـلـاـ لـأـزـمـةـ العـرـاقـ بـعـدـ دـخـولـ جـيـشـهـ إـلـىـ الـكـوـيـتـ، بـعـدـ أـنـ شـعـرـنـاـ أـنـ الخـطـرـ عـلـىـ العـرـاقـ وـالـعـرـبـ أـصـحـيـ مـحـدـقـاـ، وـهـوـ وـشـيكـ الـوقـوعـ فـيـ كـارـثـةـ لـاـ يـعـلـمـ إـلـاـ اللـهـ خـطـرـهـاـ وـمـداـهـاـ، وـلـذـاـ فـلـابـدـ مـنـ مـصـارـحةـ الـقـيـادـةـ الـعـرـاقـيـةـ بـالـكـارـثـةـ الـوـشـيـكـةـ وـالـتـفـكـيرـ بـالـخـرـوجـ مـنـهـاـ بـسـلامـ، وـقـدـ صـاغـ الـمـذـكـرـةـ الـتـيـ تـقـدـمـنـاـ بـهـاـ بـاسـمـ الـمـكـتـبـ السـيـاسـيـ لـلـتـحـالـفـ: الـأـسـتـاذـ شـبـليـ الـعـيـسـيـ الـأـمـيـنـ الـعـامـ الـمـسـاعـدـ السـابـقـ لـلـقـيـادـةـ الـقـومـيـةـ لـحـزـبـ الـبـعـثـ. بـالـرـغـمـ مـنـ إـدـرـاكـنـاـ أـنـ وـقـعـهـاـ سـيـكـونـ ثـقـيلاـ عـلـىـ نـفـوسـ الـقـيـادـةـ الـعـرـاقـيـةـ، وـنـظـرـاـ لـطـولـ الـمـذـكـرـةـ أـكـتـفـيـ بـنـقـلـ فـقـرـاتـ مـنـهـاـ تـبـرـئـةـ الـلـذـمـةـ، وـقـيـاماـ بـأـدـاءـ وـاجـبـ النـصـيـحةـ مـهـماـ كـانـ الـحـدـيـثـ عـنـهـ مـرـأـ وـثـقـيلاـ:

الـسـيـدـ الرـئـيـسـ صـدـامـ حـسـينـ الـمـحـترـمـ

تحـيةـ وـاحـتـرـاماـ: رـأـيـنـاـ مـنـ الـوـاجـبـ أـنـ نـضـعـ بـيـنـ أـيـديـكـمـ بـعـضـ الـآـرـاءـ الـتـيـ نـعـتـقـدـ أـنـهـاـ قـدـ تـنـطـويـ عـلـىـ فـائـدـةـ فـيـ هـذـهـ الـمـرـحـلـةـ الـعـصـيـبـةـ الـتـيـ يـتـقـرـرـ فـيـهـاـ مـصـيـرـ أـمـتـاـ وـمـسـتـقـبـلـهـاـ، فـيـ حـدـودـ مـعـلـومـاتـنـاـ وـاجـتـهـادـنـاـ، وـتـحـلـيـلـنـاـ لـلـأـوـضـاعـ الـعـرـبـيـةـ وـالـدـوـلـيـةـ الـراـهـنـةـ.

ومهما يكن من أمر فإن ما يشفع لنا في تقديم هذه الآراء هو حرصنا الشديد على أن يبقى العراق القائد لمسيرة التحرر والنضال ضد الإمبريالية والصهيونية وأتباعهما، وأن تتحقق أهداف الأمة العربية في الوحدة والتحرير.

إن العراق قد بني جيشاً قوياً بثروته وجهد أبنائه، يستطيع به الذود عن الوطن والأمة، ويقيم التوازن الاستراتيجي بصورة حقيقة مع العدو الصهيوني، ويضع حدأً لعربته، كما فضح الادعاءات الزائفة لبعض الأنظمة العربية، وفي مقدمتها النظام السوري الذي يزعم أنه يعمل لتحقيق هذا التوازن، للخداع والتضليل وابتزاز الأموال من دول الخليج، لهذا كله فقد لاحظنا أن الحملة الشديدة المغرضة والمفتعلة على العراق بدأت في الربع الأول من هذا العام ١٩٩٠ ، بحجة الدفاع عن الشرعية الدولية والقانون الدولي، بكلمة حق يراد بها باطل.

ومما زاد في حرج هؤلاء الأعداء وفضح تلك الذرائع الزائفة، وَضُمْ قضية فلسطين في الواجهة من اهتمام العالم وفضح أساليب الغرب ومقاييسه المزدوجة تجاه القضايا العالمية المتماثلة، ومن ثم فضح أغراضها في الهيمنة على النفط العربي، وابتزازها لثروات العرب وشعوب العالم الثالث، والإبقاء على إسرائيل قوة راجحة ومهيمنة في المنطقة العربية، ومن ثم تمكينها من تحقيق أحلامها التوسيعة في إقامة إسرائيل الكبرى من الفرات إلى النيل ، وهذا ما يفسر لنا التوافق التام بين ما ينادي به بوش وإدارته، وما تنادي به إسرائيل وللlobi الصهيوني من تصريحات حاقدة تعبّر عن استراتيجية

مشتركة تهدف إلى تدمير قوة العراق العسكرية وقيادته الوطنية.

انطلاقاً من هذا التحليل، وإبطالاً للذرائع التي استخدمتها أمريكا وحلفاؤها الحاقدون، والتي استطاعت أن تثير بها قطاعاً واسعاً من الرأي العام العالمي الرسمي ضد العراق، وأن تسخر مجلس الأمن وهيئه الأمم في إصدار القرارات المعادية والمؤذية للعراق تمت بضغوطٍ وإغراءاتٍ أمريكية، ورشاوي بأموال عربية، نقول: انطلاقاً من ذلك كله، وثقة منا أنكم تدركون بعمق أبعاد التآمر الأمريكي والأوربي والصهيوني على العراق والأمة العربية، فإننا نجد من المفيد اعتماد بعض المرونة في الاتجاه الذي يعزز جانب التسوية السلمية، ويعيد احتمالات الحرب، الأمر الذي يسمح لنا أن نقترح تقديم مبادرة جديدة باتجاه السلام وفق ما ترونوه ممكناً ومناسباً لهذه الفترة، وإنما فحسبنا أننا توخيانا ذلك وأردناه.

وبعد: فلكي يكون الحلّ عربياً، واستبعاداً للهيمنة الأمريكية عليه: هل يمكن القبول بعقد مؤتمر قمة عربية لبحث الأزمة من جميع وجوهها؟ والقبول بما يتخذ بالأكثرية وفق الضوابط والشروط التالية في حالة المطالبة بانسحاب القوات العراقية من الكويت.. يشترط:

- تزامن انسحاب القوات الأجنبية من السعودية والخليج.

- إلغاء كل القرارات الجائرة التي صدرت عن مجلس الأمن ضد العراق.

- استئناف المفاوضات السابقة لضمان الحقوق المشروعة في

الكويت.

- تأكيد العرب على تبنٌ واضح وحاسم لمؤتمر دولي لحل قضية فلسطين حلاً عادلاً وشاملاً وفق ما تراه مناسباً منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد لشعب فلسطين.
- التعهد بالوقوف إلى جانب العراق أو أي دولة عربية يقع اعتداء عليها من أي جهة، ولاسيما إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية، أي اعتماد ميثاق الدفاع العربي المشترك والالتزام به.
- إيجاد صيغة محددة لضمان الدعم الاقتصادي الفعال من الدول العربية الغنية للدول العربية الفقيرة، وربما كان من الأجدى في تحقيق هذه المبادرة إن لقيت من جانبكم قبولاً أن يتم طرحها من جهة عربية.

أما إذا كان لابد أن يأتي الحل على الصعيدين العربي والدولي، فإننا نقترح أن يعلن العراق استعداده لقبول مبدأ الانسحاب من الكويت ضمن الشروط التالية:

- أن يكون الانسحاب متزاماً مع انسحاب القوات الأجنبية من السعودية والخليج.
- أن يترك حل ما يسمى بأزمة الخليج إلى الجانب العربي.
- أن يصدر قرار عن مجلس الأمن الدولي بعقد مؤتمر دولي للسلام لحل القضية الفلسطينية والقضايا المتعلقة بالمنطقة في غضون عام 1991.

وفي الختام: تقبلوا من المكتب السياسي للتحالف الوطني الإنقاذ
سورية خالص الاحترام والتقدير مع أطيب التمنيات بال توفيق والنصر
المؤزر.

١٩٩٠-١٢-٢٥

المكتب السياسي

للتحالف الوطني الإنقاذ سورية

لم تلق مذكرتنا وما انطوت عليه من مقتراحات وتحذيرات أذناً صاغية من الرئيس صدام، بل كان نصيبيها الإهمال وعدم الالتفات إلى أي شيء ورد فيها، واستمر العراق في الطريق الذي اختاره وسار به حتى وصل إلى ما وصل إليه.

كان النائب يغمز جانينا كلما التقينا حول المذكرة، ويقول معرضاً: أهذا كل ما وصلتم إليه واقتنعتم به؟ وكأنه يعيينا ويعتبر أننا ارتكبنا الخطأ الفادح !!

فـ- بدأ سقف علاقتنا مع العراق ينخفض، ووتيرتنا تضعف جراء حادثين منفصلين متبعدين، اعتبرهما العراقيون التفافاً حولهم، ونكوصاً أو نكثاً عن الاتفاق معهم.

كان الأول في أول عام ١٩٨٥ ، عندما التقى مع الدكتور حسن هويدى بالسيد نائب الرئيس، فعرض الدكتور حسن أمام السيد النائب أن فرصة تلوح للحوار مع النظام السوري، ونحن لا نخسر في ذلك شيئاً، غير أننا نسير غورهم ونكشف عن نوایاهم ومواقفهم.

أجاب النائب: هذا أمر يخصكم ولا تتدخل به، ولكن طالما أنكم تعرضون الأمر علينا، لمعرفة رأينا فيه، فنقول: إن لهذا التفاوض أو الحوار سلبيات ليست لصالحكم، فإذا عرف السوريون ذلك فإن هذا يضعف من شعبية الإخوان في الداخل، ويعرض تنظيمكم للتفكك، وفتح الباب لعدد من أعضاء التنظيم بالتراجع والخروج من الجماعة، ثم ماذا نقول نحن لجمهورنا وأعضاء حزبنا وهم يتساءلون عن صلة الإخوان بالنظام والتفاوض معه؟ فهل لكم أو لديكم موقف أو نشرةواجه بها تنظيمنا؟

بدأت الانتقادات تتراكم من أعضاء المكتب السياسي كلما عقد المكتب جلساته، فقد قال أبو عبدو -أمين الحافظ- إن لقاء قادة تنظيمكم بضباط مخابرات للتفاوض معهم لا يليق بكم، وهذا مأخذ كبير عليكم.

وقال أبو عمر -محمد عمر برهان-: كل اتصال يجب أن يكون بعلم التحالف، لكن فوجئنا بالإخوان يفاوضون ثم يخبرون.

في لقاء لاحق مع النائب قال فيه: نحن نعرف الطليعة تماماً، وقد تبين لنا أنهم خطرون، ولابد أن يتلقوا بحافظ أسد، أما لقاء الإخوان بال العدو، فقد حذرنا منه بوضوح تام، ولا أجد أي إيجابية في هذا اللقاء.

إن تأثير ذلك -التفاوض- سينعكس على الإخوان أولأ، ثم على التحالف، ولابد من علاج هذا الأمر، ونحن مقتنعون بأن السلطة سوف تكرر اتصالها بالإخوان.

أما اللواء محمد الجراح فقال: لقد بوعتنا بالاتصال بين الإخوان والسلطة، وسوف يكون لهذا الأمر أثر على الوضع في سوريا كلها، ولاسيما أن السيد النائب قد حذر من مغبة هذا اللقاء.

وقال النائب: أنا قلق من أي سلاح يسلم للإخوان منذ ثلاثة أشهر، وهناك مجموعات بكمالها سوف تتعرض للسقوط في الداخل إذا شاع لديهم أمر التفاوض !! إننا -نحن الحزبيين- لم توقف، ونحن مستمرون في معارضته النظام، وأوضاعنا أفضل من ذي قبل، وحزبنا تجنب الضربات، إنني أسأله: كيف يتافق التلاطم بين الانشغال بالحوار مع العدو، وبين الكفاح المسلح؟ إذا كان رئيس الجماعة ومجموعة كبيرة من قياداته منشغلة منذ ثلاثة أشهر بالمفاوضة مع العدو، لقد قلت للجنة: استمروا حتى لا يشعروا (الإخوان) بأننا سبب توقفهم، لكن شعورنا أن جو الإخوان غير مناسب.

فلا بد من معالجة نفسية شباب الإخوان في هذا الجو، لأنه ليس مستبعداً أن يستسلم شباب الإخوان بعد انتلاقهم من العراق يحملون السلاح.

إن وضعنا أفضل من أي وقت مضى، فعندي حماسة، وعندي حركة، وعندي تحفز، ونحن نوزع بياناتنا ونشراتنا، ولكن لم نقرر أن نبدأ وحدنا، وإن كان ذلك باستطاعتنا. وأملنا أن يتجاوز الإخوان ظروفهم الصعبة.

ح- لم يمض شهر على هذه الحوارات النكدة حتى صدر عن حزب البعث السوري -القيادة القومية- نشرة داخلية عن شهر شباط

عام ١٩٨٥ جاء فيها: أُعلن ناطق باسم وزارة داخلية نظام حافظ أسد أن رئيس النظام قد أصدر عفوًّا خاصًّا عن تنظيم الطليعة المقاتلة -تنظيم عدنان عقلة- بعد اتفاق وقعته القيادة المنهارة -للطليعة- مع ممثلي عن المخابرات الأسدية في إحدى المدن الأوروبية، ويقضي باستسلام عناصر التنظيم الموجودين في الخارج، وبتقديمهم نقدًا ذاتيًّا لمسيرتهم السابقة، وبالإعلان عن توبيتهم، وعن ولائهم للنظام، واستعدادهم للعمل تحت مظلته والدفاع عنه، فكان هذا بمثابة عقد استسلام ذليل بين نظام فاشي خائن، وبين قيادة منهارة ومتواطئة.

لقد شملت الاتصالات أكثر من طرف وأكثر من شخصية، ولكنها لم تسفر عن نتيجة ملموسة إلا مع جماعة عدنان عقلة.

إن أهم أهداف حافظ أسد تتلخص في السعي إلى تصفية المعارضة الوطنية بكل فئاتها ورموزها، وهو عندما يمد الجسور مع بعضها إنما يريد من ذلك الإيقاع بها، والتشكيك بمبادئها، وتشويه نضالاتها، وتفتيت وحدتها التنظيمية، وزعزعة ثقة شعبنا وأمتنا العربية بها، وليقطع الطريق على قوى المعارضة الوطنية كيلا تستعيد قوتها ونشاطها وحيويتها، ليضعف أمل الشعب في الخلاص وإقامة البديل الديمقراطي الذي يطمح إليه.

لقد أعلمنا الإخوان المسلمين بشكل مباشر، وقلنا لهم: إن حافظ أسد رجل مخادع، ولا يمكن الاطمئنان إليه، كما أوضحتنا لهم بأن النظام يهدف من وراء التفاوض إلى تفكيك قواهم ووحدتهم التنظيمية، وإن أي تفاوض في ظل المعادلة الراهنة للصراع مع النظام

هو استسلام وإذعان له، وإن مواجهة النظام الأسدية هو الخيار الممكن الوحيد لتحرير سورية من هذا الكابوس الثقيل.

إن المطلوب في هذه المرحلة ليس فقط فضح جرائم النظام وخياناته ودوره التآمري داخل الساحة الوطنية والقومية، وإنما استنهاض كل قوى الشعب وطاقاته ومناضليه كي يفوتوا الفرصة على النظام الفثوي الذي استباح أرض الوطن، وعاش في البلاد فساداً وإجراماً وتسلطاً لم تشهده أعني الدكتاتوريات في العالم.

لا مهادنة مع نظام خائن، ولا تفاوض مع متآمر، بل حرب شعبية مستمرة ومتصاعدة ومكشوفة، حتى تتحرر سورية وتعود إلى مكانتها في الجسد العربي المتحرر المقاتل من أجل الأهداف السامية.

القيادة القطبية المؤقتة لحزب البعث العربي الاشتراكي

١٩٨٥ شباط آخر

ط- لم تمض على هذه النكسة في علاقاتنا الوطيدة مع العراق الشقيق، حتى أصبنا بنكسة أخرى أشد إيلاماً، إذ إن أحد عناصر التنظيم غير المنضبطة، بدأ يكثر من السفر من بغداد إلى عمان عن طريق التنظيم بالصلاحيات التي حصل عليها للتحرك، وقد ارتقى مدير مكتبنا الأخ منذر كوجان رحمة الله من هذه الأسفار غير المبررة، وطلب من هذا العنصر التوقف عن السفر، وما كنا نعلم أن هذا العضو كان همزة وصل بين تنظيم ناشئ محدود التشكيل من وراء قيادته في بغداد، وبين عناصر في الخارج مرتبطة بهذا التنظيم، ولم نكن ندرى أنه تحت مراقبة شديدة، وأن أنفاسه تحصى عليه، وفجأة

ألقي القبض عليه وعلى قيادة هذا التنظيم، فاحتاج بأنه يتحرك بإذن منا أو بتوجيهنا، فاستدعي نائب المراقب العام فـ. ط إلى المكتب السوري للتحقيق معه، أو للاستفسار منه وهم يستغربون هذه التهمة أو هذا السلوك الذي لم يلحظوا طيلة سنوات أي خلل أو التفاف بالعلاقة معهم، ولم يمض إلا وقت قصير حتى تبين لهم كذب هذا الادعاء، وأن تنظيمنا بعيد كل البعد عن هذه الصلة، وعن ذلك التحرك.

اقتصرت التحقيقات على ٥٢ عضواً من التنظيم الناشئ، ورغم المسؤولون بعدم التوسيع، وأطلق سراح العشرات، وصدرت أحكام بالإعدام على خمسة منهم هي قيادتهم، فاضطررنا إلى بذل المساعي لإصدار العفو عنهم، وقد يسر الله ذلك، وخفف الحكم أولاً، ثم أطلق سراحهم في مرحلة لاحقة، أما صاحبنا فلم يكن في مقدورنا التخلّي عنه أو تركه لمصيره الذي يتراوح بين الإعدام والمؤبد، بالرغم من أنه الحق بالتنظيم كله أشد الأذى، فلم نعد نحظى بالتسهيلات التي تشمل جوازات السفر والالتحاق بالجامعات وبالبرامج الإذاعية التي كنا نشرف عليها وعلى جميع فقراتها، وعلى التحرك الواسع بالأسفار والأنشطة الأخرى الكثيرة، ولم نعد نجد مفرأً من مخاطبة الرئيس بشأن هذا العنصر الذي سولت له نفسه أن يلتف علينا، ويتحقق بنا من الأذى ما ألحقه بنا، فرفعت كتاباً إلى الرئيس صدام هو ثالث كتاب رفعته إليه خلال عقدين من الزمن:

سيادة رئيس الجمهورية العراقية الرئيس صدام حسين حفظه الله ورعاه.

إن ما طوقتم به أعناق شباب سورية ومجاهديها من خير عامر
وفضل غامر، أذهب عنهم وحشة الغربة، وفرق الأهل، فألقوا في
العراق الشقيق الوطن بعد أن غادروا الوطن، ووجدوا في العراقيين
الأهل بعد أن فارقوا أهلهما وأرحامهم.

هذه السياسة الأخوية التي أرسيتم قواعدها في القطر العراقي
الشقيق تشجعنا أن نلتمس من سعادتكم إصدار عفو عن ولدنا وأخيتنا
(ز. و. ع) الذي ما زال نزيل السجن منذ حوالي عامين لخطأ صدر
عنه، وكلنا معرض للخطأ ومجانية الصواب، ولكن الذي يحملنا على
رفع هذا الالتماس أن (ز. و. ع) شاب نشاً منذ نعومة أظفاره على
الجهاد، وقارع الظالمين البغاء على أرض الشام، وتعرض للتنكيل
والتشريد هو وجهميُّ أفراد عائلة كريمة مجاهدة قدمت الفداء
والشهداء، وقدت شباناً كالليوث قضوا شهداء منهم: شقيقه غ.ع.
رحمه الله الذي طارده الطغاة في الشارع وصرعوه، ومنهم شقيقه (ع.
و. ع) نزيل بغداد وضيفها الذي خطف من عمان وأعدم في دمشق،
ومنهم شقيقه (م. و. ع) الذي انتزع إعجاب السوريين كلهم بشجاعته
وبثباته في محكمة الطاغية التي قضت ظلماً باعدامه، هؤلاء جميعاً
أبناء رجل شهم ذي نخوة ومروءة اغتاله المجرمون في منزله يوم
عدوانهم على حماة المجاهدة، كما أنهم أبناء امرأة صالحة مكثت في
السجن طويلاً قبل وفاتها، لأنها أم لهذه الكوكبة من الشهداء
المجاهدين. لقد قضى كل أبناء العائلة شهداء ومعتقلين ومطاردين،
وقضى معهم حفيدهم شنقاً، وكثير من ذويهم ما زالوا يقبعون في

سجون الطاغية في دمشق منذ بضعة عشر عاماً.

نلتمس يا سيادة الرئيس إصدار عفو عن ولدنا وأخينا (ز. و. ع)
لأنكم أهل لإصدار العفو الذي هو من سجايكم، وأخونا أهل لأن
يشمله عفوك لأنه من المجاهدين الصابرين.

وتفضلوا يا سيادة الرئيس بقبول أذكي التحيات، وأخلص آيات
الود والامتنان.

المراقب العام للإخوان المسلمين في سوريا

عدنان سعد الدين

١٤٠٩-١٠-١٥ هـ

١٩٨٩-٥-٢٠ م

لم يمض يومان أو ثلاثة على استلام الرئيس لهذه الرسالة عبر مساعد مدير المخابرات أو مدير المخابرات بالوكالة السيد فاضل صلفيوج العزاوي نزيل سجون بغداد الآن، حتى صدر مرسوم رئاسي بالعفو، فاتصل هاتفياً أبو العباس فاضل عزاوي وبشرني بذلك، وقال: يمكنكم غداً أن تذهبوا إلى السجن وستسلموا سجينكم منه.

ذهبت إلى سجن أبو غريب، والتقيت بجميع المسؤولين فيه، ووقيت في خمس دوائر على استلامه هي: إدارة السجن، ودائرة الأمن، ودائرة المخابرات، ودائرة الشؤون الاجتماعية.. إلخ وأركبته بجانبي وذهبت به إلى المنزل ليتناول طعام الغداء، الذي أعددته له بهذه المناسبة.

١٨ - في نهاية هذا الفصل أو هذا البحث الذي طال الحديث عنه لأهميته وكثرة العبر فيه، وتشعب بحوثه وموضوعاته أختتم هذا البحث بذكر عدة ملحوظات ذات أهمية لابد من إيرادها والتنويه عنها في العمل السياسي.

الملحوظة الأولى: إننا طيلة هذه العلاقة لم نعتمد أو نأخذ من الإسلام برأي شاذ أو ضعيف أو مرجوح، بل استندنا على الآراء المتفق عليها والمعتمدة بالإجماع أو على رأي الجمهور.

إن الذين يأخذون من الفقه بالأراء الشاذة أو الضعيفة في علاقاتهم مع الآخرين، تقرباً إليهم، أو إرضاءً لهم، إنما يرتكبون خطأ فادحاً، لأن ذلك يضعفهم أمام أنفسهم وتجاه الآخرين، وينال من قدرهم ومكانتهم، لقد كتبنا بيان الثورة الإسلامية ومنهاجها من أوله إلى آخره دون أن نأخذ بحكم ضعيف أو رأي شاذ، لأن الإسلام غني بمبادئه وأحكامه وفقهه وساحات اجتهاده، والذي يود التأكيد من ذلك، نأمل منه أن يقرأ المنهاج بكامله، ليتأكد أن الجماعة اعتمدت في مشروعها الإسلامي في الحكم وبناء المجتمع، وفي العلاقات السياسية والدولية على الأحكام التي لا يختلف عليها العلماء والفقهاء والمجتهدون.

الملحوظة الثانية: الابتعاد عن المجاملة والمداراة والخطاب الممزوج بالمداهنة، إذ ينبغي على الداعية، وعلى من يسير في طريق الدعاة أن يحافظ على كرامته الدعوية، وعلى مروءته الشخصية، وهذا لا يتناهى مع الطيب من القول، وأن يقول للناس حسناً، ولذا لمس العراقيون منا عدم المجاملة كما يفعل الكثيرون إن لم نقل الجميع

يارسال البرقيات المطولة في كل المناسبات الشخصية والوطنية والقومية والدينية، فقد درجنا منذ وطئت أقدامنا أرض العراق الطيبة (التي ضمت في حنایاها مئات الصالحين والعارفین وأآل البيت والمبشرين بالجنة والخلفاء الراشدين) أتنا لا نأخذ بأسلوب المجاملة، وإرسال البرقيات التي تعنى العراقيين بما في ذلك عيد الفطر وعيد الأضحى، الأمر الذي ألفه منا العراقيون قبلوه، فصار أمراً معتاداً.

الملحوظة الثالثة: رفضنا أن يستخدم التحالف الذي دخلناه أو أن يزج به في تأييد مواقف حزية للبعث ولغيره، وفي ذات يوم قرأننا برقية باسم التحالف موجهة لميشيل عفلق في إحدى المناسبات، فأنكروا عليهم ذلك في اجتماع المكتب السياسي، ثم كررنا هذا الإنكار في اجتماع الهيئة التأسيسية متسائلين: من قرر إرسال هذه البرقية؟ فقيل لنا: قد وافق عليها ممثل الناصريين وممثل البعثيين، فقلت: ولكننا لم تُنشر، ومن ثم فإن هذا الموقف لم يأخذ صيغة القرار الصادر عن المكتب السياسي. ثم قلنا لهم على مسمع من أعضاء الهيئة التأسيسية:

لدينا مناسبات كثيرة، مثل استشهاد إمامنا حسن البنا، وذكرى كبير الدعاء الدكتور الشيخ مصطفى السباعي، ووفاة كبير المفكرين في الجماعة الأستاذ محمد المبارك رحمهم الله جميعاً، وسوف نرسل من طرفنا البرقيات بهذه المناسبات باسم التحالف، فأجابوا جميعاً:

لن يتكرر هذا التصرف مرة أخرى.

ولا يزال الذين حضروا هذه الاجتماعات من أمثال الأخ الأديب عبد الله الطنطاوي الذي يذكر هذا الحديث بتفاصيله.

الملحوظة الرابعة: إن جميع هذه الإنجازات التي أثبتت بعضها في هذه الأوراق، إنما هي من إنجازات الجماعة، وتصب في خانتها، لأننا كنا نتحرك بقرار منها، وبمواقفها وتوجيهها، وهي من ثم ليست إنجازات ذات طابع شخصي تنسب إلى أشخاصنا وذواتنا وأفراد من تنظيمنا، إنه بفضل الله تعالى أولاً وتشبيهه ثانياً ﴿يُكَبِّرُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ التَّأْبِطِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ ومن ثم فهي من إنجاز جماعة الإخوان المسلمين الراشدة التي لها الفضل سابقاً ولاحقاً بكل عمل أو مسعى أنجزناه، وأقدمنا عليه، وإن لهذه الجماعة فضلاً على الأفراد والجماعة والمجتمع، لا ينكره إلا جاحد، أو مضيء للجميل.

الملحوظة الخامسة: مواجهة المستجدات والمتغيرات والمعطيات والأحداث الطارئة، بفهم عميق، وإدراك دقيق، وإحاطة تامة، لمواجهتها بما ينبغي من مرونة وتكيف، مستلهمن ذلك من ثوابت عقيدتنا، وأحكام شريعتنا، والحكمة في كل تصرفاتنا وموافقتنا، والقرارات المتخذة من قيادتنا، وفي السيرة النبوية حلول لكل ما واجهه المجتمع الإسلامي الأول بقيادة الرسول ﷺ في معالجات مرنة، وحكيمة، ففي صلح الحديبية خرج الرسول ﷺ من المدينة على رأس ما يقارب ألفاً وخمس مئة معتمر من أصحابه في رحلة تعبدية خالصة، لكن قريشاً حالت دون ذلك، ومنعهم من دخول مكة والطواف حول الكعبة، غير أن رسول الله ﷺ وصحابه الكرام أصرروا

على أداء العمرة، ونزلوا على أرض الحديبية على بعد ٢٥ كم من مكة، وبايعوا رسول الله ﷺ على الموت والاستشهاد تحت الشجرة في أعلى درجات الاستعداد لمواجهة قريش، ولاسيما بعد أن أشيع أن عثمان بن عفان الذي أرسله رسول الله ﷺ لتفاوضة قريش قد قتل أو اعتقل، وعندما عاد عثمان، وحضر سهيل بن عمرو مندوباً عن قريش، اتفق الطرفان على تأجيل الزيارة إلى عام قادم، وتم توقيع صلح الحديبية الذي ظن بعض الصحابة، ومنهم عمر بن الخطاب أن فيه تساهلاً من المسلمين مع القرشيين، وحيفاً في حقهم، ثم أدركوا فيما بعد حكمة الرسول ﷺ وبُعد نظره وما حقيقه الصلح من مكاسب لل المسلمين .

في مثال صلح الحديبية رأينا كيف واجه المسلمون بقيادة سيدنا رسول الله ﷺ المواقف والمتغيرات ، وما طرأ من مستجدات، مرت بثلاث مراحل: السفر إلى مكة لأداء العمرة، ثم رفع الاستعداد إلى أعلى مستوياته عندما بايع الصحابة نبيهم ﷺ على الموت، ثم التوقيع على معاهدة يدو التساهل في بنودها كما ظنَ البعض، وهي كما أثبت الواقع، وكما جاء في القرآن الكريم فتح الفتوح في العهد النبوي إذ اعترفت قريش لأول مرة بكيان المسلمين ، ووقعت معهم معاهدة هدنة وأتاحت للمسلمين نشر الدعوة في الجزيرة العربية، واستقبال الوفود من أرجاء الجزيرة، ومخاطبة ملوك الأرض، ودعوتهم إلى الدخول في الإسلام .. إلخ مما جعل المعارضين يشعرون بالندم، ويتوبيون إلى الله على موقف طارئ وقفوه تجاه صلح

. الحديبية .

أ- بعد مباحثات ومراجعات مع العراقيين طال أمدها، خصصت لنا إذاعة المعارضة ركناً باسم صوت المجاهدين، مدته ساعة في كل يوم، وكان تردداته قوية يغطي مناطق العراق ولبنان والأردن وسوريا وفلسطين، وكانت مناهجه وبرامجه والكلمات التي تلقى عبره: إخوانية صرفة، في استنهاض هم المسلمين في مواجهة أعداء الإسلام، ولاسيما الصهاينة المعتدلون، وكان لذلك تأثير كبير في الأرض الفلسطينية المحتلة كما علمنا ذلك من أبناء الضفة والقطاع الذين كنا نلتقيهم في البلاد الأوربية والقاربة الأمريكية التي كانوا يذهبون للدراسة في جامعاتها، كما ترك هذا الركن أثراً إيجابياً في الشمال العراقي بين الأكراد ذوي الاتجاه الإسلامي .

لقد استمر هذا الركن ثلاث سنوات، حتى جدت أحدهات في بلادنا وفي المنطقة كلها، ذكرنا بعضها الذي أضعف موقفنا تجاه العراقيين، فانخفض صوت الإذاعة المخصصة للمعارضة، ومعها انخفض صوت المجاهدين، قبل أن تتوقف الإذاعة كلياً في ظروف بالغة القسوة والتعقيد .

ب- في المؤتمر الإسلامي الشعبي الذي أراد له الرئيس العراقي أن يكون همزة صلة مع بلدان العالم الإسلامي، فمنحه صلاحيات واسعة، وتبرع بتكاليف ألف طالب ثم رفع العدد إلى ثلاثة آلاف طالب من العالم الإسلامي يدرسون على نفقة في العراق: علوم الشريعة واللغة العربية، كما سمح للمؤتمر أن يوجه الدعوات إلى

شخصيات إسلامية ذات وزن وشهرة من دول العالم الإسلامي، وأن تشكل وفود لزيارة الدول الإسلامية، وكان من صلاحيات المؤتمر إقامة مؤتمرات شعبية واسعة في العراق، تُقدّم منها ستة مهرجانات كبيرة في الموصل وبغداد والرمادي والنجف والبصرة وفي الشمال، حضرتها أعداد كبيرة من مختلف الأطياف العراقية، وكانت الدعوة فيها إلى الإسلام واضحة وصريحة، حتى طغى هذا النشاط على نشاط الحزب الحاكم بصورة ملموسة.

تناوب على منصب الأمين العام للمؤتمر الإسلامي: بشار عواد، وعرفان عبد الحميد، وعبد الرزاق السعدي، وعبد اللطيف هميم، وكانت ميزانية المؤتمر كبيرة في أيام المؤتمر الأخيرة، لتغطي كل مناحي النشاط في الأسفار، وفي المؤتمرات، وأخيراً إصدار مجلة: المفكر المسلم، كلفت بالإشراف عليها، فصدر منها سبعة أعداد مليئة بالمقالات والبحوث والدراسات الإسلامية، كان منها التعريف بشخصيات كبيرة توليت دراستها ونشرها في المجلة، كان منها: أبو الحسن الندوبي من الهند، ومحمد أمين الحسيني من فلسطين، ومحمد الحامد من سوريا، ومحمد ناصر من أندونيسيا، وقد جاء ذكر الإمام البنا الصديق الحميدي للشيخ محمد الحامد، ونبذة عن حياته وإنفاقه واستغرقه في الدعوة الإسلامية التي وهبها وقته وقلبه وعقله، فانتشرت في مصر، وفي الوطن العربي والعالم الإسلامي، وقد حضر الشيخ إبراهيم النعمة كبير علماء الموصل إلى مقر المؤتمر في الأعظمية، فالتقاني وعائقني قائلاً: ما كنت أتصور صدور مجلة

إسلامية في العراق تتحدث عن الدعاة الكبار، ولاسيما الإمام الشهيد حسن البنا طيب الله ثراه، حتى رأيت ذلك وقرأته بعيني في مجلة المفكر المسلم، فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

أضحت مقر المؤتمر الإسلامي الذي كنت الأمين المساعد له للشؤون الفكرية والثقافية والإعلامية، مقصوداً في الزيارات واللقاءات والندوات (في مقره الجديد الذي بُني خصيصاً كمقر للمؤتمر) من شخصيات عراقية تمثل كل المذاهب والأطياف من أكاديميين وشيوخ من السنة والشيعة، وضيف من البلاد العربية والإسلامية، تؤمّن المؤتمر الذي كان يتعجّب بالنشاط دون توقف.

وفي تقديري وكما رأيت فإن المؤتمر كان مؤهلاً لتأدية دور كبير في نشر الدعوة، وفي إقامة صلات وثيقة في أقطار العالم الإسلامي لو لا هذه الحرب الخليجية المشؤومة التي دمرت كل شيء بعد دخول الجيش العراقي إلى دولة الكويت الشقيقة.

جـ- في هذه الفترة الكئيبة ورغم قسوة الظروف: تحقق أمران مهمان، ألمحت مسبقاً إلى أحدهما، وهو إصدار عفو عن مجموعة الإخوان التي حاولت أن تنشئ تنظيماً وكان قد صدر حكم الإعدام على خمسة منهم، فأثمرت المساعي الحميضة بفضل الله وتوفيقه إصدار العفو عنهم، وخروجهم من سجونهم، وقد مر معنا من قبل تفصيل ذلك.

أما الأمر الثاني، فإن العراق كان قد أغلق في وجوه الإخوان كثيراً من الأبواب التي كانت مفتوحة على مصراعيها، ولاسيما الجامعات

التي توقفت -بتوجيه قيادي- عن قبول الإخوان في كلياتها، وفي الدراسات العليا على وجه الخصوص، جراء موقف الإخوان التي مر ذكرها.

ووجدت أن هذه السياسة العراقية تجاه الإخوان سوف تلحق ضرراً كبيراً بشباب الجماعة دونما ذنب اقترفوه أو خطأ فادح ارتكبوه، فاضطررت إلى التحرك لدى المسؤولين في مكتب النائب، وفي المكتب السوري، محتاجاً على حرمان أبنائنا من فرص الدراسة وهم أهل لها خلقاً وتفوقاً، وبعد جهود حثيثة، فتح الباب بشكل محدود إذ تم قبول ستة للدراسات العليا عام ١٩٩٥، وفي عام تالٍ تم قبول خمسة عشر طالباً في جميع الاختصاصات، واستمر هذا الأمر حتى مطلع العام ٢٠٠٣ قبيل الحرب بأسابيع بمعدل سبعة عشر طالباً في كل عام، وكانت جميع الأسماء من أعضاء الجماعة الذين استلمت أوراقهم من مكتب الطلاب بواسطة الأخ أبي حازم، حتى بلغ عدد الذين تم التحاقهم في الدراسات العليا في بغداد حوالي ١٢٥ طالب ماجستير ودكتوراه، تخرجوا أو تخرج معظمهم، وعملوا أساتذة ومدرسين في جامعات اليمن، وال سعودية، ودول الخليج، والأردن بفضل الله وعونه وتوفيقه، بل إن بعضهم -وهم قلة- أكمل دراسته وحمل شهادات الدكتوراه بعد احتلال العراق في ظروف قاسية وأخطار محدقة رعيبة.

وفي ختام هذا المبحث الذي لو توسيع بتفاصيله لاحتاج إلى مجلد، أسجل شهادة يسألني الله عنها: أن ما رأيناه ولمسناه في

العراق، وما قدم لنا خلال العقددين الأخيرين من القرن العشرين من دعم على كل الصعد، (نعجز عن سداده) دونما شرط أو مقابل أو طلب، فجزى الله العراق وأهله خير الجزاء وفرج كربتهم وكتب لهم النصر وال توفيق.



التجربة الثالثة

مع اليمن الشقيق

كان اليمن وما يزال مصدر خير وبركة مذ حظي بدعاء رسول الله ﷺ له بقوله: اللهم بارك لنا في شامنا ويمتنا، ومذ بشره الرسول المعصوم بأن الإيمان يمانٌ والحكمة يمانية، وهذا ما لمسناه في لقاءاتنا مع اليمنيين، وما لمسناه في زياراتنا لأرضه وشعبه على مدى عدد من السنين.

١- كان كبير دعاء اليمن الشيخ عبد المجيد الزنداني حفظه الله وببارك في جهوده الكبيرة والمثمرة على مختلف الصُّعد، كان يقيم لفترة طويلة، متقطعة ومستمرة في السعودية، وعلى أرض الحجاز، وشاء الله تعالى أن يتعرف على الشيخ سعيد حوى رحمه الله في مدينة سيدنا رسول الله ﷺ ويطلع على جهوده في الكتابة والتَّأليف، ووضع المناهج التَّربوية التي يقدمها للأجيال الصاعدة في الوطن العربي، وفي البلاد الإسلامية، فتوثقت العلاقة بين الشَّيخين الكبيرين، وأعجب الشيخ الزنداني بما خطه يراع الشيخ سعيد من كتابات مفيدة وبرامج عديدة، وبحوث شملت جوانب منوعة من

الفكر والفقه والدراسات القرآنية والستة النبوية، وفي حقول التربية والتزكية وتهذيب النفوس.

حمل الشيخ الزنداني، أجزل الله له الأجر، ما وصل إلى يده من كتابات الشيخ سعيد حوى رحمه الله إلى بلده اليمن، واتخذ منها مصدراً ومنهاجاً لتنظيم الإخوان المسلمين الذي أقامه وشيده الشيخ الزنداني مع عدد من إخوانه المقربين منه والمعاونين معه من أمثال: الشيخ ياسين عبد العزيز، ومحمد اليدومي، وعبد الوهاب الآنسى، وعبد الرحمن العماد، فحلت بالتنظيم الناشئ ببركات اليمن، ليصبح تنظيم الإخوان على أرض اليمن السعيد ملء السمع والبصر، ول يكن ثمرة وامتداداً لما قدمه أبناء الشام أو أحد أبنائهما، لنعم البركة القطرین اللذين حظيا بدعاوة سيدنا المصطفى ﷺ: اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا.

ملأ هذا التنظيم الإخواني العتيد أصقاع اليمن، وانتشر في ساحاته، وفي كل مجالاته السياسية والتربوية والاجتماعية، حتى لم يعد تجاهله ممكناً في الانتخابات والحكومات والمرافق الأخرى، وهو الذي ضم تحت عنوان: التجمع اليمني للإصلاح: كبار شيوخ القبائل، وعلماء الدين، وطيفاً واسعاً من المثقفين وطلاب الجامعات، والقبائل المنتشرة في جبال ووهاد اليمن وأعمق أصقاعها.

-٢- وجد الإخوان السوريون فيما أصابهم من كوارث على أيدي حكومة الأقلية في سورية، في اليمن ملذاً وأمناً كالذي وجده في

الأردن والعراق الشقيقين قبل ذلك، وفي نفس الفترة من السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي.

وجدوا صدور إخوانهم اليمنيين مفتوحة على كل المستويات، فقد حظي قادة الإخوان السوريين باستقبال الرئيس اليمني لهم في مناسبات عديدة، وكانت أحد الذين التقاهم السيد الرئيس لساعة وثلث الساعة في حديث ودي وأخوي تضمن أفكاراً وآراء مفيدة، فيما يتعرض له السوريون من نكبات وكوارث من الحكومة الطائفية في دمشق.

كما استقبلنا مراراً وتكراراً الشيخ عبدالله حسين الأحمر شيخ مشايخ قبيلة حاشد ذات الثقل القبلي الكبير، ورئيس البرلمان لدورات عده، وأحد كبار الشخصيات والزعamas الوطنية في اليمن، ولمسنا منه المودة والتعاطف فيما أصابنا من ضر وابتلاء.

-٣- كانت اليمن تعاني من معارضة الشيوعيين واليساريين في اليمن الجنوبي، ومن عاصمتها عدن، والذين امتد تأثيرهم إلى اليمن الشمالي بالتعاون مع اليساريين في الشمال من أمثال عبد الفتاح إسماعيل الذين كانوا أشد تطرفاً في شيوعيتهم من بعض زعماء الدول الشيوعية، وكانت الحكومة السورية تحضن هذه المعارضة التي تشن هجماتها على حكومة صنعاء، وتقوم بأعمال التخريب والتدمير في أنحاء اليمن الشمالي وفي أطرافها بتوجيه من مكتبهما في دمشق الذي تغذيه وترعاه وتسانده حكومة الأقلية السورية.

بالمقابل تحرك تنظيم الإخوان المسلمين في اليمن بالتعاون مع

شيخ الإسلام، وشيوخ القبائل، وشكلوا قوة عتيدة تصدت للزحف الشيوعي الذي يتحرك من الجنوب بمساندة عناصر يسارية من الشمال، فكسرروا شوكتهم، وقلصوا ساحتهم، وردوهم خائبين، ثم شكل الإخوان وحلفاؤهم جيشاً شعبياً بجانب الجيش الرسمي، وما زال الجيشان يتقلان من نصر إلى نصر، حتى توجت انتصاراتهم بضم عدن والجنوب كله في أوقات لاحقة إلى الشمال، ليرى العرب أول وحدة يمنية ضمت الشمال والجنوب في دولة اليمن العتيدة الكبرى، فخاب أمل الشيوعيين، وأمل الطائفيين الذين دعموا الشيوعيين وساندوهم، وخاب أمل بعض العرب الذين وقفوا مع شيوعي عدن وزودوهم بالمال والسلاح، ودعموهم بكل أسباب الدعم، فخابت آمالهم الحثيثة والخسيسة، وقد خاب من حمل ظلماً.

٤- أنشأ الإخوان والعلماء وحلفاؤهم المعاهد العلمية الدينية في كل أرجاء اليمن وأصقاعه على أساس يغلب عليها الطابع الشرعي، فأقبل عليها أبناء اليمن الذين يحرض ذووهم على تنشئتهم نشأة إسلامية، وتزوديهم بعلوم الشريعة الغراء، فبلغ عدد المتممرين إلى هذه المعاهد مئات الآلاف، وكان للمعاهد استقلال مالي وإداري وكأنها وزارة للتعليم قائمة بذاتها، واستمر الحال هكذا سنوات حتى انتهى أمرها إلى الاندماج في وزارة التربية بصيغة اتفق عليها المعنيون جميعاً بشأن التعليم الرسمي، و شأن المعاهد الدينية التي أدت واجباً كبيراً، فعمت الثقافة الشرعية والعلوم الإسلامية أرجاء اليمن وأصقاعه، والذي يعنينا من أمر هذه المعاهد إبان نشأتها واستمرارها لسنوات:

أنها فتحت أبوابها لأبناء الإخوان المسلمين السوريين، فوجدوا في رحابها وساحتها الإدارية مجالاً فسيحاً للعمل والتوظيف والدعوة، فاستوعبت منهم مئات المدرسين والإداريين، فأفادوا واستفادوا في ظروفهم القاسية، الأمر الذي ساعد على تكوين تنظيم عتيد للإخوان المسلمين السوريين في اليمن السعيد، كما تركوا أثراً كبيراً في متنبي المعاهد، كما يصرح بذلك قادة العمل الإسلامي في اليمن، وقد سمعنا ذلك منهم.

وقد لاحظ القادة المعنيون بالشأن اليمني أن المناطق التي غالب على أبنائها خريجو المعاهد تشهد هدوءاً واستقراراً، تفتقر إليه مناطق يمنية أخرى.

٥- ومن الأعمال الجليلة التي قدمها اليمن الرسمي: تخصيص عدد من المقاعد الجامعية بمعدل خمسة وعشرين مقعداً في كل عام شملت كل الاختصاصات العلمية والأدبية، كانت مرشحة للزيادة، فتخرج أبناء الجماعة في الجامعات اليمنية، وحملوا الشهادات الجامعية والتخصصات العالية، وما تزال كليات الجامعات اليمنية تضم أعداداً من أبناءأعضاء جماعة الإخوان المسلمين السوريين الذين وجدوا في اليمن الشقيق ملذاً لأمنهم، وأمكانه لأعمالهم ووظائفهم، ومقاعد جامعية ودراسات عالية لأبنائهم.

علاوة على ذلك فقد خص اليمن أبناءنا بإقامة خمس سنوات، على أرضه وهي لغيرهم لا تزيد على ثلاثة سنوات بأي حال، كما ساوي في الدراسات العليا بين إخواننا وبين اليمنيين في تكاليف

الدراسة، وفي بعض الأحيان كان يعفيفهم منها، فهل يستطيع إنسان وفيّ أن ينسى هذه الأيدي البيضاء التي امتدت بالخير والمعروف لأعضاء تنظيمنا على مدى خمس وعشرين سنة بفضل الله أولاً، ومن ثم بفضل إخوتنا اليمنيين في التجمع، وفضل المسؤولين وعلى رأسهم الرئيس اليمني علي عبدالله صالح، فجزى الله الجميع خير الجزاء، وأثابهم على أفضالهم وحفظهم من كل سوء، وألهمهم وهداهم إلى كل ما يرضي الله تعالى في العاجلة وفي الباقية.

ولا يفوتنا في نهاية هذه الفقرة أن نسجل أن كثيراً من أبناء الجماعة الذين أغلقت الجامعات في دول الخليج أبوابها في وجوههم، انتقلوا إلى اليمن، أو أرسلوا أبناءهم إليها، ليجدوا البديل والعوض بما فاتهم في أقطار عربية أخرى، كما وجد من قبل ومن بعد حملة الدكتوراه الذين تخرجوا في جامعات ومعاهد العراق بال什روط وظائف لهم في الجامعات اليمنية، فشغلوا فيها كراسيا جامعية مرموقه، وأضحووا من الأساتذة اللامعين والدكتورة المشهورين في عداد أساتذة الجامعات اليمنية، ومن مدرسي طلاب الماجستير والدكتوراه والدراسات العليا، والمشرفين على الذين يحضرون لحمل الشهادات العليا.

٦-رأينا في نطاق البحث عن الصلة بالعراق، ما فعله اليمنيون غيره على العراق، وخشية من الكيد الصهيوني ضده، وفي هذه الفقرة أعود إلى الموضوع ذاته لإيراده في البحث عن صلتنا باليمن الشقيق، والذي يعتبر من إنجازات اليمن التي لا تنسى، ومن الأعمال الوطنية

التي تدل على غيرة اليمنيين على أبناء الشعب العربي في أي قطر من أقطاره، سواء أكان قريباً من اليمن أم بعيداً عنه.

لقد طلب مني ذات يوم كبير قيادي تنظيم الإخوان اليمنيين وأنا في منزله في صنعاء أن أحمل رسالة عاجلة إلى القيادة العراقية، إذ تلقى إخوان اليمن من إخوانهم في سفارة اليمن في باريس وثيقة خطيرة حول ما تبيته إسرائيل لضرب العراق أو ضرب مؤسسات ذات طبيعة عسكرية وأمنية واقتصادية على أرضه.

فقد خطط الصهاينة لضرب العراق، أن يتحرشوا بالأردن، ويفتعلوا معه صداماً، سوف يهب العراق لنجدته، كما هي طبيعة العراقيين، فيكون في ذلك مدعاه أو ذريعة لشن هجمات جوية على الأهداف التي قرروا تدميرها.

طلب مني قائد الإخوان في اليمن تسليم هذا المخطط إلى القيادة العراقية بالسرعة الممكنة، ليحيط العراق علمًا بما يبيت له من تأمر وكيد، فعدت على جناح السرعة إلى بغداد، وطلبت لقاءً مع نائب الرئيس لأслمه الرسالة المكتوبة التي بعث بها كبير إخوان اليمن إلى العراق ليتجنبه ما يخطط له العدو الصهيوني.

قلت للسيد النائب: هذه الوثيقة أحملها إليك من إخوتنا اليمنيين، أضعها أمامك كما استلمتها دون أن أحدث فيها أي زيادة أو نقصان أو إضافة أو تعليق، بل هي كما حملتها من صنعاء، لتدبروا أمركم حيالها، فنظر فيها مليأ، وأطال النظر لدقائق، مع أن قراءتها لا تستغرق أكثر من دققتين بالقراءة المستأنفة، ثم تناول ورقة وكتب

عليها بيده اليسرى كلمات لم أرها، ولا أعرف مضمونها، ووضعها في غلاف رسمي موجود على مكتبه، وقع الجرس، وسلم الغلاف بصمت إلى مراسله.

بعد لحظات قطعت الصمت، وسألت النائب: ألا ينبغي أن يطلع الرئيس على محتوى الوثيقة؟

فأجاب على التو: لقد استلمها وأضحت بين يديه وعلى مكتبه.
فلذلت بالصمت، ولم أزد على ذلك شيئاً.

وأرى من الواجب أو المفيد إيراد نص الوثيقة كما هي في نطاق البحث الخاص باليمن وإنجازاته، وصلتنا الوثيقة معه.

سري للغاية

تدمير العراق هدف استراتيجي مشترك لإسرائيل وأوربا الموحدة: أفاد أحد مصادرنا بفرنسا نقاً عن أحد ضباط المخابرات الفرنسية، ويدعى المسيو أوديان أن هناك هدفاً استراتيجياً تسعى كل من إسرائيل وأوربا الموحدة إلى تنفيذه، وهو تدمير القوة العسكرية العراقية، وأفاد بالحرف الواحد أن هناك شيئاً ثقلياً يرتب للعراق، ولن يترك مستقرأ، أما البروفيسور جون دنكون -عميد كلية العلوم بجامعة ليون- أحد أقطاب اليمين الفرنسي وصديق حميم للمسيو أوديان- فقد أفاد بأن سيناريو تنفيذ الهدف سيمضي على النحو التالي:

سيمضي جورباتشوف بتغذية التحولات الجارية في الاتحاد السوفيaticي، وفي أوربا الشرقية، وذلك لتهيئة الأجواء لتوحيد الاتحاد

السوفياتي مع أوربا الشرقية، وكذلك مع أوربا الغربية، وبمعنى آخر فإن الاتحاد السوفياتي يسعى لابتلاع أوربا كلها بشقيها الشرقي والغربي – وذلك بالتعاون مع قيادات الماسونية العالمية- وفي نفس الوقت سيقوم الاتحاد السوفياتي بتهجير خمسة ملايين يهودي إلى فلسطين المحتلة.

- يروي هذا نقاً عن زاخاروف عالم الذرة السوفياتي المنشق - .

بعد قيام أوربا الموحدة في 1-1-1993 ، ستكون إسرائيل قد أكملت كل الاستعدادات العسكرية، وذلك بالتنسيق مع أوربا الموحدة (وربما مع الاتحاد السوفياتي وأوربا الشرقية).

وذلك من أجل اجتياح الأردن، وبعد إكمال عملية الاجتياح، ستقوم إسرائيل بتهجير عرب الضفة الغربية وقطاع غزة إلى الأردن المحتل، وبالطبع فإن العراق سيتدخل إزاء الاجتياح الإسرائيلي للأردن حيث ستقوم إسرائيل بتوجيه ضربة قاصمة للعراق، تستهدف مراكز الصواريخ، والقواعد العسكرية، والصناعات العسكرية، والبنية الاقتصادية دون اجتياحها. وأضاف البروفيسور جون دنكون: بأن أوربا الموحدة وإسرائيل لن يتراكما العراق الذي يمثل أقوى دولة عربية في مواصلة صناعاته العسكرية خاصة في مجالات الصواريخ وصولاً إلى الصناعات الذرية، وسوف يتم تدمير ذلك عن طريق حرب تدميرية شاملة تبدأ مع بدايات 1993 ، وربما يتأخر تنفيذ ذلك الهدف سنة أو سنتين لكن لن يتأخر عن عام 1995 » .

وأياً كان هذا الرأي بهذه الوثيقة والتسليم أو عدم التسليم بكل

فقراتها، فقد أوردتها كما هي، إبرازاً لموقف اليمن النبيل من جهة، وتحذير العراق على وجه السرعة من جهة أخرى.

٧- بعد أن ضيق الخناق على تنظيم الإخوان السوريين كيلا يستطيعوا عقد اجتماعاتهم والتقاء مؤسساتهم، ولاسيما مجلس الشورى، وجدوا على أرض اليمن السعيد متسعًا، فعقدوا اجتماعات مجلس الشورى لفترة حفقت لهم ما يريدون من سنّ أنظمتهم، واتخاذ قراراتهم، واستمروا على ذلك رحراً من الزمن، إذ قامت جهات عربية بتحريض اليمنيين لمنعهم الإخوان السوريين من عقد مجلس الشورى على أرضهم، فلم يشا الإخوان إخراج إخوة اليمن والمسؤولين فيه بعد أن لمسوا منهم كل تأييد ودعم، ولم تعيَ جماعة الإخوان المسلمين أن تجد البديل في ملاذات أخرى، لتابع مسيرتها بصبر وثبات واتكال على المولى جل جلاله وتبارك أسماؤه وصفاته، فالحمد لله دائمًا وأبدًا والحمد لله الذي تم بفضله الصالحات أولاً وأخرًا.

وإن خير ما أتم به هذه الفقرة عن صلاتنا بالقطر اليمني الشقيق: هو ما بدأت به من قول رسول الله ﷺ: الإيمان يمان والحكمة يمانية، قوله ﷺ: اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا، وكلنا أمل وثقة أن تستمر البركة في ربوعهما وعلى شعبيهما بирكة دعوة سيدنا النبي الخاتم ﷺ.



التجربة الرابعة

مع المملكة العربية السعودية الشقيقة

انتقل الآلوف من شباب الجماعة وعائلاتهم إلى رحاب المملكة السعودية ليجدوا الأمن والأمان في ربوعها والعمل في أنحائها، كما وجدوا تعاطفاً كبيراً من شخصيات سعودية مشهود لها بالتمسك بأهداب الإسلام والغير عليه وعلى أبنائه، وعمل المعروف وبذل الخير، ومد يد المساعدة إلى كل من يعاني من ضائقه في داخل المملكة وفي خارجها، فوقف كثير من هؤلاء مع السوريين في محنتهم، وتآلموا لألمهم، ولما أصحابهم في سبيل الله من كيد الحاقدين، وكان على رأس هؤلاء وفي مقدمتهم سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمة الله وأجزل له المثوبة.

كان رحمة الله يوجه النداء تلو النداء يناشد فيه المسلمين من داخل المملكة وفي خارجها أن يقفوا مع السوريين في نكبتهم التي أحقها بهم حكم الأقلية الذين اغتصبوا السلطة في دمشق ونفشو أحقادهم الطائفية ضد الشعب السوري المؤمن ولاسيما المتدينون منهم.

١- فتحت الجامعات الرسمية في جميع التخصصات أبوابها لأبناء سوريا المهجرين في المدينة المنورة، وفي مكة المكرمة، وفي جدة وأبها والمدن السعودية الأخرى، فأتاح هذا الموقف النيل لأبناء جماعة الإخوان السوريين، ولغيرهم من المطاردين في عقidiتهم أن يكملوا دراستهم، ويحملوا الشهادات الجامعية، ويحصلوا على الوظائف الرسمية وغير الرسمية، وكان أشد السعوديين المرموقين تعاطفاً في إفساح المجال في التعليم الجامعي وغيره، الأساتذة الشيوخ: عبد الله عبد المحسن التركي، وعبد الله نصيف، ومحمد عمر الزبير، ومحمد عمر جمجمو، وأصحاب الأمير عبد الرحمن: نايف وسعود الشعلان وغيرهم كثيرون.

٢- استقبلنا الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية أكثر من مرة في مكتبه في الرياض وجدة والطائف، وزرناه ذات يوم بصحبة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة والدكتور حسن هويدى رحمهما الله في الطائف بترحاب كبير وودة ظاهرة، ويسرا لنا أمور الإقامة لعدد كانوا قد وجدوا صعوبة في الحصول عليها، فاستقام أمرهم، واستقر حالهم في سكناتهم وفي أعمالهم وتجارتهم، كما استقبل خادم الحرمين الشريفين الملك الأخ الشهيد أمين يكن بمسعى من بعض الإخوان الكبار كالدكتور معروف الدوالibi رحمهم الله جميعاً، كما لمسنا تعاطفاً من الأمير عبد الله بن عبد العزيز -ولي العهد إذ ذاك- واستقبل بعضاً من المحسوبين على الإخوان المسلمين.

٣- كانت مناسبات الحج والعمرة فرصاً ثمينة للالتقاء بإخواننا من

جميع الأقطار، ولعقد اجتماعات لهيئاتنا ومجالستنا، وحلَّ الكثير من معضلاتنا، ومقابلة شخصيات سعودية كثيرة، متعاطفة معنا، وداعمة لنا في محتتنا، وزيارة رجال سعوديين، عرفوا بالفضل والخير، وما أكثرهم في أرض الحرمين الشريفين.

إن بركات الحرمين الشريفين كانت -وما زالت- بسلاماً لجروحنا، وعزاءً كبيراً لما لحق بنا من ضر، وأصابنا من مكره.

استمر حالنا مع المملكة العربية السعودية، دخولاً وخروجاً، وإقامة ومزاولة للوظائف والأعمال، حتى امتدت الضغوط لملاحتنا، فتقلصت الفرص، وضاقت السبل، وأغلقت الجامعات أبوابها في وجوه طلابنا إلا قليلاً، غير أن هذا لم يؤثر في إقامتنا على علاقتنا الحسنة بالحكومة، ولا بالشخصيات السعودية الداعية والمرموقة، ولم تnel من الأمن الذي نعمنا به على أرض البقاع المقدسة وما حولها، كما هو حالنا في العراق الشقيق، وفي المملكة الأردنية الهاشمية الشقيقة، وفي الجمهورية اليمنية الشقيقة سواء بسواء.



التجربة الخامسة

مع منظمة التحرير الفلسطينية

كانت علاقتنا مع منظمة التحرير الفلسطينية متشابكة ومعقدة، وذات أهمية بالغة، تستدعي بحثاً مطولاً خاصاً بعلاقة المنظمة مع العراق التي مر ذكرها في صفحات سابقة، وفي بحث المساعي التي قمنا بها بين العراق والمنظمة، فلا حاجة لتكرارها، ألا وهي المصالحة بين العراق والمنظمة التي استحالت من عداوة إلى صداقة، ومن جفاء مستحكم إلى تعاون وثيق، وهذا ما لا ضرورة لنا في بحثه، لأنه ورد مفصلاً عبر الحديث عن علاقة المنظمة بالقيادة العراقية، كما لا أجد حاجة للبحث عن الصلة بالمنظمة، وكيف تمت العلاقة مع السيد ياسر عرفات لتناولنا لها كذلك في ما سبق.

- ١ - في ٢٢-١٠-١٩٨٤ تم لقاء في بغداد ما بين السيد ياسر عرفات، وثلاثة من أعضاء المكتب السياسي للتحالف وهم: الفريق أمين حافظ، والأستاذ شibli العيسوي، وكاتب هذه السطور، وقد تميز هذا اللقاء عن سابقيه بأنه كان صريحاً واضحاً وجاداً، فبعد ساعات من أحاديث المجاملة من كلا الفريقين، طُرح سؤال مؤداه:

متى ننتهي من هذه اللقاءات التي تبدأ بالإعلان عن ضيق الوقت، وأن
أبا عمار ليس لديه أكثر من ساعة سيعادرنا بعدها إلى سفر بعيد؟

فأجاب عرفات: حددوا أنتم الوقت الذي يناسبكم لأحضر إليكم دونما إعلان، لنجلس وقتاً كافياً، مهما كان طويلاً، لنضع استراتيجية التعاون، وأشارك فيها ببني، ضماناً لعدم تسرب أي شيء عن هذه المرحلة.

وهكذا وضع عرفات الكرة في مرمى التحالف، وإن أي تقدير في هذه العلاقة سوف يتحمل التحالف أو الأحزاب المشتركة فيه مسؤوليتها.

إن محصلة الأحاديث التي وردت في لقاء الثاني والعشرين من تشرين الأول عام ١٩٨٤ كما وردت على لسان رئيس المنظمة هي:

١- إن حالة الركود التي يعاني منها النظام السوري بلغت حد الانهيار الاقتصادي، بل وصلت حافة الإفلاس لأن عدداً من الدول تعتبر سورية مفلسة، وترفض التعاون مع البنك المركزي بهذا الاعتبار.

ب- ثمة تدمير كبير في أوساط الجيش المغلوب على أمره، فمحاصرتنا في طرابلس كشفت عن ذلك، فكثيراً ما كان ضباط الجيش يحدروننا قبل مباشرتهم قصفنا، كي نتجنب وابل قذائفهم ولو كانوا جادين في قصفهم لدمروا المدينة، وقضوا علينا، وبعض الضباط الذين تعاطفوا معنا هم الآن في غياب السجون، لتحذيرهم

لنا، فالصراع في سوريا ما زال على أشده، وإذا كان حافظ أسد قد كسب الجولة فيه، فإنه لم يحسمه بعد لصالحه.

جـ- شكا عرفات من وضع الجزائر، لأنها نقضت ما تعهدت به، وترجعت عن التزاماتها حيال منظمة التحرير الفلسطينية مقابل وقوف سوريا مع الجزائر في صراعها مع المغرب من أجل الصحراء.

بعد هذا اللقاء بثلاثة أسابيع وردت برقيةان من عرفات إلى مكتب المنظمة في بغداد، يوجه فيها الدعوة إلى محمد الجراح وإلى أبي عامر لحضور المجلس الوطني في عمان مع شخص آخر يختاره كل منهما للمشاركة في جلسات المجلس، فعقد المكتب السياسي جلستين طارئتين، اتخذ فيما عدداً من القرارات منها:

- قبول الدعوة والمشاركة في جلسات المجلس، والاستعداد للسفر إلى عمان.

- زيارة مكتب المنظمة للاستفسار عن نقاط حول الدعوة والمشاركة، وظروف السفر والإقامة وغير ذلك.

دـ- طرح الإخوان فيما بينهم أسماء الأشخاص الذين تختارهم قيادة الجماعة، أحدهم ليكون رفيق أبي عامر في سفره، فوق الاختيار على الأخ الأستاذ عبد الله الطنطاوي، فتوجه إلى عمان، وتبعه أبو عامر في اليوم التالي.

هكذا نستطيع القول: إن العلاقة بين المعارضة السورية من جهة، وبين منظمة التحرير الفلسطينية من جهة أخرى قد ازدادت رسوحاً،

وقطعت أشواطاً مهمة، سواءً أكان ذلك عبر التحالف الوطني لإنقاذ سوريا من جهة، أو بينما وبين المنظمة في علاقة ثنائية من جهة أخرى.

وقد تقدم أبو عامر لقيادة الجماعة بيان حول هذه المرحلة وتداعياتها وإنجازاتها في ١٩-١١-١٩٨٤، واختتمه بالقول المأثور: والحمد لله الذي بنعمته تم الصالحات.

-٢ - عقدت الدورة السابعة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني في ٢٢-٢٩ من تشرين الثاني عام ١٩٨٤، فكان الحدث الأكبر اكتمال النصاب القانوني للمجلس بحضور ٢٦١ عضواً من أعضاء المجلس الوطني من أصل ٣٨٤، توفي منهم ستة أعضاء، ويقيم أربعة في جنوب لبنان والضفة الغربية المحتلتين.

ومن الجدير ذكره أن بقية الأعضاء لم يحضروا جلسات المؤتمر معارضتهم لقيادة ياسر عرفات، أو لمعارضتهم لمكان انعقاد المؤتمر في عمان، أو للضغوط التي تعرضوا لها بغية منعهم من المشاركة في اجتماع المجلس الوطني، سواءً أكانت هذه الضغوط من قبل نظام حافظ أسد أو من قبل سلطات الاحتلال الإسرائيلي.

لقد تغيب كذلك عن المشاركة في المجلس: المنشقون عن فتح ومنظمة الصاعقة المحسوبة على النظام السوري، والجبهة الشعبية بقيادة جورج حبش، والجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين الموالية لموسكو قيادة نايف حواتمة، غير أن منظمة فتح التي تشكل ٨٠-٨٥٪ من المنظمة استطاعت أن تغطي هذا العجز في الغياب، فأعتبرت فتح أنها نجحت في تقويت فرصة المماطلة في عقد المجلس

بالنسبة للمنظمات المقاطعة .

أـ يجيء انعقاد هذه الدورة، والمنظمة تعاني من الانشقاق بعد معارك البقاع وطرابلس التي خاضها الفلسطينيون ضد بعضهم البعض، ولهذا قالت المصادر الفلسطينية: إن فتح ذهب إلى المجلس الوطني من أجل الحفاظ على الوحدة الفلسطينية، وبناء التحالفات في الساحة العربية، ومع كل هذه الخلافات فإن خالد الفاہوم الرئيس السابق للمجلس الوطني قال في مؤتمر الصافي الذي عقده في دمشق بتاريخ ٢١-١١-١٩٨٤: لن أوفق على قيام أكثر من منظمة تحرير واحدة موحدة، أما بسام أبو شريف فقد قال: إن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين لن تشارك في أي نشاط انشقاقي يستهدف عقد اجتماع مواز للمجلس الوطني الفلسطيني أو اختيار قيادة جديدة .

أما فلسطينيو الضفة الغربية فكان اهتمامهم الأكبر هو التخلص من الاحتلال الإسرائيلي، فإذا كان انعقاد المجلس في عمان ودعمهم لعرفات سيحققان هدفهم، فهم مع المؤتمر ومع عرفات .

لقد تعمد العدو الإسرائيلي منع عرفات من تحقيق النصاب المطلوب لثبتت شرعية الثنين، لكن أعضاء المجلس في الضفة الذين كانوا سجناء الممانعة الصهيونية، حيث أبلغتهم حكومة العدو أنهم إذا ما خرجوا لحضور اجتماعات المجلس الوطني، فلن يسمح لهم بالعودة، وبالرغم من تدخل جهات عديدة عربية وأجنبية، ظل العدو على رأيه .

في بداية المؤتمر ألقى عرفات رئيس المنظمة والقائد العام للقوات

الفلسطينية خطاباً أمام المؤتمر، فاستهله بالقرآن الكريم، وبمخاطبة الملك حسين والضيوف وأعضاء المجلس، فأكَد على عدة حقائق:

الحقيقة الأولى: هي الديمومة المستمرة لمنظمة التحرير بعد فشل التحالف الأمريكي الإسرائيلي وجميع القوى المعادية لشعبنا، فانعقد مجلسنا الوطني الذي هو قاعدة الشرعية للنضال الفلسطيني، وإطار السلطة العليا، لأكبر دليل، وأسطع برهان على أنه ما من قوة في العالم تستطيع تدمير منظمتنا أو تجاوزها.

الحقيقة الثانية: التي يؤكدتها انعقاد المجلس بعد كل الذي جابهناه من معوقات وضغوط استهدفت تعطيله ثم تأجيله في محاولة يائسة لشن المؤسسات الفلسطينية كلها، أن شعب فلسطين متمسك بحرية إرادته النابعة من موقف وطني متจذر في أعماقه، ومن إيمان لا يتزعزع بحق في صياغة قراره الوطني الفلسطيني المستقل على قاعدة الالتزام بقضايا أمتنا العربية ووحدة المصير.

الحقيقة الثالثة: هي الأصالة الديمقراطية في الساحة الفلسطينية، وأن إيمان شعبنا وكوادرنا ومقاتلينا في الثورة الفلسطينية لم يتزعزع، وهذا هو اجتماعنا اليوم ليؤكد هذه الحقيقة، ويعلن بكل العزم والحزم، بأن مجلس المنظمة ومؤسساتها الشرعية هي وحدتها المؤهلة لحل كل خلاف، والبت في أي قرار، أو أي اجتهاد.

بعد هذه الحقائق الثلاث تبقى حقيقة رابعة نستلهمها من انعقاد دورتنا هذه في عمان، ونقولها بصوت عالٍ: وهي أن ما يربط بين شعبينا الأردني والفلسطيني من أواصر القربي والأخوة والعروبة، وما

يجمع بينهما من وحدة المصير والهدف أقوى من كل ما يمكن أن تفرضه ظروف عابرة أو طارئة.

وأرجو باسمكم أن أتقدم من الأردن - ملكاً وحكومة وشعباً - بالشكر والامتنان لاستضافتهم هذه الدورة، كماأشكر الضيوف والأصدقاء الذين تكبدوا متاعب السفر ليكونوا معنا وحولنا.

إننا رغم التجربة المريرة التي خضناها في التصدي للاجتياح الصهيوني للبنان، والتي استمرت ٨٨ يوماً، ووقف إطلاق النار في ١٠-٦-١٩٨٢، لم نحاول التركيز على سلبية أي موقف عربي، بقدر ما ركزنا على الإشادة بتلك الملحمـة الأسطورية، في مواجهة أكثر من ثمانـي فرق عسكرية بما يعادل ٧٥٪ من الجيش الإسرائيلي، بجانـب قواتـه الجوية والبحرية، وحسبـنا التقرير الأمريكي الذي نشرـته جـريدة واشنـطن بوـست يوم ١٠-١٠-١٩٨٤ الذي كـشف عن جـزء هـام من الخـسائر الإـسرائـيلـية في هـذه الـحربـ، وـالـذـي اعـترـفـ بأن إـسرـائيلـ خـسـرـتـ في حـربـ لـبنـانـ ٤١٩ـ مـنـ إـصـابـةـ وـ٦١٢ـ آلـيـةـ، وـ٢٣ـ طـائـرـةـ وـ٣٤٠٠ـ قـتـيلـ، بـالـرـغـمـ مـنـ الـجـراـحـ الـتيـ أـصـابـتـنـاـ حـيـثـ فـقـدـنـاـ أـكـثـرـ مـنـ ٧٢ـ أـلـفـ شـهـيدـ وـجـرـيـعـ فـلـسـطـينـيـ وـلـبـانـيـ.

ولا شكـ أنـ التـحـالـفـ الـأـمـرـيـكيـ الـإـسـرـائـيلـيـ، وـقـدـ هـالـهـ أـنـ يـجـدـ الثـورـةـ مـسـتـمـرـةـ، قـرـرـ اـسـتـكـمالـ حـربـهـ عـلـيـنـاـ بـأـسـلـوبـ مـخـابـراتـيـ، اـسـتـهـدـفـ سـاحـتـناـ الدـاخـلـيـةـ وـوـحدـتـنـاـ الـوطـنـيـةـ، عـرـفـ مـاـ أـسـمـوهـ التـمـرـدـ دـاخـلـ فـتحـ تـحـ شـعـارـاتـ مـزـيفـةـ، ثـمـ جـاءـتـ فـيـ المـأسـاةـ الـمـوجـعـةـ فـيـ الحـصارـ المـزـدـوجـ فـيـ مـدـيـنـةـ طـرـابـلسـ، وـمـخـيمـيـ الـبـداـويـ وـنـهـرـ الـبـارـدـ، حـيـثـ

كانت إسرائيل تتصف من البحر، وبعض العرب -قوات حافظ أسد- تتصف من البر، يلتلون من حولنا في أول ظاهرة خطيرة من نوعها في مجرى الصراع العربي الإسرائيلي منذ بدأ هذا الصراع، فكانت المحصلة أكثر من عشرة آلاف شهيد وجريح، ورحيل ثانٍ عبر البحر في غضون عام واحد من الزمن، ثم بدأت حملة تشكيك وتشويه رهيبة، رفعت شعارات مزيفة، خدمة للمخطط التآمري الإسرائيلي الأمريكي وأعوانهم، وإنها لمناسبة أن أحبي من هنا شعب لبنان، وطلائعه الثورية الحقيقية التي تصدت لمشروع -كمب مورفي الجديد- إذ أشير إلى بندين منه:

ضمان عدم عودة مقاتلي منظمة التحرير إلى الجنوب اللبناني،
وضمان ما يسمى بأمن الحدود الشمالية لما يسمى إسرائيل من
الفدائيين الفلسطينيين، لنكشف حجم هذه المؤامرة وأبعادها.

نقول هذا بكل الوضوح، لكي يفهم شارون، ومن يفكرون على
طريقته، بأننا سنقف كلنا وقفه رجل واحد مع إخوتنا وأهلنا في
الأردن لتحطيم أحلام شارون، وللرد على تهدياته الخطيرة للأردن،
وأخيراً إذ نعلن هذا بكل الوضوح كي لا يتدارل لأي ذهن، ولأي جهة
كانت أية أوهام حول أي وطن بديل غير فلسطين. ثم ختم هذا
المقطع من خطابه بالأية القرآنية الكريمة: «الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ
النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشُوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسِبَنَا اللَّهُ وَنَعَمْ
الْوَكِيلُ».

بـ- ثم تحدث عن مسؤوليته في قيادة منظمة التحرير، مستشهاداً

بقول خليفة رسول الله سيدنا أبي بكر: لقد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أساءت فقوموني، واستشهد بقول سيدنا عمر الخليفة العادل: رحم الله امرأً قومًّا اعوجاج عمر، لذلك اعتبر بقائي في موقع المسؤولية الأولى مع إخواني في اللجنة التنفيذية أو بإعادتنا عن هذا الموقع هو من اختصاص هذا المجلس، باعتباره الشرعية الفلسطينية، وصاحب القرار الوطني الفلسطيني المستقل.

أيها الإخوة والأخوات: إنني إذ أدعوكم لممارسة حكمكم وما انتخبتم من أجله، أدعو لكم أن يوفقكم الله لما فيه خير شعبكم، ونصرة قضيتكم، ولما فيه خير أمتكم.

تحدث كذلك في الجلسة الافتتاحية الملك حسين حيث أكد حرصه على الهوية الوطنية الفلسطينية وعلى منظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي وحيد لشعب فلسطين.

- ٣ - وبعد أن تحدث في هذه الدورة السابعة عشرة: عشرات من ممثلي الدول والمنظمات الرسمية والشعبية والحزبية، مؤكدة جميعها على الحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني، وأن المنظمة هي الممثل الشرعي الوحيد لشعب فلسطين، وأنه ليس لأحد حق التدخل في شؤونها الداخلية، والمساس بمؤسساتها الشرعية، ثم تحدث ممثل المعارضة السورية في إحدى جلسات المؤتمر الوطني الإنقاذ سورية.

- ٤ - وقبل إيراد خطاب المعارضة السورية الذي ألقاه السيد جاسم علوان، أشير إلى أن فصائل المعارضة السورية قد بلغت ستة عشر

فصيلاً، شملت اليمين واليسار والعرب والأكراد، والإسلاميين والأحزاب الليبرالية... إلخ إذ عقدت هذه الفصائل مؤتمراً فيما بينها على هامش المؤتمر الوطني الفلسطيني قررت فيه توحيد جهودها وموافقتها، وأن تكون كلمة أطياف المعارضة كلها موحدة، يلقىها أحد قادتها باسمها جميعاً.

وقد وقع الاختيار على السيد جاسم علوان ذي الاتجاه الناصري، فكان لكتلته صدى واسع في دمشق وجنوبى سوريا، حيث استمع السوريون بشغف واهتمام كبيرين لكلمة المعارضة السورية التي بثها ونقلها التلفزيون الأردني.

كانت كلمة المعارضة السورية التي تحدث باسمها السيد جاسم علوان رائعة - والتي اتفق عليها وتعاونت على صياغتها كل فصائل المعارضة - نالت استحسان أعضاء المؤتمر وإعجابهم، فاستقبلوها بحماسة بالغة وشغف كبير، ومما جاء فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم: من سورية التاريخ والنضال والشهداء، من سورية عز الدين القسام وسعيد العاص، وكل المجاهدين الذين لبوا نداء فلسطين، وعرفتهم رب القدس والقسطل والجليل، من سورية الشعب، أتينا إلى المجلس الوطني حيث تتجلى إرادة شعب فلسطين الحرة، ويعلو قراره الوطني المستقل.

سيادة الأخ القائد ياسر عرفات

السيد رئيس المجلس الوطني الفلسطيني

الإخوة والسادة أعضاء المجلس، والضيفون المحترمين

إن شعبنا العربي السوري لم يعرف منذ بداية الغزو الصهيوني لأرضنا: قضية وطنية أقدس من قضية فلسطين، ولا قضية قومية أعز من قضية فلسطين.

إن جماهير شعبنا العربي السوري قد رأت في هذه الثورة الفلسطينية منذ أيامها الأولى ثورة على كل القيود والحدود التي حاول خصومنا أن يقيدوها بها شعبنا العربي، ويسلدوا في وجهه طريق الكفاح والتحرير والوحدة.

في هذا الطريق كانت ثورتكم المشتعل، تواجه الاحتلال الاستيطاني الصهيوني بكل جبروته ووحشيته، وتواجه القوى الإمبريالية التي تقف وراءه، وعلى رأسها الإمبريالية الأمريكية، وكانت -ثورتكم- في الوقت نفسه - تتلقى بصدرها ومن وراء الظهر الكثير من طعنات التآمر والغدر.

وهنا يحز في نفوسنا أيها الإخوة، وفي قلوب أبناء شعبنا العربي السوري أن يحتل النظام الحاكم في بلدنا المنكوب سورية موقع الصدارة بين هؤلاء المتآمرين الغادرين، وينخرط في مجرى استراتيجية العدوان والمخططات الصهيونية بحيث لا تختلف فعاله وكباره قيد شعرة عن أعمال العدو الصهيوني نفسه، إلا بما يحاول تغليفها به من أردية وأكاذيب وباطنية، مما من مؤامرة على فلسطين، وعلى الثورة الفلسطينية إلا وكان النظام الحالي في سورية شريكاً رئيسياً فيها، سواء من حيث الإعداد أو التنفيذ.

أضاف المتحدث باسم المعارضة السورية جاسم علوان: هناك في

لبنان تجلى دور حافظ أسد ونظامه على حقيقته في مخطط التآمر ضد فلسطين الكيان والقضية والشورة، بل ضد لبنان والأمة العربية كلها، وبعد أن ثبت عجز العدو الصهيوني عن مواصلة زحفه لملاحقة المقاومة الفلسطينية وقادتها ومقاتليها في البقاع والشمال، وصولاً إلى اقتحام مخيم نهر البارد، ومخيم البداوي وحصار طرابلس، ولم يكن ذلك مجرد تكرار واستكمال لما فعله العدو الصهيوني في الرشيدية وعين الحلوة وبيروت، بل كان يتم بالمشاركة السافرة بين قوات حافظ أسد وقوات شارون، فكان حصار طرابلس مزدوجاً من النظام السوري الذي يقصف المخيمات والمنظمة من البر، ومن العدو الصهيوني الذي يقصفها من الجو.

أيها الإخوة: إن هذا النظام الأسدى لم يكتف بحربه ضد منظمة التحرير الفلسطينية في البداوي والبارد وطرابلس في حصارها المزدوج، بل واصل حملته التصفوية، المادية والجسدية والسياسية ضد فلسطين قضية وثورة وثواراً، ولعل أبرز ما في هذه الملاحقة ما تعرض له هذا المجلس الوطني بالذات، إذ بذل حافظ أسد شخصياً كل ما يمكنه من جهد لمنع انعقاده عن طريق المنظمات المصادرية، أو عن طريق الضغط والسمسرة والسعى لدى بعض الأنظمة العربية حتى لا تجدوا مكاناً تجتمعون فيه.

لم يكن لحافظ أسد أن يبلغ ما بلغه من تنفيذ هذا الدور لو لم يعمل في ظل توافق ودعم وصمت على الصعيدين العربي والدولي من أجل ضرب شعب سوريا العربية، وتدمير قواه وشنل إرادته،

وتمزيق وحدته الوطنية، باعتبار أن هذا الشعب كان دائمًا السد المنيع في وجه أي تامر على قضيابنا الوطنية والقومية، وبالذات قضية فلسطين المقدسة.

لقد كرم حافظ أسد الأفواه، وملا السجون والمعتقلات بخيرة أبناء شعبنا، فهناك ألف المناضلين في سجون المزة وتدمير وأقبية التحقيق والتعذيب، آلاف المناضلين من كل أبناء شعبنا وطوائفه وفئاته وقواه السياسية، من الإخوان المسلمين والبعثيين والناصريين والشيوعيين، من المسلمين والمسيحيين، ومن الدروز والأكراد، ومن العلوين أيضًا.

ختم السيد جاسم علوان كلمته قائلاً: جئنا لنتنقل لكم رسالة شعبنا الذي آلى على نفسه أن يجاهد بكل غال ونفيض من أجل إقامة نظام وطني ديمقراطي يحرر سوريا، ويعيد لها دورها التاريخي، ووجهها العربي المشرق، نظام يطلق الحريات الكاملة للشعب كله، للمسلمين والمسيحيين، لليسار واليمين، لكل الأحزاب والمنظمات دون أي استثناء.

هذا هو الطريق الوحيد أيها الإخوة لتصحيح الوضع برمه، فالوضع العربي الآن منكوب بسورية المنكوبة، وستظل أوضاعنا العربية تتدحرج من سوء إلى أسوأ ما لم تتعاف دمشق، وتعود قلبعروبة النابض، والقاعدة الأساسية للثورة الفلسطينية، ولجبهة شمالية شرقية هي حجر الزاوية في بناء ذاتية عربية قادرة على كسر الخلل في ميزان القوى مع العدو الصهيوني.

أيها الإخوة: على هذا الطريق جئنا إلى مجلسكم الوطني الفلسطيني، نمد يد شعب سورية إلى يد شعب فلسطين، يد التضامن والتحالف والصدق، لا يد التآمر والخيانة والغدر. جئنا لنقول كلمة واحدة، هي كلمة سورية، كلمة سورية التاريخ والنضال والشهداء والممجاهدين، كلمة سورية المعارضة بكل أحزابها وتياراتها، كلمة التيار الإسلامي يا إخوانه ومجاهديه، والتيار القومي بناصريه وبعثييه، والتيار اليساري بشيوعيه واشتراكيه، كلمة سورية الشعب، إنها كلمة العهد، العهد يا فلسطين، العهد يا شهداء فلسطين، العهد يا ثورة فلسطين، العهد يا منظمة التحرير، العهد يا أبا عماد.

إننا ماضون في هذا النضال إلى أن نزيح الكابوس الطائفي الاستبدادي من على صدر الأمة، أوليست سورية صدر الأمة؟ ونسير معاً في الخندق الواحد، وبالبندقية الواحدة، وتحت الراية الواحدة، إلى أن تتحرر فلسطين، وتتطهر القدس، وتتپھر فلسطين، إنها ثورة حتى النصر.

بـ كذلك رفع الإخوان المسلمين في الأردن مذكرة إلى الرئيس وأعضاء المجلس الوطني الفلسطيني في دورته السابعة عشرة جاء فيها:

يا إخوتنا أبناء فلسطين الأعزاء

يا إخوتنا في بلاد العروبة والإسلام

يا حفدة أجيال الفتح والجهاد

يا خير أمة أخرجت للناس

أيها الإخوة أعضاء المجلس الوطني الفلسطيني: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته: إننا نفتتح انعقاد الدورة السابعة عشرة لمجلسكم الوطني لنقول كلمتنا، ونوجه بكل صدق وإخلاص إلى كل عضو من هذا المجلس الكريم بمكونات صدور آلاف الشباب المسلم في فلسطين، وفي هذا البلد، وفي أرض العروبة والإسلام، وهم يرقبون اجتماعكم، ويتظرون إجماعكم على كلمة الفصل التي أنزلها الله من فوق سبع سماوات: ﴿تَسْجِدُنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَهُودًا وَاللَّذِينَ أُشْرَكُوا﴾.

إننا باسم هذه الجموع نذكر إخواننا بمجموعة من القضايا والحقائق التي ليست بخافية عليهم، نقتطف منها ما يلي:

أولاً: لا يخفى عليكم، أيها الإخوة، أن الأطماع اليهودية تعتمد استراتيجية ماكراً، تقوم على فلسفة شعب الله المختار، الذي يملك، وغيره لا يملك، والذي من حقه العيش على حساب دماء كل شعوب الأرض.

ثانياً: أنتم أول المستهدفين بكل مخططات هذا المكر، وبكل شرامة الأطماع اليهودية، ثم من جاوركم من إخوانكم حيث يعلم اليهود أبناءهم أن شرقي الأردن جزء من الخريطة اليهودية، في حين نجد كثيراً من أصحاب القضية لا يسمحون بتعليم أبنائنا أن فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ جزء من الأرض العربية والإسلامية، وليس خافياً عليكم أن التآمر الدولي حليف استراتيجي لليهود.

ثالثاً: كما لا يخفى عليكم أن الإسلام هو العدو التاريخي

والاستراتيجي لدولة العصابات اليهودية، وأن القرآن الكريم كتاب الله تعالى هو الذي ثبت -أكده على- الجرائم اليهودية عبرآلاف السنين لتكون دروساً لنا وعبرآ، يقرأها المؤمنون ليلاً ونهاراً.

لقد حيل بين الإسلام وبين القضية بحججة إبعاد الدين عن حلبة الصراع، كمعلم من معالم التقدم والثورة مرة أخرى.

رابعاً: وليس خافياً عليكم أن أمتنا مذ فقدت استراتيجيتها الثابتة تحت وطأة النزوات الطائشة والأهداف الشخصية والارتباطات الدولية، تعيش في ردود أفعال، فهي تستدرج في مزالق السياسة الاستعمارية، ويلوح لها الماكرون ببريق الآمال الخادعة، ويعملونها بلعاعات الدنيا، فهم يقدمون لها الحياة المادية عوضاً عن الكرامة، والرق عوضاً عن الحرية، والحكم الذاتي عوضاً عن فلسطين عمر والمظفر قظر وصلاح الدين.

خامساً: وليس غائباً عن إخوانكم ما يتحمله الشعب الفلسطيني المجاهد من عنت الاحتلال ومرارة الحرمان، وقسوة البداء، وتجهم الأقرباء.

سادساً: وإنه لمن الحقائق المسلمة أن فلسطين ملك للأجيال، قديمها وحديثها، وملك للأبناء والأحفاد، وليس من المروءة أن تتنازل عن حق أجدادنا، ولا عن حق أحفادنا.

يا إخواننا أعضاء المجلس الوطني الفلسطيني.

إن الله يشهد، والملائكة يشهدون، والناس يرقبون، والتاريخ

يفتح لكم مكان الصدارة فيه، ولا تكون الصدارة إلا للثابتين على حقهم، المجاهدين في سبيل قضيتهم، المؤمنين باستراتيجية لا تتزحزح عن شعار: لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، حتى يقول الشجر والحجر، يا مسلم، يا عبدالله: هذا يهودي ورائي فاقتله.

سابعاً: وإن الحل الذي ما وراءه حل، هو تعبئة الأمة للجهاد والاستشهاد، وقد أصبح معلوماً أن اليهودي لا يقف أمام أمة ترغب بالموت والشهادة.

وأخيراً.. فإن الإخوان المسلمين الذين ربط الله قلوبهم بقلوبكم، والذين تدفقت دمائهم على ثرى فلسطين، ليتمنون أن يتمخض مؤتمركم الكريم عما يلي:

- تأكيد حق الأمة في كامل التراب الفلسطيني، وفيما اغتصبه اليهود من أرض الجولان ولبنان وسيناء.
- رفض كافة الحلول السلمية التصفوية.
- الدعوة إلى وحدة الصف الفلسطيني والعربي والإسلامي.
- المطالبة بصدق إسلامي لدعم صمود الشعب الفلسطيني، وويحسن كفاءة الصناديق القائمة.
- المطالبة بالتعبئة الجهادية على جميع المستويات التربوية والاجتماعية والسياسية والعسكرية.

سدد الله خطاكما لحمل راية الجهاد لتطهير أرض الإسراء

والمعراج ﴿وَلَا تَهْنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْشُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُثُمْ مُؤْمِنِينَ﴾،
﴿فَلَا تَهْنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَمِ وَأَنْشُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَرْكِمْ أَعْمَالَكُمْ﴾.

الإخوان المسلمين في الأردن

جـ- وفي ذات الوقت رفع التحالف الوطني الإنقاذ السورية - والإخوان إحدى ركائزه الأساسية - مذكرة إلى المجلس الوطني الفلسطيني في هذه الدورة السابعة عشرة جاء فيها:

إن التحالف الوطني الإنقاذ السورية يتوجه بتحياته إليكم مشفوعة بتمنياته لكم بالنجاح، وإذا كان اضطراركم لأخلاقه بيروت قد أدمى القلب، فإن ما وقع عليكم في طرابلس، واضطراركم لأخلاقها كان أشد ألماً وأعمق جرحاً، ومع أنكم خرجتم من طرابلس أيها الصناديد، فإنكم لم تغادروها، فلقد بقيتكم شعلة فداء ووقفة عز في قلب كل عربي في طرابلس وفي غيرها.

أيها الإخوة: للمرة الثانية نتحدث إليكم في مؤتمركم من خلال رسالتنا، بعد أن تحدثنا إليكم في مؤتمركم السابق، وإن ما تضمنته رسالتنا السابقة أكدته الأحداث التي تلت بين المؤتمرين.

إن الشروط الموضوعية التي صنعها تاريخ شعبنا في سوريا وأرضها التي اختارها الله لها، هي التي قالت، وستظل تقول: إنه ما من طريق قادر على الوصول بكم إلى فلسطين إلا طريق دمشق، وإن حافظ أسد هو الذي سد عليكم طريق دمشق منذ سلم هضبة الجولان

وجبهته المنيعة عام ١٩٦٧ دون قتال، وهو الذي يعمل من خلال مخطط لرفع: لثورة الفلسطينية من مأذق لمأذق حتى يوردها حتفها.

إن حافظ أسد، لغم تاريخي في جسد أمتنا العربية، يعمل على الفتوك بها لمصلحة عدوها، وإن كل ما اقترفه من مجازر في سوريا، وما أثاره في لبنان من فتن بين طوائفه، يؤكد هذه الحقيقة التي تهدف إلى سجن كل قوة عربية في هذه المنطقة لصالح العدو الصهيوني، وتمكيناً له في توسيعه، وتوفيراً لأمنه، ولسنا بحاجة للقول، ولا أنت بحاجة للسماع بعد الذي واجهتموه في طرابلس من حافظ أسد الذي يُنْقَذ ما يسمى خنجر إسرائيل خطوة خطوة.

أيها الإخوة: لقد ثبت لديكم أن الثورة الفلسطينية عندما لا تستطيع الدخول من دمشق، فإنها تخرج من طرابلس، وإن الشعب السوري هو حبل الأمان بالنسبة لكم، وهو العروة الوثقى التي أمر الله أن تتمسك بها، وإن الجديد اليوم أيها الإخوة هو التنفيذ - لأن التخطيط قديم ومكشوف - فحافظ أسد يطارد اليوم الثورة الفلسطينية خارج حدود سوريا ولبنان، وهو ساع وراء تمزيقها لتذهب ريحها، أو لم يطاردكم حتى في الجزائر؟ والمرض ينخر جسده كما ينخر الحقد قلبه، وإن حمى شديدة تشب في قلبه ليحيط انعقاد مؤتمركم هذا، لقد هدد كل فلسطيني مقيم في سوريا من حضور المؤتمر، وإلا فلن يستطيع العودة إليها!! إنه يعمل على تفريغ المنطقة المحيطة بالعدو من الثورة الفلسطينية، ليمنح العدو درع أمان وحزام أمان، ومع أن عداوته الشخصية لأبي عمار رئيس المنظمة لا يصعب

تقسيرها، فإن أبا عمار بصموده الرائع مع أبطال المقاومة في بيروت تسعين يوماً على مشهد من حافظ أسد وقوى الصمود غير الصامدة، قد كشف خيانته، وخلع عليه لباس الزييف والذل والمهانة، ومع ذلك فإنه يجعل من خلافه مع أبي عمار، وطلبه التخلص منه ذريعة لقطع رأس الثورة الفلسطينية والقضاء عليها.

أيها الإخوة: إن حافظ أسد طرف أساسي في الحرب العراقية الإيرانية، وهو يعلن ذلك ويفاخر به، فما الذي يخشأه السادة الملوك والرؤساء من حافظ أسد أكثر من ذلك؟ إنه يقتل الثورة الفلسطينية ويطاردها، ويحدث المذابح للشعب السوري، ويشعل الفتنة في لبنان، ويعتدي على الشعب العراقي، ويرد التحية للجيش العراقي الذي هب لنجد سورية عام ١٩٧٣، وساهم في إنقاذ دمشق من السقوط بيد العدو، يرد له ذلك بأن يقاتلها متحالفاً مع خميني، ومع الصهاينة.

أيها الإخوة أعضاء المؤتمر الوطني في دورته السابعة عشرة:

إن الثورة الفلسطينية من أكبر ثورات التحرير في هذا العصر، بل هي أكبرها بعد أن أوشك أن يبلغ عمرها سبعين عاماً منذ وعد بلفور، وإنها قادرة بعون الله على أن تغلب على أعدائها من الخارج مهما بلغ جبروتهم إذا استطاعت أن تحافظ على صفاتها ووحدتها، وإن التحالف الوطني لإنقاذ سورية -المعارضة السورية بكل أطيافها- منطلقاً من كون شعبنا في سورية شريكاً في معركة المصير في فلسطين، وليس مجرد حليف، يعلن عن تأييده لمنظمة التحرير

الفلسطينية وقيادتها الشرعية، وحرصه على وحدتها، واستقلالية قرارها، ويدين كل محاولة لإخضاعها والسلط عليها من أي جهة كانت.

إننا واثقون بأن المنهج الديمقراطي القائم على الحوار هو الضمان الحقيقي لحل ما يطرأ من خلافات في أثناء الممارسة والتطبيق، وإن كل موقف أو تصرف يهدف إلى تعطيل دور المؤسسات الديمقراطية سينتهي إلى أن يكون موقعاً معادياً للثورة الفلسطينية نفسها، وهو يفضي وبالتالي إلى أن يكون عدواً على الشعب الفلسطيني الذي تمثله منظمة التحرير الفلسطينية.

إن التحالف الوطني لإنقاذ سوريا يحييكم ثانية، ويعاهدكم باسم شعبنا في سوريا على الثأر لكل دم فلسطيني وسورى ولبناني سفكه حافظ أسد.

عاشت الثورة الفلسطينية ملتجمة مع الشعب السوري المجاهد،
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الأمانة العامة للتحالف الوطني لإنقاذ سوريا

٢٠-١١-١٩٨٤ م

- اتخاذ المجلس الفلسطيني عدداً من القرارات كان منها:
- انتخاب الشيخ عبد الحميد السائح رئيساً للمجلس خلفاً لخالد الفاهم، فنال ١٨٨ صوتاً وعارضه ٤ أصوات وامتناع ١١ عن التصويت، واعتبار ٦ أصوات لاغية.

- أعاد المجلس انتخاب ياسر عرفات رئيساً للجنة التنفيذية.
 - انتخب المجلس لجنة تنفيذية جديدة تشكلت من: فاروق القدوسي، ومحمود عباس، وعبد الرحيم أحمد، وجمال الصوراني، والمطران إيليا الخوري، وجاويد الغصين، وفهد القواسمة، وعبد الرزاق اليحيى، ومحمد عباس -أبو العباس- ومحمد ملحم.
- وكانت أهم القرارات التي صدرت عن الدورة السابعة عشرة هي:
- الحرص على ضرورة متابعة الجهد لتحقيق وحدة وطنية فلسطينية مستقلة الإرادة والقرار داخل وخارج الأرض المحتلة -فلسطين- إضافة إلى التنظيمات الشعبية المسلحة، بجانب الشخصيات الوطنية الفاعلة.
 - إن المجلس إذ يعتبر أن حق تقرير المصير والعودة وإقامة الدولة الفلسطينية هي المدخل والأساس لأي تحرك سياسي عادل لقضيتنا، فإنه يؤكّد قراراته في دورته السابقة حول موقفه من القرار ٢٤٢ الذي لا يتعامل مع قضيتنا كقضية شعب وحقوق، وإنما كقضية لاجئين، ويتنكر من ثم لحقوقنا الوطنية.
- كما أكد المجلس رفضه لجميع المشاريع التي لا تتضمن هذه الحقوق.
- إن المجلس الوطني، مستلهماً تاريخ شعبنا في علاقاته العربية، وإيماناً بقومية قضيته، اتخذ جملة قرارات تنطلق من هذا كله، وتستهدف بناء واقع عربي قادر على مواجهة تحديات هذا التحالف في

هذه المرحلة.

فيالنسبة للأردن قرر المجلس مواصلة السعي لتطوير العلاقات معه بهدف تنسيق الجهد المشترك من أجل تحقيق أهدافنا الواحدة بتحرير الأرض والإنسان الفلسطيني، استناداً إلى قناعاتنا الشابة بال المصير الواحد.

وبالنسبة لسوريا التي نقدر تاريخها النضالي وأهميتها الجغرافية والسياسية والعسكرية، فقد أوصى المجلس بتجاوز ما أصاب العلاقات الفلسطينية السورية من توتر وتخريب، والتسامي على الجراح والآلام ومشاعر المراارة بهدف تصحيح العلاقة على أسس واضحة وصريحة تضمن حرية الإرادة والقرار الوطني، والتعامل المتكافئ في إطار الالتزام القومي، بعيداً عن التدخل في الشؤون الداخلية لأي من الفريقين من أجل حشد كل الطاقات في مواجهة التحالف الأمريكي الإسرائيلي ومخططاته، كما أوضح المجلس تقديره لمكانة مصر دورها، والثوابت في العلاقات العربية المصرية، وطلب المجلس من اللجنة التنفيذية للعمل على تعزيز العلاقات بين الشعبين المصري والفلسطيني.

وقد أشاد المجلس بالجهود التي تقوم بها اللجنة التنفيذية والسيد ياسر عرفات لوقف الحرب العراقية الإيرانية، ووقف نزف الدم بين الشعبين الجارين المسلمين، كما أكد المجلس على توثيق العلاقات بين الدول العربية الشقيقة وتطويرها وفق قرارات الدورة السادسة عشرة.

وأكَّدَ المجلِّسُ عَلَى دُعمِ نَضالِ الشَّعْبِ الْفَلَسْطِينِيِّ مِنْ أَجْلِ تحريرِ أَرْضِهِ وَشَعْبِهِ، ثُمَّ وَقَفَ المجلِّسُ تَحْيةً إِجلالٍ لِلشَّعْبِ الْفَلَسْطِينِيِّ فِي الْأَرْضِ الْمُحْتَلَةِ، لِصَمْوَدِ الرَّائِعِ فِي مُواجهَةِ الْاِحتِلَالِ الصَّهِيُونِيِّ وَمَمَارِسَاتِهِ الْعَنْصُرِيَّةِ وَالْإِهْرَابِيَّةِ، دَفَاعًاً عَنْ حَرِيَّتِهِ وَأَرْضِهِ وَمَقْدَسَاتِهِ، وَلَاسِيمًا بَيْتَ الْمَقْدِسِ، وَمَا يَتَعرَّضُ لَهُ الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى وَالْحَرَمُ الْإِبْرَاهِيَّيُّ، وَمَقْدَسَاتِنَا الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْمَسِيحِيَّةِ لِدُنُسِ الْاِحتِلَالِ وَأَخْطَارِ التَّهْوِيدِ.

وسمى المجلس هذه الدورة السابعة عشرة بدورة الشهداء، كما حيّا المجلس الأسرى في الأرض المحتلة، وفي جنوب لبنان، وأكَّدَ المجلس جميع القرارات التي تحكم علاقات الصداقة بين منظمة التحرير والدول الاشتراكية، ودول منظمة المؤتمر الإسلامي، وكتلة عدم الانحياز، والصين الشعبية، ومنظمة الوحدة الإفريقية، ودول أمريكا اللاتينية، وسائر الدول والقوى والحركات التي تناضل في سبيل الحرية والاستقلال والعدل والسلام المناهضة للإمبريالية والاستعمار والتمييز العنصري.

وأخيرًا... عبر المجلس في اختتام أعماله عن شكره وتقديره للأردن الشقيق ملكًا وحكومة وشعبًا على استضافته للدورة السابعة عشرة، وإلى الجزائر واليمن الديمقراطي واليمن الشمالي، وإلى الملك فهد وقادة مجلس التعاون الخليجي، وإلى تونس لاستضافتها قيادة منظمة التحرير، وإلى العراق الشقيق الذي قدم الدعوة لاستضافة مجلسنا الوطني في بغداد، والذي لا يزال نصيراً لشعبنا، وشريكًا في

نضاله، وإلى السودان، وإلى الملك الحسن الثاني رئيس لجنة القدس، وإلى جميع القادة العرب الذين وقفوا إلى جانبنا ومعنا في مسيرة النضالية لتحرير وطننا.

- إن إيماننا الكبير بأن النصر آتٍ لا ريب فيه، وأن أهدافنا الوطنية ستحتحقق ياذن الله ومشيئته.

المجد والخلود لشهدائنا الأبرار، وإنها لثورة حتى النصر.

هـ- كتب جهاز الإعلام للإخوان المسلمين بإشراف وجهود الأخ الأستاذ عبدالله الطنطاوي تقريراً حول هذه الدورة السابعة عشرة ضممهن لقطات ذات مغزى كان منها:

- وجه المجلس نداء باسم القدس والمسجد الأقصى إلى إيران يناشدتها فيه إيقاف الحرب، وتوجيه الجهود والقدرات الإسلامية لتحرير الأرض المقدسات.

- قال تيسير خالد عضو المكتب السياسي للجبهة الديمقراطية المقيم في عمان، ولم يحضر جلسات المجلس بالرغم من أنه عضو فيه:

تعتبر الدورة شرعية، وإن الذين يشككون في شرعية الدورة يرتكبون خطأ سياسياً كبيراً، لأن هذا يعني زوال المنظمة.

- شارك اثنان من المستقلين في أعمال المجلس.

- أبلغت الجبهة الديمقراطية التي قاطعت المجلس رسمياً: أنه إذا كانت هناك أزمة تواجه اكمال النصاب، فإن عدداً من أعضائها

مستعدون للالتحاق بالجلسة، فشكرهم عرفات على هذه المبادرة، وأبلغهم بأنه لا حاجة إلى تنفيذها، وكان ثمانية من أعضاء الجبهة قد قاطعوا جلسات المجلس وهم أعضاء فيه.

- قام الإعلام الأردني بدور كبير بنقل الجلسات المفتوحة، كما نشرت الصحف الأردنية مع محاضر الجلسات، المقابلات مع أعضاء المجلس والقيادة الفلسطينية، ودخلت في سجال ضد الحملة على انعقاد المجلس.

- بات من المرجح نقل رئاسة المجلس الوطني من دمشق إلى عمان، بعد انتخاب الشيخ عبد الحميد السائح رئيساً له، ويقضي العرف بأن يكون المقر في مكان إقامة رئيسه.

- قال الرائد عبد السلام جلود الرجل الثاني في النظام الليبي: إن اجتماع المجلس الوطني الفلسطيني هو اجتماع للإخوان المسلمين.

- لوحظ أن الملك حسين لم يذكر إسرائيل بالاسم إطلاقاً، وإنما كان يشير إليها بصفة عدو، ولم يذكر اسم سورية في تعرضه لمحاولات احتواء منظمة التحرير، وأنه أكد عدة مرات عدم وجود حلول أو مبادرات جديدة مطروحة لحل أزمة الشرق الأوسط.

- صرخ عرفات بأن حاكماً عربياً - القذافي - وضع قاذفة قنابل في حالة الاستعداد في شرقي لبنان منذ عدة أيام في مهبط رياق - شرقي لبنان - وهي منطقة تسيطر عليها سورية - لقصف القاعدة التي يجتمع فيها القادة الفلسطينيون في عمان، وأن الطائرة، أعدت للقيام بهذه

الجريمة النكراء !!!

رفضت سورية بشدة القرارات التي أصدرها المجلس الوطني، ووصفتها بأنها باطلة وغير شرعية.

مثل المغرب أحمد بن سودة مستشار الملك الحسن الثاني فقال: نحن الرجعيين العرب نقدس القضية الفلسطينية (وقد سبق لنا أن تعرفنا على أحمد بن سودة في الرباط، وهو الذي يوصف بأنه من رجال المهام الصعبة)

والله أكبر ولله الحمد

جهاز الإعلام

المكتب السياسي لجماعة الإخوان

المسلمين في سورية

- عندما أذيع اغتيال السيد فهد القواسمة في عمان بعد ضمه للجنة التنفيذية بساعات في هذه الدورة السابعة عشرة على أيدي علماء النظام الطائفي في دمشق، تداعىأعضاء الأمانة العامة للتحالف الوطني لإنقاذ سورية إلى جلسة طارئة بتاريخ ٣٠-١٢-١٩٨٤ لبحث موضوع الاغتيال وقرروا ما يلي :

- ذهب وفد من الأمانة العامة مشكل من: أبو عامر وأمين الحافظ، لتعزية المنظمة بالفقيد، وكانت التعزية للسيد عزام الأحمد مدير مكتب منظمة التحرير في بغداد.

- إرسال برقة تعزية باسم التحالف إلى مقر المنظمة في تونس،

وإرسال صورة عنها إلى مقر المنظمة في عمان.

- أن يشارك وفد من التحالف بتشييع الجنازة في عمان، فتشكل وفد من الأخ أبي عامر، ومن السيد عبدالله قوجه من مكتب الأمانة العامة الذي يقود التحالف.

- سافر الوفد مساء الأحد ١٢-٣٠ ١٩٨٤ ، وانضم إليه الشيخ أبو النصر البيانوني أمين عام الجبهة الإسلامية في اليوم التالي لوصوله.

- في صباح الاثنين في ١٢-٣١ ١٩٨٤ شارك الوفد بتشييع الفقيد إلى مثواه الأخير في إحدى مقابر عمان، وقدم وفد التحالف إكليلًا من الزهر حمل اسم: التحالف الوطني لإنقاذ سوريا، كما زار الوفد مقر المنظمة في عمان منذ الصباح الباكر، ثم انتقل إلى مسجد الجامعة لأداء الصلاة على الفقيد، وشاركت سيارتان باسم التحالف في موكب حافل للجنازة.

- ألقى أبو عامر رئيس وفد التحالف كلمة في الجماهير المتحشدة ساعة الدفن (بعد كلمة السيد عرفات) كانت قوية وجريئة ومؤثرة أثارت انتباه وأشجان المُشيّعين، فبادر عدد منهم إلى أبي عامر معرّين عن امتنانهم، وقد نقلت الصحافة الأردنية بما مشاركة وفد التحالف، وأشارت إلى كلمة رئيس الوفد.

في الساعة الخامسة من مساء هذا اليوم زار وفد التحالف مقر المنظمة مرة أخرى لتقديم العزاء إلى قيادة المنظمة، ممثلة برئيس

اللجنة التنفيذية السيد ياسر عرفات ورئيس المجلس الوطني الشيخ عبد الحميد السائح، وعدد من أعضاء اللجنة التنفيذية لمنظمة.

- في منتصف الليل تم لقاء مغلق مع السيد ياسر عرفات في القصر الذي نزل فيه ضيفاً على الحكومة الأردنية، واستمر اللقاء حتى الثانية بعد منتصف الليل، وكان التعاطف القوي متبدلاً، ووجهات النظر متطابقة، والتقويم لنظام أسد ولطبيعة المرحلة الخطيرة التي تمر بها أمتنا والقضية الفلسطينية واحدة.

- في اليوم التالي الثلاثاء الموافق ١٩٨٥-١-١ قام الوفد بزيارة آل الفقيد في منزلهم، وقدم لهم التعازي باسم التحالف الوطني السوري المعارض، كما قدم بعض الواجبات التي تلاحظ في مثل هذه المناسبة -كيس رز وكيس سكر وكيس قهوة- فكان لمشاركة وفد التحالف أبلغ الأثر في نفوس آل الفقيد، وقد أعربوا عن امتنانهم قائلين: لقد تركت مشاركتكم في العزاء أثراً كبيراً في نفوسنا لم تتركه مشاركة أي وفد آخر.

- تمت لقاءات عديدة مع بعض التيارات السياسية ذات الولاء لبعث العراق، وقلبنا معها وجهات النظر في كثير من قضايا الساعة، وفي مقدمة ذلك: العلاقة الوشيجة بين العروبة والإسلام، والموقف من نظام حافظ أسد وانحرافاته.

- دعانا السيد عبد الرحيم الأحمد -عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير- إلى حفل عشاء في فندق القدس، فكان عشاء عمل استمر ثلاث ساعات كشف فيه المضيف عن الكثير من جرائم حافظ أسد.

- كما دعانا الأستاذ الكاتب الصيدلاني أمين شقير، وهو البعشي المخضرم إلى منزله يوم السبت الموافق ١٥-١٩٨٥، فكانت حوارات وتقليل وجهات نظر حول العديد من القضايا الراهنة، وسلمتنا مقالاً كان قد نشره في مجلة الدستور الأسبوعية التي تصدر في لندن عن العروبة والإسلام، وهو مقال جيد، وقد استمر اللقاء في منزله زهاء ساعتين.

لقد طلبوا منا تزويدهم بما لدينا من منشورات ليوزعوها في أوساطهم، فلبينا طلبهم فوراً، وقدمنا لهم صندوقاً مليئاً بمنشوراتنا مثل: حماة مأساة العصر، ومجربة حماة، وتدمر المجربة المستمرة، وقانون العار رقم ٤٩ لعام ١٩٨٠، وبيان الشورة الإسلامية ومنهاجها، وبيان الإخوان حول الحرب العراقية الإيرانية، وميثاق التحالف الوطني، وميثاق الجبهة الإسلامية، ونشرة النذير، وتقرير منظمة العفو الدولية، ثم أرسلنا لهم بناء على طلبهم دفعة أخرى من نشراتنا إلى عمان من بغداد.

- زرنا الأستاذ هاني الحسن -المستشار السياسي لعرفات- بناء على ترتيب تم الاتفاق عليه مع رئيس المنظمة في منزله مساء الأحد الموافق ٦-١٩٨٥ استمر ساعتين ونصف الساعة، فكان الحديث ممتعاً وشيقاً، وكنا مرتبطين بموعد، فعرض الأخ أبو عامر على السيد هاني الحسن مشاركتنا في طعام غداء في اليوم التالي في منزل الأخ محمد السيد -أبو زياد- فلبي الدعوة على الفور، وكأنه واحد منا، ومما قاله على طعام الغداء: إنه كان منظماً في الجماعة، بل كان

بالتنظيم الخاص للإخوان المسلمين في دمشق عام ١٩٥٤ وما أعقبه، وقد دُرّب مع مجموعة من الإخوان للقيام بأعمال جهادية، ثم ذكر البيعة وشروطها، ورسائل الإمام الشهيد حسن البنا، وسواها من الذكريات التي يحن لها عندما كان عضواً في الجماعة.

ومن ذكريات المستشار هاني الحسن قوله: حين ذهبنا إلى فيتنام، قال لنا الزعيم الفيتلنامي الجنرال جياب: إن لديكم -يقصد العرب والمسلمين- تاريخاً عظيماً تستطعون به إثارة حماس شعبكم، أما تاريخنا في فيتنام، فإنه لا يمتد أكثر من مئتي عام.

وقال: بعد القيام بعدة دورات في ألمانيا الشرقية وفيتنام على حرب العصابات وسواها، اكتشفت أن كثيراً من التوجهات والمبادئ الثورية وفلسفتها موجودة في كتاب الله تعالى، وفي السيرة النبوية المطهرة، وضرب على ذلك مثلاً حرب العصابات التي هي حرب القلة ضد الكثرة، وانتصار الفئة القليلة على الفئة الكبيرة، وهذا ما ذكره القرآن الكريم: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ عَلَيْتُمْ فِئَةً كَثِيرَةً يَأْذِنُ اللَّهُ﴾.

وقال: حين كانت النيمة عقد المجلس الوطني الفلسطيني في الجزائر، كانت فتح تمنى أن لا توافق الجزائر على عقده على أراضيها، ولكنها كانت محروجة، ولا يمكنها أن تطلب هذا من الجزائر، وعندما قال رئيس عربي للأستاذ هاني الحسن: إن الجزائر محروجة، وتعذر عن انعقاد المؤتمر في أراضيها، كانت الفرصة المتظاهرة قد حانت، فطار هاني إلى الجزائر، وانطلق يير للجزائر حرجها، متقبلاً عذرها مع شكره لها، ثم عاد فرحاً هو وزملاؤه، لأن

انعقاد المجلس في الجزائر سيجعل حضور عملاء النظام السوري الأسدية ممكناً، وهم يودون التخلص من سائر العملاء، وهكذا عقد في عمان.

وقال الحسن: كان كثير من الدول تصدق مزاعم نظام أسد من أن النصاب القانوني لشرعية المجلس لن يكتمل.

فالملك فهد أخبر المنظمة بأن النصاب لن يكتمل، فأجبناه: نحن نتحمل المسؤولية.

وقال ريفغان لطارق عزيز: إن النصاب لن يكتمل، فأجابه طارق عزيز: نحن نعرف الفلسطينيين أكثر منكم.

وتحدث هاني الحسن عن إيران حديث القريب العارف، لأنه كان إلى جانب الخميني، وكان الخميني يستشيره في كثير من القضايا القانونية والدستورية والأمنية، ثم قال السيد هاني: لدى إيران ثوابت مذهبية شيعية تحد من حرクトها السياسية، ولا تنتهي بها إلى قرار صحيح، فمثلاً لا يستطيع ولا يعقل أن يأمر الخميني بوقف إطلاق النار، ويتراجع عن إسقاط صدام حسين، لأنه إمام معصوم، وتراجعه عن قراره بوجوب إسقاط صدام والنظام العراقي، يعني عدم العصمة، أي يعني سقوط الخميني.

وقال الحسن أخيراً: لم أشعر بحسيني -أي انتماي لأهل السنة والجماعة- قبل التقائي بالخميني وزمرته المتعصبين جداً ضد أهل السنة، لأن تربيتي الإخوانية لم ترك في نفسي أي أثر للتعصب

الطائفي أو المذهبي، وضرب ذلك مثلاً بتعاطف الإخوان مع آية الله الكاشاني ومع مصدق، ومع نواب صفوی في زيارته لدمشق والقاهرة.

ز- بعد أن أثرت المساعي الحميدة التي قمت بفضل الله بذلها للمصالحة بين منظمة التحرير الفلسطينية والقيادة العراقية، فحل التفاهم والتعاون محل العداء والخصومة، وأضحى الفريقان حليفين حميمين، وبعد أن زالت الأسباب التي أدت إلى سوء التفاهم بين القيادة العراقية وحماس لأسباب مر ذكرها وشرحها، وصارت الزيارات إلى بغداد من قيادة حماس متكررة ومألفة، وبعد أن افتتحت حماس مكتباً لها في بغداد، والتحق عدد من قادتها وكوادرها بالدراسات العليا، بعد هذين النجاحين يأخذ حكم الصلة بين العراق والمنظمة من جهة، وبين العراق وحماس من جهة أخرى، كان من الضروري أو من الواجب إقامة صلة أخوية بين المنظمة وحماس، أو بين قيادي فتح وحماس تفضي إلى التنسيق والتعاون وتوحيد المواقف بين الطرفين في كفاحهما ضد العدو الصهيوني المغتصب لفلسطين، والمحتل لأرضها ومقدساتها.

لم يكن هذا الأمر سهلاً ولا ميسوراً، لأن حركة حماس التي استقطبت تأييد قطاع عريض في الوطن العربي والعالم الإسلامي، أصبحت في نظر فتح كجهة منافسة تشكل خطراً على مستقبلها، فتشن عليها حملات إعلامية مليئة بالتهجمات والاتهامات، لترد عليها حماس بالمثل.

لم يكن أمر التقرير بينهما سهلاً أو ميسراً، لاسيما أن أيدياً خارجية آثمة من إسرائيل وأمريكا وأوربا وبعض العرب تغذى هذا العداء، وتذكرني أواره، بيد أن هذه الصعوبات والتعقيدات لم تدفع بنا إلى اليأس، بل زادتنا إصراراً على وجوب المصالحة بين أبناء الشعب الواحد والقضية الواحدة.

- إن من يعرف عرفات، ويتعامل معه -كالذى صادفناه- يدرك أن لدى الرجل مرونة عجيبة، وأنه لا يغلق الباب أمام أحد، وفي وجه أي جهة، مهما بلغت درجة العداء بينه وبينها، وهو يعترف بذلك، ويفاخر به، ويضرب على ذلك مثلاً بأنه حضر موسم الحج، وبasher في مني برمي الجمرات ورجم الشيطان، قذف خمس جمرات واحتفظ باثنتين، فسئل عن سبب ذلك، فكانت الإجابة: حتى يحتفظ بخط الرجعة، ولا يقطع الطريق على الحوار مع الشيطان، كنت أسمع منه ذلك وهو يضحك بأسلوبه الساخر ووداعته المألهفة.

- أما رجال حماس، فلديهم هذه المرونة والاستعداد للمصالحة والحوارات مع الآخرين، ولاسيما أبو عمار، لذلك لم أتوقف قط عن الحديث مع الفريقين في وجوب المصالحة وال الحوار، بالإضافة إلى ما تتمتع به قيادة حماس من ضوابط إيمانية وأخلاقية وجهادية، فكانت الاستجابة منهم مضمونة وجاهزة، إلا أن الأمر كان عسيراً، لأن النفوس معكراً والقلوب مكدرة، ولذا احتاج الأمر إلى جهود متواصلة كلما ستحت فرصة أو جاءت مناسبة، فاستغرق هذا الأمر وقتاً طويلاً دونما يأس أو قنوط. ودخل عقد التسعينيات ونحن على

هذه الحالة نراوح في مكاننا، حتى هدأت الخواطر، وجدت أحداث جعلت القلوب تقر، والأمال تكبر في تقريب وجهات النظر بين فتح وحماس.

- وذات يوم كنا على طعام غداء في الخرطوم حضره نصر يوسف الذي استلم وزارة الداخلية في حكومة فتح فيما بعد، فقال: لماذا لا تبذلون مساعديك في تقريب المواقف بين حماس وفتح، كيلا تحدث تصدامات تؤدي إلى ما لا يحمد عقباه؟

عدت إلى عمان، وعرضت الأمر على الدكتور إسحاق الفرحان، ومن بعده على يوسف العظم رحمه الله، فلم ألق تجاوياً لسلبية النظرة إلى أبي عمار، فباشرت الأمر بجهودي المتواضعة، فعقدنا جلسة في منزل نصر يوسف بحي أم أذينة حضره عن حماس الأخ محمد نزال، وجرى حوار انتهى إلى كتابة وثيقة، قمت بتحرير مضمونها بمساعدة الطرفين، خلاصتها أن كل فريق حر بآرائه وموافقه وما يتancode من قرارات، وثمة خط أحمر لا يجوز تجاوزه من أي من الفريقين في القتل أو التخوين.

وقع السيدان نصر يوسف ومحمد نزال على هذه الوثيقة التي اطلع عليها أبو عمار فيما بعد بزمن غير بعيد، وأعجب بها قائلاً:

- سوف أضم لكم مندوب السيد عرفات في الرياض السيد أبو كرش.

فكانت خطوة مهمة وحاسمة على طريق التقارب بين فتح

وحماس.

- ذات يوم قال لي د. موسى أبو مرزوق: لعلك تتحرك ببذل المساعي بين فتح وحماس، فقلت له:

- أوضح عما تقصد وتريد.

فأجاب على الفور: عقد اجتماع بيننا وبين السيد ياسر عرفات، وكان الأخير ضيفاً على المملكة الأردنية الهاشمية في قصر الهاشمية، فسرعان ما استجاب لذلك، واتفقنا على ساعة محددة يتم اللقاء فيها بمنزل الفقير إلى عفورة. وكم كانت خيبة الأمل في نفسي أمر من الحنظل، عندما حضر أبو عمار، وتختلف موسى عن الحضور مكتفياً بإرسال مندوب عنه بدعوى أن قيادته لم تتوافق، يا للعجب، أما كان الأولى به أن يحصل على موافقة المكتب السياسي لحماس قبل أن يطلب مني الاتصال والتمهيد لعقد اللقاء والحوار؟!! الأمر الذي أدمى قلبي، وحملني على اللجوء إلى الله، والشكوى إليه سبحانه على مثل هذا السلوك، وقد سمع مني أعضاء مكتب حماس عبارات الشكوى إلى الله على هذا الموقف الحرج الذي وضعونا فيه دون مسوغ!!

إن السياسة، كما تتطلب الذكاء والدهاء وبعد النظر والكتمان في بعض الأمور، فإنها تتطلب النقاء والصفاء والصدق والاستقامة والإخلاص.

- تركت هذه الحادثة في نفسي غصة عجزت عن ابتلاعها، وشعر أعضاء المكتب السياسي لحماس بذلك كلما التقيتهم والتقوني، ثم

تجددت المحاولة مرة أخرى. ودخلت في هذه المساعي عناصر محسوبة على فتح كان السيد صالح القلاب في مقدمتهم، وعملوا على تصفية الأجواء، والاتفاق على عقد لقاء قريب، وكان ذلك في منتصف التسعينيات، وجرى التباحث عن مكان عقد الجلسة، فقال قادة حماس: في منزل أبي عامر، تعويضاً عن الخطأ الذي ارتكبوه، والخلل الذي أحدثوه، فقال السيد صالح القلاب:

- ومن هو أبو عامر؟

فقالت قيادة حماس: أبو عامر يعرفه، فاذكر ذلك له.

فلم يلبث أبو عامر أن استجاب على الفور، وتم الاتفاق على اليوم الذي تلا الحديث على عقد اللقاء.

- حضر أبو عامر في اليوم التالي بحراسة مشددة من الحرس الملكي ومن حرس فتح، ووقف شباب الإخوان على رأس الشارع ليقوموا بالدلالة على مكان المنزل، ولم تلبث قيادة حماس التي تعرف البيت أن حضرت، والتأم الجمع بين أبي عامر ومعه الكنفاني والقلاب وعدّ آخر من قيادة فتح، وبين قيادة حماس: خالد مشعل، ومحمد نزال، وأخرين.

- كان المنزل خالياً من أفراد العائلة، فامتلأت غرفه ومدخل العماره بالحراسات. وجلس الوفدان معاً في مودة وابتسام، فافتتحت الجلسة مشيداً بهذا اللقاء، وذكرت أن الذي يجمعنا أكثر مما يفرقنا إن كان يوجد ما يفرق، فنحن أبناء شعب واحد، ووطن واحد، وقضية

واحدة، فقال أبو عمار في مداخلة: وأبناء عقيدة واحدة.

- استمر اللقاء ما بين الثانية عشرة ليلًا إلى الثانية بعد منتصف الليل، وكانت الأحاديث ودية تفيض بالأمال العريضة، والتعاون المثمر، والكافح المشترك، وكان من أهم الموضوعات التي طال الحديث عنها، عقد حوار موسع في السودان حيث وجه المسؤولون السودانيون دعوة للفريقين ليحضروا إلى الخرطوم. فظهر من فحوى الحديث أن أبي عمار وقيادة فتح لا يرغبون بذلك، مداراة للمصريين الذين كانوا يرغبون أن يتم اللقاء في القاهرة، الأمر الذي أخرج حماس التي استجابت لدعوة السودانيين، فقلت للفريقين:

- إذا كان لقاء الخرطوم يسبب لفتح حرja فالأمر يسير، إذ إنني مستعد غداً للسفر إلى الخرطوم وتطيب خاطر السودانيين والاعتذار لهم، واستذانهم بالتحول إلى القاهرة، وهم الحريصون على التفاهم بين حماس وفتح، ولا أظن إلا أنهم سيستجيبون.

- في الثانية والنصف بعد منتصف الليل انتهت الاجتماع، وغادر الجميع المتزل في جو مفعم بالتفاهم والأمل والاستئثار.

ومرت الأيام لتشهد العلاقة بين أبي عمار والمنظمة وفتح، وبين حماس مذاً وجزراً حتى انتهت إلى ما انتهت إليه من توتر وصراع، عملت إسرائيل بكل أساليبها، واشتراكاتها، ومن خلفها ومن أمامها أمريكا وأوروبا وعدد من الدول العربية على تمزيق الصف الفلسطيني، حتى لا تقوم للفلسطينيين وحدة ولا كيان ولا دولة، يواجه بها السرطان الإسرائيلي الذي يتسع ويتمدد على حساب فلسطين

والعرب أجمعين .

والأمل بالله كبير ، والمبشرات النبوية معروفة ، ومقرودة بحسن الخاتمة السياسية ، وبالنصر المؤزر الحاسم على الصهاينة المجرمين ، ومن يقف وراءهم من المعتدين والظالمين ، مهما طال الزمان ، وامتدت الأيام ، فالله غالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

٤- استمرت العلاقات بيننا وبين منظمة التحرير بقيادة أبي عمار في نمو واطراد كبيرين ، وكانت تزداد على مر الأيام وثوقاً وعمقاً ، بل وتعاوناً ، أورد منها نماذج على ما كان بين الجانبين من علاقات وصلات :

أ- بعد فترة لم تكن بعيدة تلقى مكتب الأمانة العامة للتحالف الوطني لإنقاذ سورية عن طريق سفارة فلسطين في بغداد برقة السيد ياسر عرفات - ردأً على برقة عزاء من التحالف للسيد عرفات بعد الغارة الإسرائيلية على مقر المنظمة في حمام الشط بتونس ، جاء فيها : يبالغ التقدير تلقيت برقيتكم بالتعزية في شهدائنا الأبرار الذين سقطوا إثر العدوان الإمبريالي الإسرائيلي الأمريكي على مقر منظمة التحرير الفلسطينية في تونس ، وإنأشكر لكم مشاعركم الدافئة ، وموافقكم الوطنية المخلصة لأؤكد لكم أن العدوان الأمريكي الصهيوني ، ومؤامرات عملائهم في المنطقة ، لن تزيidنا إلا ثباتاً وقوة وعزاً ، على مواصلة النضال وتصعيده من أجل استعادة حقوق شعبنا الوطنية الثابتة ، وتحرير أرضنا المقدسة ، أرض فلسطين المباركة .

ونحن على ثقة أن شعب سورية الشقيق يقف إلى جانب نضال شعبنا مهما تكالب عليه الأعداء ، ومعاً وسوياً حتى النصر ، إلى

القدس الشريف يأذنه تعالى، وإنها لثورة حتى النصر.

یاسر عرفات

٢٨-١٠-١٩٨٥ م في

رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير

الفلسطينية، القائد العام لقوات الثورة

الفلسطينية

ب- أرسل المراقب العام للإخوان المسلمين في سوريا برقية إلى السيد ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية جاء فيها:

بارتياح بالغ، وفرحة غامرة تلقينا نبأ قيام الدولة الفلسطينية الفتية خطوة مباركة على طريق التحرير الكامل لفلسطين الشقيقة غالبة.

الإخوان المسلمين في سوريا يؤيدون جمهورية فلسطين الناهضة بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية التي تمثل الشعب الفلسطيني بكل فئاته كتعبير عن وحدة وطنية عتيدة، كيلا يتقدم على تحرير الأرض وتخلص الوطن من الغزاة المحتلين أي اعتبار آخر.

إن شباب سورية جند مستنفر للجهاد في سبيل الله دفاعاً عن كل شبر من فلسطين، ولا سيما القدس الشريف، والأقصى المبارك، أولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين.

الأمل كبير بالله أن تدخلوا المسجد الأقصى ظافرين كما دخلها الخليفة الراشد عمر بن الخطاب أمير المؤمنين . عشت ، وعاشت فلسطين دولة عربية مستقلة ، تقوم على دعائم الحق والعدل والشورى

والخلق القويم.

﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمْرُوا
بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾.

المراقب العام للإخوان المسلمين

١١-٢٠ ١٩٨٨ م

في سوريا

عدنان سعد الدين

فجاء الرد من السيد ياسر عرفات للمراقب العام للإخوان المسلمين في سوريا، وهذا نصه:

المراقب العام لتنظيم الإخوان المسلمين في سوريا:

تحية مباركة وبعد: أشكركم على تهنئتكم الأخوية الصادقة،
بإعلان قيام دولة فلسطينية المستقلة، و العاصمتها القدس الشريف.

إن إعلان قيام الدولة الفلسطينية المستقلة كما أعلنها مجلسنا الوطني الفلسطيني في دورته التاسعة عشرة غير العادية، يشكل تتويجاً مجيداً للجهاد الشاق الطويل الذي يخوضه شعبنا منذ أكثر من سبعة عقود، كما يؤكد أيضاً على إرادته الوطنية الصلبة في الاستمرار بجهاده المقدس، والعمل على تعزيز وتصعيد انتفاضته الوطنية المباركة بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية ممثله الشرعي الوحيد، وبدعم ومؤازرة الأحرار والشقاء في أمتنا العربية والإسلامية، وفي العالم أجمع، من أجل تحرير وطنه من نير الاحتلال الصهيوني، وتمكينه من ممارسة حقوقه الوطنية غير القابلة للتصرف.

وإذ يعتز شعبنا المجاهد بهذا الموقف الأخوي والإسلامي الذي يقفه تنظيم الإخوان المسلمين في سورية بقيادتكم، إلى جانب قضيته المقدسة، فإن شعبنا ليتطلع بكل ثقة إلى سيفكم، وسيوف أشقاء في أمتنا الإسلامية، لمؤازرته ومساندته من أجل مواصلة جهاده المقدس حتى النصر، وإنهاء الاحتلال عن أرضه الفلسطينية، وتحرير القدس الشريف أولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين، ومسرى النبي محمد ﷺ وعاصمة دولته المستقلة، وبلوغه استقلاله الوطني التام.

وإذ أؤكد باسمي شخصياً، وباسم شعبنا المجاهد عميق شكرنا، وتقديرنا لكم، ولتنظيمكم المجاهد، لأتمني لكم الصحة والتوفيق، ودوام التقدم والنجاح.

وفقنا الله جميعاً في العمل الجاد من أجل مصلحة وخير وتقدير أمتنا الإسلامية، وقضيتها الأولى المقدسة، قضية شعب فلسطين المجاهد، ومعاً وسوياً لنصل إلى القدس الشريف المحرر، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ياسر عرفات

١٩٨٨-١١-٢٩ م

القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية

رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية

٥ - قام تنظيم الإخوان المسلمين السوري بخطىًّ متتابعة للتقرير بين الثورة الفلسطينية، وحركة الجهاد الأفغانية، كان من أهمها سفر مبعوث عرفات خضر اللحام -أبو خالد- إلى باكستان والالتقاء بقيادة

الحزب الإسلامي ورئيسها قلب الدين حكمتيا، ثم سافرنا إلى داخل أفغانستان بترتيب من الحزب ودخولنا الأرض الأفغانية المحررة، وزيارة أسرى الحكومة الأفغانية الذين أسرهم الحزب الإسلامي.

أ- كانت هذه العلاقة بين الفلسطينيين والأفغان تسبب حرجاً للفلسطينيين في صلاتهم مع السوفيات، إلا أن عرفات لم يعجزه وجود مخرج لذلك، إذ وظف صلته الجديدة مع الأفغان في حل أمور معلقة بين السوفيات والأفغان، إذ وقعت شخصيات عسكريتان من ذوات الرتب العالية أسرى بأيدي مقاتلي الحزب الإسلامي، فأبدى عرفات استعداده لحل مشكلة الأسيرين، والعمل على إطلاق سراحهما مقابل مكتسبات يشترطها الأفغان من السوفيات، وكانت جهات سياسية عدة قد تدخلت في الأمر دون جدوى، لأن الحزب الإسلامي رفض كل الوساطات في هذا الموضوع. وبعدأخذ ورد بين عرفات وحكمتيا، طرح أبو عمار حلاً يرضي السوفيات والأفغان جميعاً، ويتلخص بإطلاق الأسيرين السوفيتين كهدية للقدس الشريف وفلسطين، ويطلق السوفيات مقابل ذلك خمسين أسيراً أفغانياً تابعين للحزب الإسلامي، وقد تمت الصفقة على هذا المنوال بعد مخاض عسير، فأرضى عرفات كلاً من السوفيت والأفغان، ووثق علاقاته بالأفغان، دون أن يكون ذلك على حساب علاقاته بالسوفيت.

ب- أعرب عرفات لحكمتيا عن امتنانه له على إطلاق سراح الأسيرين السوفيتين، وأرسل له برقة مطولة تفيض بالشكر والعرفان بالجميل وهذا نصها:

الأخ المجاهد المهندس حكمتياً أيده الله
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأسأل الله سبحانه وتعالى لكم
التوفيق لما فيه خير الشعب الأفغاني الشقيق وخير المسلمين.

أخي المجاهد حكمتياً: يشرفني أن أكتب إليكم لأحيكم تحيية
الجهاد والثورة، ولأنقل إليكم من أرض القدس الشريف تحيات
إخوانكم المجاهدين من شعبنا الفلسطيني الذي يُسعد اليوم من
مقاومته وجهاده ضد المحتلين الصهاينة في انتفاضة شعبية مباركة
عارمة تعم كامل مدننا وقراناً ومخيماتنا، مضيفاً إلى سجلات الخالدين
أسماء جديدة على طريق الشهادة والجهاد، وألافاً أخرى من الجرحى
والمعتقلين، وهو في نفس الوقت يقف صامداً مرابطًا في الجنوب
اللبناني مع إخوانه الوطنيين والمسلمين اللبنانيين يواجهون منفرين آلة
الحرب الإسرائيلية الأمريكية وعدوانها المستمر على القرى اللبنانية
والمخيمات الفلسطينية في الجنوب اللبناني.

إن شعبنا الفلسطيني المجاهد وهو صامد هذا الصمود الأسطوري
في انتفاضته المباركة، رغم قلة الدعم والمساندة التي تتلقاها، مصمم
على المضي قدماً على تحقيق النصر مهما غلت التضحيات، وهو
يتطلع إلى اليوم الذي توجه فيه طاقات الأمة العربية والإسلامية
وقدراتها لتحرير أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، لتحرير
القدس الشريف ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِتُرِيهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
الْبَصِيرُ﴾.

أخي العزيز: إنه في الوقت الذي نتصدى فيه للاعتداءات الصهيونية اليومية المتلاحقة علينا في لبنان، وفي الوقت الذي نتابع فيه انتفاضة شعبنا المباركه ودعمها بما يلزم من وسائل الاستمرار والتعاهد، وصولاً لتحقيق كامل حقوقنا الوطنية المشروعة بما فيها حقنا في تقرير المصير، وإقامة دولتنا الفلسطينية المستقلة، وعاصمتها القدس الشريف بعون الله، فإننا نتابع باهتمام شديد وجاد ما يجري على أرض أفغانستان الشقيقة، وتطورات الوضع هناك، موقنين بأن قضايا المسلمين هي كلّ لا يتجزأ، ولأن فلسطين ومقدساتها هي محور الجهد الإسلامي الذي يجب أن يكون، فإن منظمتنا معنية بكلّ قضايا المسلمين، كما هي معنية بتوجيه كلّ الجهد الإسلامي والعربي والدولي نحو هذه القضية المقدسة التي تمثل كرامة المسلمين والمujahideen والأحرار في العالم أجمع، ومن هنا لابد أنكم شعرتم كما شعرنا بهذه الفرحة الغامرة التي عمّت الأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها، عندما توقفت والحمد لله هذه الحرب المدمرة بين إيران والعراق، والتي كانت تهدد وحدتنا وطاقاتنا وإنساننا المسلم، والتي وضعت اقتصاد المسلمين على شفير الضياع، كما أنها أفقدتنا مئات الآلاف من المؤمنين، وسفكت الدم الإسلامي الطاهر في غير مكانه الصحيح، وهدت كياننا الإسلامي بكامله، وكما بذلنا لوقف الحرب العراقية الإيرانية، وتم النجاح والحمد لله رغم مسعانا المتواضع للوصول إلى هذه التبيّنة الطيبة، فقد رأينا من واجبنا الإسلامي والأخلاقي أن نتوجه إلى إخوتنا وأحبابنا في أفغانستان الشقيقة لتساهم في وقف نزف الدم المسلم من أبناء الشعب الواحد،

وإن فلسطين لن تألو جهداً في وضع ثقلها العربي والإسلامي والعالمي لتحقيق هذا الهدف السامي النبيل، والذي يقربنا خطوات أخرى من القدس الشريف ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَتَصَرَّفُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾.

أخي العزيز المهندس حكمتياز: لا يفوتي أيها الأخ المجاهد أن أتقدم باسمي وباسم منظمة التحرير الفلسطينية، وباسم شعبنا المجاهد بالشكر على تكرييمكم لفلسطين وللقدس ولنا في الموافقة على إطلاق سراح اثنين من أسرى السوفيات مقابل أسرى مجاهديكم في كابل، ونحن إذ نُثمن لكم هذا التكريم الذي لم تكرموه لأحد من قبل، نعدكم بأن فلسطين ومجاهديها وقادتها لن ينسوا لكم ذلك، وبدورنا، فقد عملنا جهودنا لدى الأصدقاء السوفيات الذين أكرموا فلسطين بدورهم، وذلك بقبولهم بحث القضية الأفغانية معكم شخصياً، وبرعاية فلسطينية، وبهذا الصدد اتخذت القيادة السوفياتية خطوات إيجابية عديدة، تم إبلاغنا بها، وسوف يحيثها معكم موعدنا الأخ خضر اللحام. وفي الوقت الذي نتمنى فيه لكم ولإخوانكم كامل التوفيق، فإننا نأمل بإطلاق سراح الأسرى هدية فلسطين كما قلتم قبل انعقاد دورة مجلسنا الوطني التاسعة عشرة، خلال الأيام القادمة، وسوف تقوم بتحرير خمسين مجاهداً من مجاهدي الحزب الإسلامي خطوة أولى على طريق الحل الشامل معكم، وأهلاً بكم أخاً كريماً، ومجاهداً صادقاً، ينال منا كل التقدير والاحترام ﴿وَآخَرَى شَجَّعْتَهَا

بَصْرَهُ مِنَ اللَّهِ وَقَتْحُ قَرِيبٍ[ۚ] وَاللَّهُ مِنْ وَرَاءِ الْقَصْدِ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ
وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

أَخْوَكُمْ: يَاسِرُ عَرْفَاتُ

رَئِيسُ الْجَنْتَةِ التَّنْفِيذِيَّةِ لِمُؤْمَنَةِ التَّحرِيرِ الْفَلَسْطِينِيَّةِ

القَادِيُّ الْعَامُ لِقَوْاتِ الثُّورَةِ الْفَلَسْطِينِيَّةِ

حـ- أضحت لقاءاتنا مستمرة مع منظمة التحرير الفلسطينية عبر
قياداتها، وعلى رأسهم السيد ياسر عرفات في عمان وبغداد وتونس
وأماكن أخرى، ومن ذلك أننا استلمنا دعوة من عرفات لحضور
اجتماع المنظمة في تونس، فلبينا الدعوة، ونزلنا ضيوفاً على
المنظمة.

حضرنا عدداً من اللقاءات العامة والخاصة، غير أنها فوجئنا
بمندوب عن رفعت أسد برتبة عميد، يعرض علينا عقد جلسة معه،
ليعرب عن براءة سиде من مأساة حماة، ومن المآسي الأخرى،
فغادرت للتو فندق الدبلوماسي الذي كنت نزيلاً به، وتوجهت بالحال
إلى إحدى الشقق التابعة للمنظمة، والمستخدمة لإعلام الرئاسة
الفلسطينية عن طريق خليل الزبن المسؤول عن الشقة، والذي وافته
المنية فيما بعد باغتياله بالطريقة التي تم فيها اغتيال الضابط الفلسطيني
سعد هايل وغيره من القادة الفلسطينيين الذين ذهبوا ضحية مؤامرات
الموساد في أوروبا وغيرها، ومؤامرات بعض الأنظمة العربية المعادية
للمنظمة.

أما اللقاءات مع عرفات وبعض أعضاء اللجنة التنفيذية مثل أبي جهاد وأبي مازن -قبل أوسلو وتداعياتها- وهواري -اليد الضاربة عند أبي عمار في بغداد- فقد كانت مستمرة وكثيرة، وكلها أو معظمها تدور حول معارضة نظام الأقلية في سوريا، تمهيداً للتخلص منه، والعودة بسوريا إلى النظام البرلماني الذي استمرت عليه منذ فجر الاستقلال، وحتى وقعت فريسة الانقلاب الذي أطاح بحربيات السوريين في ١٩٦٣-٣-٨ .

٦- أخذ السيد عرفات على عاته دعم المعارضة السورية بإصدار مجلة شهرية لهم في باريس باسم الفيحاء، على غرار مجلة اليوم السابع الأسبوعية التي تصدرها منظمة فتح التي كان يشرف عليها السيد بلال الحسن في باريس، غير أن مطالب الذين تدبووا إلى إصدار الفيحاء كانت باهظة، بل تزيد على تكاليف اليوم السابع الأسبوعية مع أنها شهرية، فصرف النظر عن الموضوع، وضاعت الفرصة بسبب اشتراطات وطلبات بعض السوريين المعارضين غير المنطقية وغير المقنعة.

٧- شعرنا أن السوفيات يريدون الخروج من المأزق الذي وقعوا فيه باجتياحهم لأفغانستان، وأنهم عجزوا عن تطويق المجاهدين الأفغان، والتغلب على طبيعة الأرض الأفغانية الوعرة التي تشكل الجبال ٨٠٪ من مساحتها، فرغبوا بالانسحاب مع حفظ ماء الوجه، وقد ذكرت تفصيلات ذلك في صفحات سابقة، عندما عرضت الأمر على المنظمة للتتوسط بين السوفيات والأفغان، وأن السوفيات

استوضحوا من السفارة الفلسطينية في بغداد عن الجهة التي تقدم هذا العرض، وأن السفير الفلسطيني عزام الأحمد التقاني ونقل إلى استيضاح السوفيات عمن يقوم بهذه المساعي الحميدة، فأخبر السفير موسكو بذلك كاتب هذه السطور بعد الاستئذان بذلك، وطرحت الموضوع بشيء من التفصيل ليقوم الفلسطينيون بهذا الدور بعد أن أفسد طارق عزيز هذه المساعي التي كان المقصود منها تمكين العراق من صلاتهم بالسوفيات وهم مصدر تسليحهم في حربهم مع إيران، كما حاول إفساد العلاقة بين حماس وبغداد من قبل.

قام الفلسطينيون بالدور، وجرت لقاءات بين الأفغان والسوفيات بمساعي عرفات في تونس وبلغراد، وهذا ما أتاح للفلسطينيين القيام بأدوار مهمة في هذا المجال، عرضنا لبعضها كالذى قام به ياسر عرفات ما بين حكمتياً والقيادة السوفياتية.

بـ- استمر عرفات في حواره مع المعارضة السورية أو بالأصح مع قيادة الإخوان المسلمين السورية، وفي بذلك المساعي المستمرة لفتح آفاق جديدة أمامهم، وكان واضح الحماسة لإيجاد جسور أو علاقة بين قيادة الإخوان وبين القيادة المصرية، لقناعة عرفات بأهمية مصر ودورها في المنطقة، وتأثيرها بالأحداث وعرض علينا القيام بزيارة القاهرة واللتقاء بالسيد محمد عبد السلام مدير المخابرات المصرية، وعندما لمس منا تخوفاً وترددأً برر ذلك بقوله: إن علاقته بمصر هي عن هذا الطريق، وهو أمر اعتيادي، ليس فيه أي حرج.

ذهب وفد من الإخوان مؤلف من الإخوة: عبد الله الطنطاوي

وفاروق طيفور، وكاتب هذه السطور، فتمنت زيارة الوزير رئيس المخابرات ذي الطبيعة الدمثة والأسلوب اللطيف، وكانت ثمة فرصة لتناول عدد من الموضوعات، مثل العلاقة مع السودان، أو مع الجبهة الإسلامية بقيادة الدكتور الترابي ذات الأفق الربح العالمي الذي يتجاوز الحدود الإقليمية، وقد استقبل محمد عبد السلام، الدكتور الترابي بعد ذلك بوقت قريب، ومهده له للقاء السيد الرئيس حسني مبارك لمدة استغرقت ثمانين دقيقة.

لقد لمسنا في لقائنا مع الوزير محمد عبد السلام أن مصر لا تطمئن إلى النظام في سوريا، وأنها تتمى وجود معارضة قوية في وجه النظام السوري الذي يشكل مصدر اضطراب وفتن في بلاده وفي جميع دول المنطقة.

بعد هذا اللقاء الوحيد الذي تم بمبوعى عرفات رحمة الله، أحال المدير موضوع سوريا إلى مساعدته اللواء عماد، فتمنت معه عدة لقاءات، شارك فيها الإخوة الذين مر ذكرهم. ثم شعرنا بعد ذلك أن العلاقة مع اللواء عماد، ومن ثم مع هذه المؤسسة ليست بالأمر السهل، فهم يستعجلون الحصول على ما يريدون، وإن كان الذين يزورونهم لا يملكون ذلك، وضمنوا علينا حتى بالتحاق طالب واحد يأخذى جامعتهم، فبدأنا بالتراجع خطوة إلى الوراء، ثم توقف هذا الاتصال الذي لم يكن مجدياً ولا مفيداً، ولا نشعر معه بالراحة أو الطمأنينة.

٧- كان سفراء فلسطين سندأ في تحركنا في عدد من البلاد العربية

والإسلامية، مثل بغداد والمغرب وتونس ومالزيا وغيرها، ثم تطور هذا التعاون مع المنظمة لتشكيل لجان تنسيق وتعاون، ضمت اثنين من الإخوان هما: أبو بشير وأبو عامر، واثنين من العراقيين هما: مدير المكتب السوري أبو النمر وأبو العباس، بالإضافة إلى السيد هواري مندوبياً عن ياسر عرفات، وقد استمر هذا التنسيق لفترة طويلة، شمل الحدود والوثائق وأشياء أخرى، ثم انضم إلى هذا التنسيق مندوبون من لبنان من المتخصصين مع سورية من جماعة عون والقوات، لم يلبث أن انتهى بعد أن لمسنا من بعضهم في صدد التهجم على إسرائيل أو ذمها أن الصلة معهم ليست مفيدة، ففهمنا من ذلك أن هذا الذي يسمى نفسه أكرم كان على صلة مع الصهاينة، فابتعدنا عنهم، وعن أي لقاء معهم، وهذا يذكر بكلام منسوب للإمام محمد عبده الذي كان ييراً من السياسة ويدم الفعل: ساس يسوس، وهذا يشير إلى أن العمل السياسي وما يجره على العاملين فيه إلى حقول الغام سوف تنفجر ب أصحابها، إذا لم يكونوا على حذر شديد، ولم يتلمسوا مواضع أقدامهم في كل خطوة يخطونها، كما يتبه هذا الأمر التنظيمات الدعوية والجهادية وذات الأيديولوجية أن لا يزجوا بشبابهم في الخضم السياسي إلا إذا تأكدوا من أنهم بلغوا درجة الثبات والحسانة والمناعة في اختلاطهم بالآخرين، ولا سيما ذوو الأفكار والمبادئ المناوئة.

أ- وقعت المنظمة في صراعات على الأرض اللبنانية مع النظام السوري، ومع الحركات اليمينية الانعزالية كان داماً، وكان لابد لهم

من إنجاد الفدائين في لبنان، وبخاصة في الشمال، لكنهم لم يكونوا يملكون أسباب التحرك من العراق إلى دعم مخيماتهم وتنظيماتهم في لبنان، ولا أسباب التنقل بوسائل لابد منها، وكان هذا الأمر ميسوراً لدينا نحن جماعة الإخوان السوريين، فمدنا لهم يد المساعدة، وهياانا للآلاف منهم أسباب السفر إلى لبنان عبر قبرص والبحر، وقد تم ذلك بنجاح، وكان بطل الحلبة في هذه المساعي الأخ محمد منذر كوجان رحمة الله، ونور ضريحه، ووسع مدخله، ورفع شأنه وقدره في جنات النعيم، فكان يسهر الليل كله ليهبي لحلفائنا الفلسطينيين سبل التحرك والسفر إلى لبنان لإنجاد إخوانهم في المخيمات والأماكن التي كانوا محاصرين بها.

بــ فتحنا للمنظمة طريق التعارف مع المجاهدين الأفغان كما مر معنا ذلك بشيء من التفصيل قبل صفحات قليلة، وزيارات للحزب في مقره في بيشاور، وفي داخل أفغانستان المحررة من الاحتلال السوفيaticي، وكان من أهم اللقاءات التي تنوّعت أماكنها لقاء في بغداد الذي هيأت له منظمة التحرير، وضم قيادة المكتب السياسي للحزب الإسلامي، ووفداً من السوفيات مشكلاً من مندوبي الداخلية والخارجية والمخابرات في الحكومة السوفياتية، وعندما علمت مصادفة بهذا اللقاء، توجهت إلى فندق الرشيد حيث تنزل الوفود، ففوجئ رئيس المكتب السياسي بزيارتني له، وعلمي بحضوره، وبمشروع المفاوضات بين الأفغان والسوفيات التي هيأت لها قيادة عرفات، فاعتذر قائلاً: إن الذين عرفناهم عن طريقكم اشترطوا علينا

هذا التكتم، فذهبت لمقابلة عرفات في منزل سفيره عزام الأحمد، فتنصل من هذا التصرف، وتبرأ منه زاعماً أنه جرى بغير استشارته! فأدركت واقتنعت بأن هذه المنظمات تمكر وتغدر، وقليل منها -إن وجدت- على طريق مستقيم، فتحدث لأول مرة بكلام جارح مع عرفات منذ عرفته.

فعلى الذي يمارسون المهام السياسية التفاوضية أو التصالحية أو التوسطية، أو يعقدون الاتفاques بكل ألوانها مع الآخرين من أحزاب ومنظمات ومقاومين أن يأخذوا حذرهم، وأن يتلمسوا موقع أقدامهم في كل خطوة يخططونها، لأنهم يسرون في حقول الغام، وفي أرض مزروعة بالعبوات، وصدق الله العظيم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾.

جـ- كان عبدالله لييب -هواريـ مندوب عرفات في التنسيق معناـ حادـ الطبع، ناري المزاج، فاصطدم بفضل براك مدير المخابرات العراقية -أو بيريا العراقـ أخطر مدير للمخابرات العامة عرفته العراق في عهد صدام حسين، فحضر الرئيس العراقي ضد هواريـ، فعولـ بقسوةـ، وأبعد عن العراقـ، فأغاظـ هذا التصرف مساعدـ فاضـلـ براكـ السيدـ فاضـلـ صـلـفيـجـ العـزاـويـ الذيـ كـثـيرـاـ ماـ حـذـرـناـ منـ برـاكـ قـائـلاـ: يـسـطـيعـ أـنـ يـتـخلـصـ مـنـكـمـ دـوـنـ أـنـ يـسـأـلـهـ أـحـدـ، فـاحـذـرـوهـ، وـاضـبـطـواـ أـسـتـكـمـ وـتـحرـكـاتـكـمـ، وـخـذـواـ حـذـرـكـمـ، أـمـامـ الجـمـيعـ، بلـ أـمـامـ أـقـرـبـ النـاسـ إـلـيـكـمـ!!

كانـ فـاضـلـ صـلـفيـجـ عـاجـزاـ عـنـ فـعـلـ أـيـ شـيءـ، يـحاـوـلـ أـنـ يـخـفـفـ

من الإجراءات التي اتخذت ضد هواري، لكن التنسيق ظل مستمراً معه، لانهاز أي فرصة يستطيع خلالها إخراج هواري من أزمته في بغداد، كما كان التعاون بيننا وبين هواري مستمراً لم يتوقف، وشاء القدر أن يسند منصب مدير المخابرات (بعد إزاحة براك عن موقعه وزجه في السجن، ثم إعدامه) إلى السيد فاضل صلفيج العزاوي، فسارع ببذل جهوده لإلغاء قرار الإبعاد الذي اتخذ ضد هواري، فسجلت رسالة باسم هواري ليسلمها المدير الجديد إلى الرئيس، وقد سارت الأمور في الطريق المرسوم، فعاد هواري إلى بغداد، وعادت الأمور إلى مجاريها، وانتهت أزمة حادة ما كان لعرفات أن ينجو من شرورها أو على الأقل من غبارها، وما كان لها أن تنتهي لو لا إبعاد فاضل براك عن رئاسة المخابرات العامة العراقية.

لقد كانت حاجتنا ماسة لعودة هواري إلى نشاطه، والذي كان كلامه نافذاً لدى رئيسه عرفات، وهذا الذي بذلناه لإخراجه من محنته في بغداد هو أقل ما ينبغي علينا فعله، لأنه كان يقف معنا في كل ما يواجهنا من أزمات وعقبات، ولاسيما في رومانيا عندما اعتقل لنا سبعة من تنظيمنا وحكم عليهم بأحكام متفاوتة تتراوح بين خمس سنوات والمؤبد، فكنا بحاجة إلى ما يساوي مليوناً ونصف مليون دولار لتخلصهم من هذه المحنـة التي وقعوا في حبائلها - لأن الرومان يفدون السجناء بالمال - فكان هواري معنا وبجانبنا في حل هذه الأزمة سياسياً ومالياً، والمنظمة ذات نفوذ واسع في العالم، ولاسيما في دول المنظمة الاشتراكية في شرقى أوروبا.

-٨- من الأعمال المهمة التي استطعنا أن نرد بها للفلسطينيين بعض ما لهم في أعناقنا من دعم وتعاون، أن السيد هواري كان على صلة وثيقة بجهات أمنية عالية المستوى قدموا له خدمات كبيرة لا تنسى، لكنهم فوجئوا بأحداث مثيرة، وتفجيرات في الدوار الثامن من جبل عمان، ذهب ضحيتها أبرياء من المارة، كان منهم أحد رجال الدين المسيحي، فتحركت الأجهزة المعنية لتبث عن الأيدي التي ارتكبت هذه الأعمال المنكرة، وكم كانت الصدمة لديهم عندما علموا أن هواري لم يكن بمنأى عن هذا العمل بالرغم مما قدموه له من دعم لا ينسى، الأمر الذي انعكس سلباً على العلاقة بين منظمة التحرير الفلسطينية وبين الحكومة الأردنية.

بذل عرفات مع المسؤول الأمني الكبير، ومع قمة السلطة والقائد العام جهوداً مضنية لحل الأزمة والحفاظ على الصلة الحسنة بين عمان والمنظمة دون جدو.

-٩- كانت صلتنا مع المسؤول الأمني الكبير في أحسن حالاتها، إذ أسدى لنا من المعروف ما لا ينساه إنسان في قلبه ذرة من الوفاء.

عرضنا على المسؤول حلّاً بإنهاء الأزمة مع هواري، وطريق هذا الملف بشرط أن يكون الأردن آمناً، ويصبح هواري صديقاً، وكان المنطق الذي خاطبته به المسؤول الكبير أن نتوجه إلى العدو في خصوماتنا، بدلاً من أن يكون الكيد فيما بيتنا، وأن يحصر هواري عداه أو صراعه مع العدو الإسرائيلي عوضاً من عدائه للوطن، وأن لا يحاصر الأردن العمل الموجه ضد العدو، واتفقنا على عقد اجتماع

في أحد مكاتبنا، اقتصر على المسؤول وهواري وكاتب هذه الأحرف، وبعد مقدمة هادئة وهادفة تلامس شغاف القلوب، تم الاتفاق على أن لا يصدر عن هواري أي شيء يمس الأردن بأذى، أو يسبب له حرجاً في واقعه وفي أوضاعه السياسية، وأن لا يسبب المعنيون أي مضائقات للمقاومة تعرقل توجهها الفدائي ضد العدو الصهيوني خارج الأردن، وبدت لي ضرورة توثيق الاتفاق، فتناولت نسخة من القرآن الكريم ووضعتها أمام كليهما على الطاولة، وطالبت الصديقين أن يقسما ويعاهدا الله جل شأنه على التقيد بالالتزام، وإذا بدا لأحدهما ما ينكره على الآخر، راجعه مباشرة لحل أي إشكال قد يشوب هذه العلاقة التي تم العهد والقسم على رعايتها.

بـ- جُن جتون عدد من ضباط فتح الأمنيين من هذا التقارب والتفاهم الذي تم بين المسؤول الكبير وبين هواري، وأرسلوا برقة حقيقة ضد هواري، وطالبوها بإبعاده والبعد عنه، ففوجئ هواري بعدم السماح له بدخول الأردن وإعادته بالطائرة التي أقلته من بغداد، فكان هذا النبأ صفة مؤلمة لي بعد إجراء المصالحة والتعاهد على رعايتها، ولدى مراجعة المسؤول، كرر لي اتهامات ضباط الأمن في منظمة فتح قائلاً: صاحبنا لا يلتزم، فقلت له: وقد استلمت صورة عن البرقية أحضرها هواري:

انظر إلى برقة الاحتجاج لترى أنها مليئة بالأكاذيب، فقد ذكروا فيها أن هواري دخل بجواز سفر سوداني، وأنتم تعلمون وكذا أجهزتم أنه دخل بجواز عراقي، وذكروا أن جوازه دبلوماسي، وهو

كما تعلمون جواز سفر عادي، فإذا كانوا قد حشدوا هذه التلفيقات في برقية لا تتجاوز خمسة أسطر، فكيف تسمع شهادتهم ويؤخذ برأيهم؟ وكيف نصدق مزاعمهم؟

وبعد برهة صمت قلت: أعرض عليك أيها الصديق حلاً يخرجنا من هذه الورطة، وهو أن تمنعني من الدخول أو البقاء في عمان حتى أخرج من هذا الحرج بعد أن كنت الوسيط والشاهد على الوفاق والاتفاق والمصالحة التي وثبتت بالعهد والقسم على كتاب الله تعالى.

فسكت قليلاً، ثم قال: ادع هواري للمجيء إلى عمان، وحدثه الآن بالهاتف.

فتناولت سمعة الهاتف من على مكتب الصديق المسؤول، واتصلت بهواري، وأشارته أن سوء التفاهم قد زال، وأن عمان ترحب به، وبعد ساعات كنت في استقباله في مطار عمان الدولي، وركب بجانبي وأوصلته إلى منزله في حي صويلح، ومنذ ذلك الحين استمرت العلاقة بين هواري والمعنيين في عمان نقية صافية كالماء الزلال، لا تشوبها شائبة، ولا يعكرها شيء لفترة طويلة، نال فيها هواري -أبو طارق عبدالله لبيب- الشقة والتسهيلات، وما إلى ذلك حتى وافته المنية في حادث سير غامض على أرض العراق، بالقرب من مدينة الرمادي في جو مغبر وطريق تجري فوقه إصلاحات، فأودت به سرعته الفائقة التي عرف بها إلى تدهور السيارة ووفاة الصديق هواري، لتنطوي صفحة من الجدل لدى قيادة فتح والمنظمات الفلسطينية ودول الجوار ولاسيما النظام في سوريا التي

كان يُكنّ هواري لنظامها كرهاً ومقتاً شديدين، وكذا المنظمات المعادية لحركة المقاومة الفلسطينية التي تتحدث عن الإرهاب والإرهابيين والدول المعادية، وفي مقدمتها إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية التي كانت وزارة الخارجية فيها تنشر في تقريرها الدوري السنوي قائمة بأسماء الإرهابيين، كان هواري يتتصدرها في كل عام.

أما نحن الإخوان فقد خسربنا صديقاً وفيأ لم نلمس منه غدرأ أو أي تصرف نشكو منه، بل وقف بجانبنا، ودعمنا بكل ما يستطيع بصدق وإخلاص وتفانٍ بما له من كلمة نافذة لا ترد لدى رئيسه وقائده أبي عمار، رحمة الله، وعفا عنهم، وتغمدهما بالرحمة والغفران.



التجربة السادسة

مع السودان الشقيق

بدأ اهتمامنا مبكراً بالقطر السوداني الشقيق، تحدونا آمال عريضة في بناء مجتمع إسلامي يكون نموذجاً لشعوب الأمة الإسلامية التي تتوق إلى العيش في ظل نظام إسلامي يتطلعون إلى نموذج له حتى يحاكوه ويقتدوا به.

بدأت العلاقة منذ عام ١٩٦٨ عندما حضر الدكتور حسن الترابي إلى أبو ظبي عاصمة دولة الإمارات العربية المتحدة بتكليف من القانوني والمشرع الكبير الدكتور عبد الرزاق السنهاوري، لصياغة مشروع دستور لدولة الإمارات العربية المتحدة الناشئة، فالتقينا طويلاً، واستعرضنا أحوال العرب والمسلمين، ولاسيما السودان وسوريا والتنظيم العالمي للإخوان المسلمين الذي يقوده مكتب الإرشاد من القاهرة، وكان للدكتور الترابي ملحوظات مهمة تتعلق بالعمل الإخواني في سوريا، وبمكتب التنسيق الإخواني في العالم العربي الذي كان يرأسه الأخ الكبير ومراقب الإخوان عصام العطار. منذ ذلك التاريخ والصلة تزداد وثيقاً في السودان بعدها لمسنا

فيهم من حيوية ونشاط وطموح وخطط عملية، واتساع دائرة تنظيمهم في السودان حتى بلغ الجنوب وأطراف السودان الأخرى.

في المجلس الإسلامي الأوروبي الذي يرأسه سالم عزام التقت نخبة من العالم الإسلامي كان منهم: الصادق المهدي وحسن الترابي من السودان، وعلى هامش اللقاء، تم حوار مع الترابي والمهدى حول مستقبل السودان، اقترحت عليهم فيه أن يضعوا مخططاً لسودان ما بعد النميري الذي استند أسباب حكمه، واقترب من الطريق المسدود، وقلت لهما: أنتما تمثلان الحركة الإسلامية بشقيها، التقليدية وعلى رأسها الصادق المهدي، والحديثة وعلى رأسها حسن الترابي، فإذا تعاونتما بصدق نجحتما، ونجح معكم السودان، وإذا اختلفتما، وتضارعتما، خسرتما وخسر معكم السودان، وأرى أن تضعوا ملفات جاهزة بالتعاون مع الشركات العالمية المختصة فيما يتعلق بمشروعات المستقبل والنهوض الذي يشمل تطوير الزراعة وتحديث السكك الحديدية والطرق البرية، التي تربط كل مناطق السودان بشبكة أوتوسترادات حديثة، والمواصلات الجوية والنهرية والموانئ، لأن الذين يحكمون، لا يجدون لديهم الوقت لمثل هذا، بل ينشغلون بأمور الحكم اليومية ومتطلباته الثقيلة حتى عن أفراد أسرهم.

راق هذا الحديث لهما، ولا سيما للسيد الصادق المهدي الذي دعاني لزيارة السودان، لاستكمال بحث هذه الموضوعات في الخرطوم.

لم تمض فترة قصيرة حتى التقى السيد إبراهيم المصري الذي مر بالسودان، والتقي الصادق، فحمل لي على لسانه التأكيد على زيارة الخرطوم.

رافقت السيد أحمد عبد الرحمن وزير الداخلية في نطاق المصالحة بين النميري وتنظيم الدكتور الترابي، إلى منزل السيد الصادق في أم درمان، وتناولنا أوضاع السودان، ووجوب إنقاذه من أزماته التي يتخطى بها، فقال الصادق لأحمد عبد الرحمن:

– أنت وزير داخلية في حكومة نميري، فهل تملك صلاحيات الوزير؟ وهل لك صلات بأجهزة الأمن التابعة للوزارة؟
فلم يجده بأي كلام.

١- لم تتوقف مساعي التقريب ما بين حزب الأمة والجبهة الإسلامية، أو بالأصح بين الصادق المهدي وحسن الترابي، وكان مساعد المهدي عبدالله أحمد، شديد الحرث على التفاهم بين الطرفين، فكنا ننتقل معاً بين القيادتين، فتشكلت بجهود أخرى أول وزارة ائتلافية ضمت القوى الكبيرة في البرلمان وهي: الأمة والاتحادي والجبهة، ولكنها لم تعمر طويلاً، وسرعان ما انفرط عقدها، فجرت مباحثات هذه المرة ما بين الأمة والجبهة فقط، فتشكلت وزارة نالت أكثرية نسبية في البرلمان، مما أثار حفيظة الآخرين في البرلمان وفي خارجه، وأكثر المشاغبين على هذه الوزارة كان مجلس الكنائس في السودان الذي كان يتمتع بنفوذ واسع في الجنوب، وكلمة نافذة في الشمال، وتأييد خارجي كبير.

سمعت من السيد الصادق قوله: إن مجلس الكنائس يتحرك ضد
الوزارة بنشاط وعداء كبيرين .

فقلت له: إنهم هكذا من قبل .

فقال: لم يسبق لهم أن وقفوا هذا الموقف العدائي وبهذه الشدة
كما هو الحال الآن .

لم يتحمل مجلس الكنائس ومن يقف معهم وخلفهم في الداخل
والخارج تشكيل الوزارة من تياريين إسلاميين يمثلان القديم
والحديث، فيما زالوا ومن اصطف معهم يعملون على هدم هذه
الوزارة حتى أفشلوها، فلم تعمر طويلاً كسابقتها .

إن التعاون بين المهدي والترابي، كما لاحظنا من الاتصال بهما،
لم يكن صافياً ولا نقياً، بل كان كل من الصديقين اللذدين يتحفظ
كل واحد من الآخر، ويضمّر له أو ضده غيرة وحسداً، رغم ما بينهما
من صلات قديمة، ونشأة متقاربة منذ مقبل العمر، ومصاهرة قربت
ما بين العائلتين، وبتقديرني لو أن التعاون بينهما كان صادقاً وصافياً
لكان لهما شأن آخر في أحداث السودان، وفي مسيرته السياسية، وفي
تطوره وتقديمه واستقراره، لكن هذا لم يحدث، وجر التنافس غير
المفيد بين المهدي والترابي على السودان أضراراً بالغة، وخساراناً
ظهرت آثاره السلبية فيما بعد على الحياة السياسية في السودان، وعلى
استقراره .

وما زال هكذا دأب الزعيمين حتى كتابة هذه السطور إذ إن صلتي

بالسيد الصادق لم تتوقف، فقد شكلوا معارضة من خمسة أحزاب هي الأمة والاتحادي والبعث والشيوعي، وحزب المؤتمر الشعبي، فسألت الصادق عن تقويمه لهذه القوى فقال: الاتحادي يتلقى التوجيه من مصر، والشيوعي يفتش عمن يرتبط به بعد أن انفطر عقد المنظومة الاشتراكية، وحزب البعث بعد الذي حل بالعراق لا وزن له، والترابي بتصریحاته أضجع يخرج أقرب الناس إليه.

قلت: ولماذا تزج بتنظيمك الكبير في هذا التشكيل الضعيف غير المتजانس؟

قال: الترابي هو الذي يطلب الانضمام إلىّ!!

- اتسعت دائرة الخلاف بين التنظيم العالمي بقيادة مكتب الإرشاد، وبين الإخوان المسلمين -الجبهة القومية الإسلامية- في السودان، ومرت العلاقة بين الطرفين بأزمة ثقة حول الصلة التنظيمية بينهما، كانت تستفحـل أحياناً بينهما لأسباب وعوامل عـدة، يأتي في مقدمتها تصريحات الدكتور حسن التراـبـي حول موضوعات فقهـية، ولا سيما فيما يخص المرأة وغيرها من فتاوى شرعـية كانت تقابل بالاعتراض، وأحياناً بالرفض والاستنكار.

كان مكتب الإرشاد شديد الحساسية حيال الإخوة في السودان، وينظر إليهم كالمتمردين على وحدة الحركة بقيادة مكتب الإرشاد، وكنا في التنظيم العالمي نشعر بالخطورة، إزاء هذا الخلاف، ونعمل على تطويقه كيلا يتحول إلى انقسام داخل جماعة الإخوان المسلمين العالمية، وكنا نلح على الإخوة المصريين كي يعملوا على ضبط

النفس، وأن يتحمل بعضنا بعضاً فيما هو مختلف عليه، فاتخذ التنظيم العالمي قراراً بالتحرك إلى الخرطوم لتقريب وجهات النظر، وتطييب الخواطر والنفوس، والعمل الجاد على بقاء الحركة موحدة مهما بلغت حدة الخلاف في داخلها.

في نهاية الأسبوع الأول من شهر مارس/آذار عام ١٩٨١ تشكل وفد من التنظيم العالمي ضم الإخوة: خيري الأغا أبوأسامة، ومحمد عبد الرحمن خليفة أبو ماجد، وعبدالله المطوع أبو بدر، وأبو عامر عدنان سعد الدين كاتب هذه السطور، وتوجه إلى الخرطوم، وبعد زيارات متعددة وحوارات واسعة، تم اللقاء مع قيادة الإخوة السودانيين وجرى النقاش الطويل والموسع الذي انتهى إلى الاتفاق التالي في ١٠-٣-١٩٨١، وهذه هي نصوصه:

بحمد الله تعالى وتوفيقه، قامت اللجنة المكلفة من التنظيم الدولي للإخوان المسلمين بزيارة الخرطوم، وتم الاتفاق على ما يلي:

- الإخوان المسلمون في السودان جزء من حركة الإخوان المسلمين العالمية، وهم معها مناصرة في المنشط والمكره، ولكنهم من حيث التنظيم مستقلون، ويررون في الوقت الراهن أن يشاركون في مجلس الشورى وغيره من المؤسسات الإخوانية الأخرى دون الالتزام بالبيعة أو بقرار الأكثري، وإنما يرون التنسيق وتطوير دواعي التقارب بين التنظيمات الإخوانية حتى تتم الوحدة التنظيمية إن شاء الله.

- يتخذ الإخوان المسلمون في السودان موقفاً شبيهاً إزاء الحركات الإسلامية الأخرى في العالم، ولكن بدرجة متفاوتة حسب

- قريها وبعدها من المنهج العام للإخوان المسلمين.
- اتفق على أن يكف جميع الإخوان عن الحملات المنشورة وغيرها، وأن تقتصر المناصحة على الدوائر المسؤولة.
 - يعتمد الإخوان المسلمون في السودان علاقات تعاون ثنائي مع تنظيمات الإخوان المسلمين بدرجات متفاوتة، حسب مقتضيات العمل الإسلامي.
 - الإخوان المسلمون بقيادتهم وأجهزتهم المنبثقة عن مؤسسات الحركة الشرعية هم التنظيم الشرعي الوحيد للحركة الإسلامية في السودان، ولا ينبغي أن تجري دون علمهم اتصالات مع عناصر أخرى على أساس التعامل الإخواني.
 - اتصل أعضاء اللجنة بتنظيم الإخوان المسلمين في السودان، بشأن عودة الصادق عبد الماجد وإخوته إلى التنظيم، فوافق التنظيم على المبدأ بشرط الالتزام بالجماعة، وتحفظوا على بعض الأفراد، ثم اتصلت اللجنة بالأخ صادق وإخوانه، فاعتذررا عن الرجوع إلى الجماعة، فاتفقت اللجنة مع الطرفين، أن يعملا دون إثارة لخصوصية بينهما، ودون احتكاك في مجالات العمل.
 - تطرق الإخوة الزائرون إلى آراء الأخ الدكتور حسن الترابي، وما تشيره من إشكالات تنظيمية، وما ينسب إليها البعض من خطأ، وطلب الإخوان الزائرون أن يُتحرى في إبداء الآراء الواضح والبيان الكامل، واجتناب الإثارة، وشرح الإخوان السودانيون رأي التنظيم في

هذا الموضوع، ثم استمع الإخوان الزائرون إلى توضيحات الأخ حسن الترابي حول ما نسب إليه من آراء.

سائلين المولى سبحانه أن يوفقنا للخير ومرضاته، والحمد لله رب العالمين.

حرر الوثيقة بتكليف الطرفين -أبو عامر- كاتب هذه الكلمات، ووقع عليها أعضاء اللجنة كل باسمه، كما وقع عليها أربعة من القيادة السودانية هم: حسن الترابي، وعبدالله سليمان العوضي، والتيجاني أبو جديري -رحمه الله- وأخ رابع من مسؤوليهم.

-٣- استفحل النشاط الشيعي في السودان تحت عناوين متنوعة، منها افتتاح مراكز باسم نشر الثقافة وإطلاق تسميات عليها باسم مركز الزهراء وغيره توحى بالطابع الشيعي، وباسم خط الإمام بالجامعات التي أغدق عليها الإيرانيون بسخاء، وخصصوا للطلاب الذين ينحازون إليهم مئة دولار شهرياً -ربع مليون جنيه- وشجعوا في أجواء الطلاب والراهقين فيهم على المتعة وروجوا لها!! فشعر السودانيون بأخطار هذا التحرك واتساع دوائره، وجرت مباحثات مع كبار المسؤولين السودانيين والمعنيين على العمل الجاد في تطويق هذه الظاهرة، والحد من أخطارها.

في ١٩٨٥-٩ قمنا بزيارة السودان باسم المؤتمر الإسلامي، شملت الأحزاب السياسية وقادتها، وعدداً من الطرق الصوفية والشخصيات المعروفة، ودخلنا في حوارات مع الكثيرين ممن غابت عنهم الحقائق، وخدعوا في ظواهر الأشياء، ولم يفطنوا إلى الفساد

الذى بدأ يدب في أوساط الجامعات التي بدأ العدد من أبنائها يهملون الفرائض، ويتركون صلاة الجمعة، بدعوى انتظار ظهور الإمام، ناهيك عن الفساد العريض الذي تسببه الدعوة إلى نكاح المتعة في أوساط الشباب والمرأهقين.

كان لجولتنا أثر ملموس ونتائج باهرة أكثر مما كنا نتوقع، فعدنا من زيارة السودان، ونحن نشعر براحة الضمير على ما أديناه من واجب تجاه دعوتنا وأمتنا.

قمت بدراسة موسعة عن هذه الرحلة قدمتها لإخواني، أثبت منها مقتطفات لأهميتها، لأن الدراسة واسعة، ولا يتسع البحث لإيرادها كاملة.

زيارة وفد المؤتمر الإسلامي للسودان:

حوالي ٧٠٪ من مساحة الوطن العربي يقع في القارة الإفريقية، وأكثر من ثلثي الشعب العربي يعيشون في هذه القارة، ولذا فهي القارة المؤهلة لأن تكون قارة العرب والمسلمين، من بين القارات الخمس أو ست في كوكبنا الأرضي.

القطر السوداني الشقيق هو العمق الاستراتيجي العربي والإسلامي في قارة إفريقيا، ولا سيما في شرقها ووسطها، ولهذا فالصراع في السودان وعلى السودان على أشدّه، لا يهدأ ولا يتوقف، إلا ليزداد حدة وشدة وشراسة، ففي هذه البقعة من وطننا تتضح ظاهرة التحدي بين الحضارات المتصارعة، وأكثر ما ييلو هذا التحدي في جنوبى

السودان في صورة احتكاك وصدام عسكري، قومي حضاري لغوي..
إلخ بين العروبة والإسلام من جانب، وبين الوثنية والزنوجية مدعاومة
من مجلس الكنائس العالمي، ومن الشيوعية الدولية - ولاسيما من
كوبا - بآن واحد، أو متسترة بوحدة منها أو من كليهما.

٤- الأحزاب والتيارات السياسية في السودان

إذا تجاوزنا التحليلات والدراسات التي تنشرها المجالات
والصحف، واعتمدنا على الدراسة الميدانية في أرض الواقع، نجد أن
السودان نهب لكل التيارات المتناقضة على أرضه، ومعظمها إن لم
تكن جميعها مرتبطة بشكل أو بآخر بقوى دولية خارج السودان، وكل
تيار يحاول أن يثبت وجوده في الفترة الانتقالية -سابقاً- التي أتيح له
فيها حرية الحركة والعمل السياسي المكشوف.

وبالرغم من وجود أكثر من ثلاثين تنظيماً على الساحة السودانية
فإن التيارات الأساسية هي :

أ- الأنصار -حزب الأمة- وهم أكثر عدداً من التيارات الأخرى،
غير أنهم متفرقون ومنقسمون على أنفسهم إلى ثلاثة أقسام، ويحاولون
لهم شملهم، وأبرزهم وأمهرهم وأكثرهم حنكة هو الصادق المهدى ذو
الصلات الواسعة عربياً وإسلامياً ودولياً، وقد كان لنا معه جولة واسعة
انتهت إلى التفاهم المبدئي حول عدد من النقاط والموافق، ولاسيما
حرب الخليج كما يحلو للبعض تسميتها.

ب- الختامية -الحزب الاتحادي- وهي القوة الجماهيرية الثانية

من حيث العدد، إلا أن الانقسام في صفوفها أشد مما هو عليه في صفوف الأنصار، غير أن لهم رصيداً في صلتهم بمصر، ولديهم عدد من الشخصيات ذات الحنكة السياسية والخبرة في شؤون الحكم والعمل الشعبي، وأبرز شخصية فيهم هو راعي الحزب والطائفة عثمان المرغنى، الذي يغازل في -تلك الآونة- الدكتور حسن الترابي تمهيداً لعمل مشترك أو تنسيق في المواقف كحد أدنى للتفاهم بينهما.

ج- الحزب الشيوعي، بالرغم من تماسكه وعدم انقسامه، وتسلیط الأضواء عليه، والدعایة الإعلامية له في الأوساط الغربية والشرقية، فإنه من دون قاعدة جماهيرية، ومن دون مستقبل في السودان، وبالرغم من المحاولات التي يبذلها قادته في تمسحهم بالإسلام للتقارب إلى الجماهير، فإنهم يزدادون وهناً على وهن، ويظهرون في المجتمع بثوب النفاق والتملق والاعتراف الضمني بأنهم غرباء عن مجتمع العروبة والإسلام.

د- الجبهة الإسلامية القومية، يقودها تنظيم الإخوان المسلمين في السودان، ورغم الهجوم الشديد على الترابي الأمين العام للجبهة، لقربه من النميري في نطاق المصالحة بين النميري والجبهة، ووقوع الخلاف بينهما في وقت لاحق، رغم هذا الهجوم العنيف من الأحزاب التقليدية، ومن الأحزاب اليسارية، فإن هذه الجبهة شقت طريقها، ونمّت بصورة فاقت طموحات مؤسسيها، لأن معظم أتباع الطرق الصوفية قد انضموا للجبهة، عندما خرج الترابي ورفقاوه من سجن النميري إثر انقلابه عليهم، وبعد سقوط النميري وكان قد وجه

لهم تهـماً خطيرة، عقوبة كل واحدة منها الإعدام، عقد قادة الجبهة مؤتمراً جماهيرياً قدرته إذاعة مونت كارلو بعشرين ألفاً، وقدره البعض بخمسين ألفاً، ويصر قادة التنظيم وأنصاره على أنه ضم مئة ألف من المؤيدين، بينما كان عدد مؤتمر الجبهة الوطنية المناوئة للجبهة الإسلامية التي تضم عدداً من الأحزاب: حوالي عشرة آلاف من المواطنين.

على كل حال، فإن تنظيم الإخوان في السودان قد استطاع، تحت غطاء المصالحة خلال سبعة أعوام، أن يثبت قواعده في المجتمع السوداني، وأن يتغلغل في الأوساط العمالية والطلابية والريفية والنسائية، وفي دوائر الدولة المدنية والحساسة، وأن يستقطب عدداً كبيراً من كبار وصغار الموظفين، مما اضطر الدوائر الغربية -ولا سيما أمريكا- أن تنصح النميري أن يعجل بضرب تنظيم الإخوان، بل إن بوش كما ذكرت المجالات -ومنها الأسبوع العربي ذات التزعة الكتائية- قد حدد للنميري فترة شهر لتصفية التنظيم، وإلا فإنه سوف يشكل خطراً على نظامه، وعندما شنت أجهزة النميري ونائبه محمد عمر الطيب حملتها على الإخوان، بعد أن مهد لها النميري بكلمة من الإذاعة، وبالمارشات العسكرية، وأعلن أنه ألقى القبض على قادة التنظيم تمهيداً لمحاكمتهم، أكد الإخوان أن معظم القيادات طليقة، وأن عهداً من الكفاح السري بدأ لمقاومة النميري، ودخول المعركة الفاصلة معه، بعد الدراسة المستأنفة وإعداد العدة الازمة، وعندما بدأت المظاهرات العارمة تماماً شوارع العاصمة المثلثة، صرخ النميري

من واشنطن بأن الإخوان وراءها، وإن قياداتهم التي توارت عن الأنظار هي التي تحرض الشعب السوداني، ليناقض نميري تصريحه وتصريحات أجهزته بأن جميع القيادات قد اعتقلت، وألقي القبض عليها لتقديمها إلى محاكم أمن الدولة.

والخلاصة فإن تنظيم الإخوان المسلمين السوداني -الجبهة- مستقل إدارياً عن تنظيمات الإخوان الأخرى، ولديه مقومات في العمل السياسي والاجتماعي من أبرزها:

- يؤمن بالعمل الجماهيري والاختلاط بكل فئات الشعب، ويدرب أعضاءه على تقديم الخدمات للمجتمع، ولاسيما الفئات الكادحة من خلال مؤسسات عديدة، منها: منظمة الدعوة، ووكالة الإغاثة، وحل أزمة المواصلات، وغيرها من المؤسسات التي لا يتسع الحديث عنها في هذه الصفحات.

- يهتم هذا التنظيم بالعمل النقابي والنشاط الاقتصادي، وبالجمعيات ذات الأنشطة العديدة، ولذا سيطر لسنوات عديدة على اتحادات الطلاب الجامعيين والثانويين، وعلى عدد من النقابات العمالية الشهيرة مثل نقابة السكك الحديد في عطبرة، وعلى نقابات المزارعين، وكذلك بالنسبة لاتحادات النساء.

- لا يشترط في تحالفاته السياسية وحواره مع الآخرين اتحاد الأفكار، بل يكتفي بالتفاهم حول المواقف التي تخدم المصلحة العليا للأمة والوطن.

- له تأثير أدبي واسع على الحركات الإسلامية في شمال إفريقيا، ولاسيما في القطر التونسي، وفي شبه القارة الهندية وعلى الأخص في لاهور لدى قيادة القاضي حسين أحمد أمير الجماعة الإسلامية في باكستان.

- تكونت لديه نظرة خاصة للعراق، ولاسيما موضوع حربه مع إيران، بعدما كان في بداية الحرب أقرب في تأييده لإيران، فتخلى عن هذه النظرة بعد وقوفه على تفصيلات هذه الحرب، وبعد تجاربه السياسية والاقتصادية مع إيران، كما شرحوا لنا ذلك، فانحاز إلى العراق في حربه الطويلة مع إيران.

- لهم تأثير ملموس على الجاليات الإسلامية في أوروبا وأمريكا وكندا، ولهم علاقات وثيقة بال المسلمين السود في القارة الأمريكية، وفي عدد كبير من الدول الإفريقية مثل نيجيريا وأوغندا ودول أخرى كثيرة في إفريقيا.

هـ- حزب البعث العربي الاشتراكي: التباين كبير في تقدير قوة الحزب بين قادة الحزب وخصومه، فالامين العام للحزب الأستاذ بدر الدين المدثر، يتكلم وكأنه قائد السودان، والآخرون ينظرون إلى تصريحاته ومحاضراته بالاستنكار والاستخفاف، ولذا اتجاوز هذا الجانب، وأتكلم عن المواقف والأفكار والتوجهات للحزب ورئيسه.

إذا صح أن العروبة يمكن أن تنفصل عن الإسلام كما طرح ذلك الأستاذ ساطع الحصري في أربعينيات القرن العشرين، ورد عليه أنطون سعادة مفنداً هذا الرأي ومؤكداً أن العروبة لا تنفصل عن

الإسلام في معرض هجومه على العروبة، ودفاعه عن فكرة الأمة ونشوئها وربطها بالأرض، أو قل: إذا صح افتراق العروبة عن الإسلام في قطر كلبنان، فإن هذا لا يمكن أن يحدث بأي صورة من الصور على أرض السودان، ولهذا كان طموхи كبيراً في إقامة تحالف أو تعاون أو تنسيق أو تعايش على الأقل بين الاتجاهات الإسلامية والعربية في السودان لمواجهة التآمر الرامي إلى سلخه عن الوطن العربي والعالم الإسلامي، وفي طليعة المتآمرين أو رأس الحربة فيهم: إسرائيل، ومن الشرق بالزحف الباطني بدعم من جميع الحاقدين على العرب والمسلمين، بهدف إقامة دولة باطنية صفوية قرمطية تمتد من بحر الخزر إلى شواطئ المتوسط، ومن جنوبى تركيا إلى شمالي باكستان.

إن طروحات حزب البعث السوداني بقيادة بدر الدين المدثر تذكر بما كان عليه الحزب في سوريا في الأربعينيات من القرن الماضي، عندما كان بعض شبابه يهتفون: تسقط الرجعية رداً على الخطيب الذي يبدأ حديثه بـ «بسم الله الرحمن الرحيم»، وغير ذلك من الأفكار والطروح التي أحدثت بلبلة مؤذية، وردود فعل حادة، وأحياناً غير واعية في أوساط العاملين للإسلام - علماء وعامة وأحزاباً - أدت إلى صراعات ونزاعات كان مآلها أن تصاب الأمة كلها بسهم مسموم في قلبها النابض من جراء هذا الصراع المفتعل بين العروبة والإسلام، والذي يحقق للأعداء أهدافهم دون أن يكلفهم شيئاً.

و- كان مخطط التحرك لوفدنا الإسلامي يشمل الزيارة واللقاء

والحوار مع شخصيات دينية وسياسية رسمية وشعبية، تحقق فيها عقد جلسات مع أعضاء المجلس الإسلامي الأعلى في السودان، والجبهة الإسلامية القومية، والأستاذ صادق عبد الماجد رئيس مجموعة الإخوان المرتبطة بمكتب الإرشاد في القاهرة، والسيد الصادق المهدى، ومنظمة الدعوة الإسلامية، وشخصيات سودانية أخرى.

- تم اللقاء في مقر المجلس الإسلامي الأعلى، حضره عشرة من الأساتذة والشيوخ، كان منهم الدكتور عبد الرحمن محمد سعيد أمين عام منظمة الدعوة الإسلامية التي تضم مجموعة مؤسسات، أهمها وكالة الغوث للجنوب السوداني وعدد من البلدان الإفريقية، فشرحنا لهم ظروف الحرب بين إيران والعراق، وما يبيته الخمينيون في هذه الحرب المدمرة من مكر وكيد للعراق وللعرب وللمسلمين، فكان التجاوب كبيراً، بل أكبر مما توقعناه.

- عندما وصلنا إلى الخرطوم قرأنا مقابلة لوفد إيراني برئاسة وكيل الخارجية الإيرانية شيخ الإسلام في جريدة الرأي المحسوبة على الإخوان، فوجهنا انتقادنا للجريدة.

في اليوم التالي وجه السفير العراقي الدعوة على طعام الغداء إلى الدكتور الترابي وعدد من إخوانه، فلبوا الدعوة، كما دعا السفير عدداً من الشخصيات، وفي هذا اللقاء قرر أعضاء القيادة في الجبهة برئاسة الترابي مقاطعة الوفد الإيراني، وعدم استقباله أو الالتفاء به، ربما لإصرار الإيرانيين على استمرار الحرب.

كان حديث الترابي وإخوانه مبعث ارتياح عميق في نفس السفير

العربي جراء ما سمعه من مواقف وآراء وتحليل وتفسير حول الصراع بين العربية والإسلام من جهة، وبين أعدائهم من جهة أخرى.

بدت قناعة الترابي التامة بموقف العراق من الحرب بين العراق وإيران، وفي أمور أخرى، وأبدى استعداده التام للتفاهم والتعاون والخوار، ومما مهد لهذه القناعة ليس حواري معه من قبل فحسب، بل ما سمعه من شروح من صديقه الحميم الدكتور محمد يوسف المقيريف من موقف القيادة العراقية، وما قدمه من توضيحات إثر زيارته للعراق، وعودته منها إلى السودان كأمين عام لجبهة إنقاذ ليبيا.

- بعد أن اتفق السفير العراقي مع مكتب الصادق المهدي على زيارتنا له في مكتبه ظهراً، لم نتمكن من الوصول إليه في الوقت المحدد، فذهبنا إلى منزله مساءً، فحضر بعض أنصاره، واعتذر هو عن الحضور، فأعربنا عن أسفنا لما حدث في النهار، وكتبت رسالة عتب للسيد الصادق المهدي سجلت فيها مكان نزولنا في الفندق، وغادرنا المنزل.

في الصباح حضر إلى الفندق مرافق الصادق، ورحب به إلى الذهاب إلى الصادق، لأنها بانتظاري، ولم يكن يعرف من الذي حضر في الليل إلى منزله، وقال: كلفني أن أصبحكم وحدكم.

وعندما شرحت لزميلي عضو الوفد شجعني كثيراً، فذهبت إلى مقر حزبه، وخلال ثلاث ساعات تناول الحديث أربعة موضوعات وهي: رأيه في حزب البعث وفي بدر الدين المدثر، فكان كلامه قريباً من كلام الترابي على ما بين الاثنين من خلاف، وموقفه من الذين

يشوهون سمعة الإسلام بادعائهم أنهم يطبقونه، كالنميري وضياء الحق، ووجوب اتخاذ موقف واضح حيال ذلك، وانتقد الترابي في مجاملته للنميري، وكيف تجاوز الحدود المعقولة، وأخيراً رأيه في الحرب العراقية الإيرانية، ثم اتفقنا على إصدار بيان موقع من نخبة من قادة الفكر لفضح هذا الاستغلال، وانصب الحديث خلال ذلك الوقت وعلى مدى ساعتين عن الحرب وعن إيران.

خلاصة رأي الصادق: أنه كان معجبًا بإيران في أول الأمر لاستطاعتها إزالة طاغوت الشاه، كما قال، وأنه يريد تضييق الهوة بين السنة والشيعة، ثم أدرك أن حكومة إيران متحجرة، لا تؤذى غيرها فقط، بل تؤذى نفسها وشعبها أيضاً، وتشوه سمعة الإسلام، ويقول: لابد من تحرك حيال هذه الحرب، وأنه يأخذه على عاتقة وفي المحيط الذي يستطيع التحرك فيه.

قلت: ولكن صديقك سالم عزام جنح نحو ممالة إيران.

فقال: لقد أدرك هذا، ويريد أن يصحح خططيته، ثم قال: يبدو أن لل العراقيين موقفاً سلبياً مني.

قلت: هذا وهم، فالسفير هو الذي حثنا على زيارتكم تقديرًا لكم.

فقال: هذا شيء طيب، وعندني استعداد للتفاهم معه وال الحوار حول هذا الموضوع وغيره.

وفي الختام حددنا للسفير وللآخرين مقتراحات كان منها: توجيه

النصح للمدثر بالتوقف عن الهجوم على التيار الإسلامي في صحفته وتصريحاته، ولا سيما تهجمه على الفكر الإسلامي، مهما كان تعليمه لذلك، وأوردنا أمثلة على ما يفعله ويقوله، واقترحنا دعوة الترابي والمهدى إلى العراق، فإن هذا سوف يقلب الموازين رأساً على عقب في السودان، وفي شمالي إفريقيا، وفي كثير من الدول الإفريقية، وفي أوساط الجاليات الإسلامية في أوروبا وأمريكا، وفي أوساط التنظيمات الإسلامية في الخليج وفي شبه القارة الهندية، وفي بعض الدول الآسيوية كمالزيا.. إلخ. بالنسبة للترابي، وبالنسبة للصادق المهدى الذي له صلات واسعة في الغرب، وفي محيط كثير من الإيرانيين في داخل إيران وفي خارجها.

لقد كانت زيارة الوقد إلى السودان مبدعة، قلبت الموازين ضد الحرب العراقية الإيرانية، وصحت كثيراً من المفاهيم الخاطئة، وأكسبت العراق موقع مهمة في حربه مع إيران للعمل على إيقافها، وإيقاف نزف الدم بين الدولتين الجارتين، وأسائل المولى جلّ وعلا أن يحفظ لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، ويحفظ لنا بلادنا وأمتنا، وأن يتنزل علينا بالنصر المؤزر والفوز المبين.

عضو الوفد الإسلامي

عدنان سعد الدين

ـ انفجر الخلاف بين النميري ومستشاره الدكتور حسن الترابي والجبهة الإسلامية القومية، بتحريض من أمريكا ورئيسها بوش كما من سابقاً وكما نشرت ذلك مجلة الأسبوع العربي، وأضحى أصدقاء

الأمس أعداء اليوم، وبدأت مرحلة من الصدام بين نظام النميري وتنظيم الجبهة الإسلامية القومية.

اتصل الأخ الأستاذ زين العابدين الركابي يذكر تفصيلات ما يجري، وأن الترابي مع عدد من إخوانه رهن الاعتقال، ولا بد من التحرك.

قمت بزيارة للسفير السوداني في بغداد، فاستقبلني في منزله، وأبدي كلاناً أسفه على ما يجري في السودان، فسلمه نص برقية رجوته أن يرفعها إلى النميري استنكاراً لما يحدث، وتحذيراً من مغبة هذه السياسة الخطيرة، استلمها السفير السيد علي أحمد علي الذي لمستنا منه الخلق الرفيع والأدب الجم، واعداً بإرسالها، وهذا نصها:

سيادة رئيس جمهورية السودان جعفر محمد نميري المحترم.

لقد راعنا وهز مشاعرنا ما تناقلته وكالات الأنباء عن مطاردة رجال الدعوة الإسلامية واعتقالهم في السودان الشقيق.

إن اعتقال نواب الأمة في البرلمان ورجال القضاء، وكبار رجالات الدولة من دعاة الإسلام يتنافى مع إعلان الدولة عن عزمها في تطبيق الإسلام، وصوغ المجتمع السوداني وفق مبادئه وتوجيهه.

لقد استبشر أعداء العرب والمسلمين في كل الأنحاء بملائحة الحكومة السودانية لأبناء الدعوة الإسلامية على أرض السودان، وطمأنهم بأن السودان يسير في طريق مسدود، عندما أقدم على الصدام مع رجال الدعوة الإسلامية بعد صدامه مع جميع الفصائل

والفتات الأخرى.

يا فخامة الرئيس: إن المجتمع الإسلامي لا يقيمه وبينيه إلا الإسلاميون، ومن ثم فإن ملاحة دعوة الإسلام يعني في نظر المنصفيين والمرأقبين نكسة إلى الوراء، وتراجعًا عن تطبيق الإسلام في الدولة والمجتمع.

نناشدكم إعادة النظر في موقفكم من الدكتور حسن الترابي وإخوانه.

في ١٥-٣-١٩٨٥

عن قيادة الإخوان المسلمين في سوريا

عدنان سعد الدين

وعد السفير بإرسال هذه الرسالة إلى النميري، ثم سافر إلى الخرطوم، فسمعنا عن نبأ وفاته المفاجع، فحزنا عليه، وأرسلنا إلى الخرطوم الأخوين عبدالله الطنطاوي، ومنذر كوجان لتقديم التعزية لعائلته بعد الذي رأينا فيه من خلق كريم وأدب رفيع.

هل أرسل السفير هذه الرسالة كما وعد؟ أم كان وعده حياءً منا، ثم أودعها بالملف؟

بعد فترة زمنية حضر إلى السفارة السودانية السيد إبراهيم مطر كواحد من كبار موظفي السفارة، ورأى هذه الرسالة بالملف، فأحضرها لي لأستلمها منه، فهل أرسل السفير صورة عنها، واحتفظ بأخرى؟ علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى.

- ازدادت الصلة قوة وتمكيناً بين العراق والسودان، وتجاوز الدعم العراقي للسودان في كل المجالات العسكرية والصناعية والبترولية وغيرها الطموحات، وانتقلت إلى الصلات المباشرة والمشاورات حول القضايا الكبيرة ذات الصلة بمستقبل الأمة على الصعيد القومي -العربي-، إذ حضر الأستاذ علي عثمان نائب الرئيس على رأس وفد من الجبهة الإسلامية القومية في مؤتمر عتيق انعقد في بغداد حول الحرب العراقية الإيرانية حضره الأستاذ محمد حسين هيكل عام ١٩٨٧ وشخصيات كبيرة من الوطن العربي والعالم الإسلامي .

وعندما كان الأستاذ علي عثمان جالساً على المنصة في إحدى الجلسات، استلم دعوة من السيد النائب طه ياسين رمضان ليعقد معه لقاءً، فاضطر إلى الانسحاب من المنصة وتکلیف الأستاذ إبراهيم السنوسي ليحل محله.

كان اللقاء مفيداً ومثمراً، إذ عرض النائب السوداني على النائب العراقي عروضاً أ عجب بها، وانبهر من أهميتها، من ذلك أنه قال:

- امدد يديك لتعاهد على نشر اللغة العربية -وهذه هي القومية- في كل القارة الإفريقية، بينما حزبكم -حزب البعث السوداني- عرض على جارنـغ -الذي كان يقود حرباً في الجنوب ضد الشمال- أن تكون الإنكليزية هي اللغة الرسمية.

فقال النائب العراقي: وهل يعقل هذا؟

فأجاب النائب السوداني: لك أن تطلب مني الدليل على كل ما أذكره لك.

ثم ختم الأستاذ طه ياسين رمضان هذا اللقاء المطول بقوله:

- قبل أن القاك كنت أشك بكل ما أسمعه من أبي عامر حول حركتكم وأفكاركم، وأظنّ كلامه من قبيل الانحياز الحزبي، ولكن بعد أن التقيناكم، أدركت أنه كان على صواب في كل ما كنا نسمعه منه.

٩- تابعت الزيارات المتبادلة بين النائبين لبغداد والخرطوم، وقد تركت الزيارة الأولى للأستاذ علي عثمان لبغداد أثراً طيباً في نفسه، جعلته مشدوداً إلى بغداد وأهلها، و دائم التفكير بها، فلم يلبث بعد عودته إلى الخرطوم أن سطر رسالة للسيد النائب الأول العراقي طه ياسين رمضان تقىض بالمودة والذكرى العطرة، جاء فيها:

الأخ الكريم السيد النائب الأول الأستاذ طه ياسين رمضان.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

فإن زيارتي للعراق الشقيق على رأس وفد الجبهة الإسلامية القومية لمؤتمر السلام، وكذا زيارتكم شخصياً تركت في نفسي أثراً طيباً لا أنساه.

إن الموضوعات التي تناولناها كانت مهمة للغاية، استهدفت تعزيز التعاون الجاد المثمر بين أبناء الشعب الواحد على طريق الوحدة لشعبنا العربي وأمتنا الإسلامية، لتهض بجماهيرنا إلى المستوى اللائق

بها، والذي يحاكي أمجادنا التليدة، وتاريخنا الأعز.

إننا نتطلع إلى استكمال المباحثات مع الإخوة في العراق الشقيق، للعمل معاً على تقوية أواصر الصلات الأخوية بين السودان وال伊拉克.

إننا في السودان لن ننسى دعم العراق لبلدنا بالسلاح والذخيرة، وهو في حالة حرب ضروس يدافع عن أرضه وكرامته، كما لن ننسى العون السخي لبلدنا عندما حلت به الفيضانات رغم انشغالكم في محو آثار الحرب التي خضتموها بشجاعة وثبات لثماني سنوات.

إنني باسم الجبهة الإسلامية القومية في السودان أبعث لقيادة العراق الشقيق، وعلى رأسها الرئيس المجاهد صدام حسين، وإلى جيش العراق الباسل، والشعب العراقي بأسمى آيات الود، وعاطر التحيات، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الخرطوم يوم الاثنين في ١٢-١٩٨٩

علي عثمان محمد طه

نائب الأمين العام للجبهة الإسلامية القومية

بـ- لم يمض على إرسال هذه الرسالة حوالي عام حتى أُلْحق بها رسالة أخرى مماثلة جاء فيها:

الأخ الكرييم النائب الأول لرئيس مجلس الوزراء الأستاذ طه ياسين رمضان المحترم.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، يسرني أن أتهز مناسبة زيارة

الأخ الكريم أبو عامر لبلادنا، لأجدد العهد وأؤكد العزم على المضي على طريق وحدة أمتنا العربية، وهي تواجه التحديات، وتعيش مهنة التآمر الأمريكي، والتحريض البريطاني، والتغلغل الصهيوني في أنحاء الوطن العربي والعالم الإسلامي والإفريقي، وتشهد التمدد اليهودي بالهجرة إلى فلسطين المحتلة، كما أعبر لكم عن تأييدنا التام لموقف العراق الشقيق بقيادة الرئيس القائد المجاهد صدام حسين - حفظه الله - وهو يتخذ إجراءات الجسم والردع لمحاولات التسلل والتخرّب لمقدرات الشعب الشقيق.

إن كرامة الأمة وسلامة أنها فوق كل اعتبار، ولا تخضع لمساومة أو مجاملة، وذلك ما يعبر عنه موقفكم الوطني الشجاع.

لهم خالص التحايا وموفور التقدير.

في ١٩٩٠-٣-١٩

آخركم

على عثمان محمد طه

الخرطوم

هكذا بلغت درجة التفاهم والتواطؤ بين السودان والعراق، وارتقت إلى المستوى الذي رأينا فيه من تعاون أعربوا في مراسلاتهم عن بعضه، وسكتوا عن البعض الآخر.

٦- مستشارية التأصيل:

كان السودان في مقدمة الدول العربية والإسلامية المنشغلة في أمر

الدعوة الإسلامية بل كان أسبقها جميماً في التفكير في تأصيل الإسلام وتشييه في نفسية الفرد، وفي أعماق المجتمع، ولذا أنشئوا في ديوان الرئاسة أو في القصر الجمهوري دائرة خاصة بهذا الموضوع، أسموها: مستشارية التأصيل، وأسندوا المسئولية فيها إلى الرجل الصالح الدكتور الشيخ أحمد علي الإمام رئيس جمعية علماء السودان.

عكف الشيخ أحمد على هذا الموضوع، وأنشأ دراسة خاصة بذلك موسعة ومفصلة.

زارني الشيخ في الفندق حيث أقيم، وعرض علي هذه الدراسة وطلب مني بعد الاطلاع عليها، إبداء الرأي فيها، وإبداء الملحوظات عليها، والتقويم الدقيق لها.

عكفت على هذا المشروع لمدة ثلاثة أيام، فوجدته واسعاً فضفاضاً، لا قبل للشيخ مهما كثر معاونوه أن يضطلع به، أو يقدر على تنفيذه أو تنفيذ بعضه أو شطره !!

رفعت إلى استشارية التأصيل عبر رئيسها المسؤول عنها الشيخ أحمد علي الإمام مذكرة ضافية ضممتها رأيي الصريح، ووجهة النظر التي أعلاني الله بفضله على تسجيلها وتقديمها وهذا نص المذكرة التي تقدمت بها في ١٩٨٩-٩-١٩ .

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً.

الحمد لله الذي بنعمته وفضله تتم الصالحات، والصلة والسلام على الرحمة المهدأة والنعمة المزجاة، من أرسله الله شاهداً وبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله يا ذنه وسراجاً منيراً، وبعد:

فإن وجود هيئة أو جهة معنية بشأن مستقبل الإسلام، وتأصيله في المجتمع السوداني أولاً، ومن ثم بديار الإسلام كافة لأمر يدعو إلى الارتياح والاطمئنان، ويعتبر في ذات الوقت خطوة سابقة ورائدة، لاسيما إذا اضطلع بمسؤوليته رجل ذو بصيرة يرى أو ينظر بنور الله، ونحسبه هكذا والله حسيبه ولا نزكي على الله أحداً.

أ- في حقل الأهداف لخطة العمل في مستشارية التأصيل سجلت الخطة أربعة عشر هدفاً، وفي حقل الوسائل احتوت الخطة ثلاثة وثلاثين بندأً أو وسيلة، وعندما نقرأ الأهداف، واحداً تلو الآخر، نجد أن عمل المستشارية يشمل كل جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ويرمي إلى تأصيل فقه الأولويات، ونشر وسادة قيم الإسلام في الأجهزة والمنظمات والمؤسسات، ويسعى إلى تعظيم شعائر الله، وثبتت مفاهيم الإسلام في السياسة العامة والقرارات التنفيذية، وتأصيل القوانين والنظم وقواعد الولاية العامة، والارتقاء في سلوك المسؤولين في تعاملهم مع المواطنين، وأخيراً، تبلغ رسالة الله إلى البشرية جماء.

ب- أما الوسائل، فتشمل جهود العلماء والخبراء لمعالجة القضايا المعاصرة، وتأسيس مجمع الفقه الإسلامي، ورعاية المنظمات الدعوية، والتعاون مع مؤسسات العمل الاجتماعية في تأصيل القيم

الإسلامية، وتنظيم عمل التأصيل في قطاعات متخصصة علمية وسياسية واقتصادية واجتماعية ودعوية وتعليمية، وتوثيق التعاون مع المعنيين في التعليم العالي والجامعات والمعاهد المتخصصة والمراكز العلمية، وتنظيم الدراسات العلمية والبحوث في مجال تأصيل القضايا وبيان الأحكام، وتأصيل الدراسات المستقبلية على قواعد وأصول الأحكام الشرعية، وتنظيم علاقة عمل مع مؤسسات الاتصال والثقافة ووسائل الإعلام، بغرض التعريف بتوجهات السودان الحضارية والاستفادة من التجارب الإسلامية والإنسانية.

جـ- بعد قراءة مستأنفة لأهداف التأصيل ووسائله - وقد أوردت مقتطفات منها - عاودتها مثنى وثلاث ورباع، فوجدتهي أمام عمل كبير يشمل جميع جوانب المجتمع السوداني، ويتناول كل مراافق الحياة الإيمانية والتعبدية والأخلاقية والفكرية والسياسية والاقتصادية والإعلامية والعلمية والقانونية والمدنية والعسكرية و.. إلخ فأدركت أن السودان بكل قدراته ومؤسساته وزاراته وهيئاته ينوء بحمل مسؤولية خطة التأصيل وتنفيذها، فأشفقت على مستشارية التأصيل من ثقل العبء الذي اضطاعت به وحملته على عاتقها، أن ترهقها تلك الخطة الطموحة ثم تنهكها، لاسيما إذا صبت جهدها وطاقتها على الكيف دون الكم، وعنيت بالروح والجوهر، قبل الشكل والمظاهر.

من جهة ثانية، فالتأصيل فيما أفهمه يرمي ضمن ما يرمي، إلى التبديل والتحويل، وأحياناً يضطر إلى الإبعاد والحذف والتبديل، وبتغيير آخر، يضطر إذا اقتضى الأمر إلى الاستصال، فيشير من ثم حفيظة

المعوّقين والفاسين والمستغلين والمتغعين والانتهازيين، وأحياناً يستفزهم ويدفع بهم إلى البغضاء والعداء، وتارة إلى الحقد والكيد، وعندئذ يفرض علينا صراعاً نحن عنه في غنى، وتنشغل بإطفاء النار من حولنا، ويكون هذا بالتأكيد على حساب مهمتنا الكبرى التي تهدف إلى تحقيقها خطة التأصيل، وربما فوجئنا بأناس نحسبهم صالحين، يقفون في الصدف المناوى إن ظنوا أن التأصيل قد ينال من مواقعهم أو من مصالحهم التي يقاتلون دونها في المجتمع أو في مؤسسات الدولة والحكم.

د- انطلاقاً من الفهم الذي قدمت عن مستشارية التأصيل، والمهام الموكولة إليها، والأعباء الملقاة على عاتقها، فإن الهدف الوحد والإيمان الذي يختصر ويختزل الأهداف الأربع عشر التي تناولتها الخطة، كما أتصوره:

- هدف التأصيل: التمكين للإسلام وترسيخه في نسيج الفرد وتكوينه وتركيبه وكل شؤونه، وفي مرافق المجتمع وبنائه وأعمقه، بحيث لا يمكن للفرد ولا للمجتمع أن ينفك عن دين الله، ولا عن هدي مصطفاه، لا باختياره، ولا بيارغامه.

- تكوين المستشارية: تكون مستشارية التأصيل من رئيس وعدد محدود من العلماء، الأذكياء الأتقياء، يتراوح عددهم بين الخمسة والعشرة، يتفرغون للتأصيل ولا ينشغلون بسواء، إلا ما كان من أعمال شكلية لا تستهلك طاقاتهم وأوقاتهم، يضاف إليهم عدد من غير السودانيين المشهود لهم بالفهم والاجتهاد وإدراك مقاصد

الشريعة، والإحاطة بالأوضاع المعاصرة وبالواقع، يحضرون إلى السودان في السنة مرة أو مرتين، ليشاركوا إخوانهم السودانيين في مهمتهم الجليلة.

- أرى أن يعمل مجلس التأصيل في الغرف الخلفية بعيداً عن الأضواء والإعلام، في جو يسوده الصفاء والتفكير الهادئ، وأن توضع بين أيديهم وتحت تصرفهم كل المعلومات التي يطلبونها عن أي مؤسسة أو وزارة أو دائرة أو يحتاجون إليها، وأن يذلوا جهداً مضنياً في تقديم الحلول، وترتيب الأولويات في سلم التغيير - بما يشبه مجالس التخطيط في بعض جوانبها - للبدء في تنفيذ الأيسر والأسهل والأقرب متناولاً، ثم يتقلوا بعد ذلك إلى الأصعب منالاً وتتفيداً والأكثر تعقيداً، ثم تحال الدراسة أو المشروع إلى ذوي القرار، ليأخذ طريقه إلى التنفيذ بعد أن يأخذ الصيغة الدستورية أو القانونية أو القرار الإداري.

- لا مشاحة في الاصطلاح. ليس من الضروري أن تحدث التغييرات بأسماء وعناوين إسلامية صارخة، بل المهم حدوث التغيير كيلا تحدث ردود فعل أو ضجيج من الرافضين والمتربيسين، وكما قال فقهاؤنا: لا مشاحة في الاصطلاح ولا بالتسميات، بل نود أن يستيقظ العالم ليفاجأ بالبناء قد اكتمل، والدولة المحمدية قد تجدرت، وتمكنت في الأرض أركانها وقواعدها.

- ولنضرب على ذلك مثلاً: أن يتناول مجلس أوستشارية التأصيل موضوعاً بعينه مثل: الحياة أو بناء الحياة العسكرية أو الحياة

التعليمية، أو الصناعية، بعد تقديم المعلومات الكاملة بصدق الموضوع المطروح على البحث، بعد الاستعانة بكتاب المختصين بالحياة العسكرية إن كان الموضوع ذا صلة بالحياة العسكرية، أو التعليمية، ثم ترفع الدراسة والمقترنات أو المشروع للجهات المعنية، لبيان الموافقة، ويصدر به مرسوم أو قانون أو لائحة مصدقة المعنية، لبيان الموافقة، ويصدر به مرسوم أو قانون أو لائحة مصدقة !!

- توظيف الطاقات المطلوبة: توظف مستشارية التأصيل كل الطاقات والقدرات في الدولة والمجتمع لخدمة هدفها الأساسي في التأصيل، والتي تشمل أنشطة الدعوة والتعليم والتشريع والتقويم والخدمات الأخرى، وإذا ما وجدت نقصاً في جانب يتطلب تأصيل الإسلام كمجمع الفقه أو غيره أو ما يشبهه أشارت على الرئاسة أو أصحاب القرار بتأسيسه أو إنشائه أو إكماله، أو تصحيح مساره دون أن تنشغل به أو ترتبط به .

- وأخيراً... إذا ما صار لدى المستشارية مشروع جاهز كمحطة لدراسة عميقة، وبحوث دقيقة، واستلهام لروح الإسلام وأحكامه، وفهم واع للظروف الداخلية والخارجية، وللبيئة والواقع، وتهيئة النفوس على تقبل المشروع التأصيلي لدى أبناء الأمة كالذى حصل في المدينة المنورة عندما بلغ التهئـة مداه، فأبطلوا الخمر وسفحوها في طرقـاتـ المـديـنةـ كما يـسـفحـ المـاءـ الآـسـنـ دونـ تـرـددـ أوـ تـبـاطـؤـ، عندـئـذـ يـصـدرـ بالـمـشـرـوـعـ التـأـصـيـلـيـ قـانـونـ أوـ مـرـسـومـ رـئـاسـيـ، أوـ لـائـحةـ أوـ أمرـ أوـ تـوجـيهـ حـسـبـ طـبـيـعـةـ المـشـرـوـعـ، منـ صـاحـبـ الـوـلاـيـةـ أوـ الـصـلـاحـيـةـ،

ليأخذ طريقه للتطبيق والتنفيذ في ميدانه الخاص به، سواء أكان في حقل التعليم أم الإعلام أم الجيش أم الشؤون المالية أم المؤسسات الأمنية، أم في المجال الروحي، بعد أن تكون قد أخذنا بكل أسباب نجاحه.

كل هذا نفعله وننضجه في الغرف الخلفية دون أن يشغل بها أو يتلتفت إليها أو يفطن لها المتربيصون في داخل البلاد وفي خارجها.

إن جميع الأعمال الكبيرة والتغييرات الجوهرية، والتحول الجذري الهائل في حياة الشعوب والأمم تطبع في الظل والقاعات الخلفية، ويقوم بها رجال ومستشارون لا يبرزون على مسرح الأحداث، ولا يفطن لهم أو لأهميتهم أحد، ولا يشغلو بالمحاكمات والصراعات، وإنما يقدمون لولي الأمر أو القائد أو الرئيس أو السلطان، عصارة عقولهم وذوب نفوسهم وأرواحهم، وخلاصة تجاربهم وبحوثهم، فهم المستشارون، وهم بطانة الخير التي ينظر السلطان بيصرها، ويسمع بأذنها، ويفكر بعقلها، ويتحرك برأيها، أولئك هم الأصفياء الأتقياء الأنقياء الأخفاء، الذين إذا ذكروا لم يعرفوا، وإذا غابوا لم يفتقدوا.

اللهم اجعلنا واجعل الأخ النقى التقي أحمد على الإمام منهم والحمد لله الذي بنعمته تم الصالحات.

١٩٩٨-٩-١٩

الفقير إلى عفو ربه

عدنان سعد الدين

٧- استمرت العلاقة مع السودان منذ ما يزيد على أربعين عاماً بدأت في عام ١٩٦٨ ، ولا تزال ، لم تقطع خلالها الزيارات المتابعة والمشورات في عهود النميري وسوار الذهب وال فترة الديمقراطية ، وفي ظل ثورة الإنقاذ ، ضمن ترتيب منسق ، تكون فيه الزيارة كل ثلاثة أشهر ، ثم كل ستة أشهر ، ثم حسب الظروف والمناسبات .

كان الفقير إلى عفو ربه يقدم المقترنات والمشورات بل والانتقادات بكل إخلاص وصدق ، أملاً أن يحقق مشروع المجتمع الإسلامي أو الدولة الإسلامية نجاحاً يكون قدوة للمجتمعات في البلاد العربية والإسلامية ، وكلها توق إلى العيش في ظل الإسلام ، ولكنها لا تملك الخبرة أو التجربة لبلوغ ذلك .

كانت المشورات والمقترنات تلقى أذناً صاغية وترحيباً صادقاً ، وهذا ما شجع على الاستمرار في السير على هذا الدرب في الصلة مع السودان الذي يخوض صراعاً قاسياً لإقامة البناء الإسلامي على أرض السودان .

تكونت لدى قناعة في تسجيل النصائح والمشورة في صيغة مذكرات مدرسة ، كالذي تقدمت به حول مشروع مستشارية التأصيل ، واستمر الحال هكذا طيلة ثمانينيات وتسعينيات القرن الماضي ، ثم عبورها إلى مطلع هذا القرن .

كان موضوع التربية والتزكية والسلوك من الموضوعات التي تقدمت بها إلى الإخوة السودانيين الذين كان السيد علي عثمان النائب الأول أكثرهم رعاية لهذه المشورات ، وهو الرجل الذي يتمتع

بمواهب وخصائص قلما تجدها لدى غيره.

حملت مسودة كتاب التزكية والسلوك قبل أن أدفع به إلى المطبعة، فشكل النائب لجنة كان هو واحداً منها ضمت مديرى جامعة أم درمان، وجامعة القرآن والدكتور عبد الرحيم علي صاحب الحكمة والحنكة، وكبار المفكرين لمناقشة المشروع بعد أن وزعت صور عنه، وسلمت لكل عضو فيهم، فلاقى قبولاً وترحيباً، فقال البروفسور عبد الرحيم علي: لقد جاء هذا في وقته، والسودان بأشد الحاجة إليه بعد انخراطه في العملية السياسية، وما يرافقها من أخطار على الدعاة وعلى رجال الدولة.

استمر اهتمام السودانيين بكتاب التزكية والسلوك حتى انتهى الأمر إلى طباعته في السودان بعد تفويضهم بذلك، وتقريره كمنهج رسمي في الاتحاد العام لطلاب السودان في كل أنحاء القطر.

كان من أهم المذكرات أو الدراسات التي تقدمت بها إلى الأشقاء السودانيين بحث مسهب تحت عنوان:

(السودان الحديث أو سودان المستقبل)

ولأهمية هذا الموضوع فيما ينبغي الاهتمام به في السودان أو أي بلد من الوطن العربي والعالم الإسلامي يتطلع أن يعيش تحت مظلة الإسلام، ثبت نصوصه أو معظمها كالتالي:

أ- مقدمة في طبيعة الدولة:

كما أن المناهج التربوية والتعليمية في تطور دائم وتغير مستمر

لتواكب التطورات والمتغيرات التي هي من طبيعة الحياة، كي تعد المواطن لاستيعابها، والتعايش معها، فإن على الدولة أن تجدد نفسها، وتطور وسائلها وأدواتها، بل وخطابها، وتعيد النظر بصورة دائمة في صلاتها وعلاقاتها مع المجتمعات الأخرى، وإنما تكون قد بلغت سنّ اليأس، ودخلت مرحلة الشيخوخة، ليؤول أمرها إلى السقوط والزوال كما قال ابن خلدون، وهذا الأمر الحتمي لا يتنافي مع تمسك الدولة بالمبادئ والأفكار التي قامت عليها الدولة، وبين موجتها قواعدها وسياساتها، فال الخليفة العادل الزاهد عمر بن الخطاب رأى في بلاد الشام أشكالاً وترتيبات في تنظيم الدولة ليس مألوفاً في المدينة المنورة عاصمة الخلافة، وعندما شرح له واليه معاوية الأسباب الموجبة لذلك أقره عليها وباركها له.

بـ- الدولة الحديثة ومنطق العصر:

إن مفهوم الدولة الشائع يرفض قيام الحكومات الدينية، ويحذر منها، ويشن عليها حرباً باردة، وأحياناً ساخنة بدعوى أنها تفرق بين الناس، أفراداً وشعوبياً، وتضطهد الآخرين، وتشير الأحقاد، استناداً إلى ما خلفه تاريخ القرون الوسطى، عندما تسلطت الكنيسة على الشعوب، وحاربت العلم والمعرفة، وأحرقت علماء عباقرة، وادعت ملكيتها للجنة تبع للمشترين بمبرر صكوك الغفران مساكن وحدائق فيها، لذلك سرعان ما أقمعت أمريكا العالم كلها بوجوب القضاء على حكومة طالبان في أفغانستان دون أن تجد معارضًا كالذى واجهته في العراق، وبتأثير هذه الموجة العارمة والمدعومة إعلامياً وسياسياً

وعسكرياً، تراجع كثيرون من علماء أو دعاة الدولة الإسلامية في طروحهم، وعدلوا أو غيروا في إعلامهم وتصریحاتهم وحواراتهم في السعودية واليمن ومالزیا وباکستان .. إلخ حتى إن عضو مكتب الإرشاد الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح المعروف ببناته ودقة تصریحاته قیاساً على أقرانه، ذكر في حوار أجرته معه إذاعة لندن:

- إننا لا ندعی أننا نمثل الإسلام ونطبقه، ولكننا نتّخذ منه مرجعاً، كما يتّخذ الشیعیون من المارکسية مرجعاً، لنقدم للمجتمع مشروعنا بإقامة المجتمع المدني الذي نصیب فيه ونخطئه، دون أن نزعم أن هذا هو الإسلام، أو أننا نمثل الإسلام دون الآخرين، وهذا هو موقف الإمام حسن البنا - وذلك في معرض رده على المارکسي رفعت السعید في حواره معه.

ـ ما بين الإسلام ومنطق العصر:

أنستطيع أن نوائم بين منطق العصر في مفهوم الدولة وبين الثبات على الإسلام؟ أقول بكل ثقة: نعم، فالامر ليس مستحيلاً ولا عسيراً، ولكنه يتطلب فهماً وإدراكاً ووعياً وقراءة لأفكار الآخرين وما يدور في عقولهم، لنصل إلى ما نريد، دون أن نعطي للخصوم والمتربيصين فرصة أو ذريعة للانقضاض علينا، والنيل من مشروعنا الإسلامي، والتهجم عليه، والتشنيع به تمهيداً لإفشاله وهدمه.

لم يعد في تقديری مقبولاً أن يقف المسؤول الأول وأصحاب القرار في الدولة في التجمعات الجماهيرية والمهرجانات والمؤتمرات الصحفية، ليرفعوا سیوفهم أو بنادقهم أو عصیهم، ويقولوا بأصوات

مدوية: نريد تطبيق الشريعة، نريد إقامة الدولة الإسلامية، وإننا لن نتساهل في هذا الأمر، ولن نتراجع عنه، ولو كلفنا حياتنا.

والسؤال الذي يطرح نفسه ويدور في خلد كثيرين، وتحرك به ألسنتهم: من يمنعكم من تنفيذ ذلك، وأنتم في السلطة، إن كتم قادرين على ذلك ليكون الإسلام واقعاً حياً دونما إحداث استفزاز أو ضجة؟ وإذا كان الظرف غير موات، فلماذا هذه الإثارة، وهذا التحدي للقوى المترقبة التي تضع أصابعها على الزناد؟ وإذا كان الأمر يحتاج إلى وقت ومراحل، فلماذا لا نباشر تطبيق ما يمكن تنفيذه دون ضجيج أو عجيج أو الانجرار إلى صدامات ومعارك ليست من صالحنا في شيء؟ نستطيع أن نخاطب العالم كله، وشعبنا في مقدمته، بكلام ننفذ منه إلى ما نريد دون أن نمكّن المترقبين من نفث سموهم، ليستطيع المسؤولون أو ذوو القرار أن يتضقّوا فيما بينهم على صيغ وتصريحات وبيانات وأجوبة للصحافة ووسائل الإعلام الأخرى نغطي بمفرداتها كل ما له صلة بالحياة العامة من سياسية واقتصادية وثقافية وفكرية وإدارية ودولية.. إلخ والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى، من ذلك: نهدف إلى تطبيق مبدأ تكافؤ الفرص بين المواطنين جميعاً بصرف النظر عن أي انتماء في العرق أو المعتقد، فالحرية للجميع دون استثناء، كفالة حرية التعبير لأبناء الشعب جميعاً، إشاعة العدل بين المواطنين، لا فرق بين شمال وجنوب، أو شرق وغرب، العمل الدؤوب على رفع مستوى المعيشة، وتأمين حاجات المواطنين في معيشتهم وسكنهم وعلاجهم

وتعليمهم، تشجيع القطاع الزراعي، وتمليك العازمين على إحياء الأرض واستثمارها، تخفيف العبء عن المواطن في مجال الضريبة والمرافق الأخرى، الارتقاء بمستوى المرأة، لتحق بالمكانة التي كانت عليها المرأة العربية المؤمنة أيام عائشة وحفصة والخنساء وخولة، والعالمات في كل فنون المعرفة، ولاسيما في الأدب والفقه والحديث والطب وغيرها، الديمقراطية والحرية والتعددية والإصلاح إلى الرأي الآخر من مقومات حياتنا السياسية، التأكيد على بث مكارم الأخلاق والأداب العامة على أساس الأمانة والصدق، وإنجاد الآخرين، ومد يد العون للجميع، الارتقاء بالتعليم ليواكب التطورات المعاصرة، ويستجيب لكل دواعي النهضة والتقدم والازدهار، إقامة أفضل العلاقات والصلات مع أشقائنا وجيراننا والدول الصديقة، كبيرة وصغيرة، لإشاعة الأمن، واستقرار الأوضاع في الوطن العربي، والعالم الإسلامي، والعالم الثالث على أساس الاحترام المتبادل والمصالح المشتركة.. إلخ.

من اليسير أن نتعامل مع عشرات بل مئات الصيغ التي لا تنطوي على استفزاز أو تخويف أو إشاعة التوتر والفرقة والعداء أو الصدام مع الآخرين. إن الشعارات الحادة لم تعد مجده، والسياسة الناجعة أو السياسيون البارعون يتذنبونها في أقسى الظروف، وأحياناً في ظل الحروب، ويحتفظون بخط الرجعة، وتصليح الأمور دون اللجوء إلى قطع الطريق أو كسر الجسور، ورب قائل يقول: إن بعض التصريحات حول الثبات على المبدأ، والتأكيد على تطبيق الإسلام

ترمي إلى تطمئن الأكثريّة المؤمنة القلقة على مصير الدعوة، وهذا وارد ومفهوم، وإذا اضطررنا أن يكون بين فترات متباينة من جهة، ويصدر عن غير رئيس الدولة أو نوابه مثل وزير الإعلام أو الثقافة بكلام هادئ وعبارات مصطفاة، ومنطق عذب حسب التوجيه القرآني **﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيْبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾** و**﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنَا﴾** و**﴿قُولُوا لَهُ قُولًا لَيْنَا﴾** و**﴿إِذْ أَذْعُ إِلَى سَيِّلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾** . إلخ، فالرئيس ومن ينوب عنه لجميع المواطنين، مسلمين وكتابيين ووثنيين، وهو المرجع الأخير لفض النزاعات، وحل الخلافات، فيما يشجر بين المواطنين، وهو المصدر الأعلى والأخير لتطمئن أبناء الشعب بأسرهم.

د- هذه المرحلة باللغة الدقة والخطورة:

في تقديرِي أن الأيام المقبلة صعبة وخطيرة، وأن المعركة المقبلة من أعقد المعارك في تاريخ الوطن، بل هي أشد عسراً من المعركة العسكريّة التي استغرقت عشرين عاماً دون جدوى، معركة المستقبل القريب عقائدية وأيديولوجية وفكّرية وثقافية وحضارية .

النائب الأول في الاتفاقيات المبرمة مع الجنوبيين المدعومين من قوى قوية وحادة، إنه يأتي متحفزاً للبرنامج -الأجندة- الذي يحمله تحت إبطه. فهل لدينا برامج أو خطط نواجه بها بأسلوب سياسي وحضارى راقٍ دونما نكث أو توتر؟ المعركة هذه حاسمة، فإما أن يتطلع الجنوب ومن يسانده الشمال، وإما أن يكون فتحاً مبيناً للقاراء السوداء كلها، فهل نحن مؤهلون لذلك؟ أخشى وأضع يدي على

قلبي أن يكون استعدادنا ضعيفاً ودون الطموح، لأن الكثرين من أبناء الدعوة، ومن يُعَوَّل عليهم في هذا الشأن منشغلون بالتجارة والشركات والربح والتطلع إلى الوظائف والمواقع الحكومية مع ضعف أو خور في الحياة الروحية والأخذ بالعزائم والصلة الدائمة بالله، والتي لا يجوز فيها للداعية والمخلصين والمجاهدين أن يضعفوا أو يفتروا حتى في أشد الأوقات والظروف حرجاً ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِتْنَةً قَاتِلُوهُا وَإِذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

هـ- العمل السياسي والنشاط الدعوي:

الذي أراه هو فصل العمل السياسي عن النشاط الدعوي، بقصد التخصص وتوزيع المسؤوليات، كي يتقن كل فريق المهام التي توكل إليه، وليس من باب فصل السياسة عن الدين كما قد يتadar إلى ذهن البعض، فالصحابة الذين حملوا راية الإسلام، وأبلغوها للبشرية كافة، تخصص كل فريق أو كل فئة بأمر تحملوا مسؤوليته، فأبو هريرة وعائشة وعبد الله بن عمرو عملوا في موضوع الحديث الشريف وعلم الرواية، وخالد وسعد والمثنى انصرفوا إلى العمل العسكري وقيادة الجيوش وفتح الأمصار، وابن عباس وأبي بن كعب اشتغلوا بالتأويل والتفسير وعلوم القرآن، وهكذا ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لَّيَتَفَهَّمُوا فِي الدِّينِ وَلَيُنَذِّرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾.

أرى أن يفرغ المؤتمر الوطني للشؤون السياسية بضوابط دقيقة من حيث التصریحات والأداء والحوال داخلياً وخارجياً، وأن تتلقى كواصره دورات مكثفة ومركزة، يقوم عليها فريق عُرف ذووه بالخبرة واللباقة

والحذقة وضبط اللسان، وبُعد النظر، والسيطرة على الخواطر، والشعور بالمسؤولية، وعدم الانجرار إلى ردود الفعل الحادة التي تكلف الدولة والحكومة والوطن خسائر كبيرة، وأخطرها لا يعلم إلا الله مداها.

وأن تفرغ الحركة الإسلامية للعمل الدعوي دون أن تخوض في غamar السياسة كي تشق طريقها مهما كان وعراً، وأن تخترق الحواجز في تبليغ الدعوة وجذب غير الملزمين وغير المسلمين إلى رحابها، وعلى أن يكون برنامج الحركة الإسلامية على ثلاثة محاور:

- إحياء رسالة المسجد طبقاً لبرنامج مدروس كي يعود مصدر الهدایة والتکوین والتربية والإشعاع، وتخریج الورعين والزاهدين والدعاة، لينطلقوا بهذه الروح الربانية والصدقية كروح يسري في وأوصال الأمة كلها فيحييه بالقرآن، ولسان حالها يقول:

ركضاً إلى الله بغير زاد إلا الهدى وعمل الرشاد

ولا أعني بذلك الخطب والخطباء، فلدينا في هذا تجربة طويلة، فقد كان دعاة بلاد الشام كالسباعي والحامد وكثيرين يخطبون بكلام كالسحر، ويستفزون أبناء المدن الكبرى بالألف، ثم يتلاشى تأثيرهم بعد وقت قصير، كما يتلاشى بخار الماء الذي صعد تحت تأثير الحرارة المرتفعة، ثم لا يبقى منه شيء.

المهم هو تكوين مجموعات على نار هادئة، وتخریج الدعاة المخلصين من الحلقات العلمية والربانية التي تتلقى توجيهها عالياً

وسامياً يأخذ بالعزيمة والتجدد، ومثل هؤلاء يحدث بهم التغيير والنهوض، كما حدث مع العارف الكبير بالله عبد القادر الكيلاني والجندى وابن قيم الجوزية رحمات الله عليهم، وأرى أن لا أمل من أي نهضة روحية، أو انبعاث رباني قادر على التأثير والجذب قبل أن تعود للمسجد رسالته.

- **الزحف دعوياً - لا سياسياً** - على الجنوب، كما يزحف الجنوبيون - هجرة وسياسة - على الشمال، مع الحذر الشديد من الخوض بالأمور السياسية، سواء كان بالانتخابات أو الجدل، أو تسفيه آراء الآخرين، كيلا نعطي أي ذريعة لآخرين من خصوم وجنويين وغير مسلمين للردود الحادة، والدخول في صدامات تعطل مشروعنا الدعوي، وتشغلنا عن نشر الدعوة والرسالة، وعن تأليف القلوب.

- **توعية الجماهير والقطاعات الشعبية عامة، وتبثة المواطنين** بالهداية الربانية والمحمدية، ولغة الحب الخالص في الله، عبر المؤسسات والمناسبات والدراسة المستفيضة في التزكية والسلوك، ومثل هذه المهمة لا يستطيعها إلا المؤهلون لها **«إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا»** ولا أعني بذلك الخطابة والخطباء - كما ذكرت من قبل - فهم كثير، ولدى البعض منهم قدرات فائقة في البيان، وفي زلاقة اللسان، بيد أن تأثيرهم سرعان ما يتلاشى أثره بعد وقت قصير.

إن العبد المؤمن القادر على التأثير والنهوض بهذه المسؤولية العظيمة هو الذي ظهر قلبه من الشوائب، كالتعلق بالدنيا، وحب

الجاه، والشهرة، والشهوات، والثروات، حتى لا يبقى في قلبه ما يشغله عن الله، بل يملأه بالتجدد والإخلاص، ومخافة الله ورجائه ومحبته، وجعل الموت واليوم الآخر نصب عينيه، لا يغيب عن خاطره، والسيطرة على لسانه فيما ينطق به ويلفظه ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ والورع فيما يأخذه وما يدعه، والزهد بكل الزخارف الفانية، وبالدنيا برمتها، فهي لهو ولعب وغرور، وليس زهداً في الحرام فقط، بل بكثير من صنوف الحلال، كما قال الشیخان أبو بکر وعمر. ثم يروض نفسه على الصبر الذي هو نصف الإيمان، ينتقل إلى جنة الرضا والتسلیم بما يقدر الله عليه، ويرضاه له، ثم يرتقي إلى مقام الشاكرين، ليكون قد اجتاز مدارج التزكية، واستكمل أسبابها، وارتقي إلى مقامها القرآني ﴿فَدُّلُّوا مَنْ زَكَاهَا﴾. وعندئذ يكون قد أصبح مؤهلاً للسير في طريق السالكين، في الذكر والورد القرآني وصيام النافلة، وقيام الليل والتهجد، وإسعاف من حوله من أبناء المجتمع، والأخذ بيد الضعفاء والفقراء والمعوزين، وتطهير المجتمع من النعائص والرذائل، بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأسلوب مؤثر، ﴿وَهُدُّوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ ثم يتھي الأمر بالسالك إلى مقام المجاهدين في سبيل الله، بكل الضوابط الشرعية والعقلية والسياسية، مراعياً في ذلك دقة الظرف وأدب الوقت «لم أمر بقتال».

ولكن هل تتحقق هذه البرامج والمناهج بالتمني والكلام والخطب والحوارات؟ والإجابة الواافية: لا، فلا مناص من دورات تدریسية

وترويضية تستغرق أشهراً، تقوم على أمرها ثلاثة من ذوي القلوب الكبيرة التي تقدم النموذج الذي يقتدى، وتمر بها كواذر الحركة الإسلامية فوجاً إثر فوج، ينفذون التعليمات والتطبيقات بهدوء، وبعدِ عن الضجيج والأضواء، حتى إذا استكمل كل فريق عدته في التزكية والسلوك انطلق إلى دروب العاملين لأداء واجبه في المهام التي أوكلت إليه.

تحدث أحد العارفين الكبار وهو محمد بن المنكدر في معاناته في السيطرة على نفسه وخواطره، فقال: كابدت نفسي ٤٠ سنة حتى استقامت، وقال آخر وأظنه عبد القادر الكيلاني: قدت نفسي فترة طويلة وهي تبكي -مكرهة- ثم قدمتها وهي تصاحك -طائعة-، وكان بعضهم يتحدث ساعات فلا يترك في نفوس السامعين الأثر المنشود، وكان بعضهم إذا بدأ بالبسملة، فاضت العيون بالعبارات، وهذا حال الربانيين الصادقين الذين تعلقت قلوبهم بالله، ولم تعد تلتفت إلى سواه.

هذا الموضوع يشغلني، ويستغرقني منذ حوالي عقددين، حتى أungan الله على إنجاز كتاب: في التزكية والسلوك، والفقير إلى رحمة ربه وعفوه يقدم نفسه للمشاركة في تنفيذ هذا المنهج مع الذين يشرفون على تنفيذه، مهما تطلب ذلك من وقت وجهد، والله المستعان.

لا يعني الفصل بين العمل السياسي والنشاط الدعوي أن يسير كل باتجاه بعيد عن الآخر، بل يتم كل منهما الآخر، فالعمل السياسي يحمل واجهة سياسية مبرمجة، وينطوي على روح دعوية، والنشاط

الدعوي يحمل واجهة دعوية بيضة، ولكنه ينطوي على إدراك سياسي، ويصب في خاتمه تلقائياً في بناء الدولة والمجتمع عبر الانتخابات، ودعم الكيانات والمؤسسات دون أن تحسب عليه، أو يواجه بها، كيلا تؤثر على المسيرة الدعوية التي لا يستطيع عدو أو خصم أن يتصدى لها، أو أن ينكرها على ذويها طالما أنها لا تنافسه على البرلمان أو الحكم أو السلطة أو الجاه.

و- مقتراحات في الاقتصاد:

النظام الرأسمالي ظالم في معظم جوانبه، والنظام الاشتراكي فاشل في أكثر تطبيقاته، فال الأول مبني على الطمع البشري في الإنسان الذي لا يملأ عينه إلا التراب، والثاني بسبب تسلط الأحزاب الشمولية، والمتغذيين على المؤسسات والم المشروعات المؤممة لينهبوا، ويهربوا المليارات إلى البنوك في العالم الإمبريالي -حسب تعبييرهم وثقافتهم- الذي يحاربونه.

كان الشيوعيون يسقطون كل فشل يُمْتنون به على الإقطاع والبورجوازية، وبعد أن صفا لهم الجو، وأمسكوا بناصية الحكم، ولم يبق من أثر في مجتمعاتهم للإقطاع ولا لرأس المال، واستمروا في الحكم زهاء سبعين عاماً، دونما منافس أو معارض، استبان بعد سقوط المنظومة في الاتحاد السوفيتي، وفي أوروبا الشرقية، أن دهاقين الشيوعية قد ملأوا أيديهم وجيوبيهم وبنوك الغرب بالمليارات التي نهبوها من أقوات الشعوب التي زعموا كذباً وزوراً أنها هي الحاكمة، أو أنهم يحكمون باسمها ويتغولون منها.

والذي أراه وأقترحه أن نعمد إلى نظام التملك بضوابط الشرع والعدل، مبرأة من الاستغلال والمراباة والغش والاحتكار وما إليها.

لقد أوحت لي زيارة المؤسستين العتيدين في أجياد والمصفاة، وما رأيته فيما من إنصاف للمهندس والعامل، ومن رعاية صحية وتعليمية وترفيهية، ورواتب مجazية أو مناسبة، وعلمت أن تكاليف كل مشروع قد بلغ حوالي ثلثي مليار دولار، وأنه في طريقه لتسديد تكاليفه، فبدا لي أن يتحول كل مشروع منهمما، ومشابه لهما إلى أسهم يقدر كل سهم بدولار أو عشرة دولارات حسبما يقدرها ويرسمه المختصون، ويطرح للبيع، على أن تكون الأفضلية للعاملين بالمصنع من مهندسين وعاملين، وأن يوضع حد أعلى لتملك الأسهم للمهندس ثم للعامل، كيلا تسيطر فئة صغيرة على المشروع، وأن يكون له مجلس إدارة تمثل الفنيين والعاملين حسب نظام لائحة إدارة المشروع، وأن يقتطع ثمن الأسهم من رواتب الذين تملکوا الأسهم على فترات مريحة بمعدل ثلث الراتب أو ربعه أو خمسه حسبما تقدر الدراسة التي يعدها مختصون، وأن تتفق هذه الأثمان على مشروع مماثل أو مشروعات أخرى، فلا تمضي فترة، حتى يكون المهندسون والعاملون مالكين بما دفعوه من رواتبهم، فيزول الناقض بين المالك - الدولة أو الرأسمالي - الذي يحرص على جني الأموال من الربح على حساب العامل أحياناً، وبين العامل الذي يحاول الحصول على دخول مجازية عن طريق المطالبة الدائمة والإضرابات، دون أن يكون لديه الحافز على زيادة الإنتاج، لكنه بعد

التملك يعمل ياخلاص وحماسة، لأنه شريك في ملكية المشروع أو المصنع أو المؤسسة، سواء أكان ما يتقاده من دخل، أو بما يملك من أسهم، ستعود عليه بالنفع فيما تتحققه المؤسسة من نجاح وربح وتقدير.

هذه السياسة الاقتصادية في التملك، تنهي الصراع والتناقض بينطبقات أو الفئات، وتزيد الإنتاج، وتهض بالمؤسسات الاقتصادية والمنشآت، ويتيح للدولة إقامة مشروعات كبيرة، تنشئها، وتستعيد تكاليفها، ثم تعمد إلى تملكيتها، ثم تنشئ مصانع أو مؤسسات أخرى جديدة -حسب حاجة المجتمع، وما يتقتضيه تطوره وازدهار واكتفاؤه- بالمباغ التي استلمتها ثمناً للأسماء ولملكتها حسب الضوابط المنوء عنها. وسياسة التملك هذه تتفق والفطرة التي فطر الله عباده عليها، والغائز التي أثبت علم النفس وجودها في تركيب النفس البشرية، وإحداها غريزة التملك.

إن انشغال الدولة في تملك المشروعات بصورة دائمة، وبالإشراف المباشر على الكبير والصغير فيها، يصرفها عن أمور جوهرية في الحكم، وينتهي بها إلى ما انتهى إليه الحكم الاشتراكي الذي ينكر ذوقه الطبيعة البشرية والفطرة التي فطر الله الناس عليها، زاعمين أنها من بقايا روابس الحياة البورجوازية.

هذه أفكار موجزة، تستدعي حوارات موسعة ومفصلة بين المعنيين والفنين، لقبولها أو رفضها أو تعديلها «إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما تؤْفِقُّي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ»

والحمد لله في الأولى والآخرة، والحمد لله الذي بنعمته تتم
الصالحات، والله ولي التوفيق.

٣ محرم ١٤٢٦ الموافق ٢٠٠٥-٢-١٤

الفقير إلى عفو ربه وغفرانه

عدنان سعد الدين

-٨- لم يكدر ينقضى شهراً على تقديم المذكرة التي ورد ذكرها وتتفاصيلها، حتى أتبعتها بمذكرة أخرى، تناولت تفصيلات جديدة، وتقاطعت مع بعض الأفكار في المذكرة السابقة، غير أنها تحتوي على خطوات وبرامج إجرائية فيما يخص التنفيذ والتطبيق، كما أنها تنبئ إلى مخاوف يمر بها السودان من مكائد وأخطار، يبيت له من داخله ومن خارج حدوده، وقد تقدمت بهذه المذكرة الثانية - شأن التي سبقتها - إلى السيد النائب المعروف بفضنته ودقته ومتابعته للموضوعات ذات الصلة بمصير العباد والبلاد، والصبر على ذلك صبراً يذكر بصبر سيدنا أيوب عليه السلام.

وهذه مقتطفات تشمل معظم ما احتوته هذه المذكرة من أمور تم التنوية عنها.

-٩- فمنذ أكثر من شهرين تركت السودان، والبال منشغل به خشية أن ينال منه الكائدون والمترخصوصون في داخله ومن خارجه، والحاقدون عليه، تركت السودان مشفقاً على شعبه من موجة الغلاء التي تجتاحه، وتکاد تطحنه، ولاسيما أبناء الطبقة الوسطى في السكن والغذاء

وغيرهما، تركت الخرطوم والخوف يملأ القلب على المسؤولين في الإدارة السودانية من مديرين وموظفين في الوزارات والإدارات والمؤسسات والشركات والمكاتب من طغيان حب الدنيا على أكثرهم، واستغراقهم في الاهتمام بالمال والمنصب والسيارة والعمارة والجاه وحب الشهرة، قائلًا لنفسي : إذا أصييت التجربة السودانية بأى نكسة أو فشل ، وقد هيأ الله تعالى لها الأرض الواسعة الراخمة بالكنوز ، والفئة التي التزمت بمنهج الإسلام ورفع رايته ، وبهدي المصطفى ﷺ ، وسارت على خطاه ، والتي عرفت بالصبر والحكمة وطول الأناء ، أفلًا يكون ذلك مدعاه لتحطيم آمالنا - نحن أبناء الإسلام - وإنغرانا في لحج اليأس والقنوط !

بعد شهرين من التأمل داخل النفس وال الحوار مع الذات تبلورت في خلدي مقترنات ربما كانت نافعة لمن كان له قلب مطمئن ذاكر ، أو ألقى السمع وهو شهيد .

وإذا لاقت الفكرة التي تقدمت بها في مذكرتين سابقتين ، والتي ترمي إلى انصراف الحركة الإسلامية في السودان للعمل الدعوي بكل جوانبه ، وأخص بها : إحياء رسالة المسجد ، وتوعية الشعب بكل الوسائل المتاحة ، وإسعافه بما يعينه على مواجهة الظروف المعيشية الصعبة ، والتحرك في الجنوب بعيداً عن الأنشطة والطموحات السياسية مهما كانت المغريات ، والنأي عن الصراع حول الوزارة والنيابة والولاية وغيرها ، وترك ذلك للمؤتمر الوطني ، وكلا النشاطين يصب في المرربع الآخر ، فالحركة الإسلامية ترفع راية العمل

الدعوي، وتنطوي في أهدافها البعيدة على المحصلة السياسية، أو تكون هي إحدى ثمراتها، والمؤتمر الوطني يرفع علم البرنامج السياسي وينطوي على العمل الدعوي، فكلاهما يتم عمل الآخر ويكمله.

وفي هذه المفكرة أقتصر في البحث على رسالة المسجد المبرمجة، لأن ما عدتها يأتي امتداداً وثمرة لها.

بـ- منذ أشرفت شمس الإسلام على البشرية، كان المسجد مبعث النور والهداية، ومركز البحوث والعلوم، ومعهد التربية والتزكية، وعرى المجاهدين الذي انطلقت منه رايات الجهاد والفتواحات، والمقر الدائم لأبناء المجتمع الذي تنصهر فيه جموعهم في وحدة إيمانية متآخية ومتعاونة ومتكافلة، كما كان المسجد ساحة للقضاء والحكم بما أنزل الله، وإبرام عقود الزواج، وغير ذلك من كل ضروب الأنشطة والفعاليات الاجتماعية وغيرها.

إن مشروع أو برنامج التزكية الذي تقدمت به إليكم والذي استخلصته من حياة العارفين والربانيين الذين كتب الله على أيديهم النهوض بالأمة وتربيتها أبنائها، وحمايتها من أعدائها، بدءاً من الحسن البصري رحمه الله رائد منهاج التزكية والسلوك، ووصولاً إلى حسن البنا مجدد الإسلام في القرن الرابع عشر الهجري، دونما إيجاز مخل بتحقيق الغاية، أو إطنان ممل لا يستطيعه إلا المختصون الكبار دون سائر الناس.

وإذا كان محور العملية التربوية هو المعلم، فإن محور الرسالة

المسجدية هو العالم أو الشيخ أو الإمام أو المصلح الذي يجسد في كلامه وعمله وسلوكه وروحه هدي المصطفى ﷺ، والذين اتبعوا نهجه من الأولياء والصديقين من أمثال الحسن البصري والمحاسبي والقشيري والجنيد البغدادي والغزالى والكيلانى وابن تيمية وابن قيم الجوزية، ومئات من أمثالهم، هيأتهم العناية الربانية للأمة الإسلامية في عصورها وأمصارها ليكونوا ورثة النبوة في أداء الأمانة، وتبلغ رسالة الله إلى خلقه.

ولكن من أين نأتي بامثال هؤلاء الرجال الأفذاذ في عصر ثغرق الموجة المادية الناس بمن فيهم شريحة من المتدينين إلا من رحم الله؟

ولذا فلا مناص من التفكير الواقعي والعملي والممكن تنفيذه كي لا يضيع الوقت وال عمر في الأحلام والأوهام.

حـ- أرى أن نخصص في كل ولاية من ولايات السودان مسجداً ذا أهمية في مكانته ومكانه في مركز الولاية من حيث الموقع والبناء والمرافق، وأن تخصص في العاصمة المثلثة ثلاثة مساجد، فيكون المجموع ثلاثين مسجداً، نختار لها أرباب القلوب الكبيرة -قدر الممكن - والهمم العالية، والعزيمة الصادقة، يمنحون رتبة وزير أو وكيل أو مدير عام، وتخصص لهم رواتب مجزية ومتزل مريح وسيارة، وغير ذلك، ليترفع لل مهمة الكبرى التي سيناط به أداؤها، ثم تحدد له برامجه ومهمااته التالية.

- يؤدي الواجبات التي يضطلع بها أئمة المساجد في السودان من

إماماً وتدرисاً، وإلقاء خطبة الجمعة، وإفتاء المصلين ورواد المسجد
عما يسألونه ويستفسرون عنه.

- يختار من أبناء الولاية، أو يُختار له - وهو الأجدى - عدداً
يتراوح بين عشرين وخمسة وعشرين من الأذكياء والأتقياء ليعايشهم،
ويدرّبهم، ويأخذ بأيديهم، تأديباً وتعليماً وترويضاً وسلوكاً طبقاً
للمنهاج الذي يتناول التزكية من كل جوانبها، والذي أعانتني ربي على
وضعه، وضمه كتاب في التزكية والسلوك، على طريق الخلوة أو
المرابطة كما كان يفعل المهديون والسنوسيون، بمنطق العصر ووسائله
المتاحة والمتطورة، يستمر فيها المرید أو التلميذ مدة لا تقل عن
ثلاث سنوات إلى خمس سنوات دأباً، لا تقطعها إلا إجازات محدودة
لأيام يزور فيها التلميذ أهله، ثم يعود ليستأنف سيره.

تقوم هذه الثلة أو المجموعة بعد أن يتأكد إمامها من نجاحها
وسيطرتها على نفوسها، وتحررها من الرغبات والأطامع والشهوات
والنزوّات والتعلق بالدنيا، والميل إلى الشهرة والجاه والمال،
والانصراف الكامل إلى طاعة الله، والجهاد والمجاهدة في سبيل
إعلاء كلمته، وتحكيم شريعته، والفناء في محبته، هذه الثلة التي
يشهد لها الشيخ أو المربي القدوة أنها اجتازت هذه المرحلة بنجاح،
وسيطرت على خواطرها ونفوسها سيطرة كاملة، تصبح مؤهلة لتبلیغ
دعوة الله، ليس في السودان وحده شمالاً وجنوباً، بل في القارة
الإفريقية جموعاً على طريقة الداعية الكبير أحمد ديدات.

هذا العمل الكبير تخصص له إدارة في أجهزة الحركة الإسلامية

ترعاه، وتشرف على تنفيذه، وتتفقد سيره طبقاً لخطة أو جدول يحدد عدد الجولات على هذه المساجد أو المراكز -أو الرباطات- الثلاثين، كل ثلاثة أشهر أو أربعة، لتأكد من حسن التطبيق والتنفيذ، وتخصص لهذه الإدارة ميزانية تكافئ حركتها ومهماها، ومتفرغون وأدوات للنقل والاتصال وغير ذلك من لوازم التحرك، وأنوه -كما قلت من قبل- إلى أنني مستعد لأن أضع نفسي تحت تصرف هذه الإدارة للعمل معها في التخطيط والتنفيذ والإشراف والجولات فيما تبقى من بقية في هذه الدنيا قبيل الرحيل المحتوم.

هل ينبغي أن ننتظر سنوات حتى يؤتي هذا الجهد أكله؟ والأيام تمر، والأخطار تزداد، وإغراءات الحياة تلح على شبابنا وأبنائنا؟ وإنذن لابد من عقد دورات شهرية ينخرط بها، ويؤتى إليها بالموظفين ذوي الأهمية، وبالأشخاص الذين يمسكون بناصية الأعمال المؤثرة، أو الذين يحتلون مفاصل ذات أثر بالغ في الوزارات والإدارات والمؤسسات والمشروعات والأجهزة.. إلخ، ليتحققوا بهذه الدورات المتابعة. وهذه الدورات وإن لم تبلغ الغاية مما ورد في الفقرة السابقة، إلا أنها تخفف من ضغوط الإغراءات الحياتية في المال والجاه، وتحرك في النفس عوامل الخير والتقوى والبر الراكدة في الأعمق، وتشعل في القلب نار الخوف من الحي القيوم، والرجاء برحمته وعفوه، فيكون لذلك بعض الأثر الحسن في التزكية والسلوك وأداء الأمانة وكبت روح الطمع والتعلق بالدنيا دار المتع والغرور، وتضيق الخناق على الفساد المالي والإداري المستشري في كل

بلادنا، وأسفاه، وح悲اً لو تكررت هذه الدورات شهراً أو بعض شهر من كل عام كما تفعل الجيوش للجنود كيلاً يهملوا أو ينسوا التدريب الذي تلقوه من قبل على حمل السلاح.

دـ والخلاصة: إن إحياء دور المسجد، وتفعيله في حياة المسلمين تشمل: صناعة الرجال والدعاة، وتكوينهم، وتربيتهم، وتزكيتهم، تمهدأً لدفعهم إلى الساحات كافة، كما تشمل إقامة الدورات الشهرية أو بعض الشهيرية، لتحقير رجال الدولة وقادة المجتمع، ليكونوا عامل ارتقاء ونهوض، وتشييت للأمة في مسارها أو سيرها إلى الله، شأن الجبال في توازن الأرض أن تميد بأهلها، بالإضافة إلى الأعمال المعهودة من إمامه وتدريس خطابة وإفتاء وما يتبع ذلك، ومن المفيد للغاية، بل ومن الواجب تشكيل حلقات فقهية للجميع ينضم إليها - اختياراً - الراغبون من رواد المسجد، وإنزاماً للمرابطين الدائمين، وأبناء الدورات المؤقتين للتمييز بين الحلال والحرام، ولمعرفة وفهم سائر الأحكام.

وأخيراً، فإن الإدارة المشرفة على هذا العمل الجليل تبادر إلى إصلاح أي خلل يشوب أو يضعف هذا المنهاج من خلال التطبيق والتنفيذ عبر الإشراف والجولات، عندما تكتشف أن إماماً غير جدير بهذه المسؤولية لتغييره، أو طالباً يغلب على طبعه الفساد أو الفشل لإبعاده واستبداله.

في الساعات الأخيرة من زيارتي للسودان، قلت للسيد النائب: إن أزمة الغلاء تطحن شريحة واسعة من السودانيين، ولاسيما أبناء

العاصمة الذين يشكلون شطراً كبيراً من سكان القطر، فبادرتم إلى القول : ادع الله لنا أن يعيننا في التغلب على هذه الأزمة ، وهذا يعني أنها خارج السيطرة ، وأنها مستحکمة وأنها تشغل حيزاً كبيراً من اهتمامكم وهمومكم ، وهذا أمر متوقع بعد زحف شركات البترول والمشروعات الكثيرة إلى السودان ، وما تملكه من رساميل كبيرة ، ليس بمقدور السودانيين منافستها ولو كانوا من أهل السعة والثراء . تأتي في طليعة هذه الأزمة أسعار العقارات وأجورها ، وكذا أسعار المواد الأساسية كالطحين والسكر واللحم والسمك ، فليس بمقدور القراء وأبناء الطبقة الوسطى منافسة الشركات ، فشركة البترول والشركات المماثلة تستطيع استئجار العمارة ذات عشرات الشقق بكاملها ودفع أجورها بمالين الدولارات ، فمن الذي يستطيع مجاراتها من الموظفين ، بمن فيهم ذوو الرواتب المجزية للعثور على السكن المناسب !!

أما أسعار الغذاء فقد صارت فلكية ، فكيلو سmk العجل يساوي في السعر بضعة وثلاثين ألف جنيه سوداني ، وهو الذي يصطاده السودانيون من النيل الذي يجري من تحت أقدامهم ، وسعر كيلو لحم العجل أو الضأن يبلغ بضعة عشر ألف جنيه في بلد يملك أكبر ثروة حيوانية في العالم ، أما سعر كيلو السكر ، فإنه يزيد أكثر من خمسين بالمائة على مثيله في الأردن الذي يستورده ، ويضيف عليه ضريبة مرتفعة غير مباشرة ، وكذا حال الطحين والأرز وغيرهما .

ربما يكون لهذا أسبابه من التضخم والطفرة الاقتصادية بعد ظهور

البترول، والتهريب إلى دول الجوار، وما إلى ذلك مما يحيط بمعرفة تصصيلاته الاقتصاديون والماليون والمعنيون، ولكن هل ترك المواطنون ينزوؤون تحت كابوس الغلاء وكلكله عشر سنوات أخرى؟ لابد من التفكير الجاد بحل الأزمة أو التخفيف من وطأتها وقوتها.

هــ ولنكتف بالحديث الموجز عن أزمة السكن وأزمة الغذاء، إذ ليس في المنظور القريب حل أزمة السكن لأن الطلب عليه شديد، يفوق العرض ويزيد عليه، وبهذا الصدد أذكر بما لجأت إليه بعض الحكومات حيث خصصت ضاحية من ضواحي العاصمة للبعثات الدبلوماسية، وضاحية للشركات، وأقطعت كل سفارة أو شركة قطعة أرض تبنيها أو تستأجرها، أو تنشئ الحكومة عمارات وفللاً أو منازل تقوم شركات البناء بتشييدها، ثم تؤجرها للسفارات والقنصليات وما إليها بأسعار تغطي تكاليفها بفترة قصيرة، ثم تشكل دخلاً مجزياً للدولة بعد سنوات قليلة، فإذا توقفت البعثات والشركات عن طلب العقارات في داخل العاصمة، انخفضت الأسعار، وعادت لسابق عهدها أو بزيادة معقولة.

أما أسعار الغذاء لاسيما اللحم والسمك والسكر والطحين وفاتورة الكهرباء فهي فادحة ومرهقة للمواطنين، وهي أعلى من مثيلاتها في الأقطار العربية، وربما كان تخفيضها أمراً عسيراً لأسباب مرّ ذكرها، ويطول شرحها، فلا مناص، والحال هكذا، من دعم الحكومة لعدد من المواد الرئيسية في حياة المواطنين، وأخص اللحم والسكر، فاللحم يعني عن السمك، والذرة تردف الطحين، ولا أتصور أن

الدولة تعجز عن تأمين هاتين المادتين -اللحم والسكر- في العاصمة عن طريق البطاقة، ومتعبدي اللحوم، ليستلم المواطن أو العائلة حصة كل أسبوعين، أي مرتين في الشهر من المتعهد في الحي بالسعر المنخفض، وتستلم العائلة حصتها من السكر على رأس كل شهر، وبالقدر الذي يحدده العارفون بطبيعة الاستهلاك، وبحذا تخفيض أسعار الكهرباء، مهما كان تحمل الدولة، تخفيضاً عن كاهل المواطن الذي أرهقته فاتورة الكهرباء بسعراها الذي يفوق أمثاله في جميع البلاد العربية، وأن لا تنتظر كثيراً، حتى يكتمل مشروع الكهرباء فيه، بعد أن قيل إنه سيعمل كاملاً عام ٢٠٠٧ وإذا بعام ٢٠٠٩ يأتي ليعمل طوربينان من عشرة، وإذا بالكهرباء تنقطع وتسبب أضراراً بالغة للمواطنين.

و- أنهى هذه المذكرة بعدد من الملحوظات، فأذكر الأولى متسائلاً:

هل الذي ذكرته ضرب من الأوهام والأحلام؟
وهل يجيء هذا النصح تغريداً خارج السرب؟
وأنني لا أدرك الواقع الذي لا يحيط به إلا رجال السلطة وحدهم؟
وهل الدولة عاجزة عن معالجة هذه الأزمات في حدتها الأدنى
الذي ذكرت؟

ربما، غير أنني أشير إلى نصح الفضيل بن عياض لهارون الرشيد عندما رأه يسعى، فقال له:

- يا هارون: ارق الصفا.

قال: فعلت.

قال الفضيل: كم عدد هؤلاء؟ (وأشار له إلى مجموع الحجيج.)

أجاب هارون: خلق كثير.

قال الفضيل: كم عدد المسلمين؟

قال الرشيد: عدد لا يحصيه إلا الله.

فقال الفضيل بن عياض: كل واحد منهم مسؤول عن نفسه، إلا أنت فمسؤول أمام الله عنهم جميعاً.

فبكى هارون بدموع سخية، فتركه الفضيل يذرف عبراته، ويمسحها بمناديل، ثم مضى.

وفي ملحوظة ثانية، نذكر أن أمريكا تناقض نفسها، فتشتت على السودان، ثم تعمل على إيذائه، فما الذي تريده؟ وما هي دوافعها؟

هل الروح الصليبية التي بدت لكل ذي عينين وأذنين في سياسة الفريق الأمريكي الحاكم؟ في عهد بوش.

هل هو التحرير الإسرائيلي الذي يتخذ لنفسه موقع عسكرية على حدود السودان أو في جواره عبر تعاونه مع حكومة أريتريا الدموية؟ ودول الجوار الأخرى.

هل الطمع الشره في بتروil السودان الواقع على الجودة؟

هل الخوف من استقرار الحياة السياسية السودانية تمهدًا لقيادة

إفريقيا ذات الأكثريّة المسلمة؟

أيًّا كان الأمر، فالتساؤل الوارد: هل البحث عنمن يحرك العرية الأمريكية.

هل تحرِّيض بعض المعارضين (من ذوي الكيد) للأميريكان على تغيير الحكم في السودان كما قرأت ذلك في صحيفة أردنية وسلمت للنائب وللبروفسور عبد الرحيم علي صورة عنها؟

أيًّا كان الأمر، فرأى أن لا تأتي التصریحات المضادة لأمريكا من السيد الرئيس حفظه الله شخصياً، بل نتعامل معها على طريق السيد النائب والسيد مصطفى عثمان بالتهوين من شأنها، وعدم المناطحة معها، مع الأخذ بالاستعداد قدر الاستطاعة «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ» ولتأت الردود اللينة من الناطق باسم الخارجية أو الإعلام أو أي جهة معينة أخرى.

وتأتي الملحوظة الثالثة والأخيرة حول منهاج التوعية والتربية والتزكية والسلوك الذي يرمي إلى تثبيت وتطهير القلوب، والتفوس، وتحصين الرجال والنساء من المسؤولين في الإدارة الحكومية والمجتمع في حال الاقتتاع به، وإنه طريق الفوز في دنيانا، وفي يوم يفر المرء من أخيه، وأمه وأيه، وصاحبته وبينه، وفصيلته التي تؤويه، مؤكداً كما ذكرت من قبل أكثر من مرة، أنني على استعداد لتقديم جهدي المتواضع في أي مرفق من مرافقه، أو مرحلة من مراحله، سواء أكان ذلك في الإدارة المعنية في الحركة الإسلامية التي سبق التنوية عنها، أم بالإشراف المباشر للمجموعات المرشحة

والمحترمة، أم بالجولات على المراكز أو المساجد أو الرباطات كما جاء ذكر ذلك من قبل، أو أي عمل أضطلع به فيما تبقى لنا من أيام في هذه الدنيا الفانية قبل الرحيل الحتمي إلى جوار الله، سائلين المولى أن يجعل خير أعمالنا خواتيمها، وأسعد أيامنا يوم نلقاءه بقلوب سليمة تفيض بحبه وتعظيمه والتوكّل عليه، وتفويض الأمر كله إليه.

والحمد لله الذي بنعمته وفضله تم الصالحات، وأخر دعوانا أن

الحمد لله رب العالمين

٢٠٠٥-١١-٢٣ م - ١٤٢٦ هـ - ٢٠-١٠-٢٠

الفقير إلى عفو بارئه ورازقه

عدنان سعد الدين

وبالرغم من أن هذا المجلد خاص بالعلاقات السياسية لجماعة الإخوان المسلمين السورية في الثمانينيات من القرن العشرين، فإن العلاقات مع السودان حالة استثنائية خاصة اقتضت أن تستمر العلاقة والصلة والتشاور معه تتمة سنوات القرن العشرين، وفي العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، فاقتضى التنويع إلى ذلك، سائلاً المولى سبحانه أن يحفظ السودان ويأخذ بنواصي أهله وقادته إلى التوفيق ومرضاة الله سبحانه.



التجربة السابعة

مع المجاهدين الأفغان

في عام ١٩٧٩ انفجرت الثورة الإسلامية في أفغانستان، كما انفجر في نفس العام الصدام بين المعارضين السوريين، وبين حكومة الأقلية التي سطت على الحكم واستولت على السلطة عن طريق لواء في الجيش السوري قاده العقيد زياد الحريري، تاركاً الجبهة مع العدو، واتجه إلى دمشق، لتسقط في أيدي تكتل طائفي شكل له الحريري واجهة سرعان ما تم الاستغناء عنها بعد حوالي مئة يوم بعد انقلاب الثامن من آذار عام ١٩٦٣.

في هذا العام ١٩٧٩ تمت الاتصالات بين قادة المجاهدين السوريين وبين قادة المجاهدين الأفغان الذين اتخذوا من مدينة يشاور الباكستانية القرية من الحدود الأفغانية مقرًا لهم، فكانت الزيارات والاتصالات لا تتوقف ولا تنقطع، وكانت المشاورات وتبادل الخبرات والتعاون بين السوريين والأفغان قائمة على قدم وساق.

قمت بعشرات الزيارات إلى يشاور، وتعرفت عن قرب إلى قادة الجهاد الأفغاني، وتكون لدى انبطاع وتقدير لكل واحد منهم، ولكل

تنظيم من تنظيماتهم السبعة التي رفعت راية الجهاد الأفغاني ضد الاحتلال السوفيتي لأفغانستان.

عندما دخلت القوات السوفياتية إلى أفغانستان لدعم الحكومة الشيوعية فيها، لم تكن حركات الجهاد الأفغاني قد ولدت، أو ظهرت على الأرض الأفغانية، فكان من اليسير على القوات السوفياتية الثقيلة أن تصل إلى قمم الجبال وسفوحها، وإلى الواحات في العمق الأفغاني. وعندما بلغ عدد مجاهدي أفغانستان مئات الألوف، لم يكن بمقدور القوات السوفياتية أن تتحرك (في بلد تشكل الجبال الشاهقة من أرضه حوالي ثمانين بالمئة من مساحته الكلية) كما يحلو لها، بل أصبحت كالمحاصرة، وفي حالة لا تحسد عليها.

إن عشرات الزيارات إلى يشاور وممر خير والأراضي الأفغانية أتاحت لنا أن نعيش تفصيلات الجهاد الأفغاني من كل جوانبه، وهذا موجز عن نشوء حركة الجهاد والمراحل التي مر بها.

١- بدأ الاحتلال السوفيتي لأفغانستان عام ١٩٧٩ ، وكان المجاهدون جميعاً في داخل أفغانستان ، وعندما اشتتدت الوطأة على المجاهدين، قرروا الذهاب إلى داخل الأراضي الباكستانية، والاستقرار في مدينة بيشاور القرية من الحدود الأفغانية ، وكان من رأي برهان الدين ريانى ، كما تقول مصادر أفغانية ، أن يأخذ بالحل السياسي مع الحكومة الروسية ، ولكن حكمتياً - أحد المجاهدين الأفغان الكبار - رأى الأخذ بالحل العسكري ، لذلك استقطب المجاهدين الذين أخذوا برأيه ، وبدأت بذلك مسيرة الجهاد الأفغاني

الذى انتهى بتحطيم الغزو السوفياتي، ومن ثم الاتحاد السوفياتي نفسه.

بذلك يكون قلب الدين حكمتىار أول من رفع السلاح في وجه الغزو الروسي لأفغانستان، وكان ربانى يحمل حكمتىار المسؤولية عن الخسائر في صفوف الأفغان، غير أن قافلة الجهاد كانت قد شقت طريقها كإحدى أخطر الحركات الجهادية في القرن العشرين.

تم الإفراج عن بعض السجناء، كان بينهم عبد رب الرسول سياf المحكوم عليه بالإعدام، والذي تم الإفراج عنه عن طريق الخطأ، وسرعان ما انتقل إلى بيشاور، والتقى مع فصائل المجاهدين، ومع قادتهم مثل: برهان الدين ربانى رئيس الجمعية الإسلامية في أفغانستان، وغلب الدين حكمتىار رئيس الحزب الإسلامي الأفغاني، ومولوي يونس خالص رئيس الفرع الآخر من الحزب الإسلامي، وصيحة الله مجدي رئيس أصغر المجموعات الجهادية، وسيد أحمد جيلاني رئيس الجبهة الوطنية، وهو من أصل عراقي، وثقافته غربية محضية، لأنه نشا وعاش في الغرب، ومولوي محمد نبي رئيس جمعية علماء أفغانستان سابقاً، ورئيس حركة انقلاب إسلامي بين فصائل المجاهدين، بالإضافة إلى الأستاذ سياf الذي شكل تنظيم الاتحاد الإسلامي لتحرير أفغانستان.

اتفق قادة الجهاد مع سياf على الاندماج في تنظيم واحد، فتشكل الاتحاد الأول للمجاهدين الأفغان، وانتخاب سياf رئيساً له. حاولت الدول الكبرى التدخل وتمزيق الصف الأفغاني وشراء أو

جذب بعض الفصائل، فاستطاعوا التأثير على بعضهم مثل مجدهي وجيلاني، وإلى حد ما مولوي محمدنبي، فذهبوا إلى الغرب مثل ألمانيا وبريطانيا وأمريكا، فحدث رفض من داخل هذه الحركات الثلاث، فبرز مولوي محمد مير بالانفصال عن سيد أحمد كيلاني، وقام بتشكيل الجبهة الوطنية لإنقاذ أفغانستان، كما قام رجلان من حركة الانقلاب، وانفصلا عن محمدنبي، وشكل كل منهما جماعته تحت اسم حركة انقلاب إسلامي والرجلان هما مولوي رفيع الله مؤذن، ومولوي نصر الله منصور، فتلت الأمور بتشكيل الاتحاد الإسلامي لمجاهدي الأفغان على النحو التالي:

- ١ - الأستاذ عبد ربّ الرسول سیاف: رئيساً.
- ٢ - الأستاذ قلب الدين حكمتیار: نائباً للرئيس.
- ٣ - الأستاذ برهان الدين رباني: مسؤول اللجنة العسكرية.
- ٤ - مولوي یونس خالص: مسؤول اللجنة المالية.
- ٥ - مولوي محمد میر: مسؤول لجنة الإفتاء.
- ٦ - مولوي رفیع الله مؤذن: مسؤول لجنة القضاء.
- ٧ - مولوي نصر الله منصور: الأمين العام.

سارت الأمور لبعض الوقت على ما يرام، فمجلس الشورى بأعضائه الستين كانوا على قلب رجل واحد، وكذا كان قادة الاتحاد، إلى أن دب الخلاف بينهم حول الجانب المالي، فمنهم من اتهم سیاف بصرف معظم المال لتنظيم حزبه، ومنهم من اتهم التوزيع

بنسب بعيدة عن مراعاة ثقل كل تنظيم من التنظيمات السبعة، فحكمتيا يبلغ عدد تنظيم حزبه من المجاهدين ثمانين ألف مجاهد، وعدد أتباع نصر الله يبلغ عشرين ألفاً، فكيف يستلم كل منها مقدار ما يستلم الآخر؟ واتهم مولوي يونس خالص مسؤول اللجنة المالية بأنه استلم مبلغ ٣٠ مليون باسم الاتحاد، أنفق منها ١٣ مليون روبيه واحتفظ بـ ١٧ مليون لم يصرح بها، بدعوى أن اللجنة العسكرية واللجنة الصحية لم تقدمها كشفاً بالمبلغ الذي استلموه!!

فأقبل بعضهم على بعض يتلاؤمون، بل ويتهمنون كالذى حدث في أحد اجتماعات مجلس الشورى.

دُعي ربانى وحكمتيا إلى إيران لحضور احتفالات ذكرى الثورة الإيرانية، فسافرا دون موافقة الاتحاد كما أعلن سياف، فاقتراح مجلس الشورى في غيابهما تغيير رؤساء اللجان، فلم يوافق ربانى بعد عودته على التغيير، ولم يعد يحضر اجتماع اللجنة السياسية التي أسندت إليه، وكذلك الأمر بالنسبة لمولوي يونس خالص الذى ترك الاتحاد، لكنَّ تنظيمه لم يترك الاتحاد.

سافر ربانى إلى فرنسا بدعوة من الرئيس الفرنسي دون أن يستأذن من الاتحاد.

سمى من جديد أسماء اللجان في الاتحاد من: أحمد شاه زى، ومولوي محمد مير، ومولوي رفيع الله مؤذن، وواحدى أحمد زى، ومولوي عبد الحي زعفرانى، ومولوي سلطان عزيز، والأستاذ سيد ملا صديق.

ازداد عدد المهاجرين الأفغان إلى باكستان فبلغوا ثلاثة ملايين مهاجر، وعدد المهاجرين إلى إيران أكثر من مليون مهاجر، وعدد المهاجرين في داخل أفغانستان إلى حوالي ٨ ملايين مهاجر.

يقدر المعنيون عدد المجاهدين في أفغانستان بثلاث مئة ألف مجاهد، موزعين على التنظيمات السبعة كالتالي :

٨٠ ألف مجاهد تابعون للأستاذ حكمت يار.

٧٠ ألف مجاهد تابعون للأستاذ رباني.

٦٠ ألف مجاهد تابعون للأستاذ سياف.

٣٠ ألف مجاهد تابعون للأستاذ مولوي يونس خالص.

٢٠ ألف مجاهد تابعون للأستاذ محمد مير.

٢٠ ألف مجاهد تابعون للأستاذ رفيع الله مؤذن.

٢٠ ألف مجاهد تابعون للأستاذ نصر الله منصور.

علمًا بأنه يوجد حوالي ٨٠٠ ألف غير مسلحين، كما يوجد في يشاور معسكرات: أبو بكر، وسلمان الفارسي، وهما تابعان لسياف، ومعسكر ورسك تابع للأستاذ حكمت يار، ومعسكر خالد بن الوليد تابع للأستاذ رباني.

-2- استمر التعاون بيننا وبين الأفغان على كل الصعد، وفي كل الميادين سواء أكان ذلك في أفغانستان أو في أوروبا أو في العراق، وقد جاء ذكر التعاون بين العراق والأفغان في الفقرة الخاصة بالعراق،

وبين الأفغان ومنظمة التحرير في الفقرة الخاصة بمنظمة التحرير الفلسطينية، فلا داعي للتكرار.

كانت اللقاءات المشتركة مع الأفغان، كما نوهت، مستمرة في أوربا، ومن ذلك لقاء في فرانكفورت بين وفد أفغاني وأخر سوري عام ١٩٨٤ .

كانت مجموعة الأفغان تتالف من: محمد ولی عضو الحزب الإسلامي في ألمانيا، مسؤول المكتب الإعلامي . ومن عبد الكريم بویال عضو الاتحاد العام واتحاد الطلبة الأفغان، وعبد الكريم رئيس اتحاد المجاهدين الأفغان، ومثل الحزب الإسلامي رئيس الحزب -فرع أوربا-. وكانت مجموعة الإخوان السوريين تتالف من: كاتب هذه الأحرف، وثلاثة من الإخوة أعضاء اللجنة السورية في ألمانيا.

كان موضوع اللقاء: بحث مجالات العمل المشتركة وسبل تعميق الصلة والتعاون.

بدأت الجلسة بحديث عام عن أوضاع الإخوة الأفغان في الداخل والخارج، وعن المشكلات التي تحيط بقضيتهم، خصوصاً ما يتعلق بصلتهم بإيران، وذكروا أنهم مضطرون للتعامل بصورة دبلوماسية مع الإيرانيين مع اقتناعهم بأن الثورة الإيرانية تقف منهم موقفاً معادياً، وفي الاحتفالات الإيرانية -الفجر- دعي كل من ربانی وحکمتیار، وتكلم حکمتیار ساعة ونصف، أوضح خلالها موقفه السیئ الذي تقهه إیران من الثورة الأفغانية، وشرح دور وحقيقة الثورة الإيرانية، وبالرغم من وجود عدد كبير من المراسلين والصحفيين لم تنشر

كلمته، وإنما اكتفي ببشر الخبر إذ أذاعوا فقط: بأن أحد رجال الفكر الأفغاني قد ألقى كلمته.

وفي لقاء آخر مع الصحفيين أوضح حكمتiar التعرّض المذهبي الذي تنتهجه إيران. كما ذكر الإخوة الأفغان أن الحكومة الإيرانية قد نقلت مركبهم الرئيسي من طهران، واستبدلت به مكتباً صغيراً في مدينة مشهد، كما أن اللاجئين والمهاجرين الأفغان، لا يتمتعون بالمعاملة الحسنة، ولا يستطيعون الانتقال من مكان لأخر إلا بتراخيص، وبسبب الحدود الطويلة التي تبلغ ٢٥٠٠ كم التي تفصل بين الولايات الأربع المحررة على حدود الأفغان وإيران، فإنهم مرغمون على مداراة السلطات الإيرانية، فلو أغلقت هذه الحدود، لتعرض الإخوة الأفغان إلى متاعب وصعوبات كبيرة، ولأصبحوا فريسة سهلة للروس.

تعرض أبو عامر في إجابته إلى وجوب كشف حقيقة النظام الإيراني الذي يتعامل مع أعداء الإسلام في أكثر من مكان ضد أبناء الإسلام، وأن على الأفغان أن يتخدوا موقفاً صريحاً تجاه الحكم الإيرانية حتى يسقطوا الحجة من أيديهم، إذ إن الإيرانيين وفي كل مناسبة يزعمون أنهم يدعمون المجاهدين الأفغان، ويقفون إلى جانب الثورة الأفغانية، وهذا يغاير الحقيقة، الأمر الذي يضلّل كثيراً من المسلمين في أنحاء المعمورة، وإن سكوت الأفغان، سيجلب لهم من الضرر أكثر ما يجلب لهم من المنفعة.

كما نوه أبو عامر إلى ضرورة اللقاء بين الأطراف المتعددة

للمجاهدين، ولا سيما بين الأخوين سياف وحكمتiar، اللذين يكمل أحدهما الآخر، ولا نجاح لأحدهما من دون أخيه، وذلك على الصعيدين الداخلي والخارجي.

وقد أكد الإخوة الأفغان تضامنهم مع الاتحاد الجديد على الرغم من افتقارهم الضمني بعدم جدواه، علماً بأن هؤلاء الإخوة وكثيراً من الأفغان العاملين في أوروبا يتتمون للحزب الإسلامي بقيادة حكمتiar.

طلب الإخوة الأفغان دعم إخوانهم العرب، خصوصاً في مجال نشر الكتب الإسلامية ليقفوا في وجه المد الشيعي، لأن إيران ترمي بكميات ضخمة من الكتب في الفقه والفكر الشيعي في أفغانستان، فلا يجد الشباب المسلم والمجاهد غير هذه الكتب لينهلوا منها، فاقتراح عليهم أبو عامر اقتراحات عملية في هذا الصدد، ثم انتقل المجتمعون لبحث أمور تنظيمية لتوسيع التعاون على كل المستويات، من إعلام ورصد ومال وتعبئة ومجالات أخرى، واتفقوا على لقاء دورى فيما بينهم.

٢٢ شعبان ١٤٠٤ هـ ٢٣ أيار / مايس ١٩٨٤

-٣- كانت الصلة بيننا وبين سياف وثيقة ومتينة لا يتقدم عليها إلا الصلة مع حكمتiar الذي وجدنا فيه النموذج الأمثل في قيادة العمل الجاهدي، والالتزام بضوابط الشريعة الإسلامية كما سوف يأتي لاحقاً.

كان سياف فصيحاً في اللسان العربي حيث تخرج في الأزهر الشريف، وكان حديثه عن الإسلام شافياً، فكانت، كما سبق، الصلة

معه قوية والتعاون مستمراً.

كان بعض السوريين يتطلعون إلى الذهاب لأفغانستان لينالوا شرف الجهاد مع إخوانهم ضد الروس الغزاة، لكن بعضهم لا يستطيعون الاستمرار وتحمل أعباء الجهاد، وما يتطلبه من صعوبة ومشقة، كان منهم وفي مقدمتهم الدكتور علي المصري من أطباء حماة، فكان يلح على الالتحاق بالمجاهدين وترك عمله كطبيب في الفجيرة إحدى الإمارات في دولة الإمارات المتحدة، وبعد وصوله إلى بيشاور لم يلبث أن عاد بعد أن مكث مع الأفغان فترة قصيرة.

لهذا أوكلنا شؤون هؤلاء السوريين أو بعضهم من الراغبين في الجهاد إلى عبد رب الرسول سياف، وأرسلنا إليه رسالة بتاريخ ١٧ - ٣ - ١٩٨٥ جاء فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ الكبير المجاهد عبد رب الرسول سياف حفظه الله:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأسأل الله تعالى أن يحفظكم وإخوانكم من كل سوء، وأن يتجلى عليكم بتأييده ونصره، وإنه أكرم من سئل، وأعظم من أجاب وبعد:

أ- ثمة لفيف من إخواننا الكرام يتطلعون إلى الوقوف بجانبكم، والجهاد معكم، وتقديم جهودهم وخبراتهم إليكم، وقد وافقت قيادة الجماعة على طلبهم بالتوجه إليكم، ليكونوا يأمرونكم وتحت قيادتكم.
ب- نود الإشارة إلى أن ظروفنا في سوريا أفرزت حالات صعبة،

نجم عنها اجتهادات لعدد من الإخوة في صف الجماعة تحملنا على توضيح أمر ذي بال: أن تكونوا مسؤولين عن هؤلاء الإخوة الكرام إدارياً وتنظيمياً من حيث الضبط والربط والسمع والطاعة بصورة تامة.

حـ- ونذكر الأخ الكريم أن لنا مندوباً بقربكم هو الدكتور مصطفى حمادي ليقوم بمهمة ضابط الاتصال بيننا وبينكم، ليستمر التنسيق والتعاون معكم بشكل منضبط ودقيق، بإذن الله لصالح الحركة الجهادية في بلدينا كليهما، أفغانستان المجاهدة، وببلاد الشام التي بارك الله حولها.

بارك الله جهادكم، وحفظ جندكم، وخذل عدوكم، وكتب لأفغانستان الظفر والفوز، وقيام دولة الإسلام في ربوعكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخوكم

١٩٨٥-٣-١٧

عدنان سعد الدين

ـ ٤ـ بعد التعرف على قادة المجاهدين، وعلى تنظيماتهم، وبعد الاختلاط بهم، والإحاطة الكبيرة بأنماط تفكيرهم، وأساليب عملهم، تولدت قناعة عميقـة لدىـ بأن حكمـتـيارـ يـتمـتعـ بـصفـاتـ وـمزـاياـ تـقدمـهـ علىـ سـواـهـ منـ قـادـةـ المـجاـهـدـينـ،ـ منـ حـيـثـ الـوضـوحـ وـالـصـدقـ وـالـاسـتقـاماـ،ـ وـدـقةـ التـنظـيمـ،ـ وـالـالـلتـزـامـ الصـارـمـ بـالمـبـادـئـ الشـرـعـيةـ وـالـآـدـابـ الـإـسـلـامـيـةـ وـالـأـحـكـامـ الـفـقـهـيـةـ،ـ كـمـ أـنـهـ لـاـ يـدـاهـنـ عـلـىـ حـسـابـ عـقـيـدـتـهـ وـقـنـاعـاتـهـ أـيـ جـهـةـ،ـ وـلـاـ يـجـاـمـلـ الدـوـلـ الـكـبـرـىـ الطـامـعـةـ فـيـ

أفغانستان، وفي مقدمتها روسيا وأمريكا، فعندما زار قادة المجاهدين الأمم المتحدة، قابل القادة الرئيس الأمريكي ريجان في البيت الأبيض، باستثناء حكمتيا، لقناعته أن الولايات المتحدة ستوظف هذه الصلة لمصالحها في صراعها بالحرب الباردة، دون أن يضمن المجاهدون المواقف التي يطمحون إليها.

قويت شوكة الجهاد الأفغاني، واشتد ساعدها، وكان حكمتيا والحزب الإسلامي الذي يقوده في مقدمتها، من حيث العدد والعدة والمساحة التي يحتلها بعد انتزاعها من السوفيات على الأرض الأفغانية، حتى إن رئيس الاستخبارات العسكرية الباكستانية حميد كل الذي يمسك بالملف الأفغاني، اعتبر أن حكمتيا يمثل ٤٠٪ من قدرات المجاهدين، وأن التنظيمات الستة الأخرى بمجموعها تمثل ٦٠٪ منها.

لم يأت العام ١٩٨٨ حتى كان قلب الدين ذا شوكة قوية، تقربه الآخرين من النصر على السوفيات، ولذا أعلن للMuslimين جميعاً في شتى أقطارهم الميثاق التاريخي الصادر عن قادة الجهاد في أفغانستان، ممهوراً بتوقيعه باسم الاتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان.

وللأهمية البالغة لهذا الميثاق حيث الضوابط الشرعية والوعي السياسي المتقدم، والروح الجهادية النقية، نورد معظم ما ورد في بنوده وفقراته.

أ- أيها المسلمون في كل مكان: يا أنصار دين محمد ﷺ، أيها الغيورون على الحرمات، والسائلون على طريق الجهاد، والجادون

في أمر دينهم، يا من ترجون نصر الله، وتحلمون بإعلاء رايته، وتؤمنون رؤية المجتمع المسلم واقعاً حياً، إلى كل مسلم في أنحاء المعمورة نكتب بياننا هذا، لئلا يكون للناس علينا حجة، وحتى تكون شهادة للتاريخ ووثيقة ترجع إليها الأجيال.

الآن وبعد عشر سنوات، ما تجرع الجيش الأحمر غصصاً مثلها، ولا ذاق من الوليات والهزائم، وما تكبد من الخسائر، وما لحقه من مصائب وتدمير أكثر منها، في هذه السنين الحالكة في تاريخه، والتي فقد خلالها، حسب اعتراف حكومة كابل، حوالي ألف وأربعين ألفاً واثنتين وسبعين طائرة تدميراً وإسقاطاً، وحوالي ألف وخمسين طائرة استهلاكاً بكثرة استعمالها، وقد حوالي أربعة عشر ألف آلية، وقتل من جنود الجيش الأحمر قرابة خمسين ألفاً، بالإضافة إلى مئة ألف من الجيش الشيوعي الأفغاني والميليشيات والأتباع والمنافقين، ود unk من حوالي ثلاثة وأربعين مليون دولار ينفقها (العدو) يومياً في أفغانستان، وهو بحاجة إلى ثمن القمع الأمريكي الذي يشتريه، ولا يجد له سوى بيع رصيد الذهب لديه، كما فقد فوق أرض أفغانستان ألف طيار لا يمكنه تعويضهم خلال عشر سنوات قادمة.

بعد أن اقتربت أسود الله من النصر، وبعد أن جرت الدماء أنهاراً تروي تربة كابل والهلمند وجيحون، وبعد أن سقط قرابة مليون ونصف من الشهداء من خيرة أبناء هذا القرن (العشرين) وبعد أن تحولت آلاف القرى إلى أطلال خاوية ورسوم بالية، وبعد أن خلفت الحرب ما يزيد على المليون من الشكالى والأيامى والأرامل واليتامى

والمعوقين والمشوهين، وبعد تدمير المساجد وتمزيق الأسر، وإخراج ما يزيد على عشرة ملايين من المهاجرين من بيوتهم، وتشتتهم خارج أفغانستان وداخلها بين الأدغال والغابات وقمم الجبال.

بعد هذا كله، وعندما رأى العالم كله أننا لم تحن رؤوسنا العواصف الهوج، ولم تشن عزائمنا إزاء المحن القاسية، وعندما أدرك الناس كلهم أنهم أمام جند لله من طراز غريب، وأن الحرب لا تزيده إلا صلابة، طلع علينا الغرب مشفقاً علينا، ويرزوا في ثياب الناسكين الناصحين ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ وتقديموا إلينا كمحكمين وقضاة وأوصياء يقولون: حقنا للدماء ... لا بد من الوصول إلى حل يرضاه الروس حتى يخرجوا، بأن يرجع الملك حاكماً أو تُحكم بأفغانستان رجلاً علمانياً أفغانياً ترى في أحضان الغرب، ليس بالمنغلق ولا بالمتغصب، وجاء مؤتمر يالطة الجديد.

بـ- تضمنت معاهدة يالطة الجديدة في جنيف بنوداً سرية كثيرة، وبنوداً ظاهرة هي: انسحاب روسيا خلال تسعه أشهر، وعدم التدخل في شؤون أفغانستان الداخلية، أي منع وصول المساعدات من أيدي المسلمين إلى المجاهدين، وإغلاق الحدود الباكستانية في وجههم، مع بقاء مساعدات روسيا لحكومة كابل الشيوعية! وجود قوات دولية لمراقبة الحدود، ويترب على هذا: الصفة الشرعية لحكومة كابل الشيوعية والمفاوض المختار مع الأمم المتحدة، ويحتمي السوفيات بمظلة الأمم المتحدة وهو أقوى منها، ويدركي نار الخلاف بين فصائل الجهاد، وبين المجاهدين وبين باكستان الحليفة

للمجاهدين، ويقطع الصلة بين المجاهدين والمسلمين والعرب الداعمين له، ويحکم على المجاهدين بالعزلة، وحرمانهم من التأیيد السياسي الدولي.

إنها بنود خطيرة ترمي إلى تحويل أفغانستان إلى منطقة منزوعة السلاح، وإغراقها بالترف كي يجشو عقيدة الجهاد.

تحركت روسيا في ظل هذا التآمر على الشعب الأفغاني ، فكانت مأساة بخارى إذ عقدت مع المجاهدين سابقاً اتفاقاً اشترطت فيه وضع السلاح، فعادوا إلى حياة الدعوة، فلم تلبث روسيا أن انقضت على بخارى وابتلعتها ، وهذا ما فعلته في القفقاس إذ خدعت شعبه بأن روسيا ستمر في طريقها إلى أتاتورك الذي تآمر معها بدعوى مساعدة الشعب التركي ، وعندما دخل الروس قفقاسيا عمل فيه من المجازر الرهيبة ما لم يشهد له التاريخ نظيراً.

من المظاهر التي تجعلنا على يقين من حيث طوابيا الروس: إدخال القوات الروسية باسم ميليشيا أفغانية ، وبعد التحقيق مع الأسرى اعترفوا أنهم دخلوا مع مئة وخمسين ألف روسي من الجيش الأحمر من يتقنون اللغة الفارسية من الأوزبك ، متظاهرين بأنهم ميليشيا أفغانية ، وأن روسيا كلفت ثلاثين جنراً روسيًا للبحث عن أماكن صالحة لإنشاء قواعد عسكرية في الشمال مع أفغانستان تحت وصايتها ، وعمل أنفاق تحت نهر جيحون الفاصل بين روسيا وأفغانستان ، ونقل بعض الوزارات من كابل إلى بلخ - مزار الشريف - تمهدًا لجعل الجزء الشمالي من أفغانستان تحت وصايتها ، وتخزين

أكواخ من الذخائر والأسلحة تكفي الجيش الأحمر لخمس سنوات على الأقل، (مع أننا نأمل بإذن الله أن تكون هذه الذخائر من نصيب المجاهدين ليواصلوا جهادهم ضد الروس المحتلين). وأخيراً حشد أعداد كبيرة من المستشارين الروس، والذين نرجح أنهم من ضباط الجيش الذين دخلوا بشباب مدنية للتمكين للروس في احتلال أفغانستان، وإغراق كابل وتكبيلها بما يزيد على أربع مئة معاهدة فرضتها روسيا على ضيفتها الحكومة الشيوعية في أفغانستان.

ـ ذكر الميثاق الأسباب التي حملت الغرب ومعه روسيا على الهرولة لتطويق المجاهدين بالخداع والمكر السياسي، فقال الميثاق: لأن الغرب أدرك أن الجهاد الأفغاني أضحم نموذجاً حياً، وأسوة حسنة، ومثالاً فريداً أمام الشعوب المظلومة التي تريد أن تتحرر من إسارها أو تحطم قيودها، وما الانتفاضات التي نراها في بولندا وأرمينيا وأذربيجان، وصرخات الله أكبر المدوية في رحاب المسجد الأقصى والأرض المباركة، والحياة التي بدأت تدب في الولايات الإسلامية التي ترزع تحت الاستعمار الروسي إلا انعكاسات لنور الجهاد الذي يضيء أرجاء أفغانستان. ولأن هذه القوى قد يئست أن تحتوي الجهاد الأفغاني، إذ وجدتها صلبة المكسر. وأن الجهاد الأفغاني قد تحول إلى مدرسة إيمانية تربوية للعالم الإسلامي كله، حتى إن جنرالاً أمريكياً قال: إن استمرار الجهاد خطر على مصالح أمريكا في العالم الإسلامي. أعقبه الرئيس السابق نيكسون على التلفزيون الأمريكي بقوله: الخطر هو الإسلام. كذلك الرعب العالمي

من وصول المسلمين إلى الخلافة الإسلامية - أي جمع كلمة المسلمين - بعد أن أطاحوا بها على يد أتاتورك في ١٩٢٤-٣-٣، وأيضاً الخوف الدولي من أن تتحول أفغانستان إلى قاعدة صلبة لانطلاق الجهاد في العالم أجمع.

وحمل الميثاق روح الجهاد والشدة التي يشعر بها المجاهدون، فجاؤوا بمعانٍ إيمانية، وشعارات قرآنية وإسلامية، وأدبيات مما شاع على السنة أبناء الدعوة في الوطن العربي والعالم الإسلامي. ومنها:

نحن مسلمون، لا نذل إلا لرب العالمين.

مسلمون مسلمون مسلمون.

حيث كان الحق والعدل نكون.

نرتضي الموت ونأبى أن نهون.

في سبيل الله ما أحلى المنون

نحن أبناء محمد ﷺ: «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشْدَاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحْمَاءُ بَيْتِهِمْ»، «أَذْلَةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ». نحن مستعلون بإيماننا - على فقرنا وقلة حيلتنا - «وَلَا تَهْنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ». نحن نعتقد أن العزة للمؤمنين وحدهم، وهم يستمدونها من رب العالمين «وَلَهُ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ»، نحن نعتقد أن طريق عزتنا في الدنيا والآخرة هو الجهاد مع الإيمان، ونحن ندعوا الله أن تكون من الطائفة المنصورة، والعصابة الظاهرة، وفي الحديث

الصحيح:

«لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم، لا يضرهم من خالفهم حتى تأتي الساعة وهم على ذلك».

نحن نعتقد أن التوحيد في الأرض ورفع الراية الإسلامية مرتبط بالقتال.

«بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي». حديث صحيح رواه أحمد.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا إِلَيْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُولُوا إِلَيْنَا إِنَّا بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُمَّ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرَسُلُهُ بِالْعَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

نحن قد وردنا رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام في ميدان التحدى وساح النزال، فقد أمر رسول الله ﷺ أن يتحدى الدنيا بأسرها، فيقول رب العزة له ﴿فَلِمَ ادْعُوا شُرَكَاءَ كُمْ ثُمَّ كَيْدُونَ فَلَا يُنَظِّرُونَ، إِنَّ اللَّهَ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّ الصَّالِحِينَ﴾.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ مَوْلَانَا وَلَا مَوْلَى لَهُمْ﴾.

﴿فَذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾.

وأما خليفة أبو بكر رضي الله عنه، فقد رد على الصحابة الذين جادلوه في أن يؤخر بعث أسامة كما أمر به رسول الله ﷺ قائلاً: والذي نفس أبي بيده، لو ظنت أن السبع تحطبني لأنفذت بعث

أُسَامَةَ كَمَا أَمْرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. وَلَوْ لَمْ يَقُ في الْقَرَى غَيْرِي
لِأَنْفُذَتْهُ.

نَحْنُ نَعْتَقِدُ أَنَّ الْأَمْرَ كُلُّهُ لِلَّهِ . ﴿وَلِلَّهِ عِنْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ .

﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّهُ قَاتِلُونَ﴾ (١) .

نَحْنُ نَعْتَقِدُ أَنَّ الشَّرْقَ الْمَلْحَدَ وَالْغَربَ وَأَمْرِيْكَا لَا تَمْلِكُ مِنَ الدِّينِ ذَرَّةً :

﴿فَلَمَّا دَعَاهُمُ الَّذِينَ رَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي
السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرِيكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ
ظَهِيرٍ﴾ (٢) .

﴿كَمَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أُولَئِكَ كَمَلُ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذُتْ
بَيْتًا وَإِنَّ أُوْهَنَ الْبَيْوَتِ لَيَسْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (٣) .

جـ - نَحْنُ قَرَرْنَا مُوَاصِلَةَ الْجَهَادِ وَالسِّيرِ عَلَى هَذَا الطَّرِيقِ الشَّائِكِ
الْطَّوِيلِ حَتَّى يَنْصُرَنَا اللَّهُ أَوْ نَهَلَكَ دُونَهُ ، وَقَدْ تَوَكَّلْنَا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ
حَسِبُنَا وَنَعْمَ الْوَكِيلُ :

﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ لَهُ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ
وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسِبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ

(١) سُورَةُ الرُّومِ ، الآيَةُ : ٢٦ .

(٢) سُورَةُ سَبَا ، الآيَةُ : ٢٢ .

(٣) سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ ، الآيَةُ : ١٤ .

شيءٌ قدرًا».

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشُوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسِبْنَا اللَّهَ وَيَعْلَمُ الْوَكِيلُ، فَانْقَلَبُوا يُنْعَمِهُ مِنَ اللَّهِ وَفَضَلَّ لَمْ يَمْسِسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾.

سأحمل روحي على راحتى وألقى بها في مهاوي الردى
فإما حياة تسر الصديق وإما ممات يغrieve العدى

نحن بدأنا الجهاد بالحجارة والعصي، فنصرنا الله وأيدنا، ولم نكن نعرف أحداً، ولا يتعرف علينا أحد، ولكن الله أمدنا بروح منه، ونحن نملك بعض الأسلحة، ونستطيع أن نواصل عشرات السنين ياذن الله، وإذا سدت أبواب الأرض، فأبواب السماء مفتوحة، وإذا تنكر لنا البشر، فرب البشر الذي نجاهد في سبيله سينصرنا ويؤيدنا

﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْقُضُوا وَلِلَّهِ خَرَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَقْهَرُونَ﴾^(١).

نحن نقاتل لتكون كلمة الله هي العليا، وقد قدمنا مليوناً ونصف المليون من الشهداء، وماذا علينا لو قتلنا جميعاً في سبيل الله، من أجل إقامة دين الله في الأرض، وحتى تسعد البشرية بالحكم الإسلامي.

﴿وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُمْ لِمَعْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ

(١) سورة المنافقون، الآية: ٧ .

مِمَّا يَجْمَعُونَ^(١).

نحن مسلمون ليس لأحد من العالمين وصاية ولا ولاية ولا سلطة علينا.

إننا نعتبر هذه المؤتمرات مؤامرات دولية علينا وعلى الإسلام، ونحن نرفضها أصلاً وفرعاً، وهي باطلة بطلاناً تماماً.

إن رأية هذا الجهاد واضحة منذ أول يوم، إنها معركة بين كفر وإسلام، بين إلحاد وإيمان، بين الشيوعية وبين القرآن.

لقد قمنا ضد الطاغوت داود الأفغاني، وترaci الأفغاني، وحفيظ الله أمين الأفغاني، ثم استمر الجهاد ضد بابرak كارمل الأفغاني، ونجيب وسادتهم الروس. إن الجهاد لإزالة الطواغيت واستبدالهم ب المسلمين ليكون الدين كله لله **﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا يَكُونُ فِتْنَةٌ وَيَكُونُ الدِّينُ لِلَّهِ﴾**.

ونقول ختاماً: إن جند الله صمموا على موافقة البذل والتضحية، ولا يحسبن إخواننا في العالم الإسلامي الذين تركونا نواجه مصيرنا وحدنا، أنهم في منأى من الحساب يوم القيمة، أما الذين وقفوا معنا، فنحن ندعوا الله لهم الأجر والمثوبة والغفران.

إن نصرة المسلمين إذا اعتدى على شبر من أرض المسلمين تصبح فرضاً، فبلاد المسلمين كلها بمنزلة البلد الواحدة، وهذا محل

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٧٧.

إجماع. يقول ابن تيمية في مجموع الفتاوى: فاما إذا أراد العدو الهجوم على المسلمين، فإنه يصير دفعه واجباً على المقصودين، وعلى غير المقصودين كما قال تعالى: ﴿وَإِنِ اسْتَصْرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾. وكما قال ابن عابدين في حاشيته ٢٣٨ / ٣: وفرض عين إن هجم العدو على ثغر من ثغور الإسلام، فيصير (الجهاد) فرض عين كالصلوة والصوم، ولا يسعهم تركه، ومن ثم يفترض على جميع أهل الإسلام. ففي الحديث الشريف: «ما من امرئ يخذل امرأً مسلماً في موطن يتقصى فيه من عرضه، وتنتهك فيه من حرمته إلا خذله الله في موضع يحب فيه نصرته، وما من أحد ينصر مسلماً في موطن يتقصى فيه من عرضه، ويتنتهك فيه من حرمه إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته». حديث حسن رواه أبو داود.

انتهى هذا الميثاق التاريخي الذي صدر على شكل بيان بالعهد والميثاق التاليين: أيها المسلمون في كل مكان: نعاهد الله على استمرار مسيرتنا الجهادية -إن شاء الله- ونطمئنك أننا لن نخون دماء الشهداء، ولن نبيع دموع الأيتام، ولن نجلس على موائد اللثام، ولن نساوم على ديننا وأعراضنا ونبيعها بمن بخس ومتاع رخيص.

إن دموع اليتامي تقض مضاجعنا، وإن آهات الشكالي تؤرق أجفاننا، وإن دماء الجرحى التي مازالت تنزف، وأرواح الشهداء التي ترفرف تمثل شبحاً رهيباً يجعل أيدينا ترتعش أن تكتب حرفاً واحداً نخون فيه أمانتنا وأمانتكم. إن المأساة التي شهدتها أرض Afghanistan، تطاردنا في يقظتنا ومنامنا، وتحول بيننا وبين بيع Afghanistan.

إن الجلوس على مائدة يشرب عليها كأس خمر: حرام، فكيف
الجلوس على مائدة تشرب عليها أنهار الدم؟
أيها المسلمون: إن ربكم سائلكم غداً عن أفغانستان، فأعدوا
لربكم جواباً.

إنه سائلكم عن هذه الدماء التي سفكت، وهذه الأرواح التي
أزهقت، فماذا تجيبون إن فرطتم وقصرتم؟

﴿انفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

ستنطلق ونحن ننشد:

حطموا ظلم الليالي واسبقو ركب المعالي

واشرفوا كل العوالى وابذلوا كل الغوال

وانصروا دين محمد

يا غارة الله جدي السير مسرعة من أجل نصرتنا يا غارة الله
فالله أكبر ولا عزة إلا بالإيمان، والله أكبر ولا حكم إلا بالإسلام
الله أكبر ولا عزة إلا بالإيمان، والله أكبر ولا حكم إلا بالإسلام
ألا هل بلغنا، اللهم فاشهد.

تم إصدار هذا الميثاق التاريخي بالتشاور مع قادة الجهاد.

سبحانك الله وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفر لك
وأتوب إليك.

صدر في يشاور في ٣ شعبان سنة ١٤٠٨ هـ الموافق ٢١ مايو /

أيار سنة ١٩٨٨

قلب الدين حكمت يار

رئيس الاتحاد الإسلامي ل المجاهدي أفغانستان

٥- منذ وقت مبكر، وبالتحديد منذ عام ١٩٨٥ خططت الولايات المتحدة لضرب العراق وسحقه، وقد سمعت من شخصية مرموقة في أوساط رجال الأعمال أن وزيراً أطلعه على خطة أمريكية لضرب العراق، ولكنها تنتظر الفرصة المناسبة، وعندما نشب الحرب بين إيران والعراق عملت أمريكا على تغذيتها واستمرارها بكل الأسباب، وعندما توفرت الحرب بين الدولتين الجارتين اللتين استجرتا إلى هذه الحرب المدمرة لكلا الدولتين، التمست أمريكا أسباباً وذرائع للإجهاز على العراق، وخاضت ضده حربين، قضت في الأولى على مقومات الحياة العسكرية والاقتصادية، وقضت عليه في الثانية عام ٢٠٠٣ قضاءً مبرماً.

كانت أمواج القصف لا تتوقف عن بغداد في الأولى، وكانت تعاود قصف المنشآت ذات الأهمية مرات عدّة حتى تسويها بالتراب.

في هذه الأثناء، كنا نطوف البلاد العربية والإسلامية ونحرض أهلها رسميين وغير رسميين على الوقوف بجانب العراق، والعمل على إطفاء نار الحرب، فكنا نسافر إلى دول آسيا مثل ماليزيا وباكستان... إلخ، وتتصل بقادة الجهاد الأفغاني لنستفزهم كي يقفوا مع البلد العربي الإسلامي الذي قرر الغربيون بروح صليبية تدميره.

اتصلنا من يشاور بالسيد حكمت يار عن طريق حزبه، الذي خاطبنا باللسلكي وهو في ميدان القتال، وطلبنا منه اتخاذ موقف جهادي لمساندة العراق، وهو الذي يعتبر المعركة واحدة سواء في أفغانستان أو العراق، فلم يخيب أملنا، بل سرعان ما أصدر بياناً فيما يخص أزمة الخليج جاء فيه:

أفغانستان: وجه المهندس قلب الدين حكمتيار رئيس الحزب الإسلامي بياناً عبر الهاتف اللاسلكي من داخل الجبهات في أفغانستان، ونشرته جريدة مونستير بوست قاله فيه: إن قصف بغداد من قبل الحلفاء، إن دل على شيء فإنما يدل على وحشية القوة الكافرة، وحقدها على المسلمين، وإن المعرض للخطر هو الشعب العراقي البريء، وليس من حق الحلفاء، أن يتذمروا الشعب العراقي ضحية لعدوانهم.

وقال: إن الأمة الإسلامية يجب أن لا تسكت على العدوان الأمريكي على العراق، وإذا لم تضع حدأً لتصرفات أمريكا اليوم، فليتوقع المسلمون كل يوم طغياناً جديداً، سواء من الأمريكية أو من غيرهم.

فإذا تلقت أمريكا اليوم درساً قاسياً، فلن يكون بوسع النظام الأمريكي الكافر، وعملائه الذين أحضروه إلى المنطقة، أن يقدم على الطغيان بعد اليوم.

وعبر القادة الميدانيون -أعون حكمت يار- عن أسفهم الشديد للقصف العشوائي على بغداد الذي لم يشهده التاريخ -من قبل-

وقالوا: إن هذه حرب ضد الأمة الإسلامية، ودعوا المسلمين إلى رفع لواء الجهاد لأنه الحل الوحيد للتخلص من القوى المتحالفه، وعملائها.

وقال حكمت يار: بعد أن سيطر اليهود على أولى القبلتين - القدس - يخططون للسيطرة والاستيلاء على الحرمين الشريفين، وإن على المسلمين أن يكونوا يقظين، وأن يقفوا مع العراق ضد الحشود الصليبية الأخيرة بقيادة الحلفاء وعملائهم في المنطقة.

إذاعة مكتب المجاهدين

٦- اشتد النزاع بين فصائل المجاهدين، واستحرر القتل في صفوفهم، فقدوا خير رجالهم وقادتهم، وتهدم شطر من كابل بعد أن كان صامداً في ظل الحكم الشيوعي.

في إحدى زيارتي للخرطوم، طلب مني السيد عنایت القائم بأعمال السفارة الأفغانية في الخرطوم أن تتحرك لحقن دماء الأفغان، وأن لا نكتفي بسماع الأخبار، والوقوف متفرجين.

نقلت الرسالة للدكتور حسن الترابي، فأجاب على الفور:
- شكل وفداً برئاستك، وتحركوا إلى أفغانستان.

فقلت: هناك أمران يتوفران لدى السودانيين في باكستان وأفغانستان، وهما: معرفتهم بلغة البشتون الأفغانية، والغطاء الدبلوماسي الذي يحظون به بإسلام أباد وكابل، فتشكل الوفد برئاسة ياسين عمر الإمام، ونائبه عدنان سعد الدين، وعضوية أمين حسن

عمر، ينضم إليهم محمد إبراهيم السفير السوداني في كابل والمقيم في بيشاور لظروف الصراع في أفغانستان.

١- أمضينا أسبوعين في هذه المهمة، منها ثلاثة أيام في بيشاور وإسلام آباد، وبقي الأسبوعين في داخل أفغانستان، وكانت الرحلة شاقة من حيث وعورة الطريق، وشدة البرد، والقصف المتبادل بين المقرات التي كنا نقصدها، وتنقل منها إليها، ومع ذلك كانت الرحلة بلسمًا للضمير وراحة وسعادة نفسية ووجدانية كبيرة.

وهذه أهم معالم ومقومات الرحلة إلى أفغانستان في مسعى للوساطة بين المتخاصلين وإطفاء نار الفتنة فيما بين فصائل المجاهدين.

غادر الوفد إلى باكستان في ٢٥ جمادى الأولى ١٤١٥ الموافق ٣٠-١٠-١٩٩٤ بعد أن رسم لنفسه خطة التحرك حسب التالي: استكشاف الساحة الأفغانية وامتداداتها السياسية والمذهبية، ليكون التحرك على بصيرة، فكانت البداية من إسلام آباد، ثم من بيشاور حيث تم اللقاء بالجنرال حميد گل في منزله، والاستماع إلى تقويم مطول منه باعتباره الخبير الأول في المسألة الأفغانية، إذ تلخصت رؤية الجنرال بالنقاط التالية:

الأوضاع الدولية جماعتها تدفع باتجاه حسم الوضع في أفغانستان، لأن الولايات المتحدة باتت تخشى من تنامي الاتجاهات المتطرفة في أوساط الجيش الروسي، وإن تدهور الأوضاع السياسية والاقتصادية في روسيا قد يهدد بعودة شكل من أشكال الحرب الباردة، تريد أن

تبقى أميريكا بإعادة تشكيل المنطقة على الوجه الذي تريده، وروسيا من جهتها تخشى من انفلات الوضع في آسيا في حالة عدم الاستقرار في أفغانستان مما يهدد مصالحها في أفغانستان وفي آسيا الوسطى، وباكسنستان تشعر بقلق حيال استمرار الصراع الأفغاني واتساع دائرته، ولا سيما في منطقة القبائل المتاخمة لأفغانستان، كما أن إيران تشعر أن الحرب تستمر على حساب تفتت الكيان الشيعي في أفغانستان، ولذا يرجع الجنرال بأن تدفع كل القوى الإقليمية والدولية باتجاه تسريع التوصل إلى حل، وهذا ما يفسر تحرك الأمم المتحدة عبر ممثلها المستيري المكلف بتكوين حكومة من عناصر علمانية وجهادية تشرف على الانتخابات، وإبراز حكومة يترأسها شخص تختاره الأمم المتحدة.

ويرجع الجنرال أن استعداد المنظمات الجهادية للسلام قد أصبح الآن أكبر بعد الإنهاء من الحرب الطويلة، كما يرجح أن حكمت يار مستعد للسلام بعد استيلائه على مطار بغرام، ويرى گل أن تكون مهمة وفدىنا تقتصر على تقويم الوضع، ريثما تهيأ الظروف، ويرى أن يشارك الدكتور الترابي في المرحلة النهائية، وسوف يكون الجنرال في الخدمة.

بـ بدأنا الجولة على القادة الأفغان بزيارة آصف زعيم ما يسمى بالحركة الإسلامية الشيعية في قندهار، وهم من الهزارة، فكانت آراؤه تتلخص في أنه يدين الحرب الداخلية، ويحمل حكمتيار مسؤولية كبيرة، ويدعي استعداده لأي مسعى بالصلح بين المتخاصمين، وكان

يعلق شعار المؤتمر الشعبي العراقي في الصالون الذي استقبلنا فيه، إشارة إلى عضويته في المؤتمر الإسلامي الشعبي في بغداد.

- انتقلنا إلى السيد أحمد جيلاني الذي رحب بالوفد، وعبر عن تأييده لمبادرة الأمم المتحدة، وانتقد المنظمات الجهادية، واتهمها بأنها تسعى للسلطة، ويرحب بأية جهود للمصالحة، وأنه في موقف المحايد بين الفصائل.

وبالقرب من بيشاور تمت زيارة مولوي محمد نبي زعيم حركة انقلاب إسلامي، وكانت آراؤه تتلخص في: إدانته للحرب، وأنه في موقع المحايد، ويرفض مهمة الأمم المتحدة التي تهدف إلى فرض حل غير إسلامي على أفغانستان، وأنه يرحب بوفدنا، ويدعو لجهوده بالنجاح.

- وفي اليوم التالي دخلنا بيشاور، والتقيينا الجالية السودانية، وقمنا بزيارة يونس خالص زعيم الحزب الإسلامي جناح خالص، فأوضح أنه: ضد الحرب وهي برأيه غير دينية وأنه في موقع الحياد، ويرفض الحل الذي يقدمه المستيري باسم الأمم المتحدة، وأن الحل ينبغي أن ينبع من الأفغان، ثم رحب بالوفد وجهوده على طريق المصالحة، كما التقى وفدى بالقائد عبد القدير، وهو من قادة يونس خالص، وهو والي قندهار، واتحاد ولايات المشرق الثلاث، ومقره في جلال أباد، ويعتبر الرجل القوي الحكيم الذي حفظ سلام الولايات المشرقة عبر تأسيس ما يسمى بشورى المشرق والتي تشارك فيها كل المنظمات، وهو يحفظ النظام والأمن بحزم، وقد تناول

الوفد طعام الغداء مع الوالي عبد القدير، وكان موقفه مشابهاً لموقف زعيم الحزب يونس خالص.

- في بيشاور التقى الوفد، مندوب الرئيس ربانى صديق شاكرى، والذى زار الوفد في مقر إقامته، ورحب بالوفد، ثم لخص موقفه بالعتب على حكمت يار الذى كان يشترط إبعاد دستم، ثم تحالف معه، وأنهم يتحفظون على خطة الأمم المتحدة، ونصح بمقابلة قاضي أمين الذى عُين عضواً في اللجنة الوطنية التي كونها المستيرى، ثم رحب بجهود اللجنة، وقال بأنه سيبذل جهده لتسهيل مهمتها ووصولها لکابول وإنجاح عملها.

لقد برر القاضي أمين مشاركته باللجنة كيلا يترك المستيرى يفعل ما يشاء، وقد أدى تدخله إلى إقناع اللجنة بتعديلات في عملها، أهمها أن يكون ممثلاً للجهاد هم العنصر الأساسي في خطة الأمم المتحدة، ومع ذلك أكد على أنه لا يمكن للجنة الأمم المتحدة أن تكون مصدراً لأفغانستان.

التقى الوفد مع قطب الدين هلال نائب حكمتياز ورئيس المكتب السياسي الذي وعد بترتيب الرحلة إلى جهار آسياب مقر قلب الدين، ثم لخص موقفه بأن الحرب مؤسفة، وأن الموقف العسكري للحكومة -حكومة ربانى- سئء، وأن الحزب يحاصرها، وأن القادة الشيوعيين يلعبون دوراً كبيراً في أمن كابل، وأن الحزب يتحفظ على خطة الأمم المتحدة، ثم رحب كغيره بمهمة اللجنة، وأنه سيعمل على تسهيل مهمتها، وأن قائد الحزب في جلال آباد، سوف يتولى مهمة إيصالنا

إلى جهاز آسياب التي تبعد ٢٠ كم عن كابل.

رحل الوفد في ٤-١١-١٩٩٤ بالبر إلى جلال آباد، وفي المساء التقينا القائد فضل الله مجاهد ممثل الحزب الإسلامي، حيث تقرر أن ينطلق الوفد من منزله في اليوم التالي مع حراسة الحزب، بعد أن سمع القائد مجاهد يعرب عن أسفه باستمرار الحرب، وأن وجود الشيوعيين هنا وهناك سبب المشكلة والنزاع، وأن السبب الأساسي للحرب أزمة الثقة بين قادة المجاهدين، وكذا تدخل الدول الأجنبية مثل روسيا والهند وطاجكستان الذين يدعمون الحكومة، وأن الوضع العسكري للحكومة سيئ للغاية، وأن الحل يمكن في حكومة مؤقتة محايضة، ونزع سلاح كابول، ودعا للوفد بالنجاح والتوفيق.

تم اللقاء بالمهندس حكمتياز أول الفرقاء الرئيسين، ودار معه حوار طويل، وذكرت اللجنة أن وجود دستم بجانب قلب الدين قد ضاعف أزمة الثقة، فقال المهندس:

– إن دستم ليس له ثقل، وأنه تحت السيطرة.

وقال: إن موقفه العسكري متقدم، وأنه قد أحاط بهم، ولم يبق أمامه إلا المطار العسكري في بغرام لاحتلاله.

وحمل سياف سوء الموقف، وأن الحرب لا تمضي لصالحهم، ولم يبق لديهم إلا الأموال التي تعطيها لهم روسيا والهند.

وقال: إن موسكو طبعت لهم ١٥٠٠ مليار أفغاني، وأن الدولار يساوي ٣٤٠٠ أفغاني، لذلك قيلَ رباني ومن معه بلجنة وساطة من

القادة الميدانيين برئاسة نظام الدين حقاني ، وأن هذه اللجنة قدمت مقترحاً وافق عليه ووّقعه ، وأن اللجنة وعدته بتأمين توقيع ربانى وسياف ومسعود على نفس المقترن الذى يتلخص بتشكيل حكومة مؤقتة من شخصيات جهادية دون القادة ، وإخلاء كابول من السلاح الثقيل ، وأن يكون الأمن فى كابول والطرق المؤدية لها من مسؤوليات الحكومة المؤقتة ، وأن يكون رئيس الدولة ورئيس الحكومة شخصاً واحداً ، ومعه عشرة وزراء ، وليس له حق دخول الانتخابات التي ينبغي أن تجري في غضون ستة أشهر ، ثم تستلم الحكومة المنتخبة المسؤوليات من الحكومة المؤقتة ، وأخيراً ، وقف إطلاق النار مع انتقال الحكم من ربانى إلى الحكومة المؤقتة .

في اليوم التالي ذهب وفدنا إلى كابل حيث قصد وزارة الخارجية ، التي رعت ضيافة الوفد وإنزاله في استراحة تابعة للحكومة ، وكان القصف الصاروخي مستمراً على كابول ، وبعد استراحة ذهب الوفد إلى بغمان والتقي سياف ، فدار حوار مستفيض استمر لأكثر من سبع ساعات ، وقد تفأله سياف بوجود فرصة أفضل للمصالحة بين الفرقاء الذين أنهكهم القتال ، حتى أوشكوا على قبول خطة المستيري الذي رفض سياف الالتقاء به ، بل وحذر ربانى من القبول بمشروع المستيري ، وإلا فسوف يحاربه كما حارب نجيب ، وأنهما اتفقا على رفض تعين لجنة من الأمم المتحدة ، بل لابد أن تكون اللجنة في حال تشكيلها من المجاهدين ، أو من يختارهم المجاهدون .

وقال سياف : إن المعارك الدائرة هي تخطيط أمريكي لزع سلاح

أفغانستان، وتفريغه في صدور المجاهدين، وسحب الثقة محلياً ودولياً من الجهاد الأفغاني بعد أن استنفذ أغراضه الأمريكية، وأن دستم وال مليشيات هي الورقة التي تلعب بها أمريكا في هذا الصراع، وأن حلفاء أمريكا جميراً يضغطون لإشراك دستم (تركيا وباكستان وغيرهما) وإن تحول دستم من ربانى إلى حكمتياً كان بإشارة أمريكة حتى لا تنتهي الحرب بهزيمة حكمتياً، حسب تقديرات سياف، الذي أكد أن ربانى يحتفظ بشيوعيين في صفه، وأنه لابد من إبعاد الشيوعيين من صفوف المجاهدين، ويرى سياف أن الصراع الدائر الآن هو صراع على السلطة، وأورد تفصيلات كثيرة في هذا الشأن، بدأها منذ بدايات jihad الأفغاني، ثم لخص سياف الموقف بالنقاط التالية: أن قلب الدين لا يتورع عن فعل أي شيء يبلغ به ما يريد، وأن ربانى يعمل بعقلية حزبية ضيقة، وأن ثقة الناس بالمجاهدين في تراجع، وأن الدول الأجنبية تعمل جاهدة على إضعاف المجاهدين، والمجيء بحكومة غير إسلامية.

ثم أبدى سياف تفاؤله من توصل نظام الدين حقاني لاتفاق بين المتخاصمين، مع تحفظه على آراء حكمتياً حول المجاهدين والانتخابات غير الممكنة في تقدير سياف لوجود السلاح بأيدي الناس وعدم وجود إحصاء يمهد للانتخابات، وللطبيعة القبلية السائدة، والشيء الممكن هو إحضار ممثلين للولايات والقادة الميدانيين، وأن وقف إطلاق النار ينبغي أن يبدأ بمجرد الاتفاق، وليس بنقل السلطة، وطلب سياف من الوفد أن يضغط على حكمتياً لإبعاد دستم، وأنه

على استعداد لضمان الاتفاق إن نكثت الحكومة -رباني- في عهدها، وأنه في هذه الحالة سوف ينضم إلى حكمتيار ويقف بجانبه ضدها.

ذهب وفدينا في اليوم التالي لمقابلة رباني، فاستقبله بحرارة بالغة، وأعطى الوفد تفصيلاً عن الأوضاع الراهنة، جاء فيها: أن حكمتيار كان يحاربنا لوجود دستم بجانبنا، والآن يتحالف معه، والآن لابد من الإسراع بالحل الداخلي تجنبأ للحلول الخارجية، وأننا أعلمنا المستيري أن الحل لابد أن ينبع من الداخل، وأن يشكل اللجنة من المجاهدين وممثلين عن الولايات، وليس من شخصيات تختارها الأمم المتحدة، وأننا وافقنا كما أخبرنا حقاني على الصلح والقبول بحكومة مؤقتة، ولإخلاء كابل من السلاح، وطلب أخيراً من الضغط على حكمتيار لإيقاف إطلاق النار.

تناول وفدينا طعام الغداء مع الرئيس رباني، ثم التقينا بعدد من ممثلي التنظيمات المشاركة في الحكومة، ومنهم محمد علي جاويد من حزب الوحدة، وكذلك زعيم جناح الوحدة أكبري، وكذلك وزير العمل الذي يمثل الشيعة جناح محسني، ومع رئيس القضاء من تنظيم مولوي محمدنبي.

غادر وفدينا في المساء إلى بلدة جبل السراج على بعد ١٨٠ كم شمالى كابول حيث التقى بأحمد شاه مسعود الخصم العميد لحكمتيار، وإحدى العقد التي استعصت على الحل شأن قلب الدين، فاستمر اللقاء معه خمس ساعات، لخاص فيها آراءه والموقف التالي: ترحيبه بالوفد، ورغبته في إيجاد حل قاطع لكل الصراعات، وإيقاف

القتال بأسرع فرصة ممكنة، وأن أمريكا تريد أن تفرض رؤيتها، وأن كابل بآيدينا، وأننا رغبنا إلى حكمتياز بإخراج الشيوعيين بالتدريج لكنه رفض، وهو أي حكمتياز يتصف كابل، والأمم المتحدة بعد تمزيق صف المقاتلين تحاول فرض حكومة علينا، وحكمتياز يريد حكومة مؤقتة، وقد وافقنا على ذلك، ويريد إخلاء كابل من الأسلحة فوافقتنا بالرغم من أن كابل بآيدينا، وهو يريد انتخابات بالإجماع، وهذا مستحيل، ولذا قلنا بالأكثرية.

وفي الختام أكد مسعود قبوله للحل المطروح، وبالانتخابات على أن يلتزم حكمتياز بإيقاف إطلاق النار، كما أكد استعداده للقاء حكمتياز وهو الرأي الذي اقترحه عليه.

تركنا الأستاذ ياسين ونحن في أوج المهمة الصعبة التي كنا مستغرقين بها، وسافر إلى لاهور لحضور مؤتمر خاص بكشمير!! فعدنا -نحن أعضاء الوفد الثلاثة- إلى كابول، ومنها إلى بعمان حيث يقيم سياف، فعقدنا معه جلسة طويلة أكد فيها على أهمية التنسيق بين وفدنا ولجنة نظام الدين حقاني، وكرر أن هناك فرصة للصلح، وطلب من الوفد الضغط على حكمتياز لتقريب وجهات النظر، وإبعاد دستم، وعندئذ يستطيع سياف أن يعلن في مؤتمر صحفي انحيازه إلى حكمتياز، وفي المساء جمع سياف أعضاء وفدنا مع لجنة الصلح الأفغانية برئاسة حقاني الذي اقترح تأخير الذهاب إلى جهار آسياب حيث يقيم حكمتياز، حتى يحصل على توقيع رباني، فأكمل وفدنا للجنة الصلح أن العمل سوف يكون بآيديهم كيلا يكون الحل من

خارج الأفغان، وأن وفدنا سيكون مسانداً وعامل تقرير، وأن تكون الوساطة الأفغانية هي واجهة هذا المسعى وهذه المصالحة.

وفي اليوم التالي وقع ربانى على وثيقة معدلة حول تعريف المجاهدين، وإجراء الانتخابات بأى طريقة ممكنة، بغرض تشكيل مجلس شورى بالاختيار من الولايات في حيز الاحتمالات، فعقد الوفد لقاء قصيراً بعد توقيعه على الوثيقة، فودعناه في طريقنا إلى جهار آسياب.

حمل الوفد وثيقة حكومة ربانى إلى جهار آسياب والتى المهندس حكمتىار الذى سارع إلى رفض الوثيقة بعد التعديلات التي حدثت لها، فدار نقاش نص على قيام الحكومة أولاً وعلى إجراء الانتخابات، وعدم اللجوء إلى الاختيار، فوافق قلب الدين على التعديل، وعلى أن يتم تسليم السلطة في غضون أسبوعين.

عاد الوفدان إلى بغمان، وعقد لقاء مع سياf الذى اطلع على مقترنات حكمتىار فوافق على البندين الخاصين بالانتخابات، ووقف إطلاق النار، وقال:

- إنه لابد من اللقاء مع حكمتىار ليتم الاتفاق على نقاط الخلاف، ويتم الاتفاق على وقوفه مع حكمتىار في حال عدم التزام الحكومة بوعودها، وأن التخلص من دستم ليس عسيراً في حال الاتفاق، كما علمنا أن خلافات تدب بين أنصار دستم وأنصار حكمتىار في الشمال، واتفقنا أن يعمل حقانى رئيس لجنة الوساطة لتنظيم اللقاء في المنطقة المحايدة بين موقع سياf وحكمتىار.

في اليوم التالي عدنا إلى كابول، والتقيينا الرئيس ربانى في مقابلة قصيرة بسبب تعرض القصر لقصف صاروخي، فاتفقنا على ما يلى: وافق ربانى على انتخابات عامة، وعلى أهمية وقف إطلاق النار، وإخلاء كابول من الأسلحة الثقيلة، وعلى تسليم السلطة إلى حكومة مؤقتة يتلقى عليها الطرفان والجهات الأخرى.

عدنا من كابول إلى بغمان، والتقيينا بسياف، ولخصنا له الموقف في التأكيد على النقاط المعدلة، وأن النقطة المتعلقة بتشكيل لجنة الانتخابات لابد أن تخضع لملحق يفسرها، عقب لقاء مباشر بين سياف وحكمتيا، واتفقنا أن يتصل سياف بنظام الدين حقاني، لترتيب اللقاء، وطالب سياف وفدىا أن يواصل مهمته، ووعدناه بأن وفدا سوف يأتي لمواصلة العمل إن لم يتيسر لهذا الوفد الذي كان على أهبة السفر أن يعود إلى متابعة المهمة.

عاد الوفد مرة أخرى إلى حكمتيا، وأكد له أن الحكومة موافقة على إجراء الانتخابات، كما أكدنا على ضرورة وقف إطلاق النار، فاشترط أن يغادر الجنود غير النظاميين إلى مناطقهم، فطلبنا أن يتم ذلك دون إعلان، ثم وافق على الاقتراح السابق بأن يقترب وقف إطلاق النار بإعلان نقل الحكم إلى الحكومة المؤقتة، وطرحنا عليه اللقاء بسياف، فوافق على مضض، واشترط حضور ربانى، واتفقنا على أن ينظم ويرتب حقاني لهذا اللقاء الثلاثي، وعندما أعرربنا عن رغبتنا في السفر اعترض بشدة، وطلببقاء الوفد ليستمر في القيام بهمته، فوعدناه بالعودة بعد أن أمضينا ثلاثة أسابيع، واتفقنا أن يبقى

الأخ محمد إبراهيم عضو الوفد وسفير السودان في كابول على اتصال دائم بجميع الأطراف، فغادرنا في اليوم التالي جهار آسياب إلى جلال أباد، ثم إلى بيشاور في طريقنا إلى الخرطوم.

جـ- عقد أعضاء وفدنا اجتماعاً في بيشاور لتقديم عمل اللجنة، وما حقيقته من إنجاز بعد ثلاثة أسابيع شاقة في التنقل الدائم بين القيادات المتخاصمة تحت القصف الدائم ومخاطرها، وفي طقس اشتتدت برونته، وغطت الثلوج السفوح والقمم السامقة التي لا نكاد نرى منها بطون الوديان، ووعورة الطرق الصخرية التي تعيق السير وأحياناً توقفه، فوصلنا إلى التائج التالية: أن الرحلة بفضل الله وعونه، كانت مثمرة، وإن لم تبلغ الغاية المنشودة، وأن جميع الأطراف كما لمسنا راغبة في سلام مؤقت، لما بلغوه من إنهاء وانقسامات داخل كل فصيل أو تنظيم، كما اقتنعنا أن قيام الحكومة المؤقتة، وإجراء الانتخابات لن يشكل أكثر من هذنة، وأن المعارك ربما تندلع مجدداً، ولذلك فلا بد من تلمس حل ناجح للمشكلة قبل انقضاء الهدنة، وأخيراً، اتفقنا على أهمية تقديم مساعدات فنية في مسألة الانتخابات، وربما في مسألة فصل القوات بتكوين لجنة من عدة أقطار إسلامية، ومن جهات غير رسمية، للفصل بين القوات في المناطق التي تقيم بها قوات الفرقاء المتنازعة.

ـ٧ـ لم يطل مكثنا في الخرطوم حتى عدنا أدراجنا إلى أفغانستان عن طريق بيشاور في رحلة ثانية كما جاء ذكر ذلك، كانت من حيث الأهمية مليئة بالأحداث والإنجازات على مستوى تنظيم الدولة

والإعداد الفكري والدستوري لقيام دولة أفغانستان الإسلامية، وعندما التقينا الجنرال حميد گل في كابل قال: لمست الأثر الإيجابي لزيارتكم الأولى والذي لم أكن أتوقعه، مما يشجع على استمراركم في وساطتكم المباركة ياذن لله. لمسنا ترحيباً حاراً من جميع الفرقاء لهذه الوساطة، وقبولاً صادقاً غير متكلف لمباشرتها، رغبة من الجميع في الخروج من الأزمة المستحكمة، وإطفاء للنار التي تلتهم الأخضر واليابس في أفغانستان، وبالرغم من أنهم رفضوا، أو رفض معظمهم وساطة المستيري مثل بطرس غالى الأمين العام للأمم المتحدة، ووساطة الأمين العام للمؤتمر الإسلامي، بل ورفض بعضهم استقبال الغامدي باعتباره في نظرهم موظفاً صغيراً لدى بعض الأنظمة.

ألح الجميع على استمرارنا بالوساطة، وعدم التوقف في هذا المسعي، بل بدأ بعضهم يأخذ بوجهة نظرنا، ويصغي إليها باهتمام. شرعنا بالوساطة بعيداً عن الأضواء، وعن الأسلوب الذي يستفز الأفغان، كما تورطت بذلك دول وجماعات وهيئات، وتحركنا خلف لجنة من العلماء الأفغان، مراعاة للنفسية الأفغانية الجبلية.

وعذناهم بالاستمرار في أداء واجبنا، وبعد أن فرغنا من أمور ضرورية في الخرطوم، وطلبنا من أحد أعضاء الوفد - محمد إبراهيم - أن يستمر معهم كي لا يحصل أي انقطاع، فالتحقنا به سرعاً بفضل الله. ثم انتهينا إلى توصيات في موضوع الوساطة التي مر ذكرها وهي:

أن يستمر الوفد في مسعاهم بعد الذي لمسناه، وتأكدنا منه في ترحيبهم وقبولهم وحرصهم على ذلك، والمعروف عن الأفغان أنهم لا يخضعون ولا يقبلون الوسطاء بيسر، ولا سيما من يمارس عليهم وصاية، أو يكلمهم من على .

كان تحركنا وحديثنا باسم المؤتمر العربي الإسلامي الشعبي في الخرطوم، وبتكليف من أمينه العام الدكتور حسن الترابي .

كنا نؤكد لهم بين الفينة والفينية أننا جئنا إلى أفغانستان تحرقاً على الدماء الزكية التي تراق بدون مسوغ شرعي أو منطقي أو سياسي، فأفغانستان بحاجة إلى كل أبنائها وكل أصدقائها، وأن الأفغان مجاهدون راشدون لا يحتاجون إلى أوصياء ولا إلى وسطاء، ولذا نضع أنفسنا في خدمة الوسطاء الأفغان والمجاهدين الأفغان، لتحرّك بالشكل الذي يرونـه نافعاً ومفيداً، فإذا بنا نرى أن وفد الوساطة المشـكل من العلماء حريصاً أن تكون بـجانـبه في رحلاته وتحـركـاته .

- ينبغي أن يلحق أعضاء الوفد ويعودوا كما جاء ذكر ذلك لاستئناف مهماتهم، لأن الموضوع معقد ودقيق، ويمر بأحرـج المراحل، إذ إن فترةـالـشـيخـ رـبـانـيـ سـتـنتـهيـ قـرـيـباـ، وـسيـنـشـأـ فـرـاغـ فيـ الحـكـمـ، وـسيـجـرـ الـبـلـادـ إـلـىـ حـرـبـ لاـ تـبـقـيـ وـلاـ تـذـرـ، بلـ ربـماـ كـانـتـ أمرـ وأدـهـيـ منـ كـلـ ماـ سـبـقـهاـ منـ حـرـوبـ، فالـضـبـاطـ السـابـقـونـ فيـ حـكـوـمةـ نـجـيـبـ التـحـقـ بـعـضـهـمـ بـهـذـاـ الفـرـيقـ، وـبعـضـهـمـ بـالـفـرـيقـ الآـخـرـ، وـهـمـ يـسـعـونـ لـتـسـعـيرـ الـحـرـوبـ وإـيـقـادـ نـارـهـاـ، وـالتـدـخـلـ عـلـىـ أـشـدـهـ منـ باـكـسـتـانـ

وإيران وكازخستان والهند وطاجاكستان وأوزبكستان.. إلخ والسلاح وافر في كل الجهات ولدى كل الأطراف.

والخلاصة: إن العمل على إخماد نار الحرب الأهلية في أفغانستان من أجل الأعمال، ويأتي في رأس قائمة السلوك الجهادي، وفيه عز الدنيا والآخرة، وإذا ما أمر فإن أفغانستان تغدو إحدى قلاع الإسلام العتيدة، خبرة في الحرب، ووفرة في السلاح، وشجاعة قل مثيلها، في دعم الصف الإسلامي في معاركه ضد الصليبية والصهيونية وأعداء الإسلام بكل شرائحهم، والله الهادي إلى سواء السبيل، وبالله التوفيق.

1998-11-19

نائب رئيس الوفد

عَدْنَانُ سَعْدُ الدِّين

بـ- نصح حميد كل الشخصية المهمة في القضية الأفغانية، أن يصار إلى وضع ميثاق يجتمع عليه الأفغان بكل أطيافهم ويحتملوا إليه في حال أي خلاف يدب في صفوفهم، كيلا تكرر خطيئة الباكستانيين عندما قامت دولتهم على العناوين والمشاعر دون أن يعمدوا إلى وضع ميثاق يجتمعون عليه، كان قلب الدين أسرع الأفغان إلى التجاوب مع فكرة الميثاق.

قدمت اللجنة، بعد التشاور، ميثاق دولة أفغانستان الإسلامية إلى الفصائل الجهادية في سياق مسعى المصالحة التي تقوم به اللجنة،

وهذه هي نصوصه الموجزة في صياغته النهائية.

ميثاق دولة أفغانستان الإسلامية

- تكون الحاكمية في دولة أفغانستان الإسلامية لله وحده، والمرجع الوحيد والنهائي في كل المنازعات والقضايا هو الكتاب الحكيم والسنة المطهرة.
- الحكم في دولة أفغانستان الإسلامية يُسند لمن يتلزم بالحكم بما أنزل الله، ويحظى باختيار الشعب له، عبر آلية انتخابية يحددها الدستور ولا يجوز لأحد أو جماعة الوصول للسلطة عن طريق القوة، واستعمال السلاح، اعتماداً على قوة داخلية أو خارجية أياً كانت.
- دولة أفغانستان الإسلامية دولة شورية موحدة، تحكم رئاسياً، ويكون رئيس الدولة هو رأس السلطة التنفيذية، ورمز السيادة الوطنية في آن واحد.
- سلطة سن القوانين الشرعية والرقابة على الحكومة من مسؤولية مجلس الشورى، وقرارات المجلس ملزمة للسلطة التنفيذية.
- السلطة القضائية في دولة أفغانستان الإسلامية سلطة مستقلة، ووظيفتها القيام على تحكيم الشريعة، وإقامة العدل، والحفاظ على الحقوق الفردية وال العامة.
- الشريعة الإسلامية هي المرجع لكل القوانين والتشريعات والمناهج والسياسات.
- من حق القضاء إبطال أي قرار يخالف الشريعة الإسلامية، أو

يتجاوز على حقوق الأفراد، ولأي جهة أو فرد الحق في مراجعة المحاكم لإبطال مثل تلك القرارات.

- جميع المواطنين في دولة أفغانستان الإسلامية متساوون أمام القوانين، ويتمتعون بكل الحقوق المدنية والسياسية التي تعلنها المواثيق الدولية، وتقرها الشريعة الإسلامية الغراء.

- الحريات السياسية مكفولة في دولة أفغانستان الإسلامية لجميع المواطنين دون تمييز، بما في ذلك حرية التعبير والتنظيم، ولا يجوز أن تستغل الحرية السياسية وسيلة لتمزيق الوحدة الوطنية، أو تهديد استقلال البلاد وحياتها الإسلامية.

- تعمل الدولة أو المجتمع في دولة أفغانستان الإسلامية على تحقيق أهداف الجهاد الإسلامية، وتطوير ودعم الروح الجهادية، والخدمة العسكرية واجب على كل أفراد الشعب الأفغاني، للدفاع عن سيادة البلاد واستقلالها ووحدتها وكيانها الإسلامي. والله على ما نقول وكيل.

في ٦-١٩٩٥

ج- أعقاب الاتفاق على الميثاق في مطلع عام ١٩٩٥ اتفاق سلام بين الفصائل، وبمساعدة وتعاون اللجنة الرابعة التي تضم ثلاثة سودانيين وكاتب هذه السطور، ومجموعة من العلماء الذين يتمتعون بشقة الشعب الأفغاني، تضمن عدداً من المبادئ التي يتطلبهها قيام الدولة المستقرة في أفغانستان:

- تنصيب حكومة مؤقتة: إن تنصيب حكومة مؤقتة في أفغانستان يتم بنقل كل سلطات الدولة إليها في وقت لا يتجاوز اليوم الأول من شهر رمضان ١٤١٥هـ ومتتصف العام الميلادي ١٩٩٥م، وسوف تكون الحكومة المؤقتة ذات تفويض محدود، ولفتره للحكم لا تتجاوز ستة أشهر، وسوف تتشكل الحكومة من أشخاص اختيار ذوي اقتدار، ليسوا من الأعضاء الفاعلين في الأحزاب، وسوف يقدم كل طرف إلى لجنة الوسطاء قائمة بعشرين شخصاً من هؤلاء، وستعرض القائمتان على لجنة تضم مفوضاً من كل طرف بحضور لجنة الوسطاء، وسيكون هؤلاء مفوضين لاختيار رئيس الدولة، وأعضاء مجلس الوزراء، وقاضي القضاة، وهيئة للانتخابات مكونة من سبعة أعضاء، ومن ضمن الأسماء الواردة في القائمتين، وفي حال تعذر اتفاق ممثلي الطرفين، يكون للوسطاء الحكم الملزم بينهما، ويجب تشكيل الحكومة المؤقتة في غضون ثلاثة أيام من التوقيع على الاتفاق.

- تجري الانتخابات تحت إشراف هيئة انتخابات مستقلة عن الحكومة خلال ستة أشهر من تشكيل الحكومة المؤقتة، وسوف تجري الانتخابات على أساس التصويت المباشر لجميع المواطنين (يستثنى النساء في الانتخابات الأولى) لانتخاب رئيس الدولة، وأعضاء مجلس الشورى، وذلك عبر بطاقيتين منفصلتين، ويتم التصويت في آن واحد، وتقوم هيئة الانتخابات بوضع اللوائح التي تحدد أهلية المرشح والناخب والإجراءات الانتخابية، وفي حال

وجود ضرورة تقتضي تأجيل الانتخابات، فإن هيئة الانتخابات سترفع الأمر إلى لجنة الإشراف في مدة أقصاها أربعة أشهر من توقيع الاتفاق، ويحق للجنة الإشراف أن توافق على التأجيل لفترة لا تتجاوز ثلاثة أشهر، أو تقوم باستبدال هيئة الانتخابات للمضي قدماً في إجراء الانتخابات.

- توقف جميع الأعمال القتالية فوراً، وسحب القوات إلى أماكن تجمع خلال أسبوعين من تشكيل الحكومة المؤقتة، ومن يخالف هذا الأمر، سيعرض للمحاكمة تحت طائلة الخيانة العظمى، وسوف يتم إخلاء المدن والطرق الرئيسية والشغور من الوحدات المسلحة ومن المقاتلين، وستنطط مهمة حفظ الأمن في هذه الأماكن بوزارة الداخلية في الحكومة المؤقتة، والتي يحق لها إذا اقتضى الأمر إعداد قوة خاصة لحفظ الأمن في كابل وفي غيرها، وسوف تسحب كل الأسلحة الثقيلة إلى مستودعات الأحزاب والتنظيمات بناءً على توجيهات هيئة الصلح التي يحق لها تحديد أماكن هذه المستودعات.

- تتشكل هيئة الصلح مبدئياً من عشرة أشخاص، وتتوسع فيما بعد، لتصل إلى واحد وخمسين عضواً، وتضم ممثلاً لكل حزب، وممثلين للمحافظات، وأحد عشر شخصية من العلماء، ويتم تشكيل هيئة الصلح مباشرة مع تشكيل الحكومة المؤقتة، وتنتخب رئيسها فور انعقادها للمرة الأولى، وتستمر أعمال هيئة الصلح إلى حين انتقال السلطة للحكومة المنتخبة.

- سيتم تشكيل هيئة انتخابات من سبعة أشخاص محايدين، تعلن

- أسماؤهم مع إعلان تشكيل الحكومة المؤقتة.
- تشكل لجنة إشراف من قائمة متفق عليها، وتشتمل على شخصيات بارزة من شعوب الأمة الإسلامية، تكون مهمتها تسهيل تنفيذ هذا الاتفاق، إلى أن يبلغ الأمر تمامه بتنصيب الحكومة المنتخبة، ويجوز لها أن تشتمل على مراقبين من الأمم المتحدة، ومن منظمة المؤتمر الإسلامي، ولن يقتصر عملها على مراقبة تنفيذ هذا الاتفاق، بل سوف تقضي في المنازعات، وتضطلع بتفسير بنود هذا الاتفاق.
- لا يحق لرئيس وأعضاء الحكومة المؤقتة، وأعضاء هيئة الصلح، وأعضاء هيئة الانتخابات خوض الانتخابات المقبلة.
- تم التوقيع على الاتفاق بحضور شهود أفغان وغير أفغان، ختموه بعبارة والله خير الشاهدين.
- لقد حضرت اختيار وترشيح تشكيل لجنة الإشراف من كبار الشخصيات من الأمة الإسلامية، وكان من السوريين الذين رشحوا في هذه اللجنة فضيلة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله تعالى، وكاتب هذه السطور.
- جرت الأمور في أفغانستان على غير ما كنا نسعى ونتمنى، فالتدخلات الأجنبية زادت شدة واتساعاً، والانقسام بين الفصائل، ولا سيما بين أحمد شاه مسعود القوة الضاربة في الجمعية الإسلامية التي يقودها ربانی الذي نصبه وزيرًا للدفاع في حكومته، وبين

حكمة، وكلاهما كالصخر في صلابته وعناده، فذهبت جهود كثيرة بذلها المسلمون سدى، ولم يتوقف نزف الدم بين الإخوة الألداء، وفي صفوف المجاهدين الذين قهروا السوفيات، لكنهم لم يستطيعوا قهر جموحهم وخلافاتهم التي استحكمت، فلم تعد الجهود المبذولة بذات جدوى.

١- إن لأفغانستان مقومات وخصائص انفردت بها عن الأقطار الإسلامية كافة، فالطبيعة الجغرافية والطبوغرافية تجعل منها قطراً عصياً على الغزاة والمحتلين، فالجبال شاهقة الارتفاع، تبلغ ألف الأمتار، وهي شديدة الوعورة، لا يسلكها، ولا يصبر عليها إلا الذين ولدوا في شعابها وعلى سفوحها، وكأنهم جزء من صخورها وتكونيتها، أما شعابها فلا يقل صلابة عن طبيعتها الجغرافية، فهو شعب صلب عنيد، لا يخضع لطاغية، ولا ينحني أو يستسلم لمعتد أو محتل، وقد تعرضت أفغانستان لغزوات كثيرة، فهي المعبر إلى آسيا الوسطى، وحلقة الاتصال بين العمق الآسيوي ومناطق الشرق الأوسط، فارتدى تلك الغزوات على أدبارها، ومنيت بالهزائم المنكرة ولا سيما بالنسبة للإيرانيين، أما تمسكهم بالإسلام فحدث عن ذلك بلا تردد أو حرج، وكان الله بحكمته وقدرته سلط الأفغان على من يريد بالإسلام وأهله شرّاً، وبهذه الروح شهدت الأرض الأفغانية ظهور دول قوية ذات شوكة، كان الغزنويين من أشدتهم بأساً وأقواهم شكيمة، فكسرت دولة الغزنويون شوكة الغزاة، وكان محمود الغزنوي أبرز رجالهم وقادتهم من كبار القادة المسلمين العظام في تاريخ

ال المسلمين ، والحديث طويل عن السلاجمة الذين نصر الله بهم مذهب أهل السنة والجماعة ، وخضد شوكة الحركات الباطنية التي استفحلا أمرها ، وكادت تكتسح العالم الإسلامي بعد الجرائم الوحشية التي أشاعتتها في عاصمة الخلافة الإسلامية بغداد وما حولها ، وسلطتهم على الخلفاء العباسين ، وما الحديث عن البوهيين وشروعهم ببعيد عن المؤرخين والباحثين .

لقد عادت لأهل السنة والجماعة عزتهم وكرامتهم على يد الشعوب التركية منذ وقت مبكر ، بعد أن ابتلي المسلمون بالحركات الباطنية - كالبوهيين وأمثالهم - من الفرس الذين أشاعوا البدع والمنكرات والشذوذات ضد العقيدة الإسلامية النقية ، وضد الأحكام الشرعية والتقاليد والسنن التي تلقاها أبناء الإسلام جيلاً بعد جيل عن سيدنا رسول الله ﷺ وعن أصحابه الكرام ومن تبعهم بإحسان .

ب- يطلق الباحثون - ومنهم محمد حسين هيكل - على أفغانستان اسم : سقف العالم لما عرفت به من شدة البأس والمراس ، ولصفاتٍ أخرى ، وكان الله جل جلاله بحكمته قضى أن يؤدب بها الطغاة والسفاحين ، فإذا انتقلنا من القرون الوسطى والأدوار التي اطلعت بها أفغانستان ، إلى العصور الحديثة ، ولاسيما القرون الثلاثة الأخيرة ، فإن بريطانيا التي كانت في القرن التاسع عشر الميلادي من أقوى الدول الاستعمارية في العالم برأ وبحراً ، والتي امتد نفوذها إلى القارات الخمس ، فصارت الشمس لا تغيب عن أملاكها في إفريقيا وأمريكا وأسيا وأقيانوسيا ، ثم حملتها أطماءها على اقتحام أفغانستان ،

والتوغل في جبالها وأرضها الوعرة، فتصدى الأفغان ذوي البأس لعدوانها، وخاضوا معها معركة رهيبة ضد جيشهما العتيد على ضفاف نهر كابل، الذي يصل ما بين العاصمة وأكبر واحات أفغانستان جلال آباد، المحاذية للحدود الباكستانية والقربية من ممر خير، فكانت ساحة المعركة التي شهدناها ذات يوم في إحدى رحلاتنا الداخلية في أفغانستان مقبرة للجيش البريطاني الذي كان عدده خمسين ألف جندي وضابط، فلم يبق منهم إلا طبيب ومرافقه اللذان أخبرا عن الكارثة التي حلت بالإنجليز والبغاء، فكان القرن التاسع عشر قرن الكارثة التي حلت بالإنجليز على أرض أفغانستان.

لم يقرأ الدب الروسي عن كارثة الإنجلiz، ولم يتعظ من ثم بما حل بهم في أفغانستان، فغرتهم الآلة العسكرية التي كان الجيش الأحمر يملكها، فتورطوا كما رأينا من قبل تفصيلاً، فحل بالسوفيات ما حل بالإنجليز من قبل، ولا حاجة بنا إلى تكرار ما ذكرناه من خسائر الروس ونكباتهم التي مهدت لسقوط إمبراطوريتهم التي كانت تثير الرعب بقدراتها النووية واتساع رقتها ما بين المحيط المتجمد والمياه الدافئة، وما بين العمق الآسيوي والبعد الأوروبي، وما يدين لها من ولاء الأحزاب الشيوعية في العالم أجمع، وهكذا كانت نكبة السوفيات في القرن العشرين.

وكان القدر كتب على الأميركيان الذين دعموا الصهاينة في اغتصاب فلسطين، وتدمير شعبها قتلاً وتهجيراً، أن يأتي دورهم في العقوبة على ظلمهم، فاستخفوا بأفغانستان، وحرضوا شعوب العالم

وعشرات الدول ضدها، وبعد عشر سنوات قالوا وقال حلفاؤهم في العدوان: إن النصر غير ممكن في أفغانستان، فلابد من الحل السياسي، وليس العسكري، إنهم يتجرعون الغصص، ويعيشون حيرة لا يدرؤن كيف يخرجون منها، فالبقاء نكبة مستمرة في نزف المال والدماء، وخروجهم منحرفين سوف يلحق بهم ذلاً وانكساراً، وكان القرن الحادي والعشرين سيكون قرن النكبة على الأميركيكان، كما كان القرن العشرون قرن تمزيق الإمبراطورية السوفياتية، والقرن التاسع عشر قرن فناء الجيش البريطاني على ضفاف نهر كابل القريب من العاصمة.

جـ- بيد أن الذي يحز في النفس ويفري الكبد ويدمي الفؤاد، ما انتهى إليه المجاهدون الأبطال من تفرق كلمتهم، وتمزيق صفهم، والصراع الدموي فيما بينهم، حتى استحر القتل، وقضى على خيرة قادتهم الذين عرّفنا بعضهم عن قرب، والذين كان صبرهم وسمتهم وتضحياتهم تذكر بحياة الصحابة رضوان الله عليهم، رحمهم الله وغفر لهم، ورد المجاهدين الأفغان إلى رشدهم.

إن فترة الجهاد في ثمانينيات القرن الماضي قد أصبحت تاريخاً للاتزان، فمولوي محمدنبي ومولوي يونس خالص قد طواهما الموت، وأحمد جيلاني، وصبيحة الله مجدي قد انحازا إلى الغرب منذ وقت مبكر، وسياف، ورباني تعايشا مع الاحتلال الأميركي بجانب كرزاي، بعد أن كانوا في صفوف المجاهدين الأولى، ولم يبق على ما كان عليه من مقاومة المحتل إلا حكمتيار الذي أشرت قبل

صفحات إلى ما يتحلى به من ثبات واستقامة وتمسك بأهداب الإسلام، وأن ما لديه من ثبات واستقامة ما يقدمه ويرجح كفته على من عداه من قادة المجاهدين منذ البدء،وها هي ذي الأحداث تثبت أنه ما يزال ينawi المحتلين الأميركيان وحلفاءهم، ويقاومهم دون مهادنة أو مساومة، ويصارعهم دون كلل أو ملل، كما كان حاله أيام jihad ضد السوفيات، وهذا ما يجدد الأمل في انتصار قريب للملأ عمر ومن يسير في ركابه، وللمهندس حكمتيا وحزبه الإسلامي، وللشعب الأفغاني كما تشير الدلائل، وكما يصرح أعداء Afghanistan أنفسهم يائسين من أي نصر، وكما يدل موقف كرزاي الذي يتولى التفاهم مع المجاهدين ومصالحهم للخروج من المأزق الذي يعاني منه هو وсадاته الذين استوردوه من أمريكا، وجاؤوا به من عمله في المطاعم التي كان يديرها في أمريكا ظناً منهم أنهم يخدعون به الأفغان، باعتباره منهم ويتحدث بلسانهم.

أما موقف رباني وسياف فيذكرنا بقوله تعالى: **﴿يَبْتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾**، قوله **«اللَّهُمَّ يَا مَقْلُبَ الْقُلُوبِ وَالْأَبْصَارِ ثِبْتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِنَا»**، قوله **«اللَّهُمَّ إِنَا نَسْأَلُكَ حَسْنَ الْخَاتَمَةِ»**.





التجربة الثامنة

مع جمهورية باكستان الإسلامية

منذ بدأ الاضطرابات والصدامات في سوريا في أواخر سبعينيات القرن الماضي، كانت باكستان إحدى محطاتنا الرئيسية، ومراكننا الأساسية، لاعتبارات عدّة، منها أنها مقر لقيادة الجهاد الأفغاني الذي ربطتنا به علاقات متينة وتعاون وثيق، كما رأينا ذلك في البحث عن العلاقة مع قادة الجهاد الأفغاني ومنظمه، فكان سفرنا إلى يشاور لا يتوقف على مدى عشر سنين، كما أن مركز الثقل للجماعة الإسلامية التي أسسها الإمام أبو الأعلى المودودي والمتشرّة في شبه القارة الهندية وما حولها، إنما هو في باكستان، والجماعة صورة عن الإخوان المسلمين في البلاد العربية، أو هي شبيهة بها في مبادئها ووسائلها وأساليبها في التربية والفكر والنشر والحركة السياسي.

لقد كانت مقرات الجماعة الإسلامية مفتوحة لنا، وأبوابها مشرعة أمامنا في لاهور - مقرها الرئيسي - وإسلام آباد ويشاور وغيرها، وكان تجاويفهم معنا كبيراً جداً، وكأننا بين ظهراني جماعة الإخوان

المسلمين التي نتمنى إليها في بلادنا العربية.

كان المودودي أحد أئمة الحركة الإسلامية في القرن العشرين، وقد زار منذ وقت مبكر مقرات الإخوان في سوريا، وعندما حضر إلى حماة أواخر الأربعينيات كلفني إخواني بتقديمه كمحاضر في مركز حماة، وكانت في العشرين من العمر بعد انتهائي للحركة أو للجماعة بأربع سنوات، وشاء القدر أن نشارك في تشيع جنازته في لاهور، ونسافر على عجل، ونحضر صلاة الجنازة عليه والتي أمنا فيها الشيخ يوسف القرضاوي حفظه الله، وكنا -كضيوف- في الصف الأول بجانب الرئيس الباكستاني ضياء الحق رحمة الله.

استمرت العلاقة مع الجماعة بقيادة خليفة المودودي الشيخ طفيل محمد الذي كان لا يقل حماسة لنا وتجاوياً معنا عن سابقه المودودي.

غير أن العلاقة شهدت ازدهاراً بين الإخوان والجماعة في عهد القاضي حسين الذي عزم على التجديد في أساليب العمل ووسائله، والخروج بالجماعة من الدوائر الضيقة التي كانت تعتمد فيها على النخبة إلى ساحة العمل الجماهيري العام، وفي الميادين السياسية والأنشطة الطلابية والاجتماعية في باكستان، متأثراً بمنهج الحركة الإسلامية في السودان.

١- وللأهمية البالغة لجمهورية باكستان الإسلامية، والتي بلغ عدد سكانها عند كتابة هذه السطور ١٨٠ مليوناً، ولكونها دولة نووية، وذات دور كبير في دول آسيا -إيران والهند وأفغانستان وغيرها- فإنها

تتعرض لضغوط ومؤامرات غربية وهندية.. إلخ، نسأل الله تعالى أن تخرج منها سالمة معافاة.

الواجب يقتضي منا حيال هذه الدولة الشقيقة والمساندة لنا: أن نقدم عن نشأتها وأهميتها والمراحل التي مرت بها صورة عبر تقرير موجز أعده تنظيمنا وممثلونا في باكستان في ١٩٨٥-٣-٥.

انفردت باكستان بالقيام على أساس إسلامي، فقد ضحى ألف مؤلفة من أبنائها في مقاومة الإنجليز والهندوس، لتحقيق هذا الهدف الكبير، إلا أن باكستان، ويا للأسف، لم تتمكن من إقامة الدولة الإسلامية بما تعنيه هذه الكلمة من معنى دقيق، فالزعماء الذين قادوا حركة الاستقلال، والذين وعدوا المسلمين في شبه القارة بإيجاد دولة إسلامية مستقلة -باكستان- لم يوفوا بوعودهم، الأمر الذي جعل العلماء المخلصين يقودون حملة قوية صادقة ضد المحاولات التي ترمي إلى إجهاض المشروع الإسلامي، فاستطاعوا أن يسيطروا على الأوضاع، بدعم من الجماهير العريضة والفتات الشعبية التي كانت مستعدة للدفاع عن الإسلام، وحمايته من مناوئيه.

في عام ١٩٥٢، وعندما بدأ الاتجاه نحو الإسلام يأخذ مساره الصحيح، وأخذت المحاولات التطبيقية طريقها نحو التنفيذ، فوجئت باكستان بالحكم العسكري لأول مرة -يرجح أنه بتأييد خارجي- فاستلم الجنرال محمد أيوب خان السلطة، كقائد عام وحاكم عسكري للبلاد، فاستمرت فترة حكمه عشر سنوات لم يهد للحكم الإسلامي خلالها أي ظهور. وبالرغم من التعسف في فترة هذا الحكم، تابعت

القوى الإسلامية العمل لنصرة الإسلام.

١- تبع هذا الحكم العسكري حكم عسكري آخر بقيادة جنرال آخر هو يحيى خان الذي لم يكن كما ذكر الباكستانيون، من أهل السنة والجماعة، فأجرى انتخابات، ظهر فيما بعد، أنها معدة عام ١٩٧٠، فكانت صدمة مؤلمة للجماعة الإسلامية، حيث حصل العلمانيون والشيوعيون والحركات المعادية للإسلام في باكستان الشرقية علىأغلبية الأصوات.

بعد نشوب حرب عام ١٩٧١ مع الهند تمزقت باكستان شر ممزق، إذ انفصلت باكستان الشرقية عن الغربية، ووقع جيشها -جيش باكستان الغربية- في الأسر في بنغلادش، وتسلم ذو الفقار علي بوتو المعروف بعذائه للإسلام -الحكم في باكستان الغربية، فكانت هذه الفترة باللغة القسوة على باكستان، وشهدت البلاد حالة من الفوضى، وأحکم بوتو قبضته -وهو يحکم باسم الديمقراطية على باكستان- فكان أسوأ دكتاتور عرفه البلاد، حيث انتشرت عمليات النهب والاغتيالات والاعتقالات على نطاق واسع، وقد تنبهت الحركات الإسلامية لذلك، وقامت بتحريك الرأي العام، والقيام بمظاهرات واسعة، فسعى بوتو لتهيئة الأوضاع بالإعلان عن انتخابات جديدة في باكستان عام ١٩٧٧، فقام حلف وطني باكستاني عريض ضد بوتو ضم معظم فئات الشعب الباكستاني، حتى أضحت تياره كاسحاً بقيادة المفتی محمود، فعمت المظاهرات، وقتل المئات، وأقدم بوتو على أكبر عملية تزيف للانتخابات بتاريخ باكستان، فتحرك الجيش في

٤-٧-١٩٧٧ بقيادة الجنرال ضياء الحق فزج بوتو في السجن وأجرى له محاكمة انتهت بإعدامه، وأعلن أن البلاد إسلامية وستبقى كذلك، ووعد بإجراء انتخابات عامة حرة خلال ٩٠ يوماً من استلامه السلطة، لكنه لم يف بوعده واستمر في الحكم إحدى عشرة سنة.

بمثواه الوقت بدأ ضياء الحق يعطي حكمه وجهاً إسلامياً، وبدأ خطبه بآيات من القرآن الكريم، لكن ذلك كله كان شكلياً، وعلى الورق، وبقي المجتمع على حاله دون تغيير يذكر، وبقيت البلاد على ما هي عليه من فقر وحرمان، وبقي المرتشون والمختلسون تحت حماية الدولة يرتكبون في مصر ما يريدون.

بـ- كانت سياسة الحركات الإسلامية هي العودة بالبلاد إلى الديمقراطية وإنهاء الحكم العسكري، فأجرى ضياء الحق استفتاءً عام ١٩٨٤ وانتخابات عامة ١٩٨٥ ليحكم لفترة خمس سنوات أخرى واعداً بانهاء الحكم العسكري والعمل على تثبيت دعائم الإسلام.

لم يستجب الشعب لدعاؤى ضياء الحق، ولم يشارك في الاستفتاء أكثر من عشرين بالمئة، ولكن الحكومة التي نظمت الاستفتاء ذكرت أن النسبة بلغت ٧٥٪ وكان الخاسر الأكبر في الانتخابات هي الجماعة الإسلامية التي لم تصل إلا عشرة مقاعد من أصل ٢٦٦ مقعداً، لأن الانتخابات جرت في غياب الأحزاب بصورة فردية.

وقفت باكستان على مفترق الطرق، فإما العودة إلى الحياة المدنية وتوزيع السلطات بين الرئيس ورئيس الوزراء، أو أن تغرق في مستنقع حكم عسكري جديد!

كانت صلاتنا -نحن إخوان سورية- قد توثقت بالرئيس الباكستاني ضياء الحق وتكررت الزيارات إلى منزله مراراً، وقد شعرت في أثناء جولاتنا في باكستان، وزياراتنا للحركة الإسلامية الرئيسية، أن أزمة حادة قائمة بين الرئيس وبين قيادة الحركات الإسلامية، فنصحنا الرئيس بالعمل على إيجاد جو من التفاهم بينه وبينهم، فأبدى استعداداً كبيراً لذلك، ورغم أن نقوم بهذه المساعي الحميدة، وكان الذي أقام هذه العلاقة بيننا وبين الجنرال هو مفتى باكستان الشيخ تقى عثمانى وابن مفتتها عن طريق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمة الله الذي كانت تربطه بالعثمانى وبكتار علماء باكستان علاقات علمية وأخوية وشديدة، فكنا نأتى ضيوفاً على الرئيس الباكستاني ونزوره في منزله، وعندما رغب إلينا بتقريب وجهات النظر بينه وبين القادة المسلمين، استجبنا نحن الثلاثة الذين يتكون منا الوفد السوري: الشيخ عبد الفتاح أبو غدة والدكتور حسن هويدى رحمة الله، وكاتب هذه السطور.

كانت الحركات الإسلامية الكبرى في باكستان هي: الجماعة الإسلامية بقيادة القاضي حسين، وجمعية علماء باكستان برئاسة شاه أحمد نوراني، وجمعية الحديث برئاسة إحسان إلهي ظهير، وجمعية علماء الإسلام برئاسة المفتى محمود وولده من بعده، فوجئنا أن ضياء الحق عمل على تقسيم هذه الحركات ليكسب منها من يقف بصفه، فنجح في تنفيذ ذلك في جمعية علماء الإسلام وجمعية علماء الحديث، كما فوجئنا بأن الثقة مفقودة بين قادة هذه الحركات وبين

ضياء الحق، لأنهم جمِيعاً قالوا: إن ضياء الحق لا يتقييد بوعد أو بميثاق وأنه مكن للشيعة في باكستان من مراكز حساسة في الدولة، كما فعل في وزارتي الدفاع والداخلية، وأنه يعد ويختلف في إجراء انتخابات على مدى أكثر من عشر سنوات، حتى أعطى لحزب الشعب بقيادة عائلة بوتو فرصة في أن يجمع صفوفه، وينظم قواعده، ويكسب الرأي العام لجانيه بعد أن نكث الجنرال بكل وعوده، ولذا -قالوا- إنهم لا يثقون بكلامه ولا يمكن لهم أن يرکنوا لمواقفه ووعوده، وكانت حجة الجنرال أنه إذا أجرى انتخابات، كما يطالب بذلك قادة الحركات الإسلامية، فإن حزب الشعب سيفوز بها، وكان الرد على ذلك بأن الحركات تحمله مسؤولية ذلك لأنه بنكثه للوعود خسر ثقة الشعب الذي انحاز بأعداد كبيرة إلى حزب بوتو.

لقد لمسنا من ضياء الحق مثل هذه السياسات في علاقته مع الآخرين، فعندما طلبنا منه أن يقف حيادياً في الحرب بين إيران والعراق، وأن يقوم بدور الوسيط لإطفاء نارها وعد بذلك إذا انسحب العراق إلى الحدود بين الدولتين، ولما حدث ذلك، وانسحب العراق من الأرض الإيرانية، ازداد ضياء الحق انحيازاً لإيران، لأسباب غير مفهومة، هل كان تقريراً لإيران؟ أم لتنشيط التجارة مع إيران التي كانت تستورد كميات كبيرة من الرز وغیره من باكستان؟

وعندما وعدنا بفتح أبواب الجامعات أمام طلابنا السوريين بعد أن طوردوا في سورية وغادروها، وعدنا بذلك، كما وعدنا بتدريب عدد من شبابنا، ولكنه كان في كل الحالات لا ينفذ من كلامه شيئاً، فكان

البعد بين ما يعد به وبين تنفيذه كما هو بين المشرق والمغرب!

جـ- وعندما لمسنا في ضياء الحق تخاذلاً في علاقاته وتراجعاً عن وعوده، ورفعنا له مذكرة نذكره فيها على ما اتفقنا عليه معه بشأن طلابنا وشأن وعوده الأخرى، بعد التشاور مع الجماعة الإسلامية، الذين وعدونا بتسليم مذكرتنا إليه.

تسلّم منا خليل الحامدي، سكرتير أمير الجماعة، ومدير دار العروبة المتخصصة بترجمة كتب المودودي وغيرها من الأردية إلى العربية، مذكرتنا في ١٩٨٤-٩-٣٠ في أثناء لقائنا به في الخرطوم، وهذا نصها:

فخامة الجنرال ضياء الحق رئيس جمهورية باكستان الإسلامية الموقر.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأسأله تعالى أن يسدد خطاكما إلى ما يرضي الله سبحانه، ويحفظ باكستان وشعبها من كل سوء وبعد:

فقد حظينا بلقياكم أربع مرات في عام واحد، وتلقينا موافقتكما الكريمة على إلحاق نفر من شبابنا بجامعاتكم في باكستان، وحملنا لهم البشري بذلك في كل مرة، بل وأسررنا في آذان إخوتنا من قادة المسلمين في العالم الإسلامي بهذا الأمر، وأن فخامة الرئيس قد فتح قلبه وقلبه إلى شبابنا من سوريا، ليتحققوا بالجامعات الباكستانية، وقد بنى الشباب آمالهم على إكمال دراستهم بناءً على موافقة

فخامتكم، والآن وبعد انتظارهم الطويل وانتظارنا، نرجو من فخامتكم أن تصدروا أمراً بتنفيذ موافقتكم الكريمة للجهات المختصة في الجامعات الباكستانية، ليعلم إخواننا المسلمين في العالم، وأبناؤنا في سوريا وخارجها أن الوعد الذي تفضل فخامة الرئيس به، وأكده لوفد الجبهة الإسلامية في سوريا قد أخذ طريقه بالتنفيذ، إن لم يكن لجميع الطلاب الذين قدموا أسماءهم فللمتيسرون منهم، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

في ٣٠-٩-١٩٨٤

المخلص

عدنان سعد الدين

عن وفـد الجـبهـة الإـسـلامـية فـي سـورـيـة

٢- اتسعت الهوة بين ضياء الحق والجماعة الإسلامية، وبدت رغبته جلية في كبتها وإسكات صوتها، بعد أن وقفت بجانبه في الاستفتاء وفي مواقف أخرى أملأ منها في تبني المشروع الإسلامي، فخسرت الجماعة تعاطف الشارع وبعض العلماء والجمعيات معها، ليأتي دور ضياء الحق، فيضيق عليها، ويضعف تحركها، وكانت جمعية الطلبة أقوى تنظيمات الجماعة، بل هي التنظيم المتحرك والمعارض ذو التأثير الكبير في الجامعات الباكستانية، فسلط ضياء الحق أجهزته الأمنية على جمعية الطلبة الإسلامية، وأطلق لها العنان بالتنكيل بالطلاب واستخدام وسائل من التعذيب وأساليب قدرة يعف القلم عن ذكرها، ولم تكن معروفة أو مسبوقة قبل ضياء الحق في

باكستان بما في ذلك عهد بوتو ذي الوطأة القاسية على معارضيه، وعندما ضج الشعب الباكستاني والوسط الطلابي من أساليب أجهزة ضياء الأمنية، اضطر ضياء الحق أن يصرح وينفي ما يتعرض له الطلاب الجامعيون من أعضاء جمعية الطلبة إحدى أقوى التنظيمات التابعة للجماعة الإسلامية.

٩- رفع نائب رئيس جمعية الطلبة راشد نسيم مذكرة إلى الجنرال محمد ضياء الحق في ١٢-٥-١٩٨٤ جاء فيها: نأسف أن نبين بالنيابة عن الأوساط الطلابية في باكستان أن تصريح الجنرال ضياء الحق بتاريخ ٦-٥-١٩٨٤ في مطار لاهور الذي نفى فيه تعذيب الطلبة من قبل إدارته، يعتبر حتماً غير صحيح، وسعيًا ممقوتاً لتغطية الحقائق.

إن مئات من الطلاب تعرضوا لأساليب وحشية من التعذيب في المعتقلات خلال فترة الحركة الطلابية ضد قرار الحكومة الاستبدادي بإغلاق الاتحادات المنتخبة والمنظمات الطلابية الصادر في شهر شباط/فبراير الماضي.

إن ضحايا عديدة قد عريت، وأحرقت أماكن حساسة في أجسامهم بالسجائر والشمع، وقلعت أظافرهم، وتحمل آخرون التعذيب الوحشي والسباب والتهديدات من قبل البوليس.

لم يرحم البوليس حتى آباء الطلبة وأقاربهم وحتى النساء في بعض المناطق، وقد أخذ كثير من الشباب إلى مراكز البوليس والمعتقلات والأماكن المهجورة، واتهموهم بتهم عديدة ملتفقة، ولا يزال العنف المفرط مستمراً بحق الطلبة حتى الآن.

لقد ثبت زيف التصريح الذي أدلّى به ضياء الحق، والذي نفى فيه ممارسة التعذيب مع الشباب المسلم في ٦-٥-١٩٨٤، وذلك بجدول الحقائق الثابتة من التعذيب وأنواع العنف الأخرى المفترضة الموضحة في نهاية المذكورة، وهي بحاجة إلى تقرير كامل ووثائق عن جميع الحالات، يستوعب مئات الصفحات.

إن إسلامي جمعية الطلبة تحمل المسؤولية كاملة عن صحة هذه الحوادث المذكورة، وكذلك الحالات الكثيرة التي لم ترافق هنا، ويمكن إبرازها عند الطلب من المحكمة لهذا الغرض.

في ٩ آذار/مارس قامت وحدة من أفراد البوليس بمهاجمة مسجد رشيد في حي أجهرة بلاهور، واعتقلوا ٧٠ طالباً، كانوا يحضرون دروس القرآن، فمنع البوليس التجمعات لإقامة صلاتي العصر والمغرب، وكان المسؤول عن العملية هو المدير الإداري للشرطة المدعو نيازي في منطقة أجهرة لا هور وقد قبل الطلبة جميعاً من أيديهم وأرجلهم، وأخذوا إلى معتقل الوحدة، وطربوا جميعاً في غرفة واحدة مساحتها ٤٣م^٢، ثم قام البوليس يضرب الجميع بالعصي وهم مكبّلون، ثم تبع ذلك نقل ثمانية من الطلبة الموقوفين إلى منطقة وادي رود على دفترين، وقام البوليس بتعریتهم وتعذيبهم حيث أحرقت أعضاؤهم الحساسة ولحاحهم، وأجزاء عديدة من أجسامهم بالسجائر والشمع، كما تم نقل فوجين آخرين إلى شارع لتن حيث عرروا أيضاً وقام البوليس بإدخال العصي بقوة في أدبارهم، وهي واحدة من أغرب وأشنع عمليات التعذيب المعروفة حتى الآن.

هاجم البوليس في ٢٩ فبراير / شباط اجتماعاً كان يضم ٤٠٠ طالب داخل حرم كلية الطب في كراتشي، وألقى ما يزيد على مئة قنبلة مسيلة للدموع، وأجبر بعض الطلبة على التعرى، وقد أُسفر عن الهجوم عن ٢٠ جريحاً و ٣٠ معتقلأً.

ضرب طالب في ملтан حتى الإغماء، فحمله البوليس في دراجة ركشا، وضرب الطالب رشيد حسن هاشمي سنة ثالثة كلية طب بکعب المسدس من قبل البوليس داخل الكلية في طريق بوسان حتى أغمي عليه، ونقل بواسطة دراجة ركشا إلى جهة غير معروفة.

بتاريخ ٢٨ آذار / مارس قامت مجموعة من الجيش عددها ١٢ فرداً بمساعدة البوليس المزودين بالمسدسات والهراوات واعتقلوا الطلبة: منور حسن، وراجا محمد يعقوب، وسعيد أحمد، وعاصف محمود، وهم من طلة البنجاب، وقد ضربوا بعنف شديد، وضمنت جراحاتهم في معتقل الوحدة، ثم أخذوا إلى السجن المدني الذي رفض استقبالهم مبدئياً، بسبب نزف جراحهم الشديد، وتخوفاً مما يترب على ذلك من مسؤوليات، ولذلك قام البوليس بنقل الطلبة الأربع إلى قسم الطب الشرعي في منطقة أناركلي، حيث أثبت الجراح التابع للبوليس في تقرير كتابي - لدينا نسخة منه - خطورة الجراح ثم قام بالتحفيف من خطورتها تحت ضغط الإدارة، ثم حول الطلبة إلى مستشفى ميو الرئيسي في لاهور، ثم قام البوليس بتسليم الطلبة إلى السجن المدني، وقد احتفظوا بهم دون طعام، ومنعوا من النوم بالقوة لمدة ٢٤ ساعة، ثم وضع الطلبة عمداً داخل زنزانة فيها

بعض مهربى المخدرات وعلى عكس المتوقع، فقد تفاعل المهربيون بصورة مدهشة مع الطلبة، بعد أن رأوا ملابسهم التي عليها بقع الدم، وقاموا بتتأمين ملابس نظيفة وبعض الطعام.

ضرب بعض الطلبة بعنف في سجن فيصل آباد، كما قام البوليس بربط آصف راشد عالم كير الطالب في السنة الأخيرة في طب البنجاب في سيارة جيب، وسحب حول مكتب المحافظة خلال فترة استجوابه في الليل.

وعندما فشل البوليس في اعتقال آصف أمين سر الجمعية في ملتان طارده وأطلق عليه النار فنجا بأعجوبة، واعتقل خالد كوهري في كلية ملتان، بعد أن وضع فوهات المسدس على رأسه، وعرى البوليس كاملين خان من كلية الحكومة، وضرب أمام العديد من الآباء والطلاب ثم سلط البوليس سائقي الشاحنات في المعتقل على الطالب ليمارسوها معه... على مرأى ومشهد من الجميع!! وعندما أراد الطالب فضل الحق في قسم الهندسة الكيميائية جامعة البنجاب تأدية صلاة الفرض داخل معتقل الوحدة، أمر البوليس بتعريته وجلده بشدة، وعندما فشل البوليس باعتقال فواجا عبيد الرحمن أحد المرشحين لانتخابات مجلس جامعة ملتان، اعتقلوا أخيه الأصغر الذي كان طريح الفراش، ووضعوه في السجن تحت أوامر الحكم العسكري، وهذا ما فعلوه بأحد أبناء ملتان عندما فشلوا باعتقاله، فألقوا القبض على أحد موظفيه، ثم ألقى القبض على السيد أخته لأنه جار لأحد زعماء الطلبة المطلوبين.

وأخيراً أوردت المذكورة أسماء عدد من الطلاب الذين تعرض
أقرباً لهم للتهديدات والسباب والتعذيب في لاهور وروالبندي
وبهاولبور وملتان . . إلخ.

إن جمعية الطلبة المسلمين مستعدة لعرض الحقائق والشهادات
والوثائق لإثبات التعذيب على نطاق واسع في جميع أنحاء باكستان
من قبل إدارة ضياء الحق، وطالبت بتشكيل لجنة من المحامين
والصحفيين للكشف عن الجرائم غير الإنسانية بحق الطلبة منذ شهر
شباط عام ١٩٨٤ .

لقد صرخ ضياء الحق بأنه يتحمل المسؤولية الشخصية كاملة عن
أي تعذيب أو إهانة ضد الطلبة، وإذا كان الرئيس يعني ذلك حقاً،
فإتنا ندعوه للظهور أمام اللجنة المقترحة، والموافقة على قراراتها
ومشاهداتها أمام الحقائق المعروضة.

بـ- لسوء الحظ فإن الرئيس ضياء الحق يحاول خداع وتضليل
ال العامة من الباكستانيين واللجان العالمية فيما يتعلق بالحوادث الأخيرة
للطلبة، إذ كانت أوامره لتحریات معينة، هي من قبيل ذر الرماد في
العيون، فالمحققون هم في الحقيقة موظفون مأجورون، وهم بأنفسهم
خططوا ونفذوا سلسلة التعذيب والإهانات للطلبة، وقد أكمل الرئيس
المسرحية باستدعاء النائب العام للبوليس في البنجاب، وجعله يحلف
يميناً كاذباً بالله - غموساً - أمام الصحفيين بوجوهه أن الإدارة والبوليس
بريثان تماماً من أي تعذيب أو إهانات اتهمتا بها !!

والحقيقة أن هذه ليست المرة الأولى التي يستغل بها الرئيس

الجنرال اسم الإسلام لنشر الأكاذيب، وتمرير فظائعه الشنيعة، وأن النظام العسكري قد وضع خطة لتدمير كل المعاهد في البلاد، وإهانة الطلاب، وهي جزء من هذه الخطة لاجبار شباب باكستان للاستسلام، تمهدًا لاستمرار الحكم العسكري غير الشرعي في باكستان.

إننا نذكر الجنرال ضياء الحق وأعوانه ومن معه في الحكومة العسكرية: أن المجتمع الطلابي في باكستان لن يتركهم بمنجاة عما ارتكبوه من جرائم دون أن ينالوا العقوبة والجزاء العادل، كما أنهم لن يستطيعوا النجاة من غضب الله العظيم يوم الحساب العسير، ومن حكم التاريخ عليهم بإذن الله.

٣- بعد أن كشف ضياء الحق عن سياساته وموافقه، واستفحلاً الخلاف بينه وبين الجماعة الإسلامية، وبعد أن شرعت أجهزته بالتنكيل بجماهير الطلاب الجامعيين الموالين للجماعة الإسلامية، بالأساليب الوحشية التي رأينا أمثلة منها، جهر أمير الجماعة ميان طفيلي محمد بموقفه، وعبر عن استنكار الجماعة لما آل الأمر إليه على يد الجنرال، فعقد مؤتمراً صحفياً، اكتفى بذلك في نهاية عام ١٩٨٤ دون ذكر الأسئلة رغبة في الاختصار، وكان ذلك في شهر أكتوبر / تشرين الأول، فمنعنا من التحرك والتعبير، فتجنبنا الصدام مع الحكم العسكري العرفي، وصرنا ندعوه في نطاق ما يزعمه الحكم من أنه يريد الإسلام.

إن الرئيس يعلن أنه يريد الإسلام، ولكن تصوره عن ذلك قاصر وخطئ، ولا يملك رؤيا عن الشريعة التي يجب تطبيقها في كل شؤون الحياة، في المعاملات والعبادات والاقتصاد.. إلخ، فالحاشية التي يعتمد عليها الجنرال في تطبيق الإسلام هم من البيروقراطيين الذين تربوا في ظل السياسة البريطانية، ويعاملون بالرسوة ونشر الفساد، فأين هم من أحكام الإسلام ومفاهيمه، بل إنهم يقفون سداً منيعاً أمام تطبيق الشريعة.

إن ضياء الحق وبالمفهوم البريطاني الذي عمل على وجود القاديانية، ونشرها، سمح لهم بنشر ضلالاتهم، إلا أن الشعب الباكستاني أحبط ذلك، فأعلن مروق القاديانية من الإسلام، وأنها تعمل على محاربته فأحبط الباكستانيون (والموودي وجماعته في المقدمة) ما صنعوا، وهذا ما نبه الدول الأخرى إلى أخطار القاديانية.

إن ضياء الحق طارد اتحاد الطلبة واضطهدتهم، فاستنكرت الجماعة الإسلامية هذا العمل الهمجي -حسب تعبير طفيل محمد- وعملت الحكومة على استدراجه اتحادات الطلبة لضرره وسحره، وعذبت شبابهم عذاباً شديداً، وخلعت ملابسهم وضربوهم وهم عراة، وأحرقوا بالشمع الأماكن الحساسة من أجسادهم، وعلقوا بعضهم أربعين ساعة، ولم يسمح لهم باداء الصلاة، وقبضوا على آباء وأمهات بعضهم، واستعملوا كل أساليب القهر والإذلال لأهل المعتقل وأقاربه.

كانت الحكومة تح خطط لجر الجماعة للصدام ومقاومة الحكم

ال العسكري، فيقضي الجيش على الجماعة قضاءً مبرماً، لكننا صبرنا، وعالجنا الأمر بحكمة، وتحكمنا بأعصابنا، ومنعنا الشباب من الصدام المباشر، ففوتنا الفرصة على الحكم العرفي بسحقنا.

ويقول أمير الجماعة طفيلي محمد في مؤتمره الصحفي : إن هذه الإجراءات أي إلغاء الاتحادات الطلابية واستدرج الطلاب إلى الصدام مع الحكومة مخطط مدروس ، خطط له من قبل روسيا والهند ضد باكستان، حيث أرادت تلك القوى أن يقع الصدام بين الجماعة الإسلامية وضياء الحق، عندئذ يضعف الحكم، وتنتهي المعارضة، الأمر الذي يعطي الفرصة لتغيير السلطة، ووضع علماء الروس والهند على كراسي الحكم .

أود أن أطمئن الجميع أن قوة الجماعة الشعبية قد زادت ، وسوفتحقق بإذن الله تقدماً إذا أجرى ضياء الحق انتخابات في عام ١٩٨٥ فالجماعة بفضل الله تنادي بالفكر الإسلامي الصحيح دون إفراط أو تفريط في العقائد، وهي التي اهتمت بنشر العقيدة والفكرة الصحيحة المستمدة من الكتاب والسنّة في باكستان وكشمير والهند ونيبال وسيريلانكا، ونؤكد أن هذه الفكرة تنتشر بقوة في القارة الهندية والحمد لله .

أما حال أفغانستان، فقد عرف الإمام المودودي رحمه الله خطراً الزحف الشيعي منذ أكثر من عشرين سنة، وركز جهده على جامعة كابل، فترجمت كتبه إلى الفارسية، ووزعت على طلابها، ومعها كتب الحركة الإسلامية التي كان لها انتشار كبير في أفغانستان، فنشأ جيل

إسلامي حمل لواء الجهاد ضد الدب الروسي والمد الشيوعي، من أمثال سیاف وحکمتیار، وربانی وغيرهم، ومنذ أن قام الغزو الروسي لأفغانستان، ونحن نساعد المجاهدين بكل ما أوتينا من قوة مادياً وأديباً، فلقد أقمنا المستشفيات، وساعدنا المهاجرين، وحاولنا توحيد الصفوف داخل حركات الجهاد، وسنظل نقدم ما نستطيع حتى تقوم راية الإسلام على ربي أفغانستان إن شاء الله.

أما الحكومة فإنها تقوم بتقديم المساعدة، ومع أن ضياء الحق يعذبنا ويشردنا، فإننا نقول كلمة الحق لا تخشى في الله لومة لائم، فالرئيس ضياء الحق يقدم للأفغان كل ما يستطيع.

لقد أسلحت في الحديث عن ضياء الحق، وتمسكت بالسلطة رغم الوعود الكثيرة التي بذلها بالعودة إلى الحكم المدني بانتخابات نزيهة والعمل الجاد على تطبيق الإسلام، فصادم جميع التيارات السياسية وكانت الجماعة الإسلامية آخرها، وكيف أسرف ضد أبناء الجامعات الباكستانية تنكيله وتعديه.

إن ما أعنيه من هذه الخاتمة هو تنبيه العاملين للإسلام والعازمين على العودة به كاملاً إلى المجتمع والحياة بكل جوانبها، أن لا يرکنوا في تطبيق الإسلام وتحكيم شريعته على وعود حاكم أو سلطان مهما كانت الثقة به كبيرة، لأنه سوف يختلف مع التيارات الإسلامية كما يختلف مع غيرها، لأنها ستطالبه بالتنفيذ، لكنه يتوقف أو يرجئ ذلك لاعتبارات شخصية وسياسية وخارجية. فيرى أنها عقبة في طريقه، فيعمل على إزاحتها والتخلص منها. فإذا رکن الإسلاميون إلى وعود

الفرد، فإنهم سيواجهون أمثال النميري وضياء الحق وعبد الناصر الذي وعد بالالتزام بالإسلام أول عهده بالانقلاب عام ١٩٥٢ ، وبعض قادة الثورة الجزائرية التي قامت على أساس الإسلام، والجميع نكصوا بوعودهم، وطاردوا أبناء الحركة الإسلامية، وأعدموا قادتها كما حدث في مصر، أو حاولوا إعدامهم كما كان حال النميري بتحريض من الرئيس الأمريكي بوش، أو طاردوهم كما فعل ضياء الحق في باكستان .

إن الضمان في تطبيق الإسلام وجود قاعدة قوية ذات نفوذ وقرار، تلزم به الرئيس أو السلطان باسم أهل الحل والعقد، أو البرلمان ذي الشوكة، أو تنظيم عتيد مؤثر، فيذعن المسؤول طائعاً، أو يستبدل به من هو خير منه: إن تتولوا يستبدل قوماً غيركم .





التجربة التاسعة

مع الجمهورية التركية الشقيقة

منذ كلفت بمهمة المراقب العام سنة ١٩٧٦ ، تطلعت مع إخواني إلى إقامة صلات مباشرة مع الأتراء على كل الصعد الرسمية والشعبية بدروافع كثيرة، واعتبارات تشمل العقيدة والتاريخ والجغرافيا والحدود الطويلة والمصالح المشتركة ، ولجوء عدد كبير من السوريين المطاردين إلى الأرض التركية وغيرها، ولم يدخل العام ١٩٧٧ إلا وقمت بزيارة تركيا، والتقيت الأستاذ نجم الدين أربكان الذي أضحي نائباً لرئيس الوزراء في تشكيلين وزاريين، مرة مع سليمان ديميريل، وأخرى مع أجاويد لأنه كان يملك كتلة برلمانية ٤٩ - نائباً - ترجم كففة أي من الحزبين عندما يكلف أحدهما بتشكيل الوزارة.

تناولت طعام السحور مع الخواجة نجم الدين في منزل أحد وزرائه -وزير الأوقاف- أو المسؤول عنها، ثم تناولنا الأحاديث الخاصة بالتعاون، ولاسيما في موضوع المناهج المدرسية (التي كنت أتولى العمل في دائتها في أبو ظبي عاصمة الإمارات العربية المتحدة)، وكان أربكان متحمساً لها، وشديد الحرص عليها، أملأ

منه أن يدخل في المناهج التركية ما يقربها من المفاهيم والقيم الإسلامية. ومنذ ذلك الحين لم تقطع اللقاءات مع حزب السلامة الذي استطاع أربكان بتوازنه السياسي أن يحتل سبع وزارات ومنها الداخلية في الوزارات الائتلافية التي شارك فيها، أقول: منذ ذلك الحين لم تقطع اللقاءات مع حزب السلامة، ولا التشاور مع زعيمه أربكان من خلال مكتب الإرشاد الذي كنت عضواً فيه، وعبر الزيارات واللقاءات الثنائية، والمناسبات والمهرجانات التي كان الحزب يقيمها، إحياءً لذكرى فتح القسطنطينية، وتحويلها إلى عاصمة السلطنة العثمانية باسم اسطنبول التي أصبحت ملء السمع والبصر في تاريخ المسلمين.

١- تسربت أعداد كبيرة من تنظيمنا إلى تركيا، هرباً من المطاردة والقتل والاعتقالات التي كانت تمارسها السلطات الأمنية في ظل الحكم العرفي، وكان لابد من علاج لهذه الأعداد التي وصلت إلى الأرضي التركية، وزج بعضها في المعتقل، ويكون لدينا غطاء قانوني أو سياسي، غير أن جهودنا ذهبت أدراج الرياح، حتى قيض الله لنا صديقاً تركياً مخلصاً هو السيد صالح أوزجان الذي تم اللقاء والتعرف معه، عبر برنامج تلفزيوني كنت أقدمه في أبو ظبي باسم: من نور الإسلام، وذكرت فيه فضل العثمانيين في تصديهم للزحوف الصليبية على بلادنا، فأراحه ذلك وسعى إلى أن نلتقي خلال ساعات، فتوثقت الصلة فيما بيننا، والتزاور معه في أنقرة، وفي اسطنبول حيث كان يعمل مديرأً لبنك فيصل الإسلامي، كما كان عضواً في رابطة العالم

الإسلامي في مكة المكرمة، ونائباً عن مدينة أورفه في البرلمان التركي في إحدى الدورات الانتخابية.

طلب الأستاذ صالح لقاء عاجلاً معي في فندق هيلتون في الخرطوم لأمر مهم. قال فيه: كنتم تطلبون منا أن نفتح لكم قناة مع الأتراك، ولم يكن ذلك متاحاً، وقد حانت وجاءت الفرصة المناسبة التي كانا يبحث عنها.

إن شخصية كبيرة ونافذة فقد أخاه الذي كان يشغل منصبأً كبيراً على الحدود السورية التركية، بالصدام مع السوريين، وهو حانق على النظام السوري، وهو على استعداد ليلقاكم في اسطنبول، وقال: إنه الرجل الثاني في المؤسسة التي يعمل بها، دون أن يُعرف السيد صالح أو زجان عن هذه المؤسسة، هل هي الأمن الداخلي، أو المخابرات العامة، أو الشرطة، أو مؤسسة عسكرية؟

عقد لنا أو زجان لقاء مع الرجل في مكان عام، أتبعه لقاء آخر في شقة خاصة بالدائرة التي يتبع لها الرجل، يرفع فيها داخل صالون الاستقبال لوحة كبيرة تضم القرآن الكريم كاملاً، فأشار لي إلى اللوحة، ليؤكد على تمسكهم بالقرآن وتقديسهم له، ومنذ ذلك الحين، قامت صلات مهمة، وقدمت تسهيلات لبعض المعتقلين، فأطلق سراحهم، ولبعض الهاربين اللاجئين إلى تركيا، فأمنوا واستقرت أحوالهم.

- ٢ - كان ذلك في عام ١٩٨٤، وقد اقتضت هذه العلاقة، إيجاد نقطة ارتكاز في أنقرة، وافتتاح مكتب لتنظيمنا فيها، وانتداب مبعوث

لنا في العاصمة التركية، قام بمهمته خير قيام، وكان أميناً في أداء مهمته، وقيامه بواجباته، وكان دمثاً في التعامل مع الأتراك، فكسب ثقتهم، وسرعان ما أتقن الحديث بلغتهم.

أ- أبلغنا حلفاءنا في بغداد وفي التحالف الوطني الذي كنت أمينة العام عن هذه العلاقة، كما أبلغنا المعينين الأتراك بحزب السلامه، وزعيمه نجم الدين أربكان، كما أبلغنا الأخير عن صلتنا بالجهة المعنية التركية كيلا ترك أي شك يتسلل إلى نفوس إخواننا وأصحابنا وحلفائنا عن تحركنا على الأرض التركية، وفي كل هذه العلاقات حصرنا مهامتنا وأنشطتنا ومساعينا بأمر واحد لا تتجاوزه ولا تتعاده، وهو العمل على تغيير نظام الأقلية الذي يحكم سورية والسوريين بالحديد والنار، والسلطات الأمنية ذات الصلاحيات المطلقة في ظل الحكم العرفي وقوانين الطوارئ منذ عقود.

أسجل للأتراك معاملتهم الراقية طيلة السنوات التي تم فيها الحوار معهم، إنهم لم يتدخلوا قط بالشأن الداخلي لتنظيمنا، ولم يتعرضوا قط لمبادئنا وأفكارنا وقناعاتنا، بل كانوا يظهرون كثيراً من التقدير والتجليل لعقيدتنا الإسلامية، ويشعروننا في كل مناسبة أنه مسلمون، يعظمون الإسلام، ويقررون عباداته وتوجيهاته.

كما أسجل للأتراك أنهم أفسحوا لنا من المجالات ما لو كنا قادرين على استيعابه وتوظيفه، لكن الوضع في بلدنا مختلف عما هو عليه الآن.

ب- إن الذي كان يحملهم على كره النظام في سورية، بل

والحقد عليه، ما لمسوه، وتأكدوا منه من أن نظام الأقليات يعمل بكل الوسائل على تقويض الحياة السياسية، وهدم أسس المجتمع على الأرض التركية، ويتخذ من الأقلية العلوية في جنوبى تركيا، وبالمحافظات الجنوبية مثل لواء الاسكندرон وقضاء أنطاكية، وكيليكيا مرتكزاً لتنفيذ هذه السياسة مما سيأتي ذكره في فقرات لاحقة.

في سياق هذه السياسة، وما توصل إليه الأتراك من معلومات تسربت إليهم من داخل حزب البعث الحاكم، ومن بعض الاجتماعات التي دأب البعشين على عقدها في فرع الحزب باللاذقية في شهر تموز ١٩٨٥، حضره عدد من الحزبيين العاملين، بينهم أتراك نصيريون هاربون من اللواء، قال فيه رئيس الفرع غازي خضرا، بعد أن سأله نصيري تركي :

- متى سنبدأ العمل في تركيا؟

فأجابه: إن الأمور منوطه بعدد من الضباط المكلفين من مختلف الاختصاصات والمسؤولين عن هذا الشأن، وهو متوقف على أمررين: ترتيب الوضع في لبنان، وتغيير الحكم في العراق، وقال الخضرا: إن لدينا عشرة ملايين نصيري في تركيا.

وبالمناسبة فإن أرقام العلوين في تركيا مثار جدل كبير، فالبعض المحسوب على نظام الأقلية يرفع العدد إلى عشرة ملايين وزيادة، والبعض يؤكّد أنهم لا يزيدون عن ثلاثة ملايين بكل المقاييس، والبعض يزعم أنهم أقلية صغيرة مدعومة بكل أسباب الدعم غير المحدود من النظام السوري.

يقول تركي علوى: إن النصيريين في تركيا يشترون كل شيء، من أرض وعقارات ومحلات، ويدفعون الثمن مهما غلت الأسعار، وهناك جمعية تحضهم على الشراء والتملك، وقد توزع النصيريون في جميع أنحاء أنطاكية، بعد أن كانوا محصورين في محلتين فقط، وثمة شواهد أخرى في هذا الموضوع تشير إلى أن الأموال تتدفق بكثرة من سوريا لتنفيذ هذه السياسة.

٣ - على مدى ثلاثة عقود أمعن النظام في سياسة البطش والتنكيل والسلط على البلاد والعباد، وتشديد القبضة عليهم في حكم بوليسى عرفى اختفت فيه مظاهر الحكم المدنى، فلم يعد للدستور والقانون والقضاء قيمة أو أثر يذكر في حياة المجتمع، ولم يعد أي مواطن يستطيع أن يعارض أو يعتراض أو ينصح أو يقترح، وإنما فكل شيء أمام عصابات الحكم العسكرية والأمنية مستباح، سواء أكان مالاً أم دمأً أم ما هو أخطر من ذلك، أما العلاقة مع الدول الكبرى المستبدة بمصائر الشعوب، وكذا الأمر مع إسرائيل، فهي شهر عسل دائم، وحدود آمنة، وخضوع مهين، باستثناء حروب إعلامية، تشنهما سوريا بين فينة وأخرى، وهي لم تعد تنطلي على أحد من الشعب سواء أكان من العامة أم كان من المثقفين.

هذه السياسة الإرهابية الرهيبة لم تكن مقصورة على سوريا في داخلها، وإنما امتدت إلى دول الجوار، ليتحقق نظام الأقلية بها الأذى والخراب والنهب، كما فعل في لبنان، وكما فعل في الأردن من حشده للجيش على حدوده، والتفجيرات على أرضه، ومن تحريض

للأقليات كما حدث لتركيا من أرمن وأكراد وعلويين، وكذلك التامر مع إيران في حربها مع العراق، وإغلاق أنبوب النفط، مما سبب خسارة فادحة لكلا البلدين سوريا والعراق.

لقد عانت تركيا وهي التي تجاور سوريا بحدود طويلة تزيد على ٧٠٠ كم من سياسة الإرهاب والتخييب في مراقبتها العامة، كالمطار في أنقرة، وفي سوق اسطنبول المغلق، الأمر الذي دعا إلى وضع دراسة مستفيضة نوعاً ما، عن جرائم هذا النظام الأشبه بالmafia من الحكومات المدنية والدستورية، ليُحدّر السوريين والأتراك والأردنيين واللبنانيين والعراقيين وغيرهم، كما سيأتي من شرورهم، فيتجنبوا جرائمهم، ويحموا شعوبهم من عصاباتهم التي امتهنت إزهاق الأنفس، وسفك الدماء، وهدم معالم الحياة ومراقبها كما سنرى، ولتكون هذه الدراسة في متناول جميع المعنيين، وتحت أسمائهم وأبصارهم.

٤- سوريا الآن في قبضة جزء من أقلية طائفية هي الطائفة العلوية التي لا تزيد نسبتها على ١٠٪ من سكان سوريا، وقد استولت على السلطة نتيجة مخطط سري بدأ تفديه عن طريق الانقلابات العسكرية، والالتحاق بالأحزاب السياسية مثل: القومي السوري، والبعث، والشيوعي، منذ أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات، مستغلة التسامح وعدم التفرقة المذهبية والطائفية والدينية، وهو المنهج الذي سارت عليه الحكومات السورية، بعد الاستقلال، فإذا بقسم من هذه الطائفة توجه أبناءها للانخراط في الجيش، حتى صارت المواقع

العسكرية الحساسة ذات التأثير الكبير بيدها، وبدعم سري -كشف فيما بعد-(١) من الصهيونية والدول الكبرى- أمريكا وإنكلترا وفرنسا وروسيا- وبرعاية مخابراتها تمكنت هذه الأقلية عبر عدد من الانقلابات العسكرية من السيطرة على مقاليد الحكم في سوريا.

بدأت هذه العصابة جرائمها بخيانة الوطن إذ سلمت هضبة الجولان المنيعة للعدو الصهيوني دون قتال يذكر^(٢) عام ١٩٦٧ حين كان حافظ أسد وزيراً للدفاع، فكوفئ على عمله هذا ليكون رئيساً للجمهورية مطلق الصلاحيات، ولتصير البلاد في قبضته، فارتکب سلسلة من الجرائم تجاوز فيها كافة القوانين النافذة في البلاد، وانتهى مبادئ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في الحياة والحرية وحماية الإنسان من التعذيب الجسدي، والتوكيف التعسفي، فلم يعد في سوريا قضاء يلجأ إليه المواطنون لحمايتهم من اعتداء أفراد العصابة الحاكمة على أرواحهم وأموالهم وأعراضهم، ولم يعد ثمة دستور يحترم، ولا قانون يراعى، ولا عرف سائد، ولا أخلاق تسان، وإنما هي عصابة مستبدة تحكم البلاد وفق أغراض دنيئة أشبه بالمافيات، حيث يحتضن النظام السوري زعماء الإرهاب العالميين من أمثال كارلوس وأبو نضال وعبد الله أوجلان وباشا كوان، وأكويان، ومهراج أونال.

لقد أقدم نظام حافظ أسد الطائفي على مصادرة الحريات، واغتيال

(١) اقرأ المجلد الرابع من هذه الموسوعة.

(٢) اقرأ المرجع السابق.

القادة من علماء ومفكرين وعسكريين ومدنيين، واعتقال عشرات الآلوف من المواطنين دون اتهام، أو إحالة إلى القضاء، ومنع أهليهم وذويهم من زيارتهم في السجن، ومن معرفة أماكن اعتقالهم، واغتال منهم الآلوف وهم داخل المعتقلات، كما حدث في سجن تدمر سبع الصيٰت، حيث تم إطلاق النار على أكثر من ألف معتقل من الرهائن خلال نصف ساعة، وجرى دفتهم في مقبرة جماعية، وبعضهم ما زال جريحاً على قيد الحياة، وارتکب المجازر الجماعية في المدن والقرى، كمجازر حلب وجسر الشغور وسرمدا وجبل الزاوية وحمص واللاذقية والساحل والمنطقة الشرقية، وبخاصة في الرقة، وكانت أفعى هذه المجازر في مدينة حماة، وعلى الأخص المجازرة الكبرى في شهر شباط من عام ١٩٨٢ حيث قتل زهاء ٣٥ ألف مواطن، ودمر معظم مساجد المدينة البالغة ٨٤ مسجداً، وفيها المساجد الأثرية العريقة كالجامع الكبير.. إلخ وأربع كنائس، وهدم المجرمون شطراً من أحياء المدينة وأسواقها التاريخية ومتاحفها وقضى على جميع مظاهر الحياة فيها.

أ- لم تقتصر جرائم النظام الطائفى الحاكم في سوريا على الشعب داخل سوريا، وإنما تجاوز الحدود ليشمل جميع الدول المجاورة، ومعظم دول الشرق الأوسط لتأجيج الصراعات في المنطقة لخدمة أهداف بعض الدول الكبرى.

فقد حمل النظام الطائفى السوري من أول يوم دخل فيه لبنان عام ١٩٧٦ الدمار والفووضى والفتنة بين فئاته وطوائفه، وجعل من حياة

اللبنانيين مأساة متصلة دخلت كل مدينة، وكل قرية، وكل بيت.

أما الأردن فقد حشد نظام حافظ أسد الطائفى جيشه على حدوده عدّة مرات، مهدداً باحتياجه واحتلاله، وأرسل مرتزقته عام ١٩٨١ إلى عمان لاغتيال رئيس وزرائه، واغتيال عددٍ من شخصياته السياسية، وزرع المتفجرات في عاصمته وعلى حدوده.

استمر النظام في سوريا بتسعير نار الحرب بين العراق وإيران، واستمر في إرسال السلاح والخبراء لإيران. وكلما أوشك الوسطاء العرب وغيرهم على حل القضية، وإيقاف الحرب العراقية الإيرانية، فتح حافظ أسد في نارها من جديد، مشجعاً إيران على رفض كل وساطة لوقف الحرب، زاعماً للإيرانيين أن النظام في العراق على وشك السقوط، ليحطّ جميع الجهود والوساطات التي قامت بها المنظمات العربية والإسلامية والدولية لوقف هذه الحرب، ثم قام، كما رأينا من قبل، بإغلاق الحدود بين سوريا والعراق، ومنع مرور النفط العراقي عبر الأراضي السورية.

حاول نظام الأقلية في سوريا تفجير جمعية الإصلاح الاجتماعي في الكويت، وأقدم عملاً على نسف مطعم يا مال الشام في دبي، واغتيال بعض الشخصيات المعارضة في عاصمة الإمارات العربية المتحدة، وحرض اليمن الجنوبي ضد اليمن الشمالي، وفتح مكتباً في دمشق لعصابة من شيوعيي جنوبي اليمن تقوم بالتخريب داخل اليمن الشمالي، وقد امتدت شبكته التخريبية من المغرب العربي إلى باكستان، وحتى أوروبا الشرقية والغربية لم تنج من تخريبه، فقد اغتال

السيدة بنان الطنطاوي زوجة الأخ الكبير المراقب العام السابق للإخوان المسلمين في سورية عصام العطار في ألمانيا، وفجر مجلة الوطن العربي في باريس، واغتال عدداً من المثقفين والصحفيين والمفكرين السوريين في لندن ومدريد وبلغراد وروما، وبباقي المدن الأوروبية، كما فعل ذلك من قبل في بيروت.

أما تركيا فقد كان لها النصيب الأكبر من مؤامرات النظام الطائفية العلوى وتخريبه، إذ دأبت السلطات السورية على ممارسة العمليات الإرهابية على الأراضي التركية، وتحريض الأقليات العرقية والطائفية ضد الدولة التركية بكل الوسائل والأساليب.

بـ- توجد فئة من الأرمن حاقدة على تركيا، وتعمل على تقويض المجتمع التركي، واغتيال الشخصيات التركية المرموقة، متعاونة مع كل حاقد على تركيا لتنفيذ هذه السياسة الإجرامية، وقد وجدت في النظام السوري صدى كبيراً، وتجاوياً عظيماً لسياساتها وأحقادها، وتتنفيذ مخططاتها، عندما أتاح النظام السوري للأرمن -أو لبعضهم- كل وسيلة للتخرّب في تركيا، ومن ذلك:

- أقام النظام السوري معسكراً لتدريب الشباب الأرمني على التخرّب لحساب الجمعيات السرية الأرمنية الإرهابية التي تعمل ضد تركيا، وهو معسكر عموري في ضواحي دمشق، وفي كل عام يتخرج في هذا المعسكر أعداد كبيرة مختصة في أعمال القتل والتخرّب، ويشارك في التدريب بهذه المعسكرات خبراء من الاتحاد السوفييتي، وهناك ثلاثة معسكرات أخرى في كل من كسب ورأس البيضاء

والقامشلي، ورغم تحذير الحكومة التركية للنظام السوري من مغبة هذه السياسة الإرهابية، فإن النظام الطائفي الحاقد استمر في أعماله الإجرامية.

- في ٢٣-١٠-١٩٨٣ اجتمع في جنيف رئيس المخابرات العسكرية للنظام السوري علي دوبا، بقيادة منظمة الأصالة الأرمنية الإرهابية لاتفاق على تفزيذ الأعمال الإرهابية والإجرامية التي تمارسها العصابات الأرمنية ضد تركيا.

- يستخدم النظام السوري أعداداً كبيرة من أفراد عصابة الأصالة الأرمنية لحراسة زعماء النظام لأنهم غير معروفين من قبل المعارضة السورية.

- لقد خصص النظام السوري أبنية خاصة في كل من حلب ودمشق لمزاولة نشاطهم، ورسم خططهم التخريبية، مثل مكتب كرينيك يعقوبيان في منطقة الحلبوسي وعدد من الشقق التابعة له -بلغ عددها ٢٠ شقة- كما أن له مكتباً وورشة في حلب، يستخدمها الأمن قواعده لهم.

- تم التنسيق بين النظام السوري ونظام خميني في إيران بشأن الأرمن، حيث خصص معسكر قرب طهران لتدريب الأرمن في إيران، كما فتح لهم مكتب في طهران للتنسيق مع المخابرات الإيرانية.

- يقوم الأرمن بمساعدة وتشجيع النظام السوري بالتنسيق مع

الحركات اليسارية والتخريبية التي تعمل ضد تركيا، كالشيوخين والأكراد والعلويين.

- هيئات السلطات السورية جميع الأسباب لمجموعة أرمنية إرهابية مؤلفة من ستة أفراد في الهجوم على مطار أنقرة في شهر آب ١٩٨٢ بعد تدرييهم في معسكراتها، وزوادتهم بالسلاح، ومكتفهم من التسلل للأراضي التركية. كما كان لها ضلع في مجزرة مطار أورلي في باريس، وكذا في حادثة السوق المغلق في استنبول.

- تنفيذ عمليات مشتركة في الخارج بين عصابة أصلالة الأرمنية ومؤسسات الفرسان الحمر السورية التابعة لرفعت أسد، حيث يسكنون في بيوت مشتركة في أوروبا تستأجرها لهم السفارة السورية، وقد اتضح ذلك في تورط النظام السوري في مقتل الملحق العسكري التركي في بوغاز بلغاريا، عن طريق أحد عملائه وشريك رفعت أسد في تجارة السلاح.

- استخدم الأرمن في شبكات تهريب الأسلحة والمخدرات حيث يدير هذه الشبكات رفعت أسد، بعد أن استولى على مزارع الحشيش في البقاع اللبناني، كما أنه يدير شركة تهريب دولية لتوريد السلاح إلى عصابات المافيا، والمؤسسات الإرهابية في الشرق الأوسط وأسيا وأوروبا. كما أن المهربالأرمني هنري أصلانيان الذي اعتقل في مدينة ميلانو الإيطالية في العام ١٩٨٢، ومات مؤخراً في السجن هو أحد شركاء رفعت أسد.

- السماح للأرمن بدخول الكليات العسكرية السورية، واستلامهم

مراكز مهمة في الجيش السوري، مثل العقيد أكوبيان في قيادة الدفاع الجوي -سلاح الصواريخ- ذي العلاقات الوثيقة مع الخبراء الروس، وكذلك الضابط الأرمني الإلهامي زاوين بدروس الذي اعتقل في لندن، واعترف أمام المحكمة هناك أنه ضابط في الجيش السوري.

- السماح للأرمن بتنظيم حملة دعائية في شهر نيسان من كل عام احتجاجاً على المذبحة الأرمنية التي يزعمون أنها جرت لهم في تركيا عام ۱۹۱۵، فيقومون بتوزيع شعارات وملصقات جدارية معادية للأتراك.

- تسخير وسائل الإعلام السورية من إذاعة وتلفزيون لعصابات الإرهاب الأرمنية، وتوظيف عناصر منها في وسائل الإعلام السورية، مثل المذيع مهران يوسف، والمذيعة ومعدة البرامج مني الكردي، والمذيعة والمحررة آيما سروميان، والمحرر السياسي جورج قيصر.

هذه شذرات ومقطفات موجزة عن علاقة النظام السوري وأجهزته المختلفة بالعصابات الأرمنية في داخل سوريا، وفي خارجها، واستخدامهم في عمليات الهدم والتخريب ضد تركيا على أرضها وفي خارج حدودها.

ـ العلويون: فرقة غالية ترجع في نسبها إلى مؤسس المذهب محمد بن نصير النمري، فيسمون بالنميرية، وتسمى الجبال التي سكنوها وهي جبال البحراء، بجبال النميريين، غير أنهم أطلقوا على أنفسهم اسم العلوين، وهم يؤثرون هذه التسمية ويفضلونها منذ عام ۱۹۲۰ عندما دخلت سوريا في ظل الانتداب الفرنسي، لتهيئهم

لمرحلة جديدة ظهرت مفرداتها في منتصف القرن الماضي.

يقطن العلويون في سلسلة جبال البحراء - جبال النصيريّن - وفي جنوبى تركيا في لواء الإسكندرون ومنطقة كيليكية.

لقد ظهرت الطائفة النصيريّة في بلاد فارس في القرن الثالث الهجري الذي شهد حركات باطنية عديدة، مارست نشاطاً سياسياً كانت له آثاره على مسرح الدولة العباسية. ثم رحلوا في أواخر عهد الدولة العباسية إلى خوسان، واستقروا في شمال غرب سوريا.

يبلغ عدد النصيريّين في العالم أربعة ملايين نسمة موزعين ما بين سوريا وتركيا، ثم ازدادت أعدادهم في سوريا مع زيادة السكان لتصل إلى عشرة في المئة كما يقدر معظم الإحصائيّين باستثناء الضابط العلوي محمد هواش الذي يرفع هذه النسبة إلى اثنتي عشرة بالمئة في كتاب أصدره في المغرب باسم ولده.

إن العقيدة الدينية لهذه الطائفة فيها الكثير من الدخن، فقد أخذت من مصادر غريبة عن حقائق الإسلام الثابتة في الكتاب والسنة، وتقوم في جملتها على أن تكون خليطاً متنافراً بين الآراء المختلفة حيناً والمتناقضة حيناً، مع اعتماد طقوس وعبادات تمت إلى هذه الديانة أو تلك، وهذا التنوع والتباين في المصادر حمل الباحثين، قدماً ومعاصريـن، على الاختلاف في أصل الطائفة وفي معتقداتها.

إن هذه الطائفة اغتررت دينياً وعقائدياً عن المحيط الإسلامي مما جعلها تحيا في عزلة اجتماعية، تكاد تكون تامة مطلقة عبر مراحل

التاريخ الإسلامي، وفي مختلف أدواره، وقد أدى بها ذلك إلى أن تتشكل في صورة مجتمع مغلق على نفسه وإلى انتشار الخرافات في صفوف متخللتها.

تميزت الحياة السياسية للطائفة النصيرية بالتمرد على كل ما يمتنع بصلة أو رابطة، فقد جبست نفسها في دائرة مغلقة من العلاقات والتعاون مع كل غريب، ومد يد النصرة لكل دخيل، ولم يكن نشاطها السياسي عبر التاريخ سوى محاولات استهدفت شعوب المنطقة وسيادتها في ظروف المواجهة التاريخية الحاسمة، فقادت بمن يد العون والنصرة والتأييد، تارة إلى التتار، وأخرى لجحافل الصليبيين وثالثة لسلطات الفرنسيين، وأخيراً ترامت في أحضان الاتحاد السوفيتي، ومن الجدير ذكره أن هذا التأييد لا يشمل كل العلوين، فالبعض منهم انحاز إلى العدو، والبعض الآخر انحاز إلى وطنه.

تغلغل العلويون في المؤسستان العسكرية والأمنية، وكذا السياسية في سوريا، وانقضوا على السنة أو على الأكثريّة بانقلاب عسكري. أدركت هذه الطائفة، في إطار طبيعتها المغلقة، ونسبتها العددية، وإمكاناتها المحدودة، وصعوبة قيامها بدور مستقل يعبر عن أهدافها وطموحاتها الباطنية، فلم يبق أمامها إلا أن تلجأ إلى استخدام أساليب وأغطية معينة، تعينها على قدر من التغلغل على نحو متدرج في مؤسسات الدولة المختلفة، والتنظيمات السياسية، وفي المؤسسة العسكرية.

في أثناء الانتداب الفرنسي على سوريا فضل الفرنسيون تجنيد أبناء الطائفة العلوية، إذ تبنت سياسة التجنيد الفرنسية تقليداً قائماً على تجنيد أبناء الأقليات من المتطوعين، كما استخدمهم الفرنسيون، كمخربي، وكانت نسبة العلويين في جيش الشرق -الذي أسسه الفرنسيون- كبيرة جداً، نظراً لأن العلويين أكثر الأقليات عدداً، فقد بلغت نسبتهم ثمانين بالمئة من عدد هذا الجيش، ولاسيما في سلاح المشاة، كما قال كبير ضباط العلويين محمد معروف الذي كان دعامة في انقلاب سامي الحناوي ضد حسني الزعيم^(١).

وكانت نسبتهم عالية في القوات الإضافية المختصة في قمع الانفاضة الوطنية. وبعد استقلال سوريا نهجمت الحكومات السورية المتعاقبة سياسة عدم التفرقة بين الأكثريية من سكان سوريا، وبين الأقليات، وفتحت أبواب الكليات العسكرية للجميع على مصاريعها، فاستغلت الطائفة العلوية هذه الفرصة، فزجت بأكثريتها أبنائها في الكليات والمعاهد العسكرية، وإلى التطوع في الجيش، كما انضموا إلى الأحزاب السياسية المختلفة، أملاً في تحقيق مخططهم وأهدافهم عندما تحسين الظروف المواتية لذلك. وكان لسيطرة الجيش على الحياة السياسية بعد عام ١٩٤٩ بسبب الانقلابات العسكرية، أثراًها في تقليل عدد الضباط الوطنيين في الجيش من أبناء السنة، وخاصة على صعيد كبار الرتب نتيجة لاشراكهم في هذه الانقلابات، مما أفسح

(١) أيام عشتها، الانقلابات العسكرية وأسرارها من عام ١٩٤٩ وحتى العام ١٩٦٩ ص ٥٦، الطبعة الأولى كانون الثاني ٢٠٠٣ بيروت لبنان.

المجال أمام أبناء الطائفة النصيرية للتغلغل بأعداد كبيرة في الجيش، والوصول إلى رتب عسكرية كبيرة، ساعدتهم على تشكيل تكتلات ضمن الواقع التي احتلوها، وللظروف التي أعقبت انقلاب ٨ آذار تمكنت الطائفة العلوية من السيطرة على المراكز الحساسة في الجيش السوري. الأمر الذي أدى إلى تغلغل الكثير منهم داخل التنظيم العسكري لبعض الأحزاب السياسية، وإقامة التكتلات الطائفية داخل تنظيم الحزب، كالذي فعلوه في الحزب القومي السوري الاجتماعي، وفي حزب البعث العربي الاشتراكي، وخلال أشهر قليلة من انقلاب ٨ آذار ١٩٦٣ استطاعوا بإبعاد خصومهم العسكريين البارزين عن المراكز الحساسة للجيش، وفي ٢٣ شباط ١٩٦٦ قام أحد الضباط العلويين البارزين وهو صلاح جديد، بانقلاب لإحکام قبضته الطائفية على الجيش، فلم يأت عام ١٩٧٠ حتى صارت سيطرتهم تامة على الجيش والحكومة والحزب الحاكم وأجهزة الأمن.

٥- لقد وضعت الحكومة السورية العلوية مخططاً رهيباً للسيطرة على الحكم في تركيا تدريجياً، عن طريق الطائفة العلوية في تركيا التي يزعمون أن عددها يبلغ ثلاثة ملايين، -كان هذا في الثمانينيات، وقد تضاعف عدد السكان في كل من سوريا وتركيا بمن فيهم الأقليات في هذين البلدين المجاورين- .

ورب قائل يقول: إن سيطرة العلويين على الحكم في تركيا أمر عسير أو بعيد المنال. والجواب: إن هذا الكلام كان يقال في سورية، عندما كان أصحاب الفكر الناضج والنظرة الثاقبة يقرعون الأجراس،

وينبهون على مخططات العلوين للسيطرة على سورية، كان الغافلون واللامبالون يقولون: هذا خيال، لكن هذا الخيال قد تحقق، وسيطرت الأقلية العلوية ذات نسبة العشرة في المئة من تعداد الشعب السوري، على الحكم في سورية سيطرة تامة، وذبحت أكثر من مئة ألف مواطن خلال حكمها في سبعينيات وثمانينيات القرن العشرين الماضي، ولا تزال المجازر بنسبة أو بأخرى مستمرة لم تنته بصورة نهائية -آخرها مذبحة سجن صيدنايا- علمًا بأنه لم تكن ثمة دولة علوية تدعم العلوين يوم سيطروا على سورية، بينما يوجد الآن في سورية دولة علوية تدعم العلوين الأتراك للسيطرة على الحكم في تركيا، وتمدهم بالخبرة والتخطيط والتدريب والدعم بالمال والسلاح، والعمل على تأييد دول عظمى لتنفيذ مشروعهم كالاتحاد السوفياتي -الاتحاد الروسي حالياً.

أ- تم تشكيل لجنة عليا مؤلفة من جميل أسد شقيق حافظ أسد، وعدنان مخلوف شقيق زوجة حافظ أسد، والدكتور وهيب الغانم، والعقيد رياض خير بك، للعمل من أجل إنشاء دولة علوية تضم جنوبى تركيا والساحل السوري وشمالي لبنان، وقد عملت هذه اللجنة على تشجيع هجرة العلوين الأتراك إلى سورية، وفتحت فرعاً خاصاً في المخابرات السورية لرعاية شؤون العلوين القادمين من جنوبى تركيا، وفتحت مراكز خاصة لاستقبالهم على الحدود التركية السورية، وفي مقهى البرازيل في حلب، وكذلك استقدام الطلاب العلوين من تركيا وتوطينهم فترة في جبال العلوين، ثم تسجيلهم في الجامعات

السورية عن طريق القيادة القومية للحزب، وإعطائهم منحة دراسية لكل طالب، وتأمين سكن مجاني، فبلغ عددهم حوالي ألف طالب، بل وزاد على ذلك في كل الفروع، ويعمل بعضهم في القسم التركي في الإذاعة السورية الذي يعمل على بث وتشييد الولاء العلوي في نفوسهم مما أدى إلى أن كثيراً من العلوين في جنوبى تركيا يعلقون صور حافظ أسد في بيوتهم^(١).

بـ- يتلخص المخطط العلوي في تركيا بما يلي:

- تدريب العلوين الأتراك في سورية على أعمال العنف والتخريب والتفجير، وتكتلتهم بمهمات إرهابية خارج سورية لحساب النظام السوري، وفي رأس البسيط - قرب اللاذقية على الساحل السوري - يوجد معسكر خاص لتدريبهم.
- مشاركة عدد كبير من العلوين الأتراك في الميليشيات العلوية المسلحة في سورية (كسرايا الدفاع، وسرايا الصراع، ومنظمة الفرسان الحمر، وفتیان علي) مثل الجن دوغان الذي اعترف بمشاركته في مجازر حماة عام ١٩٨٢ .
- تزويد الحكومة السورية للعلويين الأتراك بجوازات سفر سورية، وبطاقات هوية سورية تمكنهم من التحرك في السعودية، وفي دول الخليج العربي، والقيام بأنشطة أمنية واقتصادية.
- بناء شبكة سورية داخل تركيا للاستخبارات السورية بوساطة

(١) لاشك أن هذه المعطيات تغيرت الآن بعد مرور أكثر من ربع قرن عليها..

العلويين الأتراك، وإقامة عدد من الأوكرار للاستخبارات تحت ستائر مختلفة كشركة باتا التركية للسياحة - شركة باصات - .

- تهريب السلاح من سوريا إلى تركيا، وتخزينه لدى العلوين الأتراك لاستعماله حين يأتي موعد حاجتهم إليه في تنفيذ مخططاتهم.

- إن الحديث المتداول بين العلوين الأتراك هو أنهم يستعدون لأن يلعبوا ذات الدور الذي لعبوه في سوريا للسيطرة على مقايليد الحكم في تركيا.

- يستخدم النظام السوري العلوين الأتراك للتجسس والتخريب خارج سوريا، ولاسيما في الخليج العربي، فقد وزع عدداً كبيراً منهم على السفارات السورية في مختلف بلاد العالم بعد أن زودهم بجوازات سفر دبلوماسية لتنفيذ خططه الإرهابية.

٦- يقوم النظام السوري بدعم شبكات التخريب اليسارية داخل تركيا، ولاسيما الكردية منها، وإن جميع الحركات اليسارية والانفصالية الكردية، اتخذت من سوريا مركزاً لقيادتها - في ثمانينيات القرن الماضي - من أمثال عبدالله أوجلان وزوجته، ومصطفى أوغلو، وكلها تتلقى من النظام السوري دعماً غير محدود، وذلك بتدريب أفرادها في معسكرات داخل سوريا، وتزويدهم بكلفة أنواع الأسلحة الالزمة، ومن هذه المنظمات الأبوجولر p.k.k الحزب الديمقراطي الكردي، والجيش الشعبي الكردي، ومنظمة Akho- Dev- Gene- Deusol وشعبة الأجل جلر التي يرأسهاالأرمني مهراج أونال، وعندما طارد الجيش التركي الأكراد على الحدود العراقية التركية،

أعلن سهيل السهلي عضو القيادة القومية باسم النظام السوري استنكاراً للحكومة السورية لهذه المطاردة، ودافع عن الأكراد الانفصاليين، وتبع ذلك حملة إعلامية عنيفة ضد تركيا.

كلف النظام السوري زعيم الأكراد الانفصاليين في تركيا عبد الله أوجلان المقيم في دمشق، بأن تقوم منظمته السرية بتفجير خط البترول العراقي المار في تركيا، بعد تدريب عناصره، وتزويدهم بأنواع السلاح اللازم، كما زودت السلطات السورية، عن طريق الحقيبة الدبلوماسية، القنصل السوري في استانبول سعد الدين الليابيدي، بنقل أسلحة ومتفرجات مختلفة، كان يريد تسليمها إلى الإرهابيين اليساريين في تركيا، وقد كشفت السلطات التركية ذلك، وفي يوم ٢٢-١١-١٩٨٣ صرخ ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في أنقرة بأن سوريا أدخلت فرقاً إرهابية إلى تركيا لتقوم بأعمال التخريب والتفجير، وكذلك ضبطت قوات الأمن التركية كمية من الأسلحة والمتفرجات في طائرة الخطوط الجوية السورية القادمة من دمشق إلى استانبول حين نزولها في مطار استانبول، وذلك ضمن الحقيبة الدبلوماسية التي كانت عازمة على تسليمها إلى الإرهابيين بقصد التخريب داخل تركيا.

- أتاح النظام الطائفي الحاكم في سورية للاتحاد السوفياتي إقامة قواعد حربية فوق الأراضي السورية، فقام بنصب قواعد صاروخية شمالي سورية، يصل مداها إلى جنوبى أنقرة عاصمة تركيا، وهذه القواعد تحت سيطرة وإشراف العسكريين السوفيتين سيطرة كاملة،

كما أن عدد الخبراء العسكريين الموجودين في سوريا ارتفع إلى سبعة آلاف خبير -في ثمانينيات القرن الماضي- كما يوجد للسوفيات قاعدة حربية بحرية على الساحل السوري، وبذلك يكون النظام الطائفي في سوريا جعل من الأراضي السورية بؤرة خطرة على السلام العالمي بشكل عام، وعلى الدول المجاورة لسوريا، ومن بينها تركيا بشكل خاص التي تحيط بها القواعد السوفياتية من الشمال في الأراضي السوفياتية ومن الجنوب في سوريا.

بــ أقام النظام السوري علاقات خاصة ومتميزة مع قبرص اليونانية، ومنها الاقتصادية والسياحية والأمنية، وخاصة تبادل المعلومات في حقل الاستخبارات، في الوقت الذي منع فيه المواطنين السوريين من التعامل الاقتصادي والسياحي مع قبرص التركية، ومنع المواطنين السوريين من السفر إلى قبرص التركية، سواء من أجل السياحة أو من أجل الزيارة والعمل التجاري.

إن هذه المساعدات تقدمها سوريا إلى قبرص اليونانية مقابل مساعدة اليونان وقبرص اليونانية للنظام السوري في تنفيذ مخططات داخل تركيا، تمهدًا للقضاء على قبرص التركية من جهة، والبدء بسياسة جديدة ومتفق عليها حيال إسكندرون ومناطق مماثلة، كذلك تهاجم الصحف السورية وجود الجيش التركي في قبرص التركية، كالصحفي غازي جريدة الذي يعمل في جريدة الثورة السورية، حتى إن السفارة التركية في دمشق قد احتجت على كتاباته المعادية لتركيا منذ عام ١٩٩٧ في أثناء زيارة رئيس القسم اليوناني إلى دمشق.

إن سوريا عارضت الاعتراف بجمهوريّة شمالي قبرص التركية في مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلاميّة الذي عقد في دكا عاصمة بنغلادش، وقد تعهد وزير الخارجية السوري خلال زيارته الأخيرة إلى اليونان بمواصلة الدعم العسكري والمادي والدبلوماسي للقبارصة اليونانيين، وإن النظام السوري سوف يبذل قصارى جهده من أجل عدم اعتراف الدول العربيّة والإسلاميّة بجمهوريّة قبرص الشماليّة.

جـ- إن حلم الإمبراطوريّة الفارسيّة كان وما يزال يملأ رؤوس الساسة الإيرانيين، فمنذ بداية القرن السادس عشر -فترة نشوء الدولة الصفویة- واعتداءات الإيرانيين على جيرانهم لم توقف، فهي تحلم باحتلال أفغانستان، -خراسان سابقاً- والعراق وجنوب شرقي تركيا، ومنطقة الخليج العربي، وضم هذه المناطق، كما ضمت الجزر الإماراتيّة العربيّة الثلاث إلى إيران، وتحقيق أحالمهم بإعادة إنشاء الإمبراطوريّة الفارسيّة.

لقد استغلت الدولة الصفویة الإيرانية حروب الدولة العثمانيّة مع النمسا، وقامت بالانقضاض على أراضيها، فقد جهز الشاه إسماعيل الصفوی حملات عسكريّة احتلت العراق عام ١٥٠٨ فقام السلطان سليم الأول بطرد الإيرانيين بعد أن انتصر عليهم في معركة جالديران عام ١٥١٤، غير أن الإيرانيين أعادوا الكرة مرة أخرى، واحتلوا بغداد عام ١٥٢٩، فقام السلطان سليمان القانوني، وأجلّ الإيرانيين عن العراق عام ١٥٤٩، ثم قام الإيرانيون باعتداء آخر اضطربت معه الدولة العثمانيّة إلى دخول حرب أخرى مع إيران انتهت بمعاهدة ١٥٥٩.

إن الإيرانيين ينقضون المعاهدات كلما شعروا بالقوة، ويقومون باعتداءات جديدة، فقد نقض الإيرانيون خمس عشرة معاهدة عقدوها مع الدولة العثمانية، ففي عام ١٦٢٣ احتل شاه إيران صفي بهادر بغداد متهازاً فرصة اضطراب الأحوال في الدولة العثمانية بسبب ثورة بكر صobiashi، فقضى السلطان مراد الرابع على الجيش الإيراني وطرده من العراق بعد أن عقد مع الإيرانيين معاهدة جديدة أطلق عليها معاهدة زهاب في ١٦٣٩-٥-٨، وفي عام ١٧٣٢ هاجم نادر شاه الإيراني أراضي الدولة العثمانية بجيش قوامه مئة ألف مقاتل، فتمكن العثمانيون من صدهم وإيقاع هزيمة نكراء بهم، مما اضطربوا إلى عقد معاهدة مع العثمانيين في ١٧٣٣-١١-١٩.

نقض الإيرانيون كعادتهم المعاهدة، وقاموا باعتداء جديد انتهى بهزيمتهم مرة أخرى، مما اضطربوا إلى عقد معاهدة أرضروم الأولى في ١٨٣٣-٧-٢٨، ثم أرضروم الثانية في ١٨٤٧-٥-١١ بعد توسط الإنكليز والروس بين الإيرانيين والأتراك في عقد تلك المعاهدة.

د- في الوقت الراهن، وعبر التحالف بين نظامي حافظ أسد وإيران في عهدي الشاه والخميني، وتنسيق أعمال الإرهاب الدولي بينهما، أقامت إيران معسكراً على أراضيها قرب مدينة طهران، لتدريب الأرمن على أعمال الإرهاب والعنف على غرار المعسكر الذي أقامه لهم حافظ أسد في ضواحي دمشق، كما يقوم نظام خميني بتسهيل تسللهم إلى الأراضي التركية عبر الحدود الإيرانية التركية، وفق مخطط متكامل وتنسيق تام بين النظامين المتأمرين، وقد اتخذت

منظمة أصالة الأرمنية مكتباً لها في طهران للتنسيق في عملها مع المخابرات الإيرانية، أما التعاون بين سورية وإيران ضد تركيا فإنه يهدف إلى: نسف خطوط أنابيب البترول العراقي ضمن الأراضي التركية، وتنسيق العمل بين مخابرات النظامين السوري والإيراني من جهة، وبين المخربين الأرمن والأكراد داخل الأراضي التركية من جهة أخرى.

إن التعاون بين نظامي أسد وخامنئي ال巴طنيين يستهدف إنشاء دولة باطنية تمتد من بحر الخزر إلى البحر الأبيض المتوسط، وإن هذين النظامين أشد خطرًا من الدولة الصفوية التي استطاعت رغم صغرها أن تضرب الإمبراطورية العثمانية من الظهر، حين كانت تخوض أخطر حرويها في أوروبا، وتحاصر فيها، فأجبرتها على سحب جيوشها من أوروبا، وبوضعها عليها الانتصار الكبير على أكبر قوة هي إمبراطورية النمسا في أوروبا.

وقد تكررت هذه الفجيعة ثلاث مرات، أولاهما: في عام ١٥٢٦، وثانيةها سنة ١٦٧٦، والثالثة كانت حرباً طارئة ليست بأهمية تينك الحرين الحاسمين.

-٧- في حرب الخليج الثانية ضربت أمريكا ومن يدور في فلكها حصاراً مدمراً على العراق، مصممة على تحطيم العراق والعودة به إلى قرون سابقة، ولم تجد الوساطات المعلنة وغير المعلنة، كما اشتد ساعد المعارضة التي لمست من أمريكا تصميماً لها على إنهاء العراق كدولة أثبتت قدراتها في المجالات السياسية والاقتصادية

والعسكرية، فمكنت عن كل مقومات الحياة الأساسية والنهوض، ودأبت على قصده من تركيا، ومن قاعدتها (إنجلترا) على أرضها، وكذلك من الجنوب، وحرم عليها استعمال الأجواء العراقية لتحطيم الرادارات والمطارات والمواقع العسكرية والمؤسسات الصناعية والاقتصادية على مدار الساعة، فراعنا أن نرى بأعيننا ونسمع بأذاننا تدمير بلد عربي عريق في تاريخه وأمجاده بدافع عداء مستحكم وروح صليبية عبر عنها بوش الابن دون التباس أو مداراة، وتحريض صهيوني يحركه حقد دفين على العراق الذي دك الدولة الصهيونية بصواريشه ونشر الرعب في كل أرجاء فلسطين الغالية المحتلة.

راعنا ذلك، فأرسلنا إلى قادة تركيا نستنهض هممهم، ونخاطب إيمانهم وأخوتهم وغيرتهم وتاريخهم المجيد، ليمعنوا الطيران الأمريكي من قصف العراق الشقيق وتحطيمه من أراضيهم.

٩- خاطبنا نجم الدين أربكان بالرسائل والبرقيات، فجاء في إحدى برقياتنا إليه ما يلي :

الأخ الكريم والصديق الحميم نجم الدين أربكان حفظه الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

فقد كان همي كبيراً عندما سمعت برقيتكم التي تعلن فرحتكم بهدم العراق وقصده، وكم كانت فرحتي كبيرة عندما قرأت نفيكم لما نسب لكم من افتراء وبهتان.

يا أخي نجم الدين: هل يوجد أشرف من معركة يتصدى لها

العراق إلى هذا الزحف الصليبي الصهيوني الذي يهدف إلى قتل أمتنا،
وهدم حضارتنا؟

أين صوتكم المدوي في وجه الصليبية الثانية والعدوان الصهيوني؟
إنه لأمر غير محتمل أن تنطلق طائرات الحقد الصليبي من أرض
بني عثمان، لتنقض على الموصل بلد عماد الدين وابنه نور الدين
الشهيد، وعلى كركوك، لقتل العرب والأتراك والتركمان، وهدم
المنشآت !!

أستحلفك بالله يا نجم الدين، أيها المجاهد أن تدخل المعركة
ضد هذا البغي وهذا العدوان، وأن تبرئوا الشعب التركي من هذا
الانحراف الذي وقعت به، وارتكتبه الحكومة التركية، أوافقوا طغيان
أمريكا في تركيا على الأقل، وإن الجرح لن يندمل بين العرب
والأتراك، وهذا ما يتمناه ويسعى إليه الصهاينة والأمريكان.

لقد صممنا على الثبات الذي نستمد من الله في هذه المعركة،
لنعيش في ظل الإسلام سعادة، أو نقضي في سبيل الله شهادة.

أخوكم

عدنان سعد الدين

مطلع شهر آب ١٩٩٠

ب - أعقبت ذلك ببرقية أخرى مطولة في ١٢-٨-١٩٩٠ جاء

فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ الكريم والصديق الحميم نجم الدين أربكان حفظه الله تعالى
ورعااه.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأسأل الله جلت قدرته أن يسدد خطاكما، وأن يجعل التوفيق حليفكم، وأن يكتب على يدكم خلاص تركيا من كل تسلط أمريكي، ونفوذ أمريكي، وإفساد صهيوني، ل تستعيد تركيا دورها في الدفاع عن الإسلام، والتصدي لكل من يريد شرًا بالإسلام والمسلمين وبعد:

أخي العزيز نجم الدين المحترم:

سالت عنكم، وحاولت جهدي أن أقاوم في يومي الجمعة والسبت دون جدوى، لقد اتصلنا بالحاج فهيم، فأعلمنا ولده عبدالله بأن والده في قونيه، ويرجح أنكم كذلك في قونيه، كم كنت حريصاً على زيارتكم، لتناول الأحاديث حول الأحداث الساخنة التي تشهد لها بلادنا، وهي أحداث مصيرية على مستقبل المنطقة بأسرها، بعد أن قيس الله من يقول لأمريكا: لا، ولإسرائيل: لا، وللغرب كله: لا، بعد ثلاثين عاماً من الصمت والخضوع والخنوع، حتى صار الناس ينظرون لأمريكا وكأنها القدر الذي لا يرد، ولإسرائيل وهي تعربد على أرضنا وتحت سمائنا، و ٢٥٠ مليون عربي يطأطئون رؤوس المهانة أمام طغيانها، ثلاثون عاماً، ونحن نتجرع كؤوس الخنوع، لأن الحكم أو معظمهم عبدوا أمريكا من دون الله، حتى استيقظ الناس على صحة من نبه الغافلين، مذكراً أن الله هو الحق المبين، وأنه

القوى الممتين، وأنه القادر والقاهر، وأنه الغالب والناصر، وأن كل شيء بأمره، وأنه على كل شيء قادر، فحشد الأعداء كل ما في مقدورهم لإسكات هذه الصيحة، تستعيد أمتنا الإسلامية دورها، وتحرر إرادتها، وتستأنف وبالتالي أداءها لرسالة الإسلام، وعمل العدو جاهداً أن يضرب شعوب الأمة الإسلامية بعضها ببعض، وأن يجعل من تركيا قاعدة لعدوانه، وشرعت الطائرات الأمريكية بالاقتراب من حدود العراق على الأرض التركية تمهدأ للعدوان.

لقد كان الموقف التركي معتدلاً، بصورة عامة، ولكن هذا ليس كافياً، فالمسلمون في كل مكان، والعرب خاصة، يتظرون على آخر من الجمر صرخة نجم الدين في وجه الأمريكية، كما هي عادته يوم فضح الصهاينة، ليفهم الغرب، ولتفهم أمريكا أن تركيا وأن الشعب التركي الشقيق، لا يقبل بأي حال أن تكون أرضه منطلقاً للعدوان على أرض الخلافة العباسية وأرض القادسية، وأرض الإمام علي وابنه الحسين، وأرض أبي حنيفة وابن حنبل، وأرض حذيفة بن اليمان كاتم أسرار الرسول، لن يرضى الشعب التركي أن تعرّيد طائرات الحقد في سماءبني عثمان، لتتقضى على العراق، وتقذف حممها، وتقتل أحفاد الرسول، وتهدم قبر الإمام الكاظم، وقبور أبي حنيفة النعمان.

يا أخي يا نجم الدين: هذا أوان صحيحتك، ينتظر المسلمون سماعها، لتعلم الدنيا أن الأخوة الإسلامية بين الأتراك والعرب أقوى من كل الدسائس والمؤامرات وقرارات حلف الناتو، فالناتو قام للوقوف في وجه الشيوعية وحلف وارسو، وليس للعدوان على

العراق، فالخطر على تركيا لا يأتي من العراق، ولم يأت فقط من العراق، العراق الذي ساند جارته تركيا في تطويق التمرد وحركات الانفصال، وسمح للقوات التركية أن تطارد أعداءها في العمق العراقي، فليتذكر أوزال هذه المواقف إن كان ناسياً، ولتعلم بأن الـ ٣٠ مليون التي تعهد جابر الأحمد بدفعها لتركيا تعويضاً عن عائدات أنبوب النفط العراقي لن تكون البديل عن العلاقة الأبدية بين العراق وتركيا منذ خمسة عشر قرناً، وحتى يرث الله الأرض ومن عليها.

يا أخي نجم الدين: أيها النجم الساطع والأمل اللامع في سماء تركيا، نتظر الموقف الذي أنت به جدير، لتتلذج صدور المؤمنين، والله يقول الحق، وهو يهدي السبيل.

صباح الأحد في ١٢-٨-١٩٩٠

أخوكم

عدنان سعد الدين

جـ- ثم وجهنا رسالة إلى رئيس جمهورية تركيا توركوت أوزال عبر المجلس التنفيذي الدائم للمؤتمر الإسلامي الشعبي العالمي تتعلق بموقف تركيا من العدوان على العراق، فيما يلي نصها:

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على إمام المجاهدين سيدنا محمد، وعلى آله وصحابته الغر الميامين وبعد:

فخامة رئيس الجمهورية التركية الشقيقة توركوت أوزال الأفخم، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

باسم الأخوة الإسلامية التي جمعت بيننا، وباسم التاريخ المشترك الذي كان لشعب تركيا دور هام فيه، والذي هو محل اعزازنا جميعاً، وباسم الدماء التي جرت بغزارة من العرب والترك في خندق الدفاع عن الإسلام ونشره، وباسم المستقبل الواعد الذي ننشده جميعاً لنكون في المكان اللائق بنا، لأن الأيام القادمة هي للإسلام وأهله بعد سقوط الشيوعية، وإسقاط أمريكا، فعلى أنقاضهما ستقوم دولة الإسلام، كما قامت على أنقاض دولتي فارس والروم، وقد وعد الله بذلك ووعلمه الحق: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ يُظْهِرُهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾.

باسم كل ما ذكرت، وباسم كل ما لم أذكر من الروابط المشتركة بيننا وبينكم، والقيم الإنسانية التي تؤلف بيننا نحاطبكم اليوم، وفي هذه اللحظات الحرجة من تاريخنا لتضعوا حداً لحالة التردي في العلاقات بينكم وبين الأمتين العربية والإسلامية، بل بينكم وبين شعوبكم العظيم الذي لا يقبل أن تستخدمن أرضه للعدوان على أخيه وجاره العراق العظيم، فلا تسمحوا للصليبية الجديدة واليهودية المفسدة أن تجعل من أرض الخلافة والمجد والعز والإباء في تركيا الشقيقة معبراً لتنفيذ أغراضها المجرمة، فلطالما كان الشعب التركي في خندق الإسلام والمسلمين، فلا نريده، أن يكون في خندق عداوته ومحاربته.

فما هي حال محمد الفاتح الآن في قبره؟

بل ما هي حال أبي أيوب الأنباري، وشهداء الإسلام على ثرى تركيا الطهور؟

فهل يرضى مولانا جلال الدين الرومي عبر طائرات العدوان من فوق قبره لتتصف إخوة الإيمان في العراق الأشم؟

يا فخامة الرئيس :

عهداً في تركيا المسلمة أن تكون بوابتنا على أوربا لنعيد أمجاد الفتوحات الأولى ثانية، وما دار في خلتنا يوماً أن تكون بوابة أوربا علينا لتصدر لنا من خلالها صواريف الدمار، وقنابل الإحرق، وأمواج الموت والخراب، ولتكون خندقهم المتقدم الذي يحاربنا ويؤذى أطفالنا ونساءنا.

لقد رأى المؤتمر الإسلامي الشعبي العالمي الذي عقد في بغداد مؤخراً أن من واجبه أن يحيط فخامتكم بمقرراته، ويطلعكم على أحاسيس علماء الأمة في مشارق الأرض ومغاربها، وما يعلقونه على بلدكم من أعمال في وقفة متميزة تحفظ للأمة الإسلامية وحدتها وكرامتها، ولكن ظروفاً عديدة حالت دون ذلك، ولعلنا نتمكن من ذلك في وقت قريب إن شاء الله، فاثرنا أن نقدم إليكم هذه المذكرة لعلها تقوم ببعض المراد، وقد ضمنناها التماساتأعضاء المؤتمر ورجاءاتهم، ومطالبهم التي يرونها حقاً من حقوقهم عليكم، وعلى الشعب التركي الشقيق، توثيقاً لعروى الأخوة التي لا ترغبون أن تصرم، وهي بانتظار موقفكم المشرف، لينقلوا ذلك إلى شعوبهم، وليسجلوا لكم ولشعبكم الأصيل صفحة من المجد والموافق المشرفة، وكلنا أمل أن لا يسجلوا غير ذلك مما لا يليق بتركيا التاريخ والخلافة والمجد.

ومما يجدر ذكره أن أمريكا لو لم تجد موافقة جهات معينة من الأمة العربية والإسلامية على معاونتها وتحقيق رغبائها لما أقدمت على عدوانها، ولأثرت الحل السلمي، وقد كان ذلك ممكناً لو تخلت أمريكا عن غطرستها وحقدها الصليبي على العراق وأمننا جماء.

أما وقد وقع المحذور فالواجب الآن يقتضي أن نمنع التمادي والاستمرار في العدوان، وهذا يتطلب من تركيا الجار والأخ والإنسان أن تحول بين العدوان واستمراره، وأن تمنع استخدام أراضيها للعدوان على شقيقها العراق، وأن توجه جهدها إلى إجراء مباحثات سلام لحل الأزمة.

لقد امتدح الرسول ﷺ جيش تركيا بقوله: ستفتح عليكم القسطنطينية، فلنعلم الأمير أميرها، ولنعم الجيش جيشه، وهذا لا يكون إلا إذا كان جيشه وأميرها للإسلام يعملون.

لنا فيكم يا فخامة الرئيس وطيد الأمل، وفي شعبكم أن لا تخيبوا أمل الرسول والإسلام والأمة والتاريخ، ونحن بانتظار ما يشجع الصدور، وبوقفة عز منكم ومن شعبكم، والتاريخ بانتظار ما تفعلون، وصدق الله العظيم: «وَأَنَّفُوا يَوْمًا ثُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ ثُوَّقُى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ».

نائب الرئيس المساعد

الأمين العام المساعد

الإسلامي الشعبي العالمي

للمؤتمر الإسلامي الشعبي العالمي

د. علي الفقير

عدنان سعد الدين

-٨- أبأني مندوينا في أنقرة عن طريق همزة الوصل بين مكتبنا والحكومة أن شخصية كبيرة في استنبول، يرغب أن يتلقى بي ليسمع مني الرأي في السياسة التركية ظناً منه أنني أستطيع أن أقدم لهم رؤيا أو مشورة هم بحاجة إلى سماعها، التقيت الشخصية ولا أدرى من يمثل من المؤسسات التركية، أمنية أو عسكرية أو سياسية، فسألني:

- بم تتصح حول السياسة التركية؟ وبيم تتصح، أو ما الذي تتصح به؟

قلت: أختصر لك الإجابة حول ثلاثة محاور:

٩- المحور الأول يخص علاقتكم بالعراق، والصيغة التي تجعلكم في مأمن من خطر الشمال العراقي، فإذا كانت بغداد قوية ومسطيرة على المنطقة الكردية والمناطق الجبلية الوعرة، فإن الحكومة العراقية المركزية تكفيكم الثورات والفوضى التي تشغل الجيش التركي، وتستجره إلى معارك دموية لا طائل لها، بل وتغرق الجيش في معارك مستمرة تستهلكه وتفنى سلاحه وأبناءه دونما طائل أو انتصار، فتكون المنطقة الكردية مصدر استنزاف دائم تنتهي بتركيا إلى الدمار أو إلى الإضعاف والوهن على المدى الدائم أو البعيد، ولذا فمن مصلحة تركيا أن تكون حكومة بغداد المركزية قوية، لتكفي تركيا مسؤولة الشمال العراقي والمنطقة الكردية، وهذا مالا يريده حلفاؤكم الغربيون والأمريكان، بل يريدون أن تكونوا في صراع وخصام مع العراق، لإضعاف كلا الجارين المسلمين، كالذى أرادوه من الحرب المدمرة التي نشبت بين العراق وإيران على مدى ثمانى سنوات، فدمرت قوى البلدين، وأهللت الحرج والنسل.

بـ- أما المحور الثاني الذي لا يقل أهمية عن الأول، فيتعلق بالحياة الاقتصادية التركية، وبالصلة بالعالم الثالث، إن تركيا تعمل جاهدة وتطمح أن تكون جزءاً من الاتحاد الأوروبي، وهذا من حقها ومن مصلحتها، ولكن لا ينبغي أن يكون هذا العمل وهذا المسعى على حساب العلاقة مع الوطن العربي والعالم الثالث بما فيهما البلاد الإسلامية، إن أوروبا تقدم صناعياً واقتصادياً على تركيا بعقود أو بأكثر، ومن ثم فليست بحاجة إلى تركيا اقتصادياً، واستيراد الفائض من إنتاجها، أما العالم الثالث، ولاسيما القارة الإفريقية فهو بحاجة إلى الصناعات التركية الخفيفة والغذائية وصناعة الملابس والأثاث وغيرها، لأن تركيا متقدمة على الوطن العربي والعالم الإسلامي والقارة الإفريقية، وثمة معابر من تركيا إلى آسيا وإفريقيا، ولاسيما السودان مفتاح القارة السوداء، وهو يرحب بتنشيط الصلات الاقتصادية والإنسانية مع تركيا، وإذا ما حدث هذا فإنه يستهلك ويختص الفائض من الإنتاج التركي على كل الصعد، والخلاصة، فإن الصلة مع الاتحاد الأوروبي لا ينبغي أن تكون على حساب الصلة مع العالم الثالث، بل تكون متوازية معها، فتركيا تأخذ من الاتحاد الأوروبي ومن الغرب ما يساعد على تطويرها وتقدمها، وتعطي للعالم الثالث ما هو بحاجة إليه، وهو متوفّر في تركيا.

جرى هذا الحديث في ثمانينيات القرن الماضي، فلم يحل العقد الأخير، والأول من القرن الحادي والعشرين، حتى أعطت تركيا أهمية كبرى لدول الجوار والوطن العربي وأقطار الشرق الأوسط والعالم الثالث، فنشطت علاقاتها بها على كل الصعد، السياسية

والاقتصادية، وعلى جميع المحاور الأخرى، فحققت تقدماً كبيراً، ولاسيما على الصعيد الاقتصادي، وأحرزت نجاحاً فاق الطموحات التي كان الشعب التركي يتطلع إليها.

جـــ وعلى صعيد العلاقات مع الأحزاب ذات اليمين وذات الشمال، ومع حركات المعارضة والمنظمات التي تختص بالمقاومة، مثل حركة حماس ذات الامتداد على الساحتين العربية والإسلامية وخارجها، فمن المفيد الالتقاء بها، وال الحوار معها، والاستماع إلى وجهات نظرها، وتوجيه النصح لها، فإن في ذلك فوائد كثيرة، وإذا كان العدو الصهيوني مستعداً للحوار مع حماس إذا اعترفت بأن لها الحق في الحياة، فمن باب أولى أن تكون تركياً مستعدة للحوار مع حماس ذات الجذور العربية والإسلامية، ولا تكون متشددة معها، أو متحفظة حيالها أكثر من أعدائها.

أجاب المسؤول التركي: لقد شعرنا أن سياسة العزلة التي مارسناها قد ألحقت أضراراً كبيرة بتركيا، وأن علينا أن نغير هذه السياسة، ونخرج أنفسنا من هذه العزلة، ومن سياسة الانطواء على الذات في الأيام المقبلة، ثم أبلغني باستعدادهم لاستقبال وفد من حماس، أو مندوب عنها.

سارعت بعد العودة إلى إبلاغ حماس عن استعداد الأتراك لاستقبالهم في أقرب فرصة، وكان مكتبهم في عمان لا يزال مفتوحاً ومعترفاً به.

انتهزنا أول فرصة بالسفر إلى تركيا بدعوة من أربكان إلى استنبول

لحضور ذكرى فتح القسطنطينية ونزلنا في أنقرة، فتم لقاء ما بين المندوب التركي، ومندوب عن حركة حماس (محمد نزال)، وبعد القيام بواجب التعارف، استأذنت في الحديث لخمس دقائق فقط، ثم تركتهما لشأنهما، قلت: إن الأتراك استلموا القدس عام ١٩١٧ واستلمها منهم العرب عام ١٩١٧، أي حافظ الأتراك على القدس أربعة قرون، وهذا رصيد كبير، ومجد تليد، لا ينبغي للأتراك أن يفرطوا فيه، أو يزهدوا به، وإن له نتائج إيجابية على العلاقة بين الترك ومسلمي العالم على جميع الصعد السياسية والاقتصادية، وفي المحيط الدولي، فكان اللقاء أخوياً وودياً وعاطفياً، وبعد أن تكلم المسؤول التركي، ومندوب حماس لفترة قصيرة لا تزيد على خمس دقائق، استأذنت بالانسحاب لأن مهمتي التي تقتصر على التعارف بينهما قد انتهت بالتوفيق من فضل الله.

أعود لأقول: إن مواقف الحكومة التركية برئاسة أردوغان حيال فلسطين في أحداث غزة بوأت الأتراك موقفاً عظيماً تقدموا به على كثير من الدول العربية.



التجربة العاشرة

مع الشعب التونسي الشقيق

كانت الشقيقة تونس كالنجمة التي تشع في جنبات دول الشمال الأفريقي، في الانتماء الوطني والقومي العربي والقضية الفلسطينية، أكثر من غيرها من بلاد المغرب العربي، بل ومن بلاد المشرق العربي. فمنذ عشرينيات القرن الماضي شهدت تونس مظاهرات ليلية غير مسبوقة ضد التحرك الصهيوني وزيارات وفوده إلى تونس، وظل الأمر هكذا في تصاعد على مستويات الحزب الحاكم -الحزب الدستوري القديم- والجمعيات الأهلية والإسلامية، حتى أصبحت تونس نموذجاً للكفاح العربي ضد الاستعمار، وضد الصهيونية منذ العشرينيات وحتى متتصف الثلاثينيات حين انعطف الحبيب بورقيبة بالشعب التونسي عن وجهته ذات الإطار العربي والفلسطيني على وجه الخصوص، إلى الإطار الوطني والم المحلي التونسي ليقطع ما بينه وبين القضية العربية في كل أنحاء الوطن العربي، وذلك بعد أن انشق الحزب على يد بورقيبة، ليقود الحزب الذي حمل اسم الحزب الحر الدستوري الجديد.

١ - لقد كتب عدد من كتاب المغرب العربي عن تطور الوعي القومي في المغرب العربي، وعن دور القضية الفلسطينية في تعميق الوعي العربي في شمال إفريقيا، كتب الدكتور الهادي التيمومي من كلية الآداب التونسية بحثاً خصه بتونس في هذا الشأن، ربما كان أهم ما كتب في الموضوع، نشرته مجلة المستقبل العربي التي تصدر في بيروت، وبالرغم من نزعة الهادي الماركسيّة جاء بحثه شاملأً وناضجاً، ولذا وقع الاختيار عليه في هذه الدراسة ليكون مقدمة ومدخلاً للتحرك الإسلامي في تونس فيما بعد، وفيما نورده من مقتطفات من هذه الدراسة .

منذ اكتسح الفرنسيون تونس عام ١٨٨١ ، جدّت في بقية أرجاء المنطقة العربية قضايا جسمية، أثرت إيجاباً في الوعي القومي العربي في تونس، نذكر منها على سبيل المثال: الغزو الإيطالي للليبيا عام ١٩١١ ، ثورة عبد الكري姆 الخطابي في المغرب الأقصى سنة ١٩٢٥ ، وتأسيس جامعة الدول العربية عام ١٩٤٥ ، إلا أن القضية التي ساهمت أكثر من غيرها في تعميق الوعي العربي في تونس هي القضية الفلسطينية، إذ إن زرع دولة أجنبية في قلب الوطن العربي يهدف كذلك فيما يهدف إليه، خنق حركة التحرر العربية، ومنعها من تحقيق أهدافها الوحدوية والتقدمية، وممّا نود إبرازه من أهدف الاستعمار الفرنسي مزامناً الهدف الاقتصادي: يتمثل فيمحو التراث العربي الإسلامي للشعب التونسي، وفرض قيمه الثقافية والأيديولوجية على تونس والمستعمرات الأخرى .

إن الاستعمار الفرنسي هو استعمار عسكري، واستعمار توطيني، واستجلاب أكبر عدد من الفرنسيين، وتجذيرهم في تونس، لقلب ميزان القوى السكاني لصالح فرنسا على المدى الطويل.

لقد رسم الاستعمار الفرنسي لنفسه مهمة قطع صلات الشعب التونسي بعروبه، وذلك بضرب مقومات الانتماء القومي العربي للشعب التونسي، والتي تشمل الأواصر الاقتصادية القائمة بين تونس وبقية أرجاء الوطن العربي، كما تشمل اللغة العربية، والتراث الثقافي والديني المشترك.

لقد تشكلت الأمة العربية مع ظهور الإسلام، فقامت علاقات اقتصادية تبادلية بين تونس وبقية أرجاء الوطن العربي، فعملت فرنسا بعد عام ١٨٨١ كل ما في طاقتها على قطع هذه الصلة، ومزاحمة الإنتاج التونسي، وإغراق تونس بالبضائع المستوردة بأحسن الأثمان.

أما القضاء على العلاقات الاقتصادية بين تونس والجزائر وليبيا فلم يكلف فرنسا أكثر من تدعيم المراقبة العسكرية على الحدود، ليتم تحويل الاقتصاد التونسي إلى اقتصاد تابع هيكلياً للاقتصاد الفرنسي.

عملت كذلك فرنسا في ذات الوقت على إضعاف الروابط الأخرى مثل اللغة والتراث الثقافي والديني المشترك مع الشعب العربي والبلاد العربية، وشجعت اللغة العامية التونسية واللغة البربرية، وأقصت اللغة العربية عن تدريس العلوم العصرية، وأظهرت الإسلام بمظهر الدين المعادي للتقدم، وعملت على الترويج بأن دور العرب في الحضارة الإنسانية هو مجرد تمرير التراث الإفريقي والروماني إلى أوروبا، وأن

عباكرة الحضارة العربية والإسلامية ليسوا عرباً، وأظهر الفرنسيون الوحيدة العربية في مظهر الأمر المستحيل، ليحققوا هدفهم الكبير في فصل تونس عن بقية أرجاء الوطن العربي.

إذا كان من اليسير على فرنسا تفتت العلاقات الاقتصادية لتونس، فإنها رغم إمكانياتها الهائلة لم تنجح في فك الأواصر اللغوية والثقافية والدينية، بل إن هذه الأواصر لم تتضعضع، بل ازدادت متانة ورسوخاً.

لقد ظل التونسيون أوفياء للتزاماتهم القومية بالرغم من الإرهاب الأسود المسلط عليهم، فكانت أول جريدة تونسية صدرت بعد غزو فرنسا لتونس ناطقة بالعربية، وهي جريدة الحاضرة لعلي بوشوشة الذي فضل التعبير الصحفى باللغة العربية، رغم إتقانه الجيد للغات الأخرى ومنها الفرنسية.

كسر التونسيون الحصار الإعلامي عليهم، حيث أيد الشاذلي خير الله في جريدة: الليبرالي في ٢١-١١-١٩٢٥ نضال الشعب السوري ضد فرنسا، فلاحظته السلطات الفرنسية عدلياً - قضائياً، وأطلق الصحفي زين العابدين السنوسي على مطبعه التي أسسها غداة الحرب العالمية الأولى اسم: مطبعة العرب، كما اختار للنشرات الشهرية التي كان يصدرها: العرب، ومقالات العرب، ولطائف العرب.

لقد أسست متدìيات أدبية وجمعيات علمية، كان من أهدافها المحافظة على العروة الوثقى التي تربط تونس بقية أرجاء الوطن العربي، وبذلت الجمعية الخلدونية جهوداً كبيرة للتعریف بأمجاد

الحضارة العربية، ونشرت العلوم الطبيعية باللغة العربية لسد الثغرة الموجودة في الجامعة الزيتונית، التي رفضت فرنسا تحديث برامجها. وقد ناضلت حركة تونس الفتاة لأجل إعطاء اللغة العربية مكانة أهم في التعليم إلى جانب اللغة الفرنسية.

من جهة أخرى لم يتزدّد التونسيون حين غزت إيطاليا ليبيا في مساندة الشعب الليبي بالمؤن والسلاح والمتطوعين، كما أبدى التونسيون تعاطفاً فياضًا مع الثورة المسلحة التي شنها عبد الكريم الخطابي في منطقة الريف في المغرب الأقصى، وذلك بجمع التبرعات المالية، والقيام بحملة لإجبار فرنسا على عدم إرسال الجنود التونسيين إلى المغرب، كما أُسست في عام ١٩٢٦ في باريس منظمة سياسية تحت اسم: نجمة شمالي إفريقيا، كان رئيسها التونسي الشاذلي خير الله، وكاتبها العام مصالي الحاج، ويتبين من اسمها أنها ذات آفاق قومية. كما أُسست في عام ١٩٢٨ في باريس جمعية شمالي إفريقيا للمسلمين، وكان المبدأ الذي قامت عليه هو تمين الرابطة القومية بين طلبة شمالي إفريقيا.

في سنة ١٩٤٥ أصدر المناضلان يوسف الروysi والحبيب تامر جريدة في ألمانيا باسم المغرب العربي. وفي آب عام ١٩٤٦ عقد مؤتمر في تونس حضرته كل التنظيمات والتيارات السياسية، أوصى بانضمام تونس إلى جامعة الدول العربية غداة حصولها على الاستقلال.

في أواخر الأربعينيات وبداية الخمسينيات طالبت كل المنظمات

الجماهيرية، النقابية والثقافية بتعريب الإدارة والتعليم.

حين اندلعت الثورة الجزائرية المسلحة في بداية تشرين الثاني ١٩٥٤ هب التونسيون لنصرتها بالمال والسلاح والتطوعين، وعندما رأى الأمين العام للحزب الدستوري الجديد موقف حزبه المتمثل في قبول حل الاستقلال المنقوص، قام بإرسال جيش سماه جيش تحرير تونس، وأوكل له مهمة التنسيق مع جيوش المغرب العربي بهدف تخلص كل المغرب العربي من الاستعمار.

كل هذه الأمثلة تكشف بجلاء عمق الروابط القومية بين تونس وبقية أرجاء الوطن العربي، إلا أن المثال الأكبر دلالةً هو تفاعل التونسيين مع القضية الفلسطينية التي ساهمت بدورها في تنمية هذا الوعي القومي العربي للشعب التونسي.

٢- بذل القياديون الصهایین مثل: الفرد فالنزي مؤسس أول تنظيم صهيوني في تونس، وفيليكس علوش، وريني كوهين نشاطاً دعائياً كبيراً، حتى بلغ عدد الصحف التي أصدروها في النصف الأول من القرن العشرين أكثر من ثلاثين جريدة ناطقة بالفرنسية.

كان للأحزاب السياسية والجمعيات مواقف متباعدة من الحركة الصهيونية، فالحزب الشيوعي التونسي الذي أسس عام ١٩٢١، كان تابعاً للفرع الفرنسي للأممية الشيوعية، وقد أصبح للشيوعيين في تونس غداة الحرب العالمية الثانية ثقل لا يستهان به في الحياة السياسية في تونس عن طريق المنظمات النقابية التي كانت تدور في فلکهم، مثل الاتحاد النقابي وغيره، ولأن الشيوعيين جاهروا بالعداء

للنازية، فكانوا يعملون في العلانية، بينما كانت الأحزاب الأخرى القادرة على مواجهتهم محظورة من الفرنسيين بدعوى تأييدها وتوافقها مع النازية.

وكانت الحركة الشيوعية تهدف فيما تهدف إلى خنق حركة الوحدة العربية.

وفي سنة ١٩٤٧ سقط الحزب الشيوعي في خطأ مميت حين بارك مساندة الاتحاد السوفياتي لقرار تقسيم فلسطين من طرف منظمة الأمم المتحدة.

٣- أما مواقف الأحزاب التونسية تجاه القضية الفلسطينية فإنها تختلف عن موقف الحزب الشيوعي.

٤- فالحزب الدستوري القديم هو أول حركة سياسية في تونس استطاعت أن تشد انتباه قثاء كثيرة من السكان المسلمين إلى ما يقوم به صهاینة تونس، وصهاینة الخارج من نشاط ضد العرب، وكان يستغل منابر المساجد لإشعار السكان بالأوضاع المأساوية في فلسطين، كما أنه لم يتوقف عن إرسال البرقيات للاحتجاج على توافر إنكلترا مع الصهاینة في عصبة الأمم، ثم أنشأ الحزب في حزيران ١٩٣٦ لجنة إغاثة فلسطين الشهيدة، لجمع التبرعات المالية لنصرة فلسطين، ولم يبق طلبة الجامعة الزيتונית بمنأى عن الحركة الجماهيرية المساندة لفلسطين، فجامعة الزيتونة يعود تاريخها إلى أربعة عشر قرناً، وقد ظلت مركز إشعاع العلوم الدينية واللغوية والأدب على مر الأجيال، إلا أن فرنسا رفضت تحديدها، وإدراج

العلوم الطبيعية ضمن برامجها كما رأينا من قبل.

لقد أصبحت القضية الفلسطينية بعد صدور قرار التقسيم حدث التونسيين، وشغلهم الشاغل، فتطلعآلاف من الشبان التونسيين المسلمين للقتال في فلسطين ضد جحافل الغزو الصهيوني، وقد وصل عدد من المتطوعين في ١٩٤٨-٥-٣٠ حسب الاستعلامات الفرنسية إلى ٢٦٧٦ متطوعاً، وقد حاولت السلطات الفرنسية عرقلتهم بشتى الوسائل ففشلوا، فنصبت بالتعاون مع بعض الخونة، كميناً للمتطوعين في الجنوب التونسي.

إن أغلب المتطوعين لم يتمكروا من الوصول إلى الشرق العربي، وقد عانوا كثيراً من الجوع والعطش والعيش في العراء، والسير على الأقدام، ومضائقات السلطات الإنكليزية والفرنسية في كل من ليبيا ومصر وخاصة.

بـ- ومن الحركات التي أيدت القضية الفلسطينية بقوة وحماسة جمعية الشبان المسلمين، وهي تنظيم ديني وسياسي، أسس في صيف ١٩٣٤، وشكّلت قيادته من مثقفين تقليديين، أما قاعدته ف تكونت من طلبة الجامعة الزيتونية، وهذه الجمعية فرع من جمعية الشبان المسلمين في مصر.

لقد اشتهر رئيسها محمد الصادق بسيس الأستاذ في جامعة الزيتونية بكتاباته الصحفية الملتهبة حول القضية الفلسطينية، وأسس، باسم الجمعية وبالاشتراك مع بعض أساتذة الجامعة الزيتونية مثل الشاذلي بن القاضي والفالضل بن عاشور، تنظيمين هما: لجنة الدفاع

عن فلسطين العربية، ولجنة المؤتمر الإسلامي بتونس لحماية القدس الشريف، وقد انتشرت في كل المدن التونسية.

إن هذه الجمعية، على غرار الحزب الدستوري القديم، لا تفرق بين اليهودية والصهيونية، وهي -تبعاً لذلك- تنظر إلى القضية الفلسطينية على أنها صراع بين اليهود والمسلمين، وأن خط التباين بينعروبة والإسلام ليس واضحاً في كتابات قادتها وخطبهم، شأنهم في ذلك شأن قادة الحزب الدستوري القديم، فالقومية العربية والإسلام -بالنسبة لهم- وجهان لعملة واحدة، والتضامن العربي دائماً من ركائز التضامن الإسلامي.

ـ ظل شعب تونس وأحزابها وجمعياتها تؤيد بقوة قضايا العرب، ولا سيما القضية الفلسطينية، حتى ظهر على المسرح السياسي حزب سياسي نحا بالشعب التونسي منحى آخر، هو الحزب الحر الدستوري الجديد.

أسس هذا الحزب سنة ١٩٣٤ إثر انشقاق داخل الحزب الدستوري القديم، واستطاع أن يسيطر على قيادة الحركة الوطنية في تونس منذ الثلاثينيات وحتى عام ١٩٥٦ أي حصول تونس على استقلالها السياسي.

إن هذا الحزب لم يكن ينطلق في تعامله مع ما يجري في فلسطين من القانون العام الذي يقرر بأن مصير تونس ارتبط منذ القرن السابع الميلادي بمصير الأمة العربية الإسلامية، فهو يعتبر القضية الفلسطينية، وقضاياعروبة قضايا غير رئيسية، فمساندة هذا الحزب

للقضية الفلسطينية كانت من باب التضامن، وليس من باب الاتتماء إلى أمة عربية واحدة، فهو يعتبر أن القضية الفلسطينية هي قضية الشعب الفلسطيني أساساً، وبصفة ثانوية هي قضية بقية العرب.

إن فكرة الأمة التونسية التي يدافع عنها هذا الحزب، مأخوذة من فكرة القوميات في أوروبا، ولا تطبق على الواقع التونسي والعربي، وقد روج لها بعض المثقفين الاستعماريين في تونس، الذين تأثروا بها إبان دراستهم في فرنسا.

إن الحزب الدستوري الجديد كان يفرق بين اليهودية والصهيونية، وهذا ما دعا إليه بورقيبة، الذي جاء في كلمة طويلة كتبها في جريدة الحزب -العمل التونسي- : إن اليهودية دين، أما الصهيونية فهي مذهب سياسي.

إن الحزب الدستوري الجديد، كان أقل تشديداً من بقية التنظيمات والتيارات السياسية في مسألتي الدين والقومية (بل كان بورقيبة يجاهر بعدائه للإسلام والخروج على أحكماته) وهو التنظيم التونسي الوحيد الذي ضم في صفوفه بعض اليهود، دون أن يلتفت إلى أن اليهود في تونس بمن فيهم الصهاينة كانوا موالين قليلاً وقليلياً لفرنسا، وفاقوا في عدائهم للحركة الوطنية التونسية، غلاة الاستعماريين الفرنسيين أنفسهم.

د - في بغداد، حيث كنا نقيم، ظهرت حركات علمانية عربية تعادي الإسلام، وتتطاول على تنظيماته وشخصياته، وقد رأينا، فيما مضى من هذه الكتابة، حزباً سودانياً بعثياً يحقد على الإخوان

ال المسلمين في السودان، ويناصبهم العداء المعلن، ولاسيما في بغداد التي كانوا يتمتعون فيها بامتيازات كثيرة، ويشاركون في قيادتها القومية.

كان النزاع يتنا وينهم على أشدّه، ولاسيما في المؤتمرات الطلاوية، وعبر الوفود السودانية الإسلامية التي كانت تزور بغداد، وقد استمر هذا الصراع حتى كتب الله لنا التوفيق، فلم تعد وجهات نظرهم مقبولة، وحدث التقارب الكبير بين القيادة العراقية والقيادة الإسلامية السودانية، انبثق عنده اتفاقيات وتفاهمات وتعاون، من ذكرها تفصيلاً في صفحات سابقة من هذا المجلد.

ثم واجهنا تنظيم آخر ينتمي إلى البعث، ويتحدث باسم الاتحاد العام لطلبة تونس. فكان هذا التنظيم أشدّ عداوة للإسلام والإخوان، بل كان يجاهر بذلك في نشراته الحزبية وموافقه السياسية، فكتب علينا أن نخوض صراعاً كالذي جرى بيننا وبين البعثيين السودانيين من قبل.

في مجلة الاتحاد التي كان يصدرها البعثيون التونسيون، كانت ترد مقالات هابطة لا يمكن احتمالها أو السكوت عليها، ففي العدد الأول للسنة الحادية عشرة عام ١٩٨٥ جاء في الافتتاحية سفاهات ضد الإخوان، نورد مقتطفات منها، للتدليل على الصراع الذي نشب بيننا وبينهم، تقول الافتتاحية:

«إنك لتميزه حتى وإن لم يكن لك سابق معرفة به، حينما وجدته في معهد ثانوي أو في جامعة أو مؤسسة، ذلك هو الكثيب الذي هو

غالباً ما يحمل عاهة جسدية، أو عقدة نفسية، إنه الأخ المسلم، أو ما يطلق على جمعهم الإخوان المسلمين، شكله غريب، وتفكيره غريب، لا لغة له غير لغة العنف، ولا أخلاق له غير أخلاق المجرم المحترف.

إنه ذو تفكير مغلب يرجع لأيام وأد البنات، وأحلك أيام العرب في صراعهم الطائفي -القبلي-، يذرف دموع التماسح عندما تضيق به الدنيا، وينهار بمجرد إغراء مادي بسيط، إنه ذلك الذي يلهث وراء الزعاماتية الزائفية، وحب الظهور، فهو مستعد أن يتاجر بمبادئه وحتى بما يسمى عنده بـ«أيمانه الإسلامي»، إنه لغز محير، بل إنه خطيئة متنقلة، ولا تراني أسرفت حين أقول: إنه سرطان، هو ذلك الأخ المسلم الذي له ذقن العتروس».

ثم تتبع النشرة إسفافاتها، وتهرف بما لا تعرف، وتزيف الحقائق، ولا سيما فيما يخص الإخوان المسلمين في مصر، فتقول:

«يرجع تاريخ الإخوان المسلمين في مصر، وكان ذلك قبل ثورة يوليو ١٩٥٢، إذ نشئوا في جو مشحون، كانت بداياتهم أيام الملك فاروق، وتقريباً سنة ١٩٣٠، حيث اشتُدّعي زعيمهم حسن البنا إلى مقر الحاكم العسكري البريطاني ليسلمه ٥٠٠ جنيه لبناء أول شعبهم، وقد جاء ذلك على لسان حسن البنا نفسه في كتابه الدعوة والداعية (يزيف كاتب الافتتاحية ما جاء على لسان الإمام البنا الذي ذكر الحادثة، وذكر موقفه منها، وكيف ردّها قائلاً: «فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَانِيْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَقْرَحُونَ») مما أجرأ هذا الداعي على

الكذب والإفك والافتراء والنقل الممسوخ وغير الأمين.

يتبع الكاتب المفترى فيقول: وهذا الاعتراف ليس الأول، حيث ستقوم بريطانيا بالشهر على نشأتهم وترعرعهم في أحضان الإمبريالية البريطانية، ومن هنا كان الميلاد المشوه للقدر، حيث ترعرع كيانهم، واشتد عودهم، وتعددت أنصارهم بالترغيب والهدايا المالية تارة، وباللعبة على الإحساس والشعور الديني تارة ثانية.

وحين كانت الثورة تتحسس طريقها، وفي تناقض وقع بين عبد الناصر والإخوان، دبروا جريمتهم النكراء لاغتياله (كتب كثيرون من المفكرين والسياسيين المصريين عن هذه التمثيلية، تمهدًا لضرب جماعة الإخوان المسلمين في مصر).

وبالرغم مما تعرض له الاتجاه الإسلامي وقداته على يد النظام الذي سيطر عليه بورقية، العدو اللدود للإسلام وأهله، فإن البعثيين التونسيين اتهموا الحركة الإسلامية في تونس بالتعاون مع الحكومة التي تضطهدتهم وتطاردهم، دون حياء من هذا الزيف المفضوح والمكشوف.

ثم اتهم البعثيون التونسيون في مجلتهم الاتحاد تنظيم النهضة بارتباطهم بأوكار الجاسوسية الأمريكية، كما اتهمتهم بالوقوف في وجه القوى الوطنية فقالت: لقد كان تحرشهم ببعض القوى الوطنية واضحاً، وخاصة في داخل الجامعات، حيث كانوا السباقين إلى الممارسات في تحطيم أي مسارٍ نضالي، وأفشلوا منذ عام ١٩٨٢ أي تحرّك أو مسارٍ نضالي، كما أفشلوا كل محاولة طلابية، وخاصة في

المركب الجامعي تحت شعار: أسلمة الجامعة، وحتى، وهم يحاكمون، اتهمهم هذا الحزب المسلح بأنهم لو لا المحاكمات التي أرادوها بشروط مخجلة لدخلوا الانتخابات!!

تختتم افتتاحية العشرين التونسيين بليل من السباب الذي لم نسمع بمثله من قبل، مثل: اللعنة للمرة الألف على زمن أفرز أمثال هذه المكروبات، وسلطها على رقاب أبناء شعبنا العربي في تونس . . . إلخ، هذا هو تاريخ الإخوان المسلمين، ومهما كتب عنهم فهو قليل، فهم ذوو نشأة وسخة، تاريخها حافل بالخيانة، وحاضرها مترد، بل إنهم استخدموا كلمات نابية وعبارات هابطة يعف الكاتب عن ذكرها، وكأنها خارجة أو صادرة عن قمامنة يضع الإنسان يده على أنفه حتى لا يشم نتنها.

هـ- لم يكن السكوت على هذا المستوى الهاابط ممكناً، مهما كانت النتيجة، فحصل الصدام بينهم وبيننا كالذى سبق وحدث مع العشرين السودانيين، ولم يكن الصبر وارداً على من يتطاول على الاتجاه الإسلامي - الإخوان المسلمين - وعلى قيادات الحركة الإسلامية في مصر وتونس وغيرهما بدءاً من الإمام الشهيد حسن البنا، طيب الله ثراه، فاتبعنا طريقاً آخر لإسكاتهم، وقطع ألسنتهم، وتحطيم أقلامهم، فرجعنا إلى القيادة العراقية الحاكمة، نبحث هذا الأمر معها، ونلومها ضمناً على صدور مثل هذا الإسفاف في بغداد، وفي ظل السلطة القائمة، وبعد فترة وجيزة، نقدر أن الأمر عرض على القيادة العليا، جاءت الإجابة شافية، مستنكرة ما كتب وما نشر،

وأن هذا التصرف لا يمثل القائمين على السلطة ولا يرتكبونه، وأنهم سيعالجون الأمر حتى لا يتكرر مثل هذا السلوك، وبالفعل انتهينا من شر هذا الفريق الذي نشأ في ظل بورقيبة، وتشرب مبادئه وحقده على الإسلام والمسلمين، وإن كانوا يختلفون معه في السياسة تبعاً لمواقف قيادتهم العليا. وهكذا يسر الله أمرنا، وعلت كلمتنا، فأسكننا هذا الصوت النشار، ولم نعد نسمع له حسأ ولا ركزاً، والحمد لله الذي بنعمته تم الصالحات.

وإذا كان الشيء بالشيء يذكر، فمن الواجب أن نذكر موقف الأستاذ مسعود الشابي الذي كان عضواً في القيادة القومية لحزب البعض، إذ قال أكثر من مرة: إن إخوان تونس هم الذين أعادوا لتونس طابعها العربي والإسلامي، بعد أن حاول بورقيبة اقتلاعها من محيطها العربي والإسلامي، وإلهاقها بالغرب، وطمس هويتها العربية، وإخراج شعبها العريق من الإسلام، فكان الفشل حلifieh بعد ظهور الحركة الإسلامية في تونس، فلهم اليد الطولى - كما يقول الشابي - في تأكيد هوية تونس العربية الإسلامية، والعودة بها إلى ما كانت عليه منذ أربعة عشر قرناً.

٤ - وبما أن حركة الاتجاه الإسلامي أو حركة النهضة - فيما بعد - الإخوان المسلمين - كانت هي المستهدفة من النظام العلماني المعادي للإسلام، ينبغي إعطاء لمحة موجزة عن الإخوان في تونس، وما تعرضوا له من مطاردة واضطهاد.

منذ سنة ١٩٨١ تقدمت حركة الاتجاه الإسلامي بتونس بطلب

للحصول على ترخيص من وزارة الداخلية، فكان الرد هو اعتقال ١٠٦ أشخاص من قيادات الحركة وأعضائها البارزين بتهم باطلة أثبتت المحكمة التونسية بطلانها في أيلول ١٩٨١، ومع ذلك أصدرت المحكمة نفسها حكاماً بالسجن لمدة عشر سنوات على عدد من الأعضاء، بدعوى تكوين جمعية دون ترخيص !!

إثر تدخلات عربية وإسلامية، وتحرك منظمة العفو الدولية والمعارضة التونسية في الداخل، اضطر النظام إلى الإفراج عن المعتقلين قبل نهاية المدة في صيف ١٩٨٤ .

وفي صيف ١٩٨٥ شن اليساريون حملة إعلامية تتهم الإسلاميين بالظلمامية والرجعية .

وفي صيف ١٩٨٦ بدأت الحملة ضد محمد المزالى رئيس الوزراء السابق بتهمة تعامله مع الإسلاميين من خلال بدايات التعريب التي أنجزها في وزارة التربية .

في الشهر السابع لعام ١٩٨٦ جهزت الحكومة التونسية قوائم للإسلاميين في وزارة الداخلية، وسحبت جوازات السفر لأعضاء التنظيم أو بعضهم، وشرعت الأجهزة الأمنية في متابعتهم، وإخضاعهم لمراقبة بوليسية دقيقة .

في نهاية ١٩٨٦ صرخ بورقيبة بأنه سيكرس الفترة القادمة لإنهاء وجود الإسلاميين في تونس .

-١- في شباط ١٩٨٧ حصلت تحركات طلابية واسعة كان محورها

مطالب نقابية، شملت كل الانتمامات السياسية.

في ٩-٣-١٩٨٧ ألقى القبض على الأستاذ راشد الغنوشي زعيم الحركة بتهمة التحرير على الشغب الجامعي، أعقبه اعتقال عشرة من قادة الحركة.

اتهمت الحكومة راشد الغنوشي بالسعى لقلب نظام الحكم بتحريض من إيران وألقت القبض على ٥٤ قيادياً من أعضاء الحركة، ومارسوا عليهم تعذيباً شديداً لانتزاع اعترافات باطلة، ولما لم يظفروا بذلك ضاغفووا عملية التعذيب، التي عرضت البعض للخطر، مع أن الحركة في تونس أعلنت مخالفتها الصريحة لاختيارات الثورة الإيرانية، الأمر الذي حمل الإيرانيين على كيل الاتهامات إلى الحركة بالعملة لأمريكا والرجعية.

في غضون ١٩٨٦ تباهت الحركة إلى تنامي التشيع في بعض أوساط الشباب، وتوقعت من الداخلية مواجهة هذا النشاط، ولكن حدث عكس ذلك، إذ تركت السلطة نشاط المتشيعين، بل وجندت مجموعات منهم للسفر إلى إيران ودراسة الفكر الشيعي، لإيجاد تيار يواجه حركة الاتجاه الإسلامي، كما يفعل كثير من الحكومات لضرب تيار آخر للقضاء على الجميع.

وفي هذا السياق منعت وزارة الثقافة دخول الكتب الإسلامية إلى تونس، وعوضتها بكميات كبيرة من الكتب الشيعية التي اختصت بعض دور النشر اللبنانية بطبعها، وقد بيعت بأثمان زهيدة في معرض الكتاب لستي ١٩٨٥، و ١٩٨٦.

بـ تزعم بورقيبة الحملة ضد حركة الاتجاه الإسلامي، فقد ترسخ لديه العداء للإسلام، والتركيز على تغريب تونس فكراً وسلوكاً ومؤسسات، وفي هذا الإطار اندرج إغلاق الجامعة الزيتونة، وتعطيل التعليم الديني الإسلامي، وإفساح المجال أمام التعليم المسيحي الكنسي، ومحاجمة عقائد المسلمين علينا، والسخرية منها، والانتقاد من شخص رسول الله ﷺ، وإصدار مجلة للأحوال الشخصية تخالف أحكام الشريعة الإسلامية، والتحريض على إفطار رمضان، ومنع الزي الشرعي لدى الفتيات، ومنع الشباب من إطلاق اللحى، وكان بورقيبة يفخر بهذه السياسات وإقامة دولة علمانية، كما صرَّ بذلك للملحق السياسي لجريدة اللموند الفرنسية الصادرة في آذار ١٩٧٦.

انتاب الشعور بالقلق الطامعين في خلاقة بورقيبة من أمثال محمد الصياغ الزعيم الشيعي السابق، ومنصور الصخيري من امتداد الحركة الإسلامية وشعبيتها، باعتبارها أهم خصم عقائدي أيديولوجي وسياسي بعد رحيل بورقيبة، فقاموا بهجمة شرسة على الحركة بتأييد الحزب الشيعي المعترف به رسمياً، ومارسوا أعمالاً تمس الحريات الشخصية وال العامة والدينية فمنعوا الرياضيين من ارتداء الثياب الطويلة، وحاصروا الأذان، ومنعوا سماعه خارج المسجد، وألقوا القبض على الملتحين، وأزالوا الملصقات القرآنية من السيارات، وألزموا الأئمة والخطباء بموضوعات سبعة، لا صلة لها بالتوعية الدينية.

والذي تخوفت منه الحركة: أن النظام التونسي الذي يعمل من

أجل القضاء على حركة الاتجاه الإسلامي، أفسح المجال أمام عناصر شيعية تذر الخلاف الطائفي، وينتهي الأمر بظهور تيار ديني متطرف يهدد الاستقرار بتونس، وبمنطقة المغرب ودوله على العموم، لاسيما بعد تغيب المرشدين والمربيين، وزج كثيرين منهم في غياب المعطلات، لتخلو الساحة أمام الحركات المتطرفة، والأفراد ذوي الأفكار الشاذة.

ـ لخصت حركة الاتجاه الإسلامي -الإخوان المسلمين- في تونس الموقف بما يلي:

ـ الهجمة على الحركة الإسلامية قديمة مذ شن بورقيبة بسياساته العلمانية هجماته على الحركة الإسلامية التي ولدت قوية راسخة.

ـ استخدمت السلطة أحداً لا علاقة للحركة بها، ووجهت إليها اتهامات لا أصل لها، مع أن الحركة لم تخرج في فكرها عن التعاليم السنّية، والدعوة المنبثقة عن الكتاب والسنة، ولا يمكن لها أن تلتقي مع أي تيار شيعي أو غيره ممن عُرف عدائًه للدعوة أهل السنة والجماعة.

ـ وأن المستفيد من الهجمة على الحركة الإسلامية هي الأطراف العلمانية وفي مقدمتها: البورقي比ون والشيوعيون، وهذا يمهد لانتشار الفكر الشيعي المعروف بتطرفه وعدائه للسنة وأهلها.

ـ لهذا كله يناشد قادة الحركة من يتعاطف معهم في محنتهم أن يفسحوا المجال الإعلامي لرد الاتهams الباطلة، وتوجيهه برقيات استنكار، وإشعار المسؤولين بأن ضرب الاتجاه الإسلامي بتونس يهوي

مناخاً لانتشار الأفكار الشاذة، وقيام حركات متطرفة، ويعطي الفرصة للشيوخين كي يحولوا تونس إلى يمن جنوبى جديد بمنطقة المغرب العربي.

- ثم أصدرت قيادة الحركة بياناً عام ١٩٨٧ ناشدت فيه المسلمين والمؤمنين أن يكونوا مع الحركة في محتتها. نورد بعض مقتطفات مما جاء في البيان بإيجاز شديد:

«إليكم قصة شعب يضطهد ويُعذب، وقد قام النظام البورقيبي بسياسة التجويع والإذلال، ومنع أبناء الحركة من الخطابة في المساجد، وأرهب الطلبة بجهاز الأمن المركزي، ومنع النساء من ارتداء لباسهن الشرعي، وعندما قام الطلبة في الجامعات التونسية حيث اجتمع حوالي ٢٠٠٠ طالب في جامعة تونس، وانتخبوا ممثليهم على مستوى الجمهورية، فوجئ النظام البورقيبي بفوز لائحة الاتجاه الإسلامي بـ ٩٠ في المئة في كل الجامعات ومختلف الفروع، فاهتز النظام، وأعلن عن مكافأة مالية لمن يساعد في إلقاء القبض على رئيس اتحاد الطلبة التونسيين المنتخب عبد الكريم الهاروني قدرها ٥٠٠٠ دينار تونسي، ولكن خاب فآلهم.

في شهر شباط وضع رئيس الحركة راشد الغنوشي حفظه الله تحت الإقامة الجبرية - وكان قد خرج من السجن منذ أكثر من عامين بعد محاكمة طلب فيها النائب العام الحكم عليه بالإعدام ولكن القضاء برأه - ثم ألقى عليه القبض بتهمة التعامل مع إيران، ووضع تحت التعذيب النفسي والبدني، كما ألقى النظام البورقيبي القبض

على ٣٠٠ طالب، وعلى عدد من قيادي حركة الاتجاه الإسلامي، وقد بلغ عدد الملاحدين من أبناء الحركة ٤٠٠ شخص، تم القبض على ٤٠ منهم، وفر الباقون، أما المطلوبون من طلبة الجامعات فيقدر عددهم بأكثر من خمسة آلاف طالب، وما زال زوار الفجر يطوفون البيوت ويروعون النساء والأطفال لاستجوابهم عن المطاردين.

ناشد البيان المخلصين والغيورين، واستصرخ ضمائرهم أن يقفوا مع تونس في محنتها، ولاسيما أبناء الحركة الإسلامية، مستنكرين ومحتجين، وأن يجمعوا التبرعات لعائلات المعتقلين والملاحدين ..

وأخيراً... أكد البيان ما سبق أن أعلنه من أن الحركة بعيدة كل البعد عن الثورة الإيرانية ومنهجها وأنها تبرأ من أي صلة -يقوم بها بعض التونسيين- بالسياسة الإيرانية.

كان الأستاذ راشد الغنوشي ضمن المعتقلين أو في مقدمتهم، بجانب إخوانه الذين أورد البيان أسماء عشرة منهم، هم من قيادي الحركة في تونس.

د- انتاب الهلع الحكومة التونسية بعد انتشار حركة التوجه الإسلامي في جميع الأوساط التونسية، ولاسيما في الوسط الجامعي الذي استقطبت الحركة ما يزيد على تسعين بالمائة من عشرات ألف الطالب الجامعيين، فدفعها شعورها بالقلق إلى اتباع أساليب هابطة في تشويه السمعة الشخصية للأستاذ عبد الفتاح مورو، والسمعة السياسية للأستاذ راشد الغنوши وأمضت العام ١٩٨٧ وشغلها الشاغل تحطيم هذا العملاق الإسلامي الذي أعاد لتونس هويتها وأكده لها

أصالتها المهددة من المدرسة البورقيبية، فعمدت وزارة الإعلام التونسية إلى عدد من الصحفيين الذين يعملون في الصحافة العربية المهاجرة، عارضين عليهم إغراءات مالية، ليقوموا بنشر تحقيقات صحافية حول اتصالات خفية مزعومة بين حركة النهضة وجهات إيرانية، وقد تولت الأجهزة الأمنية، إعداد ملفات مزيفة منذ عام ١٩٨٧ لثبت التهم المفتراء، ثم صعدت وسائل الإعلام التونسية حملتها على حركة النهضة متهمة إياها بتدبير وقيادة المظاهرات التي هزت الجامعات والمعاهد الثانوية بمناسبة الذكرى الثالثة للانتفاضة الفلسطينية، وقد استمرت الإضرابات طيلة أسبوع بسبب تردي الظروف المادية للجامعات، وبسبب سوء التصرف حيال الجامعة الزيتונית بصورة خاصة، ونقل إحدى كلياتها إلى محل قديم مهجور، وعندما أضرب ستون طالباً عن الطعام لأكثر من أسبوعين، صرخ وزير التربية محمد الشرفي ذي الميول الشيوعية بقوله: فليموتوا!! ودahمت قوات الشرطة يوم الجمعة في ١٢/٨/١٩٨٩ المصلين في جامع منوبة في حملة تأدبية بسبب احتجاجهم على عزل خطيب الجمعة المتهم بميوله لحركة النهضة، كما عزلت كثيراً من الأئمة بنفس التهمة والتعاطف مع تيار النهضة الجارف في كل أنحاء تونس الخضراء.

رد الشيخ راشد الغنوشي على اتهامات الحكومة بحديث عبر محطة لندن في ١٥/١٢/١٩٨٩ قال فيه: إن الحكومة هي التي تحمل مسؤولية الاضطرابات في البلاد لوجود مشاكل حقيقة لم

تحسن التعامل معها، مثل تسنم ٣٠٠ طالب، ونقل طلبة إحدى الكليات لطلبة الشريعة إلى أماكن غير صالحة، وأنكر أن يكون لحركة النهضة صلة مباشرة بهذه الأحداث، واقتراح في معالجة الأزمة: الدخول في تفاوض فوري مع الطلبة، وتسلیم جوازات السفر لمن منع عنهم أو سحب منهم وهم ألوان، ومنهم الشيخ عبد الفتاح مورو، والاعتراف بكل الأحزاب، ومنها حزب النهضة، وهو أكبر حزب معارض، وإلغاء القوانين المقيدة للحربيات، مثل قانون الأحزاب والصحافة ومنع الحجاب.

ثم لجأت حركة النهضة إلى الرابطة التونسية لحقوق الإنسان بتاريخ ١٩٨٩/٧/٥ في مذكرة جاء فيها:

ما أصاب الحركة من تنكيل واضطهاد، وما وقع على أعضائها من صنوف التعذيب الجسدي الذي تقشعر من هوله الأبدان من ذلك استعمال مادة الإتيار ETLER على الأعضاء التناسلية والأماكن الحساسة وتجريد المعتقلين من كامل ثيابهم وضرفهم بالسياط البلاستيكية والأسلاك الكهربائية، والصفع واللهم إلى حد الإغماء وتعذيب المعتقل أمام زوجته مما يفقدها وعيها والتهديد باستعمال الكهرباء والاعتداء الجنسي . . . إلخ وبالرغم من تعمد تأخير إطلاق السراح بانتظار احتفاء آثار التعذيب، إلا أن ذلك لا يخفى ما وقع على المعتقل من إضعاف حاسة الشم، وإظهار آثار الضرب على الظهر والأطراف، وشلل في اليد لبعضهم، وجود زرقة حول العينين، وإرهاق بدني حاد، كما أكدت ذلك الشهادات الطبية.

ختمت المذكورة التي رفعتها حركة النهضة بتوقيع الشيخ عبد الفتاح مورو نائب رئيس النهضة، مناشدة الهيئات الإنسانية وأصحاب الضمائر الحية ومناصري حقوق الإنسان باستنكار هذه الممارسات البشعة، والمطالبة بمحاسبة مرتكبيها من السفاحين وأعداء الإنسان.

هـ- إن حركة النهضة -الإخوان المسلمين- قد فرضت وجودها بل واحترامها في أوساط تونسية ذات اعتبار كبير، كشخصيات وطنية عريقة في الحياة السياسية التونسية مثل: محمد المزالى رئيس وزراء تونس الأسبق، ومحمد المصمودي أول وزير خارجية وصاحب الشهرة السياسية وغيرهما من أشادوا بحركة الاتجاه الإسلامي ودورها الكبير في مصير القطر التونسي، كما وقفت حركات عربية مع حركة النهضة في محنتها تقديرًا من هذه الحركات للدور الكبير الذي اضطاعت به حركة النهضة في إنقاذ تونس من السياسة التغريبية البورقيبية، وكان من أبرز هذه المواقف: ما قام به حزب طلائع الوحدة العربية -وهو حزب بعضى تحت مسمى آخر- الذي أصدر بياناً لا تنقصه الصراحة والوضوح في ١٧/٤/١٩٨٩ للوقوف بجانب النهضة في محنتها، ومما جاء في هذا البيان الذي حمل العنوان التالي: بيان مع الإسلاميين دفاعاً عن ثوابتنا:

«تابع حركة طلائع الوحدة العربية بكثير من الاستثناء الحملات المسعورة على الإسلام، وعلى مناضلي حركة النهضة التي يشنها بعض وسائل الإعلام، تحركهم أيدٍ خارجية، والتي وصلت حد المطالبة الوقحة بعدم تدين المجتمع التونسي، وبالدعوة الصريحة إلى

الاستهتار ومحاربة عقيدتنا الإسلامية تحت أقنعة التقديمية والديمقراطية
ومقاومة الظالمين والفكر الماضوي .

إننا نطالب كل الوطنيين المخلصين، وخاصة إخواننا في التيار
القومي : أن لا يسقطوا في المؤامرات الرامية إلى ضرب القوى
المؤمنة بأسالة تونس ، وبهويتها العربية والإسلامية .

و جاء في البيان : ترفض الطلائع العربية الدخول في أي جبهة أو
حلف ضد الإسلاميين من مناضلي حركة النهضة تحت أي ستار أو
شعار ، وندعوا إلى إقامة جبهة تأصيلية تجمع كل القوى المؤمنة بتونس
عروبة وإسلاماً ، ونؤكد على حق حركة النهضة في الحصول على
تأشيره العمل السياسي ، كحق لكل الذين طلبوا هذه التأشيرة أو ذلك
الترخيص «**يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتَمَّ**
نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ» والله ولي التوفيق .

عن المكتب السياسي

عبد الرحمن الهاني

و- إن الذي دعا إلى التوسيع بعض الشيء في الحديث عن تونس
ذات التاريخ العريق ، تونس القيروان ، وتونس الزيتוניתية التي تعرضت
لمؤامرة ماحقة ، إذ صمم بورقيبة ومن لف له أو التف حوله على
سلخ تونس واقتلاعها من وطنها العربي وعالمها الإسلامي ، وإغراق
أهلها بأوضار الحياة الغربية فيما يخص المرأة المسلمة ، ونشر
الانحلال ، وطمس العادات والفرائض ، والتشجيع السافر على التيل

من قيم الإسلام ومثله، ومن تاريخه وحاضرها، حتى أوشك الكثيرون أن يغرقوا بين لحج اليأس من مستقبل تونس العربي والإسلامي، وقد أطمع هذا الانحراف رؤوساً عفنة وألسنة ملوثة بالهجوم على الإسلام علينا، وكيل الاتهامات لعقائده وأحكام دينه، واستخدام عبارات لا يحتمل المؤمن سماعها في الطعن بالإسلام ووصفه بكل النعوت النابية.

في غمرة هذا اليأس ولدت حركة الإخوان المسلمين منذ مطلع ثمانينيات القرن العشرين، فأيقظت النائمين، ونبهت الغافلين، ولاست شغاف قلوب التونسيين من رجال ونساء، فدببت الحياة في ضمير الفرد، وفي أوساط المجتمع، فأحبطت هذه الحركة المباركة التي حملت اسم الاتجاه الإسلامي، وبعد ذلك اسم النهضة، المؤامرة علىعروبة تونس وإسلامها، وتصدت بشجاعة وإيمان لحركة التغريب البورقيبية، فنجحت في تثبيت الهوية العربية والإسلامية لشعب تونس النبيل، وكسرت شوكة الذين أرادوا شرآ بالإسلام والمسلمين، وظهر جيل مؤمن مثقف يفتدي الإسلام بدمه وروحه، ومن جهة ثانية فنحن وإخوان تونس جسد واحد كحالنا مع الحركات الإسلامية الأخرى، ولاسيما حركة الإخوان المسلمين، فكان التنظيم العالمي يجمعنا داخل إطاره في عمل تنظيمي تنسيقي - وليس اندماجياً - منذ سنة ١٩٧٧ في القاهرة مع الشيخ راشد الغنوشي حفظه الله ممثلاً لتونس، ومع الشيخ محفوظ النحناح، رحمه الله، عن الجزائر، أو عنتنظيمات الإخوان المسلمين فيها.

ومن جهة ثالثة في أسباب التطويل، أن جماعة الإخوان المسلمين السورية يأتي الحديث عنها في هذه الذكريات والمذكرات عن كل صلة تقيمها مع الآخرين من حركات إسلامية وأحزاب سياسية وشخصيات ليبرالية أو أكاديمية، سواء أكانت هذه الصلة قوية أم غير قوية، وكانت صلة مباشرة أو غير مباشرة.

وفي هذا السياق فإن تنظيم الإخوان في سوريا، كان على صلة ودية قوية بتنظيم النهضة، وكان القياديون من كلا التنظيمين التونسي والسورى، يلتقطون في أثناء محبة الإخوان التونسيين في باريس والخرطوم وغيرهما، وكان التشاور والتعاون بيننا وبينهم في أفضل صوره، فعندما التقى مذوبهم في الخرطوم شكا من ضيق الحال في المسؤوليات التي يتحملها لخدمة إخوانه التونسيين، وقفنا معه فيمن وقف على قدر حالنا، ونحن في مأساة في سوريا على يد الحكم العسكري الأمني الطائفى الذى ابتنى به سوريا الغالية، وعندما استد التضييق على قيادات وأعضاء تنظيم النهضة التونسي في داخل تونس، إذ سحبت جوازاتهم، وضيق عليهم في أي تحرك في المدن التونسية وما بينها، مدد تنظيمنا يد الأخوة إليهم فيما هم فيه من حصار، ليتمكنوا من الحراك داخلياً، والخروج من تونس إلى الفضاءات الرحبة في العالم، وكان تنظيمنا قد سبق غيره في الكثير من الأمور الفنية من جراء المحبة القاسية التي عانى منها.



التجربة الحادية عشرة

مع الشعب الجزائري الشقيق

١- استمر الحكم الفرنسي في الجزائر زهاء ١٣٠ عاماً، واعتبر الفرنسيون أن الجزائر جزء من فرنسا، وكأنها إحدى محافظاتها، وفرضت عليها اللغة الفرنسية حتى أوشكت العربية أن تتوارى، فقد قال الرعيم الجزائري مصالي الحاج: إن تسعين بالمئة من الشعب الجزائري لا يعرفون اللغة العربية، ولا يستطيعون التحدث بها.

كما فرضت فرنسا على الجزائريين كل أنظمتها التعليمية والقضائية والمالية.. إلخ لكن جذوة الإيمان الهامنة في قلوب الجزائريين قد استيقظت والتثبت، والشعور بالانتماء إلى الوطن العربي والعالم الإسلامي قد نما نمواً كبيراً بفضل الجهد التي اضطلع بها رمز النهضة الجزائرية الحديثة عبد الحميد بن باديس صاحب شعار: العربية لغتنا، والإسلام ديننا، والجزائر وطننا، وكان من جهوده الكبيرة والمؤثرة: تأليف جمعية العلماء الجزائريين التي قادها بعد ابن باديس، الشيخ البشير الإبراهيمي الخطيب الشهير الذي كان يطوف

البلاد المشرقة والمغاربية داعياً إلى تحرير الجزائر ودعم شعبها في ثورته وصراعه مع فرنسا، وكم التقينا في مقرات الإخوان في سورية، وفي القاهرة بالمركز العام للإخوان في مصر، رحمه الله رحمة واسعة، فقد كان من كبار الدعاة، ومن أخطب خطباء عصره.

أ- بعد الاستقلال الذي كلف الشعب الجزائري مليوناً ونصف مليون شهيد في فترة ما كان عدد سكان الجزائر يزيد على عشرة ملايين، خطف العلمانيون والمؤثرون بالماركسية هذا النصر، وتحركت شهوة العسكريين للسيطرة على الحكم، فتنازعوا بينهم، وشرع بعضهم بتصفية وإبعاد البعض، حتى آل أمر السلطة إلى بومدين الذي سيطر على الجزائر، وتمت تصفية كبار قادة الثورة الجزائرية مثل: محمد خضر، وكريم بلقاسم، ومحمد شعبان، قائد الثورة في صحراء الجزائر، وجاؤوا بكتاب اليساريين ليتخذوا منهم مستشارين في حكمهم للجزائر، ولم نعد نسمع للإسلام وجوداً أو أثراً في السلطة والحكم.

وقبل الانتقال إلى أوضاع الجزائر بعيد الاستقلال، أُعرج على حادثتين صادفهما إبان اشتعال الثورة في منتصف الخمسينيات من القرن الماضي :

أولاًهما: أني بعد تخرجي في كلية آداب جامعة القاهرة ١٩٥٥، قصدت مقر حكومة الجزائر المؤقتة التي اتخذت مقرها في منطقة قصر العيني بالقاهرة، قاصداً أن أعرض جهدي في تعليم اللغة العربية - وقد تخصصت بها - لأبناء الجزائر في فرنسا، وهم في أشد الحاجة

لذلك، فوجدت المقر حالياً من سكانه ومن حكومة الجزائر، وعندما استفسرت عن ذلك قيل لي: إن عبد الناصر حاول أن يزاول وصاية على الحكومة المؤقتة، ويملي عليها بعض المواقف، من ذلك انجيازهم ضد حكومة تونس إلى عبد الناصر، ولم يكن في مصلحة الجزائريين الدخول في صراع مع تونس أو المغرب، فكلا البلدين يمثل رئة يتنفس بها الجزائريون، ويدعمون بها ثورتهم، فاضطرت الحكومة المؤقتة لمعادرة مصر، وإلغاء مقرها في القاهرة.

ثانيهما: أن أخا لنا هو: ع. ح ابعث إلى فرنسا ليحمل منها شهادة الدكتوراه في الهندسة، وكان نشاط الجزائريين في جاليتهم الكبيرة واسعاً، وكانت لهم فرنسا مصدر تسليح وتمويل للثورة في الجزائر عبر وسائل الاتصال الواسعة بين البلدين، وخارج أعين السلطة، فتعاون معهم الأخ: ع ح حتى اكتشفت الدوائر الأمنية الفرنسية نشاطه، فأخرجته من فرنسا، الأمر الذي اضطربه للانتقال إلى جنيف في سويسرا لإكمال دراسته، لأن اللغة واحدة في فرنسا وفي جنيف، وفي ذات يوم أعلن عن محاضرة سيلقيها -جورسيل المقيم الفرنسي السابق في الجزائر-، وكان الأخ ع ح ضمن الحضور، فشرع جورسيل يتحدث عن إنجازات الفرنسيين في الجزائر خلال فترة الاستعمار التي امتدت قرناً وثلث القرن، فانهالت الأسئلة في نهاية المحاضرة على جورسيل كعادة الغربيين في أعقاب كل محاضرة، فسأل عدد من الحاضرين: إذا كانت الجزائر جزءاً من فرنسا منذ ١٣٠ سنة، فلماذا نسبة التعليم عالية في فرنسا، ومنخفضة في الجزائر؟

لماذا لا توجد أمية في فرنسا، وهي متفسية في الجزائر؟
لماذا الفارق الكبير بين دخل الفرد في فرنسا، وفي الجزائر؟
لماذا يتشر السل في الجزائر، والرعاية الصحية في فرنسا في
أفضل حالاتها؟
لماذا؟ لماذا؟

فإذا بجورسيل يحتجد، ويرد بانفعال وشدة عرف بهما الفرنسيون،
فقال : Enter neus أي : فيما يبنتا، إننا نضحي بأبنائنا وبناتنا،
ودماء شعبنا وباقتصادنا لحماية أوربا من خطر المسلمين، أو نسيتم
التاريخ؟ أو لا تذكرون معركة بواتيه؟

وبدأ يعدد أو يقلب صفحات التاريخ في الأندلس وفيينا و .. الخ
فسكت السائلون واقتنعوا إلا طالب الدكتوراه الأخ ع.ح الذي رأى
بعينيه وسمع بأذنيه ما تتطوي عليه أحقاد الغربيين أو بعضهم،
ويتظاهرن بالحوارات الدينية والحضارية والثقافية، ويخفون في
أنفسهم مالا يبدون، فعلى أمتنا أن تجمع ما بين السماحة والافتتاح
ومعاني الرحمة بالإنسان أياً كان هذا الإنسان، وبين التنبه واليقظة
ورؤية الأشياء على حقيقتها بفراسة المؤمن، فكفانا ابن العلقمي
وأشباهه الذين لا يزالون يتغلغلون في أعماق مجتمعاتنا، ونفوس
الغافلين من وطننا وأبناء أمتنا .

بـ- شعر ذو الاتجاهات الإسلامية بخيبة أمل مريرة بعد هذه
التضحيات الكبيرة التي قدمها الجزائريون، ليؤول الأمر إلى

ال العسكريين والعلمانيين، فانتفضوا وقرروا المواجهة السياسية، وظهرت في الساحة جبهة الإنقاذ الوطني التي خاضت الانتخابات بقيادة عباسي مدني وعلي بلحاج تحت شعار الالتزام بالإسلام، وبمحاربة الفساد، فاكتسحت منذ الدورة الأولى أكتيرية كبيرة، فإذا بالجزرالات -من بقايا الجيش الفرنسي- ينقضون على جبهة الإنقاذ، ويعتقلون الألوف الذين نالوا ثقة الشعب، ويبعدونهم إلى الصحراء في جنوبى الجزائر في معتقلات بائسة، وفي ظروف قاسية، وهكذا هدم الجزرالات الذين لا يزيد عددهم على خمسين جنراً، حسب تقدير القادة الإسلاميين، الحياة الديمقراطية، وسحقوا إرادة الجماهير، وعاقبوا كل من نال ثقة الجزائريين .

تبورت الحركة الإسلامية أو قل التيار الإسلامي في ثلاثة تنظيمات في الجزائر، هي: جبهة الإنقاذ، والإخوان المسلمين -حماس الجزائرية- بقيادة محفوظ نحناح رحمه الله، وحركة النهضة -الإصلاح الوطني فيما بعد- بقيادة عبدالله جاب الله.

كانت صلتنا بالحركات الثلاث قوية ومتوازنة، وكانت لقاءاتنا معهم لا تقطع، وكان تقديرنا بعد معرفتنا بهم عن قرب، أن عباسي مدني يود أن ينفرد بالعمل السياسي على أرض الجزائر دون أن يشاركه أحد في طموحه وسياساته، وكان محفوظ قد ارتبط بقيادة الإخوان دون أن يتلزم بكل مقتراحاتها كما حدث يوم خاض معركة الرئاسة الجزائرية، إذ كان للقيادة الإخوانية العليا رأي آخر، أما التنظيم الثالث بقيادة عبدالله جاب الله، فهو كالإخوان المسلمين في

سورية يقوم على التربية والتوجه وحضور المخيمات الرياضية للتعود على الخشونة وشطف العيش، وقد زرت بعضها، فسألني بعضهم: هل تعرف مروان حديد؟ وتحدثنا عنه وعن نشأته وسيرته، وكان هذا التنظيم سبق غيره في توجيه الشء، وأحرز نجاحاً كبيراً دون أن يعم التنظيم أرجاء الجزائر، أما جبهة الإنقاذ فكانت تجمعاً جماهيرياً واسعاً، استقطب الملايين قبل أن يسدد له العسكريون الضربة القاصمة.

جـ- قام تنظيمنا السوري بجمع الكلمة، ورأب الصدع فيما بين التنظيمات الثلاثة، وبذل جهوداً امتدت إلى داخل الجزائر، لكن شيئاً لم يتغير بانفراد كل تنظيم بكيانه وقناعاته، وبالرغم من جهود التنظيمات الإخوانية الأخرى.

من الجهود التي بذلت أذكر جولتين، كانت الأولى على هامش موسم الحج، حيث اتفقت مع الأخ المخلص عبدالله المطوع أبو بدر رحمة الله رحمة واسعة، بعقد جلسة في منزله بمكة المكرمة بين قادة التنظيمات، فذهبت إلى مني وعدت بصحبة عباسى مدنى إلى منزل أبو بدر رحمة الله، كما حضر بعد لأى الشيخ محفوظ نحناح، ولم تستطع الاتصال بجات الله.

جرت أحديث مطولة عن مستقبل الجزائر، وعن الإسلام الذي يتوقف نجاحه على اجتماع الكلمة ورص الصفوف، فكان موقف أبو بدر نبيلاً لا ينسى، إذ أعلن أنه سيقوم بكل الأعباء إذا وحد قادة التنظيمات الإسلامية كلمتهم، فقال عباسى كلاماً إيجابياً أحيا الأمل

في نفوسنا بوجود جبهة إسلامية عريضة تتوقع لها الفوز الكبير، أما الآخر محفوظ نحن فلم نصل معه لطائل، ولم نفهم منه ما ينطوي عليه من برنامج يتكم عليه، أو موقف يحتفظ به في سره، فقلت لأبي بدر: إن محفوظ يفرد مشروع لا يود البوح به، وقد بدا ذلك في وقت لاحق.

تلقينا دعوة من الشيخ عبدالله جاب الله لحضور ملتقى في قسنطينة، حضره زهاء أربعة آلاف من طلاب الجامعة، كانوا يستمعون إلى المحاضرات في القاعات التي شغلوها عبر التلفزيون. وقد كلف الشيخ الغنوشي بافتتاح الملتقى، وكلفت باختتامه، وقد راعني وأنا ألقى كلمة الختام أن أرى دموع الجزائريين تسيل من مآقيهم، فتساءلت عن هذه الظاهرة لشعب عرف بالشدة وقوة البأس، فقيل لي: إن الجزائريين يتأثرون كثيراً بالعربية الفصحى والخطاب بها، فتحريك عواطفهم ومشاعرهم عند سماعها.

-٢- كانت الفرصة مواتية لاستئناف المساعي في جمع الكلمة التنظيمات الإسلامية الثلاث، غادرنا قسنطينة باتجاه العاصمة في سيارة جاب الله المتواضعة لعدم استطاعتتا حجز أماكن في الطائرة، وأمضينا على الطريق ليلة في جنجل، وعند وصولنا توجهنا بادئ ذي بدء إلى حي القبة لزيارة مقر جبهة الإنقاذ لنلقى الشيخ عباسي مدنى، لأنفرد معه في غرفة مغلقة والشيخ جاب الله يتظر في غرفة أخرى.

قلت ياشيخ عباسى: ها هو ذا جاب الله أتاك من قسنطينة، ليعرف ماذا تريد منه، هل ت يريد دمجاً للحركتين في حركة واحدة؟

هل ت يريد تنسيقاً بين التنظيمين في المواقف، ولا سيما في
الانتخابات؟

هل ت يريد منه أن يعتزل العمل السياسي؟

ما الذي تريده منه؟ وقد أجل تقديم طلب التأشيرة إلى وزارة الداخلية قبل أن يعرف ماذا تريده منه، وكل أسباب الترخيص جاهزة لديه ويستطيع الحصول على تشكيل حزبه بوقت قصير.

فاجأني الشيخ عباسى وجعنى بموقف غير متوقع إذ وصف
نحتاج وجاب الله بأوصاف لا يمكن تسجيلها ولا التحدث بها لجاب
الله، وهذا على عكس ما أبداه فى مكة المكرمة من استعداده لتعاون
غير مشروط، فودعته وخرجت من المقر مع جاب الله الذى لم يظفر
بمقابلة عباسى الذى لم يدأى رغبة فى الالتقاء به، أو السلام عليه،
وهو فى مقره الذى جاءه زائراً ومتعاوناً، فقلت فى نفسي: أuan الله
عباسى على نفسه، وأuan تنظيمه، وأuan الجزائر فى ما سوف تواجهه
من ظروف وأيام صعبة حالكة.

حقق تنظيم النهضة برئاسة الشيخ جاب الله قفزة في الساحة
السياسية أذهلت المراقبين، إذ كان الثالث من بين ٢٦ تنظيماً خاضوا
الانتخابات الولائية، وأدخلوا إلى البرلمان ٤٣ نائباً فأثاروا عليهم
حفيظة المتربيسين، وفي مقدمتهم: الأجهزة الأمنية، فعملوا على شق
صفوفه ونحوها، فتصدىع التنظيم الصاعد، وظهرت حركة انشقاق
واسعة ضد الشيخ جاب الله، وحدث تراشق على صفحات الجرائد،
فأتصل بي البارزون في الانشقاق، وعلى رأسهم رئيس الكتلة

البرلمانية مولود القادري، وطلبوا التوسط، وقدموا أوراقاً لأسباب الخلاف، فالتقيت لجنة من المنشقين مرت بعمان، في طريقها إلى الحج البري، وحضر جاب الله لحضور مؤية الإمام البنا، فتشبث كلُّ موقفه، فالمنشقون يؤكدون على تحجيم صلاحيات جاب الله، ليفرضوا بقيادته، والشيخ يصر على تقديم اعتذار منه على ما فعلوا من تشهير إعلامي على صفحات الصحف الجزائرية.

قلت لمولود القادري: هل ستحافظون على عدد نوابكم في البرلمان بعد أن أعلن جاب الله مقاطعته له؟
فأجاب: بل نأمل الزيادة.

وبعد أن جرت الانتخابات، فاز المنشقون بنائب واحد فقط، وخسروا المعركة خسراً مبيناً، ونجحت الأجهزة في شق صفتهم، ومن ثم في دفنهم.

عزمت على السفر إلى الجزائر لاكون على مسافة واحدة من الطرفين، وأقوم بالجهد الواجب عسى الله أن يجمعهم ويؤلف بين قلوبهم، فلم أوفق في الحصول على فيزا دخول الجزائر، فانطويت على الذات، وأنا أردد قول ربنا سبحانه: ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم.



التجربة الثانية عشرة

مع المغرب الشقيق

ليس لدى ما يستحق التسجيل والذكر عن صلتنا بالمغرب ونشاطنا السياسي مع حكومته وأحزابه سوى أمور طارئة سوف أمر بها سريعاً، ثم آتى على أمر جلل لا يجوز إهماله أو إغفاله أو حجبه عن شعبنا العربي وأمتنا الإسلامية.

فمن الأمور الطارئة: أن شأن التنظيم السوري كان كبيراً في السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي، فكان الكثير من الحكومات والأحزاب الحاكمة، والأحزاب المعارضة ترغب في الحوار معنا والاتصال بنا، ومن ضمنها ملك المغرب الذي كان يتطلع في سياسته إلى معرفة التطورات والأسرار السياسية في الوطن العربي والعالم الإسلامي بدوافع ذكرها محمد حسنين هيكل في مقالين خطيرين عن الملك في مجلته (وجهات نظر) التي توقفت فيما بعد.

١- رغب الملك الحسن عن طريق صهره الشريقي صديق الأخ عمر بهاء الدين الأميركي أن يزور وفد من إخوان سوريا - وكان شأنهم عالياً -، المغرب ولو أدى الأمر لإرسال طائرة خاصة، لكن جميع

ظروفنا لم تكن مواتية لتلبية هذه الرغبة فلم تتحقق.

ومن الأمور الطارئة: سفر المكتب السياسي للتحالف إلى الرباط للالتقاء بالملك الحسن، فالتقينا مستشاره الخاص أحمد بن سودة الذي كان يسمى رجل المهام الصعبة، فتحدث لنا كمعارضة، كانت تضم أمين الحافظ، ومحمد الجراح، وشبل العيسمي، وممثلي الإخوان وأخرين ضد النظام في سوريا، عن سوءاته بكلام سمعناه لأول مرة في حياتنا السياسية.

أما الأمر الجلل فهو النفوذ الصهيوني الواسع على أرض المغرب، وتغلغله في أعماق المجتمع المغربي وصلته الوثيقة بملكه الحسن الثاني، وشخصيات كبيرة ذات نفوذ في الحكومات المغربية، وكانت لجنة التحالف في المغرب قد قدمت لنا دراسة ضافية عن النشاط الصهيوني في المغرب العربي، نقتطف منها، للأهمية، ما يعنينا، وما ينبغي أن نحيط به علمًا.

-٢- أصبح من المأثور أن تعقد الطائفة اليهودية في المغرب دورة لمجلس الطائفة كل ستين لتدارس أوضاعها الداخلية، إلا أن مؤتمر عام ١٩٨٤ كان أكثر شمولاً واتساعاً على مستوى التمثيل والعدد وحضور شخصيات من داخل الأرض المحتلة بصفة رسمية للمشاركة في هذا المؤتمر الذي عقد في الرباط، حيث علقت لافتات على مشارف فندق هيلتون الذي أحاط بسياج من الحواجز الأمنية الصارمة.

نقل التلفزيون المغربي وقائع المؤتمر حيث ظهر إلى جانب دافيد عمار، وزير الداخلية المغربي إدريس البصري الذي قال: إن جلالة

الملك كلفه بحضور ورعاية المؤتمر.

أ- شارك في المؤتمر أكثر من ٣٥٠ شخصية يهودية، كان من ضمنهم حوالي ٤٠ جاؤوا من داخل الكيان الصهيوني، كان من أبرزهم دافيد بن عمار رئيس الطائفة اليهودية في المغرب، ودافيد كماحي الذي حاور اللبنانيين حول اتفاق ١٧ أيار، ورئيس جامعة تل أبيب، ورئيس المؤتمر اليهودي العالمي، وأبو حصيرة الوزير الإسرائيلي من أصل مغربي، والحاخام الأكبر لرومانيا، ورئيسجالية اليهودية في كندا، ورئيس الطائفة اليهودية في فرنسا، وأحد عشر نائباً في الكنيست الإسرائيلي.

لقد وجهت الدعوة إلى الأحزاب السياسية والنقابات المغربية، والشخصيات البارزة من وزراء ورؤساء كتل نيابية، وقد حضر الافتتاح مندوبون عن الهيئات والأحزاب، وكان وزير الدولة أحمد العلوي الممثل الرسمي للحكومة المغربية طيلة فترة انعقاد المؤتمر، وحضر من الرسميين: وزير الداخلية إدريس البصري ممثلاً عن الملك، وكان له كلمة في المؤتمر، وأحمد المساري عن حزب الاستقلال - الذي أسسه الوطني الكبير علال الفاسي - وكان له كلمة، وممثل عن التجمع الوطني للأحرار هو أحمد الغسكي، وامتنع البعض عن الحضور مثل الاتحاد الاشتراكي، وحزب الحركة الشعبية، وقد أقيمت دعوة رسمية تحت شرف ولی العهد حضرها رئيس الحكومة محمد كريم العمراني، وجميع الوزراء بالمغرب، وكانت الدعوة قد وجهت إلى المدعىين باسم مجلس الطائفة اليهودية، وكان ضمن الذين

حضرروا: بوستة، والجديدي، وأحمد عصمان، والمعطي بو عبيد، وكثير من قادة الأحزاب ورؤساء الوزراء.

لقد قوبل هذا المؤتمر في الأوساط الشعبية بصمتٍ واضح ومشاعر اللامبالاة لدى أغلبية الشارع المغربي، إضافة إلى ما رأينا من مقاطعة الاتحاد الاشتراكي للمؤتمر، كما قاطعته حركة ٢١ مارس بلسان جريدهم "أنوال" لسان حال الحركة، واعتبروا أن المؤتمر ما هو إلا امتداد للحركة الصهيونية من خلال اليهود المغاربة.

ومما يلفت النظر أن المؤتمر عقد في ذكرى الخامس عشر من أيار ذكرى اغتصاب فلسطين، إمعاناً في الاستهانة بمشاعر العرب والمسلمين، كما تحدوا مشاعر الأمة بإعلانهم في المؤتمر أن القدس هي العاصمة السياسية لإسرائيل في بلد يترأس ملكها لجنة تحرير القدس التي شكلتها مؤتمرات القمة وأسفاه.

قدمت لجنة التحالف هذه الدراسة

من الرباط في ٢٥ - ٦ - ١٩٨٤

بـ- ثم أفادت لجنة التحالف في دراسات لاحقة عن معلومات ذات شأن خطير استقتها من علاقاتها في المغرب، ومن الشخصيات السياسية والرسمية ذات الميول الوطنية والمواقف النبيلة: أن رفعت أسد قد اجتمع في المغرب، إبان انعقاد المؤتمر اليهودي، مع دافيد كماحي لعدة مرات، أن المدعو قذاف الدم ابن عم القذافي قد اجتمع بدوره إلى كماحي في الرباط، وأكملت الدراسة أن رفعت أسد قد مدّ

جسوراً مع طيف واسع من الجهات المسؤولة بال المغرب منذ زمن غير قصير. ووطد العلاقة لدى هذه الجهات المغربية، وأن أطرافاً دولية عديدة تعمل لخلافة النظام أو خلافة رئيسيه، وإسناد قيادة سورية إلى رفعت أسد، وفي هذا السياق حسّن رفعت علاقته بمنظمة التحرير الفلسطينية، وبشخص رئيسها أبي عمار، متهمًا النظام بقيادة حافظ أسد بالجرائم التي ارتكبت في لبنان، ضد الفلسطينيين، كما تحرّك نحو العراق لتحسين العلاقة معه عبر وساطات أهمها قيادة الاتحاد السوفياتي.

إن رفعت يبشر بأنه سيعود لسوريا لإنقاذ شعبها من التخبّط والاضطراب اللذين يعاني منها، وقد وعد أحمد بن سودة الذي ساءت علاقته بسوريا: بأنه سيستقبله بدمشق شخصياً بعد تحسن الأوضاع، وتغييرها لصالحه.

وأخيراً، ذكرت لجنة التحالف في المغرب أنه ثبت لديها بما لا يدع مجالاً للشك أن شخصية ميخائيل كاسوحة الدبلوماسي السوري الذي طرد من باريس هو نفسه المدعو أحمد سالم مسؤول المخابرات بالسفارة السورية بالرباط.



وأخيراً، وليس آخرأ:

فلربما كان هذا المجلد الخامس من هذه الذكريات والمذكرات، أو هذه الموسوعة هو آخرها، بعد أن كتبت كلماتها والمرض منذ أمد يمسك بي، وأنا أقف على عتبة الثمانين من العمر الفاني، غير أن

عنابة الله تعالى شأنه طيلة هذه الفترة وما قبلها واضحة لي كلون
الشمس، فالذهن بفضل مولاي متوفد، والذاكرة في أعلى درجاتها من
النشاط، وكان صاحبها في الثلاثين أو الأربعين من عمره، وهذا ما
ساعد على إنجاز هذا الجزء بتيسير من الله وتوفيقه، فإذا كان في
العمر والعزم بقية، استأنفت كتابة هذه السلسلة التي تستكمل في
مجلدين آخرين، السادس الذي يغطي أحداث وطننا وتنظيمنا من عام
١٩٨٣ حتى عام ٢٠٠٠ إذ توفي حافظ أسد، والسابع الذي يتناول
وريثه ابنه بشار الذي جيء به من مقعد الدراسة ليستلم حكم سوريا
منذ عشر سنين طيلة العقد الأول من القرن الحادى والعشرين، في
حقبة الحكم الأسدى الثانية، وإنما في الجماعة كتاباً غيورين نهيب
بهم إكمال هذا العمل، كي يكون أبناؤنا وأحفادنا على علم بمسيرة
الآباء والأجداد، لستمر راية الدعوة عالية خفاقة، ول يكون النصر،
وتكون معه دولة الإسلام ومجتمع الإسلام والله غالب على أمره،
والحمد لله الذي بنعمته تم الصالحات، والحمد لله رب العالمين.

٢٠١٠ - ١ - ١

الفقير إلى عفو ربه ومغفرته

عدنان سعد الدين



ملحق (١)

انتشار الإسلام في العالم

كان انتشار الدعوة الإسلامية في العالم القديم مذهلاً وقباسياً أذهل الباحثين والمؤرخين الذين شرعوا بالبحث عن الأسباب التي جعلت الإسلام مقبولاً لدى الشعوب وفي الأقطار كافة، فبعد دخول الجيش الإسلامي بقيادة عمرو بن العاص إلى مصر بعشر سنين، كان تسعون بالمئة من الشعب المصري قد دخلوا في الإسلام دونما إكراه أو إجبار، وكذلك كان حال بلاد الشام والعراق والشمال الإفريقي على تفاوت في المدد بين قطر وآخر في اعتناق شعوب تلكم البلاد لرسالة السماء.

كان الإسلام طيلة القرون التي تلت ظهوره، كالشمس، إذا غربت من جهة، أشرقت من جهة أخرى - كما قال محمد إقبال - .

فعندما خرب المغول بغداد ١٢٥٨م، وعندما طرد فرديناند، ملك ليون وقشتاله، المسلمين من قرطبة عام ١٢٣٦م، وخضعت غرناطة للملك الإسباني، كان الإسلام قد استقرت دعائمه، وتوطدت أركانه في جزيرة سومطرة، وكان على أهله أن يحرز تقدماً ناجحاً في الجزر

الواقعة في بلاد الملابي.

ثمة حالتان تاريخيتان كبرitan قهر فيما الأعداء الوثنيون المسلمين عسكرياً، وهما الأتراك السلجوقة في القرن الحادي عشر الميلادي، والمغول في القرن الثالث عشر، وفي كلتا الحالتين ترى الفاتحين الغالبين يعتنقون ديانة المغلوبين، ومن ثم حمل دعوة المسلمين - الذين كانوا خلوأً من أي مظهر من مظاهر السلطان الزمني - عقidiتهم إلى الصين، وإلى جزر الهند الشرقية - أندونيسيا - وغيرهما في جنوبية شرقية آسيا^(١).

وفي خطبة ألقاها القائد المسلم قتيبة بن مسلم الباهلي في أهل تركستان: اعتنق الإسلام ١٥٠ ألف بعد أن كانوا يعبدون النار.

حملت قوة الإيمان والتصميم لمحمد بن القاسم، إمبراطور الصين إلى إرسال ابنه ليحمل تراب الصين على صحيفة من ذهب ليطأه القائد المسلم محمد بن القاسم برأ بقسمه^(٢).

وفي أوقات لاحقة انتشر الإسلام في سيريلانكا وفطاني وأراكان ونيبال وتايوان وهو نغ كونغ وكوريا واليابان وأستراليا، ليدخل في الإسلام مئات الآلوف.

انتقل الرسول الأكرم ﷺ إلى جوار ربه ورایات التوحيد ترفرف فوق ربوة الجزيرة العربية دون غيرها، ولم يمض عامان على خلافة

(١) الدعوة إلى الإسلام تأليف توماس أرنولد ص ٢٦ طباعة مكتبة النهضة المصرية.

(٢) موسوعة العالم الإسلامي لـ د. موقف بنى مرجه ص ٢٨ .

أبى بكر حتى كانت جيوش الرسالة الإسلامية تدك معاقل الدولتين الكبيرتين: فارس والروم، وتقضي على نفوذهما، ليحل العدل والمساواة والحرية والأمن ربوع هاتين الإمبراطوريتين العالميتين، وبعد حوالي نصف قرن كان الإسلام صاحب الكلمة العليا في قارات العالم القديم، ولاسيما آسيا وإفريقيا.

إن انتشار الإسلام بصورة قياسية غير مسبوقة لأي دين أو مذهب أو أيدиولوجية أدهش الباحثين والدارسين وأذهلهم، فراحوا يبحثون عن الأسباب والعوامل التي تكمن وراء ذلك، وعن الأسرار التي حققت القول القرآني: ليظهره على الدين كله، فسجلوا جملة من الأسباب ذكرها المؤلف المبدع توماس أرنولد الذي توفي في مطلع القرن العشرين، في كتابه: الدعوة إلى الإسلام، هذا الكتاب الذي نصحني اللواء الركن محمود شيت خطاب، رحمه الله، بقراءته قائلاً: سيفعنيك عن قراءة مئة كتاب، عندما كنت أحضر بحثاً حول انتشار الإسلام في آسيا لالقاءه في ندوة في بغداد، ومن هذا الكتاب القيم استقيت معظم مواد هذه الدراسة حول انتشار الإسلام في العالم.

عوامل انتشار الإسلام

سجل المؤلف جملة نقاط في هذا الشأن أدت إلى انتشار الإسلام واعتناق شعوب الأرض والأمم مبادئه السمحاء:

- ١- بساطة العقيدة الإسلامية وخلوها من التعقيدات الفلسفية.
- ٢- الإسلام دين عقلي يقوم على أساس المنطق والعقل.

- ٣- الاعتقاد بالله والحياة الآخرة، يلخصان كل تعاليم العقيدة التي جاء بها القرآن.
- ٤- الوحدانية في عظمها وجلالها وصفاء، وأن سيادته -هيمنته- مطلقة لا تحد، وهذا الإيمان ببعث في المؤمنين شجاعة خارقة وازدراء بالموت -عدم الخشية من الموت-.
- ٥- فريضة الحج التي تنظم للمسلمين اجتماعاً سنوياً على اختلاف شعوبهم ولغاتهم من كل أنحاء العالم، فتطبع عقول المسلمين بمعنى الحياة الكريمة -تؤدي إلى وحدة الفكر لدى المسلمين-.^(١)
- ٦- نظام الزكاة يؤكّد للمسلمين كل عام أخوتهم -إنما المؤمنون إخوة-.
- ٧- دخول الإنسان في الإسلام يجعله حرّاً من العبودية -يحرره من كل أشكال الخنوع والخضوع لغير الله-.
- ٨- في الصلوات الخمس اليومية، تبدو صفوف المسلمين وكأنها صفوف الملائكة، يتساوى فيها الحاكم والتاجر الكبير، مع العبد أو الفقير.
- ٩- الصوم، وما يحققه من أهداف عظيمة في التراحم بين أفراد المجتمع الإسلامي.

(١) توماس، ص ٤٥٦، ٤٥٧ .

- ١٠- تحريم إجبار الناس وإكراههم على اعتناق الإسلام .
- ١١- عدل المسلمين : لما بلغ الجيش الإسلامي وادي الأردن ، وعسكر أبو عبيدة في فحل ، كتب الأهالي المسيحيون في هذه البلاد إلى العرب المسلمين يقولون : يا معاشر المسلمين ، أنتم أحب إلينا من الروم ، وإن كانوا على ديننا ، أنتم أوفي لنا ، وأرأف بنا ، وأكف عن ظلمنا ، وأحسن ولاية علينا ، ولكنكم غلبونا على أمرنا وعلى منازلنا^(١) .

وأغلق أهل حمص أبواب مدنهم دون جيش هرقل ، وأعلموا المسلمين أن ولائهم وعددهم أحب إليهم من ظلم الإغريق - الروم - وتعسفهم^(٢) .

وفي هذا السياق ألقى الأستاذ مكس ملر (كما أورد أرنولد في الصفحة ٢٥ من كتابه الدعوة إلى الإسلام) في كانون الأول عام ١٨٧٣ م محاضرة في كنيسة وستمنتر في لندن قال فيها : يمكن تقسيم الأديان الستة في العالم إلى دين مختص برسالة ، ودين غير مختص ، فاليهودية والبرهمية والزرادشتية من القسم الأخير ، أما البوذية والمسيحية والإسلام فهي من القسم الأول - دين رسالة - ثم حدد ما ينبغي أن يدل عليه اصطلاح دين الرسالة بقوله : إن الدين الذي يسمى فيه نشر الحق وهداية الكفار إلى واجب مقدس على يد مؤسس الدين

(١) الأزدي ص ٩٧ .

(٢) البلاذرلي ص ١٣٧ .

أو خلفائه من بعده، إنها روح الحق في قلوب المؤمنين التي لا تستقر حتى تتجلّى في الفكر والقول والعمل، ثم أورد المؤلف باقة من آيات القرآن الكريم تخصّ الدعوة إلى الإسلام، والنهي عن إكراه الناس على الدخول في الإسلام:

- ادعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلُهُمْ بِالْتَّيْهِي أَحْسَنٌ^(١).
- وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأَمْيَّنَ أَسْلَمُتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدُوا وَإِنْ تَوَلُّوا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ^(٢).
- وَلَا تَكُنْ مِّنَ الْمُنْكَرِ أَمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ^(٣).
- وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أُبْلِغْهُ مَا مَأْتَهُ^(٤).
- فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ^(٥).

(١) سورة النحل، جزء من الآية ١٢٥.

(٢) سورة آل عمران، جزء من الآية ٢٠.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٠٤.

(٤) سورة التوبة، جزء من الآية ١٠٦.

(٥) سورة النحل، جزء من الآية ٣٥.

- فَإِنْ أَعْرَضُوا قَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَقِيقَةً إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ^(١).
- وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَأَمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ^(٢).
- لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ^(٣).
- ثُلُّ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ^(٤).

ختم أرنولد هذه الفقرة التي يؤكد فيها على الحرية الدينية في الدعوة الإسلامية، بكلمة موجزة لكاتب كبير هو جورج سيل الذي ترجم القرآن الكريم إلى الإنكليزية إذ قال: إنه لن يتحرى الأسباب التي صادفت شريعة محمد ترحيباً لا مثيل له في العالم، لأن هؤلاء الذين يتخيلون أنها -رسالة الإسلام- قد انتشرت بحد السيف وحده إنما ينخدعون انخداعاً عظيماً^(٥).

ثم يؤكد المؤلف على عالمية الإسلام، مستشهدأً بعدد من الآيات

(١) سورة الشورى، جزء من الآية ٤٨.

(٢) سورة يونس، الآية ٩٩.

(٣) سورة البقرة، جزء من الآية ٢٥٦.

(٤) سورة النور الآية ٥٤.

(٥) الدعوة إلى الإسلام لتوomas أرنولد ص ١٧.

القرآنية، كقوله تعالى:

إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ^(١).

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ^(٢).

بَارَكَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا^(٣).

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ^(٤).

بعد أن انتهى الباحث الكبير من ذكر الأسباب التي كانت وراء انتشار الإسلام، وبعد أن تحدث عن الحريات الدينية التي كفلها الإسلام لكل المذاهب والأديان السماوية والأرضية، وعن إصلاح المجتمع وهداية الناس كافة بمنهج وأسلوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأخيراً بعد أن أكد على عالمية الإسلام، وأنه جاء لهداية البشرية كافة، لا يفرق بين العرب الذين نزل الإسلام عليهم وبلغتهم، وبين الزوج والهنود الحمر والوثنيين وسكان الغابات لإتقاذهم من الضلال إلى الهدى، ومن الظلمات إلى النور، ومن الشقاء إلى سعادة الدارين، بعد هذا جاء دور انتشار الإسلام في العالم القديم بزمن قياسي، ولاسيما في إفريقيا وآسيا وبعض البلدان الأوربية.

(١) سورة ص، الآية ٨٧ .

(٢) سورة الأنبياء، الآية ١٠٧ .

(٣) سورة الفرقان، الآية ١ .

(٤) سورة سبا، الآية ٢٧ .

أولاً - انتشار الإسلام في إفريقيا

دخل الإسلام إفريقيا أولاً مع الجيش الإسلامي الذي غزا مصر بقيادة عمرو بن العاص سنة ٦٤٠ م الموافق ٢٠ هـ، ويرجع النجاح السريع الذي أحرزه الفاتحون قبل كل شيء إلى ما لاقوه من ترحيب الأهالي المسيحيين الذين كرهو الحكم البيزنطي، فاليعاقبة الذين كانوا يكوتون السواد الأعظم من السكان المسيحيين قد عوملوا معاملة مجحفة من أتباع المذهب الأرثوذكسي التابعين للبلاط الحاكم الذين ألقوا في قلوبهم بذور السخط والحنق اللذين لم ينسهما أعقابهم حتى اليوم.

لقد قيل إن جستنيان أمر بقتل مئتي ألف من القبط في مدينة الإسكندرية، وأن اضطهاد حلفائه قد حملت كثيرين على الالتجاء إلى الصحراء.

لقد جلب الفتح الإسلامي إلى هؤلاء القبط حياة تقوم على الحرية الدينية التي لم ينعموا بها قبل ذلك بقرن من الزمان^(١).

ولاشك أن كثيراً من المصريين اليعاقبة قد تحولوا، وقد أخذت الحيرة منهم كل مأخذ، واستولى على نفوسهم الضجر والإعياء من ذلك الجدل السقيم الذي احتمم من حولهم، تحولوا إلى عقيدة تتلخص في وحدانية الله البسيطة الواضحة، ورسالة نبيه محمد ﷺ^(٢).

(١) المرجع السابق ص ٢٣ .

(٢) الدعوة إلى الإسلام : ٢٦ .

أ- الإسلام في الحبشة

حتى القرن العاشر الميلادي كان عدد المسلمين في الحبشة قليلاً، وفي القرن الثاني عشر أدى تأسيس دولة عربية إلى فصل بعض الأراضي الساحلية عن المملكة الحبشية، وحدث في عام ١٣٠٠ م أن شق أحد الدعاء -أبو عبدالله محمد- طريقه إلى بلاد الحبشة، وتمكن من أن يجمع حوله مئتي ألف شخص، واستطاع أن يهجم على حاكم أمهره (المقرizi ج ٢ القسم الثاني ص ١٨٣) كما نقله عنه أرنولد في الصفحة ١٣٥). ثم انتشر الإسلام عن طريق رجل يدعى أحمد القرین الذي كان، كما يروي عن نفسه، ابنًا لأحد القساوسة، فترك موطنه ودخل الإسلام، وغزا بلاد الحبشة سنة ١٥٢٠ - ١٥٤٣، وانضم إلى جيشه الظافر كثير من زعماء الأحباش مع أتباعهم، وإن التحول الواسع إلى الإسلام في مقاطعات كثيرة ليوحى بأن حركته لقيت تأييداً من العامة.

قتل الأحباش بمعونة البرتغاليين أحمد القرین عام ١٥٤٣، ومع ذلك استقرت دعائم الإسلام في الحبشة، فما صنعه البرتغاليون في الحبشة جعل بعض القواد المسيحيين يعلنون صراحة أن من الخير لهم أن يخضعوا للحاكم المسلم من أن يظلوا على محالفة البرتغاليين^(١).

أثبت رحالة عاش في القرن السابع عشر أن المسلمين كانوا منبئين في جميع بلاد الحبشة، وأنهم يؤلفون ثلث السكان.

(١) المرجع السابق ص ١٣٥، ١٣٧، ١٣٨ .

في القرن الثامن عشر تحدث قنصل إنجلترا في الحبشة ١٨٤٤-١٨٦٠ عن قبائل الحباب، وهي ثلاثة قبائل تتبع إلى فرع التيجري Tigri أنهم اعتنقا الإسلام شمالي غربي مصوع -أرتيريا حالياً- خلال المئة عام الأخيرة، كما كان للمسلمين الذين يتجررون معهم تأثير عليهم، وفي هذه الفترة تحولت جموع أخرى من أهالي المقاطعات الشمالية في هذه البلاد إلى الإسلام بطريق مختلفة، ومنها تحول القساوسة إلى الإسلام. وقال رحالة آخر: إن جموعاً من المسيحيين تحولوا إلى الإسلام في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي^(١).

٢- أثر الإسلام في الزنوج

الوثنية وأكل لحوم البشر وتجارة المخدرات كلها في وحدة مؤتلفة، فقد ذكر الرحالة جوزيف طومسون أنه عندما ترك وراءه المنطقة الساحلية المنخفضة، وصار على مقربة من الحدود الجنوبية لما يسمى السودان الأوسط، لاحظ تحسناً مطرداً في المظهر الأخلاقي عند الأهلين، وأن الوحشية قد اختفت، وتبعتها الوثنية في الزوال، وزالت تجارة الخمور إلى حد بعيد، وصارت ملابسهم أكثر احتشاماً، وأصبحت النظافة عندهم عادة، ودل مظهرهم الخارجي على وقار زائد وأدب جم، فقد دل كل شيء على أن هناك نوأة لمبدأ أكثر رقياً إلى حد ما، ومن الواضح أن هذا المبدأ كان يؤثر تأثيراً عميقاً في طبيعة الزنوجي، وسيجعل منه إنساناً جديداً. ولعلك تدهش

(١) المرجع السابق ص ١٤ .

لو علمت أن هذا المذهب هو الإسلام^(١).

ثانياً- الإسلام في إسبانيا

١- دخل الإسلام في إسبانيا عام ١١٧ م، (ليستمر فيها ٨٠٠ سنة، وليشيد فيها حضارة ما زالت شاخصة حتى الآن في ظل تسامح مدحش).

إن سياسة التسامح الديني التي أظهرها المسلمون نحو المسيحية كان لها أكبر الأثر في تسهيل استيلاء المسلمين على إسبانيا، فلم يعترض المسلمون على المسيحيين في إقامة شعائرهم، ولم يكن ثمة ما يدعو القسسين إلى إخفاء شارتهم الدينية، أو مع المسيحيين من تقلد المناصب العالية في البلاط، أو اندماجهم في سلك الرهبنة أو انتظامهم في جيش المسلمين.

فلا يسعنا إلا الاعتراف بأن تاريخ إسبانيا في ظل الحكم الإسلامي يمتاز ببعدٍ تماماً عن اضطهاد الدين^(٢).

٢- العثمانيون والتسامح مع المسيحيين

بعد سقوط القسطنطينية عام ١٤٥٣ م بأيدي العثمانيين أعلن السلطان محمد الفاتح نفسه حامي الكنيسة الإغريقية، وحرّم اضطهاد المسيحيين تحريماً قاطعاً، ومنح الطريق الجديد مرسوماً يضمن له

(١) المرجع السابق ص ٣٧٣.

(٢) المرجع السابق ص ١٥٩، ١٦٤.

والأتباعه ولمرؤوسيه من الأساقفة حق التمتع والامتيازات القديمة والموارد والهبات التي كانوا يتمتعون بها في العهد السابق، وقد تسلم أول بطريق جناديوس بعد الفتح التركي للقسطنطينية من يد السلطان نفسه عصا الأسقفية التي كانت رمز هذا المنصب، ومعها كيس فيه ألف دوقة ذهبية، وحصان محلی بطاقة فاخر، وكان يتميز برکوبه في خلال -شوارع- المدينة، تحف به حاشيته، وكانت المراقبة التامة على الشؤون الروحية والكنسية متروكة كلها في أيدي الطريق وأعضاء المجمع الأعظم، كذلك عوامل الأساقفة من الإغريق في الولايات معاملة تنطوي على رعاية بالغة^(١).

إن المعاملة التي أظهرها الأباطرة -السلاطين- العثمانيون للرعايا المسيحيين على الأقل بعد أن غزوا بلاد اليونان بقرنين، لتدل على تسامح لم يكن مثله حتى ذلك الوقت في سائر أوربا، وإن أصحاب -أتباع- كالفن Calfin في المجر وترانسلفانيا وأصحاب مذهب التوحيد من المسيحيين في ترانسلفانيا طالما آثروا الخضوع للأتراك على الواقع في أيدي أسرة هابسبورغ المتغصبة، كما أن البروتستانت في سيليزيا نظروا إلى تركيا بعيون الرغبة، وتمنا بسرور أن يشتروا الحرية الدينية بالخضوع للحكم الإسلامي^(٢).

ثالثاً- الإسلام في آسيا

عرف سكان آسيا الحريات الدينية في ظل الحكم الإسلامي، ففي

(١) المرجع السابق، ص ١٧٠ - ١٧١ .

(٢) المرجع السابق ص ١٨١ - ١٨٢ .

عهد المعتصم ٢١٨ - ٢٢٧ هـ الموافق ٣٣٨ - ٢٤٨ م أمر أحد قواد المسلمين بجلد إمام ومؤذن مسجد، لأنهما اشتراكاً في هدم أحد معابد عبادة النار من الوثنين، في بلاد الصفدر - فارس - واستخدما حجارته في بناء مسجد مكانه.

١- انتشار الإسلام في أواسط آسيا

لما وفد قتيبة بن مسلم على سمرقند، وجد كثيراً من الأصنام كان عبدتها يعتقدون أن كل من أثار حنقها تعرض للموت، فلم يحجم المسلمون عن إحراقها، فكان من أثر ذلك العمل أن دان بالإسلام عدد كبير من الناس كما نقل أرنولد عن البلاذري.

كان انتشار الإسلام بطريقاً في بلاد ما وراء النهر، حيث اعتنق الإسلام بعض السكان في عهد عمر بن عبد العزيز، ودخل قسم آخر في الإسلام في عهد هشام بن عبد الملك كما روى الطبرى، ولم يعتنق جمهور السكان الإسلام إلا في عهد المعتصم، بعد أن انضم الأتراك إلى جيش الخليفة، فرسخت قدم الإسلام بين القبائل التركية، ودان عدد من رؤساء عشائرهم بالإسلام، ثم امتد الإسلام من بلاد الساميين إلى البلاد المجاورة في تركستان، ففي سنة ٩٦٠ م اعتنق الإسلام مئتا ألف من الأسر التركية، والتي كانت تشكل الجزء الأعظم من أتراك تركستان بملكه بخارى، وكان أمير بخارى ساتون قد اعتنق الإسلام على يد الخواجا أبو النصر الساماني، فتحول على يده السكان على ضفاف نهر سيحون إلى الإسلام.

كان لدخول السلاجقين في الإسلام أهمية عظيمة، ففي سنة ٩٥٦ هـ هاجر سلاجق مع قبيلته من بلاد تركستان إلى بخارى حيث دان هو وأتباعه بالإسلام، وأصبحوا من المتحمسين له، وهذا هو أصل السلاجقين الذين أحيوا بانتصارتهم وفتحهم مجد الجيوش الإسلامية، ووحدوا الممالك الإسلامية في غربي آسيا في إمبراطورية واحدة^(١).

٤- الإسلام في أفغانستان

في نهاية القرن الثاني عشر الميلادي فقدت الدولة السلاجوقية قوتها، وعندما كان محمد الغوري يوسع رقعة إمبراطوريته من خراسان شرقاً حتى شمال بلاد الهند، انتعشت حركة انتشار الإسلام بين الأفغان، إذ طاف عدد من دعاة العرب والهنود بلاد الأفغان وقاموا بنشر تعاليم الإسلام في جرأة وحماسة ظاهرة، وتدل الأخبار على أن الإسلام دخل بلاد الأفغان دون أن يلجم المسلمين في القرن الأول إلى شيء من القوة أو العنف.

وفي عهد المأمون دعا الخليفة ملك كابل إلى الإسلام كما ذكر البلاذري -ص ٤٠٢- فاستجاب، واعتنق معه الإسلام عدد من الأفغان، وعندما وصل يعقوب بن الليث مؤسس الدولة الصفارية سنة ٨٧١ هـ إلى كابل أصبحت -كابل- منذ ذلك التاريخ بلد إسلامياً خالصاً لأول مرة، ثم تمكن الإسلام، وتوطن في كل أرجاء أفغانستان

(١) المرجع السابق ص ٢٤٦ - ٢٤٧ .

في عهد محمود الغزنوي^(١).

٣- انتشار الإسلام بين المغول والتار

بعد أن اكتسحت جيوش جنكيز خان المراكز الإسلامية، وأتت على كل مدينة وثقافة، وتركت القصور والحدائق خراباً يياً وأطلالاً دارسة في الحاضر العظيمة، في بخارى وبلغ وسمرقند في آسيا الوسطى، وكذلك كان مصير بغداد، ثم استقر لهم الأمر^(٢). بدأ التنافس شديداً بين البوذية والمسيحية والإسلام لكسب قلوب أولئك الفاتحين القساة.

شرع المغول بالتخلّي عن بربرية بدواوتهم الأولى، حين وجدوا أنفسهم جنباً إلى جنب مع هذه الأجناس ذات الديانات الراقية، وهدأت ثائرتهم، وتركوا التخريب والتدمير، وظهروا بمظهر التسامح مع أهل الديانات الأخرى، فكسبت البوذية مكانة علياً في الجزء الشرقي من إمبراطورية المغول، وكسب المسيحيون من المغول في أرمينيا وجورجيا^(٣).

كان بركة خان - ١٢٥٦ - ١٢٦٧ - أول من أسلم من أمراء المغول، وكان رئيساً للقبيلة الذهبية في الروسيا، وكان إسلامه على يدي تاجرین جاءا من بخارى على رأس قافلة تجارية، فصار جيشه

(١) المرجع السابق، ص ٢٤٧ .

(٢) المرجع السابق، ص ٢٤٩ .

(٣) المرجع السابق، ص ٢٥٣ .

كله مسلماً.

دخل بركة خان في حلف مع ركن الدين الظاهر بيبرس ١٢٧٧-١٣٦٠ م سلطان المماليك في مصر، فكان لكل أمير وأميرة في بلاط برقة خان إمام ومؤذن، وأن أطفالهم كانوا يحفظون القرآن في المدارس كما ذكر المقرizi في الجزء الأول من كتابه الخطط أو بالأصح من موسوعته ص ١٢١٥، فكان من جراء العلاقة بين برقة خان وببيرس أن كثيراً من القبيلة الذهبية قد وفدوا على مصر، واتخذوا الإسلام ديناً لهم، فكان الحلف بين برقة وبيرس موجهاً ضد هولاكو.

كان تكودار أحمد ١٢٨٤-١٢٨٢ - (الذي اعتلى العرش بعد أخيه أبا قاخان) أول آلخانات المغول الذين اعتنقوا الإسلام في فارس، فبذل قصارى جهده في تحويل التتار إلى الإسلام، وأرسل نبأ إسلامه إلى قلاوون سلطان المماليك في مصر.

بعد اغتياله وبقاء خلفائه عل وثنيتهم دخل سابع الآلخانات وأعظمهم شأناً في الإسلام عام ١٢٩٥ م، وجعل الإسلام دين الدولة الرسمي في فارس، ومنذ ذلك العهد غداً الإسلام الدين السائد في دولة آلخانات فارس.

في مملكة جغطاي انتشر الإسلام على أثر إسلام رئيسهم طرما شيرين ١٣٢٦ ، وأسلم ملك كاشغر عام ١٣٤٧ - ١٣٦٣ م على يد رجل من أهل التقوى والورع في مدينة بخارى يقال له: الشيخ جمال الدين، فأضحى الإسلام دين سكان الحضر في الولايات الخاضعة

لسلطان خلفاء جغطاي.

وفي عهد محمد خان - ١٤١٦ - أحد أحفاد خانات جغطاي أصبح معظم القبائل المغولية تدين بالإسلام جراء منهج العدل الذي سلكه محمد خان، والمساواة التي عمّت الناس في المنطقة التي تسمى تركستان الصينية.

وفي عهد أوزبك زعيم القبيلة الذهبية ١٣١٣ - ١٣٤٠ م انتشر الإسلام في القبائل الأوزبكية في أواسط آسيا^(١).

٤- انتشار الإسلام في فارس

كان الساسانيون مكرهين من الفرس لاستبدادهم ومناصرتهم ديانة زرادشت التي غدت الدين الرسمي للدولة، وتسلط كهنتها على أمور الدولة.

باتصار المسلمين تخلصت الكنيسة المسيحية من استبداد ملوك الساسانيين الذين أثاروا الخلافات القاسية بين اليعاقبة والنسطوريين.

مال الشعب الفارسي إلى هذا النظام العجيب من التنسيق العقلاني الذي ينمو فيه الإسلام في سهولة ويسر، وهكذا قدر للإسلام أن يجدد بصرية واحدة كل هذه الغيوم، وأن يفتح أمام الناس سبيلاً واضحاً من الآمال الكبيرة، وأن يدهم بخلصهم في أسرع وقت من عبوديتهم وحالتهم السيئة.

(١) المرجع السابق، ص ٢٦٥ - ٢٧١.

إن سكان المدن، وخاصة الصناع وأصحاب الحرف، وأهل الطبقة العاملة، قد رحبوا بالإسلام، واعتنقه عدد كبير منهم في حماسة كبيرة.

في أوائل القرن التاسع كان كريم بن شهريار أول ملك اعتنق الإسلام من أسرة فارس، وفي مطلع القرن الحادي عشر اعتنق الإسلام شاعر مشهور من أهالي الديلم، هو مهيار الديلمي بتأثير أستاذه الشريف الرضي^(١).

٥- الإسلام في روسيا

اعتنق البلغار الذين يعيشون على ضفاف نهر الفولغا الإسلام عن طريق التجار المسلمين الذين كانوا يتاجرون في الفراء وسائر السلع التي كانوا يأتون بها من البلاد الشمالية، ويدو أن البلغار دخلوا في الإسلام قبل عام ٩٢١، حين أرسل إليهم الخليفة المقتدر (٩٣٢-٩٠٨ م، ٣٢٠-٢٩٥ هـ) رسولاً يعلمهم مبادئ الإسلام وشعائره.

حاول البلغار تحويل فلاديمير ملك روسيا إلى الإسلام، فلم يقف في سبيل تحوله هو ورعايه إلى الإسلام إلا الختان وتحريم الخمر، لأنهما من مباحث الحياة عندهم، كما صرخ فلاديمير بذلك، فتوقف انتشار الإسلام فترة طويلة إلى أن صدر مرسوم عام ٩٠٥ ينص على التسامح الديني في أنحاء روسيا كافة، وما تلا ذلك من دعاية نشيطة

(١) المرجع السابق، ص ٢٣٥ - ٢٤٠ .

قام بها المسلمون التatars، ولا سيما في شبه جزيرة القرم، ولحد ما في ليتوانيا، وقد استطاع الدعاة أن ينجحوا في إقناع القرغيز في اعتناق الإسلام في القرن الثامن عشر، فشققت الدعوة الإسلامية طريقها في سهول القرغيز في اعتناق الإسلام من ناحية بلاد روسيا التي كانت أكثر اتصالاً بأوروبا.

صارت مدينة قزان المركز الرئيسي لنشاط الدعوة ونشر الإسلام بين الوثنيين في القرى، فدخل الناس في الإسلام أفواجاً، ويعود النجاح في ذلك إلى مستوى الحياة الأخلاقية في المجتمع الإسلامي، كما يرجع إلى شعور التأكبي الذي كان يشيع في هذا المجتمع الذي كان أكثر تمسكاً وقوه.

ومن أهم القبائل التي تأثرت بحركة الدعوة إلى الإسلام قبيلة الفوتياك التي أصبح كثير منهم مسلمين في القرن الثامن عشر ومستهل القرن التاسع عشر، وكذلك قبيلة الشيريميس التي أسلمت بأسرها، بالرغم من القوانين التي تحرم التحول إلى دين من الأديان عدا مذهب الكنيسة الأرثوذكسية.

كانت المؤثرات الإسلامية من القوة بحيث هيأت السواد الأعظم منهم ليكونوا مسلمين جراء النشاط الحي الذي تتميز به الدعوة الإسلامية بين القبائل، والذي تجلّى في التكافل بين الذين يدخلون في الإسلام، وفي بناء المدارس والمساجد بين الأسر التي تدخل في الإسلام.

لم ترسخ قدم الإسلام في سiberia إلا في النصف الأخير من القرن

ال السادس عشر بعد أن كان دعاء الإسلام يشقون طريقهم من حين لآخر في سиيريا قبل هذه الفترة، علمًا بأن عدداً من الدعاة ماتوا موت الشهداء^(١).

وعندما أصبح كوتشم خان الذي كان من سلالة جوجي خان أكبر أبناء جنكيز خان خاناً على سيريا عام ١٥٧٠ بذل قصارى جهده في تحويل رعاياه إلى الإسلام، وأحضر لهذا دعاء من بخارى وقزان لمساعدته في هذه المهمة.

استمر الدعاء الآتون من بخارى وغيرها من مدن آسيا الوسطى، والتجار القادمون من قزان على نشر الدعوة إلى الإسلام في سيريا، ومما هو جدير بالذكر تلك الأناشيد الشعبية التي يتغناها القرغيز، والتي تحتل مكانة كبيرة بين وسائل الدعاية الإسلامية، فقد تضمنت هذه الأغاني والأناشيد حقائق الإسلام الأساسية، مصوحة في أسلوب قصصي جعلها تصل إلى قلوب عامة الشعب في سهولة ويسر^(٢).

٦- انتشار الإسلام في الهند

تناول كثير من المؤرخين الأقدمين والمعاصرين الكلام عن غزوات المسلمين في الهند، وتأسيس الفوز الإسلامي ونموه في الهند، ييد أن أحداً لم يحاول إلى الآن أن يكتب عن تاريخ انتشار الإسلام خارج الانتصارات العسكرية والحربية والأعمال الإدارية.

(١) المرجع السابق، ص ٢٧٣ - ٢٨٣ .

(٢) المرجع السابق، ص ٢٧٣ - ٢٨٤ .

إن العدد الهائل من المسلمين في الهند تم تحويلهم إلى الإسلام عن طريق التعليم والإقناع للذين لجأ إليهما الدعاة المسلمين، الذين كان فيهم دعوة وافدون من خارج الهند، ودعوة من داخلها، تحولوا إلى الإسلام بمحض إرادتهم بعيداً عن جوهر الحياة السياسية، فدخل السواد الأعظم منهم في حظيرة الإسلام، حيث وجد فيه الهندو بلسم الشافي الذي سرى في شريان الحياة والفكر في بلاد الهند العليا، وسرعان ما أحيا عقولاً كثيرة، وبث فيها حياة أكثر قوة ونشاطاً.

إننا نجد أن الإسلام قد أحرز انتصاراته وأطولها بقاءً في نشر الدعوة، في الأزمان والأمكنة التي كانت فيها قوته السياسية أشد ما تكون ضعفاً، كما كانت الحال في جنوب الهند وفي شرقي البنغال^(١).

من أشهر الدعاة في الهند الشيخ إسماعيل أول داع مسلم إلى الإسلام في لاهور، والذي قدم عليها عام ١٠٠٥م فدخلت على يده جموع زاخرة في الإسلام، كما ذكر أن تحول سهول البنجاب الغربية إلى الإسلام، كان من آثار دعوة الشيخ بهاء الحق الملتحاني، والشيخ فريد الدين البكتاني في نهاية القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر، وكذلك فإن خواجه معين الدين خشتى وجلال الدين كانوا من أعظم الدعاة الذين نشروا تعاليم الإسلام في الهند، وجنوباً إليه خلقاً كثيراً.

(١) توماس ص ٢٨٥ - ٢٩٥ .

استمر سيل الدعاء في الهند وقيامهم بنشر الإسلام دون انقطاع حتى السنوات المتأخرة، كان منهم داعية وفد من العراق يدعى أبا علي قلندر كان له تأثير بالغ، وتوفي في الهند عام ١٨٢٤.

وفي سنوات لاحقة ثمة شواهد تدل على أن الإسلام كان في طريقه إلى الانتشار في الهند في نجاح عظيم، وقد دل النصف الثاني من القرن التاسع عشر بوجه خاص على نهضة عظيمة في نشاط الدعوة، ليصبح عدد الذين كانوا يدخلون في الإسلام يتفاوت بين عشرة آلاف وخمسين ألفاً، ومئة ألف، وست مئة ألف على أيدي دعاة اشتغلوا بأعمال الدعوة في نشاط توفيق، ظهروا في بمباهي، وحيدر آباد، ومدن أخرى^(١).

كان من أبرزهم مولوي محمد عبيد الله بن منشي قطامن من مدينة بايال في ولاية تبياله، فكان على جانب عظيم من الثقافة، وقد برهن على أنه داعية غير عادي، وعندها تحدث عن دخوله الإسلام قال:

«عرفت الهندوسية معرفة تامة، وحصلت على معرفة كاملة بالدين المسيحي، وقرأت كتب الإسلام، وتباحثت مع علماء المسلمين، فوجدت فيها جميعها أخطاء وأباطيل إلا الإسلام الذي تجلت لي مزيته جلاءً بيّناً، ولزعمم هذا الدين النبي محمد ﷺ من المزايا المعنوية، ما يعجز الإنسان عن وصفه».

(١) نفسه ص ٣١٥ - ٣١٨ .

ثم قال: إن هذا الدين قد بلغ من السمو أن كل شيء فيه يهدي الروح إلى الله. كان ذلك في عام ١٨٦٤ م.

في كشمير والتيت دخل في الإسلام أول ملوك كشمير وهو: صدر الدين في مستهل القرن الرابع عشر على يد أحد الدعاة الزهاد بليل شاه، وفي نهاية القرن الرابع عشر ١٣٨٨ م انتشر الإسلام انتشاراً عظيماً على يد داعية هو سيد علي الهمذاني، ثم تحول إلى الإسلام راجا كشتوار في عهد الإمبراطور المغولي أورنج زيب عن طريق الداعية سيد شاه فريد، فتبعه دخول السود الأعظم من السكان، وعن طريق تجار كشمير من جهة، والتجار المسلمين الوافدين إلى التيت من تركستان وزواجهم من نساء التيت دخل الإسلام إلى هذه المقاطعة^(١).

في جنوب الهند يرجع دخول الإسلام لأول مرة إلى القرن الثامن الميلادي، حين قدم جماعة من العراق - وكان العرب وغيرهم يزاولون تجارة التوابل والعاج والأحجار الكريمة بين الهند وأوروبا - فنشأت علاقات وطيدة بين هؤلاء التجار المسلمين وبين الحكماء الهند، فلم تقف عقبات في سبيل نشر تعاليم الدعوة، ولقي الذين دخلوا في الإسلام من أهالي جنوب الهند الاحترام والتقدير اللذين لقيهما التجار الغربياء، مع أنهم كانوا يتعمدون إلى أخط طبقة في المجتمع الهندي، وقد ظل تاريخ الإسلام في جنوب الهند دائماً يتسم

(١) نفسه ص ٣٢٠ - ٣٣٠ .

بالسلام، لذلك لا نعجب إذا رأينا الأهالي المسلمين يزداد عددهم بسرعة بسبب دخول الناس في الإسلام من بين الطبقات الدنيا الذين يحررون أنفسهم بذلك من هذا الظلم الذي يحقر من شأنهم.

عبر الإسلام من ملبار إلى جزائر المالديف في خليج البنغال عن طريق التجار العرب والمسلمين، فدخل أهل الجزيرة جميعاً في الإسلام، وكان أول السابقين إلى الإسلام: سلطان جزيرة ملديف أحمد شنورازه سنة ١٢٠٠ م كما ذكر ابن بطوطة في الجزء الرابع من كتابه في رحلاته، ومن المحتمل أن يكون التجار المسلمين قد أدخلوا الإسلام إلى الجزيرة قبل ذلك بثلاثة قرون.

يذكر كثير من المؤرخين العرب والأجانب أسماء دعاة وتجار نشروا الإسلام في غربي الهند وجنوبها مثل سيد حيسودراز، وهاشم بيرجورات، ومحمد صادق سرمست، وخواجة حسيني، وسيد محمد بن سيد علي، وسيد عمر عيدروس في القرون الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر^(١).

في السندي دخلت أسرة سمة Sammas في الإسلام وحكمت بلاد السندي من عام ١٣٥١ م وحتى عام ١٥٢١ م، فكان عهدها عهد سلام وطمأنينة، وكان دخول أهل السندي إلى الإسلام بالوسائل السلمية، وكان من أشهر الدعاة سيد يوسف الدين أحد أحفاد عبد القادر الكيلاني الذي ترك بغداد وجاء إلى السندي عام ١٤٢٢ م فنصح

(١) نفسه ص ٢٩٦ - ٣٠٥ .

في جذب أعداد غفيرة إلى الإسلام.

وفي البنغال لاقى دعوة الإسلام أعظم النجاح من حيث كثرة عدد الذين دخلوا في هذا الدين، وفي البنغال أُسست، لأول مرة، دولة إسلامية في نهاية القرن الثاني عشر على يد محمد بختيار الخليجي، ومع أن الحكم الهندي أعيد في البنغال مدة عشر سنوات على يد راجا كافس الذي عرف بتسامحه فكان محبياً إلى المسلمين، فإن ولده جات ترك الديانة الهندوسية وأسلم، وبعد وفاة أبيه عام ١٤١٤ استدعي كل موظفي الدولة، وأعلن إليهم رغبته في اعتناق الإسلام، واستعداده للتخلي عن الحكم لأن أخيه إذا لم يسمح له كبار رجال الدولة باعتلاء العرش، فأعلنوا أنهم يرضون به ملكاً عليهم، أيًّا كانت الديانة التي يعتقدها، فاتخذ لنفسه اسم جلال الدين محمد شاه، فتم في عهده تحول واسع إلى الإسلام.

كان للرواد الأفغان الذين استقروا في البنغال أثر كبير في نشر تعاليم الإسلام، ولم يقف في سبيل تقدم الإسلام شيء من النظم الدينية العنيفة كما كان الحال في شمالي غربي الهند، حيث لقي المسلمين ديانة البراهمنة في مواجهة الإسلام، غير أن الإسلام انتشر في البنغال، أخصب الولايات الهندي وأغنها، لأن الإسلام أدخل في أذهان البنغاليين تصوراً أرقى لمعنى الحياة، ومثلاً أعلى للأخوة الإنسانية، ونظمًا اجتماعياً جديداً^(١).

(١) نفسه ص ٢٠٦ - ٢١٤ .

٧- انتشار الإسلام في الصين

من المحتمل جداً أن الإسلام دخل الصين أول ما دخل مع التجار الذين كانوا يسلكون الطريق البحري القديم.

ذكر أن الخليفة عثمان أرسل أحد القواد العرب إلى الصين، فاكرم الإمبراطور وفادة أول سفير من المسلمين بعثه إليه الخليفة عام ٦٥١ م، كما أن قتيبة بن مسلم الباهلي وصل إلى الحدود الشرقية للإمبراطورية الصينية في زمن الوليد بن عبد الملك عام ٧١٣ م، وأرسل رسلاً إلى الإمبراطور الصيني، فعادوا يحملون الهدايا الثمينة، واستمرت هذه العلاقات الدبلوماسية بين المسلمين والصين في عهد الدولة الأموية، وفي مطلع الدولة العباسية.

بدأ الوجود الإسلامي في عهد دولة ناتج على شكل مجموعات من التجار في الموانئ الصينية، وقد كتب أحد الجغرافيين العرب عام ٨٥١ م يصف الجاليات العربية، والمساجد التي قام هؤلاء التجار ببنائها لإقامة الشعائر الدينية.

وفي العهد المغولي قامت هجرة واسعة النطاق، هاجر فيها المسلمون من عرب وفرس وأتراك وغيرهم إلى الإمبراطورية الصينية على شكل تجار وصناع وغير ذلك.

وعندما دخل المسلمون الصين، تقلد مسلمون مناصب رفيعة في الصين تحت إمرة حكام المغول، مثل ذلك عبد الرحمن الذي اختير عام ١٢٤٤ م رئيساً على بيت مال الدولة، وخُول حق تقدير الضرائب

المفروضة على الصينيين، وكذلك ذكر السيد الأجل عمر شمس الدين الذي عهد إليه الإمبراطور قوييلاي خان الذي اعتلى عرش الصين ١٢٥٩ م في إدارة بيت مال الإمبراطور، وقد مثلت ذريته من بعده دوراً هاماً في توطيد دعائم الإسلام في الصين، فكان حفيده هو الذي حصل من الإمبراطور سنة ١٣٣٥ م على الاعتراف بأن الإسلام هو الدين الحق الخالص، وأذن الإمبراطور لشخص آخر من سلالة السيد الأجل بأن يبني مساجد في العاصمتين سينانغو ونانكي عام ١٤٢٠ م.

تحدث ابن بطوطة الذي زار عدة مدن ساحلية في الصين، حول منتصف القرن الرابع عشر، عن الترحيب الحار الذي لقيه في الصين، وقال: إن في كل مدينة من مدن الصين شطراً للمسلمين ينفردون بسكناتهم فيه، ولهم عدد من المساجد فيه لإقامة الجمعة وسواها، وهم معظمون ومحترمون كما قال ابن بطوطة في المجلد الثالث في الصفحات ٢٥٨، ٢٧٥، ٢٨٣.

بعد زوال دولة المغول قدم إليهم مؤسس دولة منج الجديدة كثيراً من الامتيازات، وتدل كثرة المساجد التي بنيت على انتعاشهم خلال الفترة التي قضتها هذه الدولة في الحكم من عام ١٣٦٨ م وحتى عام ١٦٤٤ م.

وبالرغم من أن المسلمين كانوا يقيمون في أحياط خاصة بهم، إلا أنهم اندمجو في المجتمع الصيني، وتمثلوا عاداته التي لا تصادم عقائدهم، وكان لهم طرق متنوعة في نشر الإسلام، لكنهم اعتمدوا في نشره على الكتب التي تعرف بالإسلام، وعلى المعاهد التعليمية،

أي كانت الثقافة أبرز وسائلهم.

في عام ١٨٦٧ م عبر كاتب روسي في كتاب مهم كتبه عن الإسلام في الصين عن الفكرة التي تقول بأن الإسلام مهيأ لأن يكون الدين القومي للإمبراطورية الصينية، ولأن يقلب، تبعاً لذلك، الأوضاع السياسية في العالم الشرقي رأساً على عقب.

لكن الثورات المتعاقبة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، والثورة الشيوعية في النصف الأول من القرن العشرين حالت دون تحقيق هذا المشروع، لكن نشر تعاليم الإسلام في الصين الذي لا يزال وطيداً، وبالرغم من انقضاء أربعة قرون على الوقت الذي استطاع فيه رحالة مسلم هو سيد علي أكبر أن يناقش احتمال دخول الإمبراطور في الإسلام، ودخول رعيته من بعده، فإنه لا يزال من الممكن أن يقرر المسلم الصيني في هذا الجيل أن أبناء دينه في هذه البلاد يتطلعون بشقة إلى ذلك اليوم الذي يتصرر فيه الإسلام في طول الإمبراطورية الصينية وعرضها^(١).

٨- الإسلام في أرخبيل الملايو -ماليزيا-

من أهم فصول انتشار الإسلام ما جرى في الملايو، فقد كان واضحاً في انتشار الإسلام قوة الإقناع وحدها، بالرغم من مجابهة الإسبان لدعاة الإسلام.

حمل تجار العرب الإسلام إلى الملايو في القرون الأولى

(١) نفسه ص ٢٣٢ حتى ص ٣٣٦، ومن ص ٣٤٥ حتى ص ٣٤٨ .

للهجرة، ففي القرن الثاني الهجري كانت التجارة في سيلان كلها في أيديهم، وفي مستهل القرن السابع الميلادي لقيت تجارتهم مع الصين عن طريق سيلان رواجاً عظيماً، وفي الفترة ما بين القرنين العاشر والخامس عشر حتى قدوم البرتغاليين كان العرب سادة التجارة مع الشرق دون منازع.

يرجع الفضل في نشر الدعوة في أرخبيل الملايو إلى الجهد الذي بذلها تجار العرب والهنود في الدعوة إلى الإسلام، إلى المصاهرة وتعلم اللغة المحلية وشراء العبيد وإكرامهم، واستلام مراكز مهمة في الدولة، فهم لم يفدو على الأرخبيل غزاة كما فعل الإسبان في القرن السادس عشر، ولم يستخدمو السيف أداة لتحويل الناس إلى الإسلام، بل لم يدعوا لأنفسهم حقوق جنس أسمى يتمتع بالغلبة والسيادة.

قدموا في زي التجار، واستخدمو كل ما لديهم من ذكاء أسمى ومدنية أزهر في سبيل دينهم.

تعزو أخبار مؤرخي الملايو عن ملقا، إلى تحول هذه المملكة إلى الإسلام في عهد أحد ملوكها سلطان محمد شاه الذي اعتلى العرش عام ١٢٧٦م، وبعد أن حكم عدة سنوات قبل أن ترسو سفينته بقيادة سيدي عبد العزيز إلى شواطئ ملقا آتية من الجزيرة العربية ذجة - أقنع القادمون الملك بتغيير عقيدته فدخل في الإسلام، واتخذ لنفسه اسماً يحمل اسم النبي محمد ﷺ فانتشر الإسلام في هذه المقاطعة من شبه جزيرة الملايو - ماليزيا - .

وفي قويدة إحدى ولايات الملايو كان دخول الإسلام إليها حوالي ١٥٠١م، عندما قدم داعية عربي من اليمن يدعى الشيخ عبدالله، فزار حاكمها -الراجة- فوجده وقومه يعبدون الأصنام، فقال الشيخ:

- أما سمعتم جلالتكم عن الإسلام والقرآن الذي أنزله الله على محمد ﷺ، ونسخ به كل الديانات السابقة؟

قال الراجة: إن كان حقاً ما تقول فأرجو منك أن تعلمنا هذا الدين الجديد، وتهديننا بنوره.

فتهلل وجه الشيخ عبدالله، واحتضن الراجه، ثم شرع يشرح له الإسلام، ويفقهه في أموره، وعندما اقتنع الملك أحضر آنية الأرواح التي طالما عكف عليها، وأفرغ ما فيها على الأرض بيده، وأمر بإحضار كل الأصنام التي في قصره، فجمعت بين يديه أكواם من أصنام الذهب والفضة والطين والخش وكسرها الشيخ عبدالله بسيفه وبفأس، وأحرقت الأجزاء في النار، وكان الشيخ مهذباً جداً، فجمع له الملك الرجال والنساء من الحاشية، فعلمهم عقائد الإسلام واستدعي الملك وزراءه، فاستجابوا لدعوة الملك، ودعوا الرعية إلى بهو القصر طالبين إليهم تحطيم كل الأصنام التي يعكفون على عبادتها، فحطمت وحرقت، وبنيت المساجد في البقاع الآهلة بالسكان، وأقيمت صلاة الجمعة في أنحاء الولاية.

وتشير كثرة الأضرحة العربية في شبه الجزيرة على أن سيل الدعاء من العرب لم ينقطع عن شبه جزيرة الملايو، حتى غدا الإسلام هو

السائد في ربوعها^(١).

٩- الإسلام في سيام وجاوه

انتقل الإسلام إلى سيام عن طريق التجار العرب، وعن طريق هجرات أهل الملايو التي بدأت في نهاية القرن الرابع عشر الميلادي. في النصف الأخير من القرن الرابع عشر ظهرت حركة للدعوة الإسلامية، ونالت نجاحاً عظيماً على يد شخص يدعى مولانا ملك إبراهيم، كان قد رسا على ساحل جاوة الشرقي، وكان يرجع نسبه إلى زين العابدين بن الحسين، فعمل على تحويل الناس إلى الإسلام، وأحرز نجاحاً في هذا السبيل، ثم تزوج عربي كأن قد قدم إلى كمبوديا لنشر الدعوة الإسلامية، من ابنة أمير تشامبا في كمبوديا، فولد له غلام هو رادن رحمت، فنشأ على مبادئ الإسلام، ورحل إلى جاوة، فصادف داعية عربياً هو الشيخ مولانا حمادي الكبرى، فتأمل له أن تزول الوثنية على يديه، وبأن أعماله ستتكلل بالنجاح في دخول أهل جاوه في الإسلام، ولم تمض مدة حتى جذب إلى الإسلام عدداً كبيراً على الساحل الشرقي من جاوه، وصارت أمبل المقر الرئيس للإسلام في جاوه.

ثم ظهر داعية يدعى الشيخ نور الدين إبراهيم، كسب شهرة عظيمة، فدخل الناس في الإسلام ألوفاً وأفواجاً، ثم أرسل ولده مولانا حسن الدين إلى أكبر ولايات جاوه - بتام القرية من غربى

(١) نفسه ص ٤٠٣ - ٤١٤.

جاوه - فتكللت جهوده بنجاح عظيم بوسائل الإقناع اللطيفة، ثم ذهب إلى الحج مع أبيه، وعند عودته بسط نفوذه على ساحل سومطرة القرية من جاوه بالوسائل السلمية وحدها، ثم صار جميع سكان جاوه مسلمين، نتيجة أعمال الدعاة ونشاطهم أكثر من أن يكون نتيجة جهود الأمراء^(١).

١٠ الإسلام في سومطرة

دخل الإسلام سومطرة من بلاد العرب، وثمة شواهد تشير إلى أن الهند هي المنبع الذي استقى منه أهالي سومطرة معرفتهم بالعقيدة الإسلامية، وتذكر أخبار الملابي أن عربياً يدعى عبدالله عارف كان أول من حمل الدعوة إلى شمال غربي سومطرة، ثم اعتلى جيهان شاه عرش سومطرة عام ١٢٠٥ م كأول ملك مسلم في الجزيرة، ويدُرَكُ أن شريف مكة أرسل بعثة إلى سومطرة لتبليغ شعبها مبادئ الإسلام، وكان على رأس البعثة رجل يدعى الشيخ إسماعيل، فنجحوا في إقناع أهالي بلدة باسوري باعتناق الإسلام، وعدد من سكان الجزيرة، فانتشر الإسلام في أنحاء الجزيرة، وهذا ما تحدث عنه الرحالة الغربي ماركتو بولو، والرحالة العربي ابن بطوطة الذي التقى ملك سومطرة الظاهر سنة ١٣٤٥ م، الذي أصبح الإسلام في عهده قوياً، ومملكته واسعة، والحياة الإسلامية في أيامه مزدهرة.

أخذ الإسلام ينتشر بالوسائل السلمية عن طريق الموظفين والدعاة

(١) نفسه ص ٤١٥ - ٤٢٥ .

والتجار الذين طوفوا في البلاد، واستمر التحاق السكان بالإسلام عن طريق الدعاة حتى دخول القرن العشرين، إذ نجح الدعاة في اجتذاب كثير من المسيحيين في مقاطعة سبيروك إلى الإسلام في العقد الأول من القرن العشرين، فقد ظهرت نهضة للحياة الإسلامية ودعوة ناشطة، حتى إن الحكومة الهولندية - وكانت إذ ذاك تستعمر سومطرة - لفتت الأنظار في تقاريرها الخاصة بالمستعمرات إلى انتشار الإسلام بين الوثنيين من أهالي مقاطعة بالمبنج أقصى حدود سومطرة الجنوبيّة، وأن المساجد انتشرت في معظم قراهم^(١).

١١- الإسلام في ملوكس وبورنيو وسليس

حمل الجاويون والملايويون الإسلام إلى سكان جزر ملوكس المجاورة لجزر سليسيس وغينيا الجديدة، وذلك في القرن الخامس عشر، وقد اقتنع ملك تيدور الوثني بالإسلام، على يد شيخ يدعى شيخ منصور، وحمل الملك اسم جمال الدين، وسمى ولده الأكبر منصور باسم العربي الذي حمل الإسلام إلى بلاده، وعندما وصل الإسبان إلى هذه الجزر كان الإسلام قد سبّقهم إليها بأكثر من ثمانين عاماً.

ويروي البرتغاليون: أن سلطان ترنات كان أول زعماء ملوكس الذين أصبحوا مسلمين على يد تاجر يدعى داتو ملا حسين الذي استطاع أن ينشر الإسلام في شعب جزر ملوكس.

(١) نفسه ص ٤٠٤ - ٤٠٩ .

ساعد سكان جاوه المسلمين أهالي بورنيو في إخماد ثورة داخلية، فتحول أهلها إلى الإسلام في أواخر القرن الخامس عشر (١٤٧٨م)، وعندما دخل الإسبان بروناي عام ١٥٢١م وجدوا عليها ملكاً مسلماً في الساحل الشمالي الغربي من بورنيو، وبعد قليل دخل الإسلام عام ١٥٥٠م إلى مملكة سوكونه في الجانب الغربي من جزيرة بورنيو، وبعد موت الملك الوثني الحاكم أصبح خليفته على العرش مسلماً، على يد العرب الذين جاؤوا من سومطرة.

أنكر أبناء شعب هذه الجزيرة -سلييس- خرافاتهم، وقرروا أن يرسلوا في وقت واحد إلى ملقة يطلبون قساوسة مسيحيين، وإلى أنجيه يطلبون أئمة في الشريعة الإسلامية ليتعاونوا، ثم يقرروا أي دين يعتنقونه، لكن حاكم ملقة أبطأ في الرد عليهم، أما مملكة أنجيه المسلمة فقد بادرت بإرسال مركب مملوء بعلماء الشريعة، فوطدوا دعائم الإسلام بين سكان الجزيرة، وصاروا أشد حماسة للإسلام من أهالي أية جزيرة من جزر الهند الصينية، وكان ذلك في عام ١٦٠٣م -أربخيل أندونيسيا-.

لقد انتشر الإسلام في جزر الأرخبيل بأحداث مشابهة تمت على يد التجار والدعاة الذين وفدو على الجزر والولايات في جنوب شرق آسيا وغينيا الجديدة وسنغافورة، وقد ربط سكان جزيرة سلييس بين الجهود في نشر الإسلام وبين أعمالهم التجارية، فأدخلوا العبيد في الإسلام، وأدخلوا -كذلك- النساء الوطنيات اللاتي تزوجوا بهن في الإسلام.

لقد قام سكان سليبيس بدور كبير في نشر الإسلام في الجزر القريبة من جزيرتهم^(١).

١٢- الإسلام في الفلبين

دخل الإسلام إلى الفلبين من جزيرة الملايو على يد شخص يدعى شريف كابو نجوان، جاء إلى الفلبين، ونزل في جزيرة مندناو في الجنوب، وتزوج من أهلها، وعندما جاء الإسبان إلى الفلبين عام ١٥٢١م وجدوا أن المسلمين قد وطدوا سلطانهم في الجزء الجنوبي من الفلبين، فحاولوا قهر المسلمين وإبعادهم عن دينهم، غير أن السكان نظروا إلى دعوة الإسبان إلى اعتناق المسيحية على أنه فقد للحرية السياسية كلها والاستقلال الوطني، ومن هنا أصبح الناس ينظرون إلى هذه الدعوة على أنها رمز للعبودية، مع ما رافق ذلك من عنف وتعصب، على النقيض من التسامح الذي ظهر به دعاء المسلمين الذين تعلموا لغة الشعب، واتحلوا عاداته، وأصهروا له دون أن يدعوا لأنفسهم حقوقاً تميزهم عن الآخرين.

طلت مملكة مندناو الإسلامية (حتى زمن احتلال الأمريكيين جزائر الفلبين) ملجاً لهؤلاء الذين رغبوا في التخلص من الحكومة الإسبانية، كما كان حال جزيرة سولو كذلك (مع أنها دخلت رسمياً تحت حكم الإسبان منذ عام ١٨٧٨) مركزاً إسلامياً مهماً.

دخل الإسلام إلى جزيرة سولو على يد عربي هو الشريف كريم

(١) نفسه ص ٤٢٧ - ٤٣٨ .

المخدوم، كأول داع إلى الإسلام في سولو عام ١٣٨٠م، واستقر في بوانسا قاعدة سولو القديمة، ويدذكر أنه زار كل جزيرة في الأرخبيل، وأنه أدخل في الإسلام أناساً في أماكن كثيرة، ثم تبعه عربي آخر يدعى أبي بكر وصل إلى سولو حوالي عام ١٤٥٠م، وبنى مساجد، وقام بدعاية ناجحة، وتزوج ابنة ملك بوانسا المسلم بجندان، وجعله وريثه، وإلى أبي بكر يرجع الفضل في تنظيم حكومة سولو، وسن قوانينها على أساس إسلامية قوية^(١).

١٣ - الحرية الدينية والتسامح لدى المسلمين

إن ما يمكن أن تلتقطه من التواريخ الوطنية ومؤلفات الرحاليين والأوربيين والموظفين والدعاة: أن ثمة شواهد كافية تدلنا على وجود جهود سلمية في الدعوة لنشر الإسلام خلال المست مئة سنة الأخيرة، وكانت الدعوة والإقناع هما الطابعين الرئيسيين لحركة الدعوة، وإن النجاح الرائع هو الذي أحرزه التجار، بنوع خاص الذين عرفوا الطريق إلى قلوب الأهالي بتعلم لغتهم، وأخذهم بالرفق والتدرج والتزوج من نساء البلاد، وإدخالهن في الإسلام، وإدخال الذين ارتبطوا معهم بعلاقات تجارية، وامتزجوا شيئاً فشيئاً في عامة السكان، وكان دعاء المسلمين كما قال عنهم بكل Buckle على جانب من الحكم والرواية.

كان الحجاج الذين يذهبون إلى مكة لأداء فريضة الحج، يعودون

(١) نفسه ص ٤٤٠ - ٤٤١ .

متحمسين لنشر الإسلام^(١).

كان نشر الدعوة يُلقى على كواهل المؤمنين من الأفراد، فكان من أثر ذلك أن أصبح المسلم أكثر تمسكاً واهتمامًا في أداء واجباته الدينية، وأشد تحملًا للمتاعب في سبيل تعلم مبادئ الإسلام، وتبلیغها للناس، وبذلك يؤثر أن يصبح رمزاً لخلق الداعي إلى دينه أمام الآخرين، وبذلك يصبح كل مسلم داعية إلى دينه، أي أن الدعوة إلى الإسلام هي من واجبات المسلمين وجزء من حياته، دون أن يكون مرتبطاً بهيئة منظمة أو إرسالية، أو أن يكون خائفاً من رقابة أو مساءلة، وبذلك تحدث تاريخ الدعوة إلى الإسلام عن سجل حافل بأسماء الدعاة من جميع طبقات المجتمع، من الملك إلى الفلاح والرجال والنساء.

لقد كان للنساء دور بارز في الدعوة إلى الإسلام في جميع أنحاء العالم، كما كان للتراث دور خاص باعتبارهن داعيات إلى الإسلام. حتى الأسير المسلم يغتنم الفرص في المناسبات لدعوة آسريه أو إخوانه في الأسر إلى الإسلام، ففي عهد الإمبراطور جهانجير ١٦٢٨-١٦٥٠م أدخل السجن عالم يدعى الشيخ أحمد مجلد، فأمضى في السجن عامين أدخل خلالهما مئات من الوثنيين في الإسلام، وقد نفى البريطانيون أحد مولويه -شيوخ- الهند إلى جزائر أنديمان نفياً مؤبداً عام ١٨٦٤ فأدخل هذا الشيخ في الإسلام قبل وفاته

(١) نفسه ص ٤٤٥ - ٤٤٧ .

كثيراً من المحكوم عليهم^(١).

٩- في عهد أبي بكر والخلفاء اجتاحت المسلمين سورية وفارس وإفريقيا الشمالية، فقوضوا دولة فارس، وجردوا الإمبراطورية الرومانية من أجمل ولاياتها.

ظلت قبائل عربية تدين بال المسيحية مثل بني النمر التي تقيم داخل الأراضي البيزنطية، وبني قضاعة وبني طيء، ومع ذلك قاتلت بجانب المسلمين ضد الفرس.

لقد حرم الخليفة عمر بن الخطاب استخدام أي وسيلة من وسائل الضغط عليهم عندما أظهروا أنهم لا يرغبون في ترك دينهم القديم، وقبل منهم الضريبة بدل الجزية كما جاء في تاريخ الطبرى في الصفحة ٢٤٨ من الجزء الأول.

لم يضطهد العرب أحداً من أجل الدين، كما أنهم لم يعملوا على ضم أحد إلى دينهم بالإكراه، ومن ثم تتمتع المسيحيون الساميون في ظل الإسلام بعد الفتوح الأولى بحرية لم يتمتعوا بها من قبل طيلة أجيال عديدة.

إن السواد الأعظم -في بلاد الشام والرافدين ومصر- رحبوا بالعرب، واستقبلوا بحماسة بالغة هؤلاء الذين بشروهם بالتسامح، فقد كتب بطريق أنطاكيه اليعقوبي ميخائيل الأكبر بعد أن خبرت الكنائس الشرقية الحكم الإسلامي خمسة قرون: بعد سرد اضطهادات هرقل،

(١) نفسه ص ٤٥١ - ٤٥٣ .

أرسل الله أبناء إسماعيل من بلاد الجنوب ليخلصونا من قبضة الروم^(١).

بــ لما بلغ الجيش الإسلامي وادي الأردن بقيادة أبي عبيدة كتب الأهالي المسيحيون إلى العرب يقولون: يا معاشر المسلمين، أنتم أحب إلينا من الروم، وإن كانوا على ديننا، أنتم أوفي لنا، وأرأف بنا، وأكف عن ظلمنا، وأحسن ولاية علينا، ولكنهم غلبونا على أمرنا وعلى منازلنا -الأزدي ص ٩٧- وغلق أهل حمص أبواب مدinetهم دون جيش هرقل، وأبلغوا المسلمين أنّ ولايتهم وعددهم أحب إليهم من ظلم الإغريق وتعسفهم -الاذري ص ١٣٧-.

يمكن الحكم على مدى هذا التسامح الذي يلفت النظر في تاريخ القرن السابع عشر من هذه العهود التي أعطاها العرب لأهالي المدن التي استولوا عليها، وتعهدوا لسكانها بحماية أرواحهم وممتلكاتهم، وإطلاق الحرية الدينية لهم، فتسارعت مدن ومقاطعات بأكملها إلى التفاهم مع العرب حتى قبل أن تقع هزيمة الروم النهائية، وفي أرض السواد أذعن السكان دون أية معارضة، وقبلوا السيادة الجديدة دون شرط أو قيد.

لقد أمر الخليفة عمر أن يشمل التكافل الذميين، وأن يكون لهم نصيب كالMuslimين من بيت المال، وأن تعفى أية جماعة من الجزية إذا دخلت في خدمة الجيش الإسلامي، فطبقت هذه السياسة مع قبيلة

(١) نفسه ص ٦٣ - ٧٣ .

الجراجمة، وهي قبيلة مسيحية كانت تقيم بجوار إنطاكية.

توسّع معاوية في إلحاقي المسيحيين في خدمته، وكذا فعل عبد الملك بن مروان، والمعتصم، وفي عهد المعتصم كان عمر بن يوسف والي الأنبار مسيحياً، والأمثلة كثيرة في آسيا الغربية^(١).

جـ- انجذب كثير من المسيحيين في عهد صلاح الدين الأيوبي إلى الإسلام لما عرف عن صلاح الدين من أخلاق أحدثت في أذهان المسيحيين في عصره تأثيراً سحرياً، حتى إن نفراً من الفرسان المسيحيين قد بلغ من قوة انجذابهم إليه أن انضموا إليه بعد أن هجرّوا ديانتهم المسيحية، وهجرّوا قومهم، وانضموا إلى المسلمين.

من المؤكد أن المسيحيين من أهالي هذه البلاد قد آثروا حكم المسلمين على حكم الصليبيين، ويظهر أن أهالي فلسطين من المسيحيين عندما وقع بيت المقدس في أيدي المسلمين عام ١٢٤٤م رحبوا بالسادة الجدد، واطمأنوا إليهم، ورضوا بحكمهم، كذلك دفع هذا الإحساس نفسه شعور الامتنان إلى الحياة الدينية في ظل الحكم الإسلامي، كما دفع كثيراً من المسيحيين في آسيا الصغرى في إبان هذه الفترة ذاتها إلى الترحيب بمقدم الأتراك السلاجقة، باعتبارهم مخلصين لهم ومنقذين من الحكومة البيزنطية البغيضة.

وكذلك فإن المسيحيين تمتعوا في عهد صلاح الدين الأيوبي (١١٦٩ - ١١٩٣، ٥٨٩ - ٥٦٤) وشعروا بالسعادة إلى حد كبير، ففي

(١) نفسه ص ٧٣ - ٨٢ .

ظل ذلك الحكم الذي عرف بالتسامح الديني، خفضت الضرائب التي كانت مفروضة عليهم في العهد البيزنطي، وألغى بعضها كلياً، وشغلوا الوظائف العامة كوزراء وكتاب وصيارة، وفي عهد خلفاء صلاح الدين ظِعِّنَ المسيحيون بمثل هذا التسامح والرعاية قرابة قرن من الزمان^(١).

تعقيب

كان الهدف من نشر هذا الملحق الخاص بنشر الإسلام في العالم القديم إطلاع أبناء الإسلام والأجيال المتعاقبة على الجهود المبدعة والخارقة التي بذلها أجدادهم في تبليغ رسالة الإسلام إلى شعوب الأرض، وعلى الأساليب والوسائل التي اتباعوها وأخذوا بها وتمثلوها من قدوة صالحة، وأخلاق رفيعة، ومعاملة صادقة، وبذل الوقت والجهد والمال في سبيل تبليغ دعوته، دون اللجوء إلى القوة والصدام والقتال، حتى إن المنطقة أو كثيراً من المناطق تخلو من التاريخ العسكري، ولا سيما في جنوبي آسيا، لقد عم الإسلام الجزر في أرخبيل الملايو وأندونيسيا والفلبين وغيرها، حتى غداً عدد المسلمين في إندونيسيا ومالزيا والصين وشبه القارة الهندية - باكستان وبنغلادش والهند - ما يزيد على مليار مسلم في جنوبي شرق آسيا وحدها دون أن تتشعب معركة عسكرية واحدة، لقد قدم الدعاة والتجار خبرتهم المالية والإدارية لبعض الإمبراطوريات - كالصين مثلاً - مقابل

(١) نفسه ص ١١٦ - ١٢٩ .

أن يسمحوا لهم بتشييد المساجد ونشر الإسلام.

لقد رأت شعوب تلك البلاد من المسلمين العجب العجاب،
بدلًا من نهب ثرواتهم وأرزاقهم كما فعل المستعمرون الإسبان
وغيرهم، كان التجار والأغنياء يقدمون زكوات أموالهم وصدقاتهم إلى
المستحقين من سكان الشعوب، وبدلًا من الاستعلاء عليهم كانوا
يصلون خلفهم أو يؤمّونهم في صلوات الجمعة في مساواة سحرت
قلوب السكان، وبدلًا من التعالي عليهم باعتبار التجار والدعاة فئة
راقية في ثقافتها ومفاهيمها وكثرة أموالهم الطائلة، كانوا يصا هرونهم
ويندمجون معهم بصورة حبّيتهم إلى قلوبهم ونفوسهم.

إن الإسلام يملك قدرات لا حدود لها في قوة العقيدة وسمو
الخلق وحسن التعامل... إن الخ لكن أمضى ما يملكه المسلمون من
قدرة مؤثرة هي قوة الفكر الإسلامي القادرة على إقناع كل من كان له
قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

فهل يسير الأحفاد على طريق الأجداد، وينجزون ما أنجزوا أو
بعض ما أنجزوا.

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع



ملحق (٢)

حوار الأديان والحضارات

مدخل

كثر الحديث حول ما بين الأديان والحضارات والثقافات من صدام أو حوار، فالبعض من مفكري الغرب يعتبرون الصدام بين الحضارات أمراً حتمياً، أما المفكرون العرب والإسلاميون فيؤكدون على تكامل الحضارات ووجوب الحوار فيما بينها، ولا أعلم أن كاتباً شرقياً أو مغربياً خالف هذا التوجه.

في هذا السياق تحدث الدكتور بسام الضويحي مع المعندين في إسبانيا التي ما يزال يقيم على أرضها منذ حوالي أربعين عاماً، عن إنشاء منتدى للحوار على الأرض الإسبانية، وبالرغم من استجابتهم النظرية لهذا المشروع، فإنهم لم يباشروا في تنفيذه، وإصدار ترخيص له.

قام بهذه المساعي الإيجابية السيد الفاضل الأستاذ حسان الصيفي في عمان، وأجرى في ندوة حواراً مع أمريكيين، كررها مرة أخرى ليشارك بها آخرون، وما زال في هذا المسعى جاداً، وله متابعاً، وفي

السياق التعاون مع الأخرين الكريمين في هذا النشاط المفید والمرغوب فيه، تقدمت بورقة متواضعة تعزيزاً لمشروع الحوار مع الغربيين من أوربيين وأمريكيين حتى يرتقي إلى المستوى اللائق ليؤتي أكله، ويحقق مقاصده.

وهذا هو نص الورقة التي وضعتها في أيدي الأخرين الفاضلين.

المتدى الثقافي للحوار بين الأديان والحضارات

مقدمة

ليس في تاريخ البشرية حضارة نشأت وترعرعت بمعزل عن الحضارات التي سبقتها أو عاصرتها. وعندما تبدأ حضارة ما بالانغلاق على نفسها يكون هذا بداية النهاية لزوالها، وبالمقدار الذي تبدو فيه أي حضارة منفتحة على غيرها، متفاعلة مع الثقافات والإنجازات البشرية، آخذة ومعطية، يمكنها أن تستمر، وأن تمتد جذورها في قرون وأزمان سحرية، وتتسع في المكان لتغطي بقاع الكوكب الأرضي.

لدينا مثال حي على نشوء الحضارة العربية الإسلامية، وكيف تطورت واتسعت وأثمرت، حتى كان لها تأثير في تاريخ الفكر البشري، وفي ميلاد الحضارة الأولية على كل الصعد، كما يشيد ويشهد بذلك كبار المفكرين الأوليين.

لقد قامت الحضارة العربية الإسلامية، بادئ ذي بدء، على أساس روحي، ثم استكملت بناءها المادي والاجتماعي والثقافي والسياسي

أهداف المنتدى

منذ الأزمان الغابرة كان الاختكاك والتآثير المتبادلان بين الأقطار المطلة على البحر الأبيض المتوسط في أيام الحرب وزمن السلم على حد سواء، والتاريخ يحتفظ بصفحات مشرقة على العهد الفينيقي، وامتداده بكل معطياته الحضارية إلى معظم أوربا وشمال إفريقيا، ويتحدث ياسهاب عن قرطاجة، وعن هانيبال وغير ذلك، وكذلك الأمر بالنسبة للإمبراطورية الرومانية التي امتدت في أوربا إلى إنكلترا، ومصر في الشرق وهكذا، بل إن بعض أباطرة روما كانوا منبلاد الشام، وتركوا بصماتهم في قيادة الإمبراطورية الرومانية.

أما تأثير الحضارة العربية الإسلامية، فهي أكبر من أن يجحده الجاحدون، وذلك عن طريق الاتصال المباشر بالغرب عبر إيطاليا وجنوبياً وصقلية - قبل توحيد إيطاليا - والأندلس، وعن طريق الحروب الصليبية والعثبات الدبلوماسية والتجارية.

ولربما كان الاتصال بين أوربا وأمريكا من جهة، والعرب والمسلمين من جهة أخرى في الوقت الراهن، يشكل أكثر من

ضرورة، فالشرق بروحانيته وسحره وقيمه ومثله يتعطش له الغرب الذي استغرقه الحياة المادية والصناعية، وما ينبع عنهم من ثقافة فكرية واجتماعية وجنسية، والغرب بالتقدم الهائل الذي أحرزه في عصر النهضة الحديثة، وما أفرزه من علوم وتكنولوجيا، وتطور مادي، ونهوض حضاري، يفتقر إليه الشرق أيمًا افتقار، ويحتاجه إلى أقصى حدود الحاجة، ليعبر به عصر التخلف الذي أغرقه لعدة قرون.

لهذا كله، فإن المنتدى الذي نطلع إلى إنشائه، وإحداث مقر دائم له في جنيف أو فيينا أو في أي مكان يرمي إلى تحقيق الأهداف الموجزة التالية:

- ١ - التعارف عن قرب بين رجال الفكر والثقافة والعلم والفلسفة في كلتا الساحتين: الغربية والإسلامية .
- ٢ - إجراء حوارات دائمة ومفتوحة، تسع لكل وجهات النظر، سواء أكانت متباينة أم متقاربة .
- ٣ - تبادل الأفكار والتجارب، والإنجازات الحضارية، ولاسيما في مجالات العلوم الإنسانية المفضية إلى أن يفهم كل فريق جوهر ما لدى الآخر، وكنه تصوراته بعمق وإدراك بعيدين .
- ٤ - التعاون الجاد والمثمر، والبحث المستمر وراء المواقف المتقاربة، والأفكار المتناسقة، تمهدًا لبروز حضارة متجانسة، تشمل أهم الإنجازات البشرية، الروحية منها والمادية، لتحقيق الشعوب ما تطمح إليه من حياة مستقرة هانئة سعيدة، وتشكل سداً منيعاً أمام

الأفكار المؤذية والفلسفات الضارة القائمة على العنصرية والاستعلاء، والننظر الحاقدة على الشعوب والأمم التي لا ينتمي إليها هؤلاء الشاذون أو الضارون.

٥ - التعاون على تعميق الروح الإنسانية في أوساط الأمم وأرجاء المعمورة. فمن الأسس الثابتة لتراثنا ومبادئنا أن الناس كلهم عباد الله، وأحبّهم إليه أنفعهم لعياله، وأن الإنسان في ارتقاء مستمر، ما دام يقدم الخير والعون لأخيه الإنسان، أيًّا كان عرقه أو معتقده أو انتماؤه.

وهذا هو طريق السعادة للبشرية جموعها، وللإنسانية قاطبة.



المحتوى

٥	المقدمة
٢٣	توطئة
٢٩	التجربة الأولى: مع الأردن الشقيق
٣٠	- مع ملك المملكة الأردنية الهاشمية
٣١	- مع الدوائر المعنية
٣٢	- مع جماعة الإخوان المسلمين
٣٥	التجربة الثانية: مع العراق الشقيق
٣٦	- أول اتصال مع العراق
٣٩	- البحث في موضوع التحالف
٤٢	- ميثاق التحالف مقدمته وبنوده
٥٤	- الحوار مع قادة العراق
٦٤	- العراق والسودان
٧١	- العراق ومنظمة التحرير
٧٨	- العراق والأفغان

٨٥	- العراق والأتراءك
٨٨	- العراق وحماس
٩٤	- العراق وماليزيا
٩٨	- العراق وتونس
١٠٠	- العراق والجزائر
١٠٦	- العراق وباكستان
١١٠	- العراق ولibia
١١٢	- العراق ومصر
١١٥	- العراق والفكر الإخواني
١٢٢	- العراق وعلماء المسلمين وحواراتنا مع العراقيين
١٤٨	- ملحوظات ونصائح سياسية والمؤتمر الإسلامي الشعبي
١٥٧	 التجربة الثالثة: مع اليمن الشقيق
١٥٧	- الصلة بين إخوان اليمن وإخوان سوريا
١٥٨	- اليمن ملاذ لإخوان سوريا
١٥٩	- إخوان اليمن يواجهون الشيوعيين
١٦٠	- المعاهد العلمية في اليمن
١٦١	- دعم اليمنيين لإخوان سوريا
١٦٢	- اليمنيون يقفون مع العراق
١٦٦	- الإخوان السوريون يجدون في اليمن متسعًا لهم
١٦٧	 التجربة الرابعة: مع المملكة العربية السعودية

- الجامعات السعودية تفتح أبوابها لإخوان سوريا	١٦٨
- المسؤولون السعوديون يرحبون بإخوان سوريا	١٦٨
- الحج والعمرة مناسبات لتحرك الإخوان والتقاءهم بال Saudis	١٦٨
التجربة الخامسة: مع منظمة التحرير الفلسطينية	١٧١
- اللقاء والحوار مع عرفات	١٧١
- المشاركة في جلسات المجلس الوطني	١٧٤
- كلمة المعارضة السورية ومذكري الإخوان الأردنيين والسوريين	١٧٩
- تعميق الصلة بين الإخوان السوريين والمنظمة	٢٠٩
- التقريب بين المنظمة والأفغان	٢١٢
- عرفات يدعم المعارضة السورية	٢١٨
- التنسيق بين المنظمة وإخوان سوريا	٢٢٠
- إخوان سوريا يدعمون المنظمة، ويردون التحية بأحسن منها	٢٢٥
التجربة السادسة: مع السودان الشقيق	٢٢٩
- التقريب بين الجبهة الإسلامية وحزب الأمة	٢٣١
- التقريب بين الجبهة الإسلامية ومكتب الإرشاد	٢٣٣
- النشاط الشيعي في السودان	٢٣٦
- الأحزاب السودانية	٢٣٨
- توثيق الصلة بين العراق والسودان	٢٥٠
- مستشارية التأصيل	٢٥٣
- تقديمي النصح والمذكرات إلى الإخوة في السودان	٢٦١

٢٧٦	- مذكرة أخرى للسودانيين
٢٨٩	التجربة السابعة: مع المجاهدين الأفغان
٢٩٠	- ظهور حركات الجهاد
٢٩٤	- التعاون بين إخوان سوريا وأفغانستان
٢٩٧	- مشاركة السوريين في الجهاد الأفغاني
٢٩٩	- إحكام الصلة مع حكمتيا
٣١٢	- الأفغان مع العراق ضد الغزو الأمريكي
٣١٤	- النزاع بين فصائل المجاهدين
٣٢٦	- مساعدينا للصلح بين الأفغان
٣٣٤	- التدخلات الأجنبية واشتداد النزاع بين فصائل المجاهدين
٣٤١	التجربة الثامنة: مع جمهورية باكستان الإسلامية
٣٤٢	- موجز عن دولة باكستان الإسلامية
٣٤٩	- الخلاف بين الجماعة الإسلامية وضياء الحق
٣٥٥	- ضياء الحق يضطهد الجماعة الإسلامية
٣٦١	التجربة التاسعة: مع الشعب التركي الشقيق
٣٦٢	- لجأت أعداد مطاردة من تنظيمنا إلى تركيا
٣٦٣	- البحث عن نقطة ارتكاز لنا في أنقرة
٣٦٦	- بطيش النظام السوري يمتد إلى الأردن ولبنان وتركيا
٣٦٧	- سوريا في قبضة الأقلية العلوية
٣٧٨	- مخطط النظام السوري ضد تركيا

- شبكات تخريب النظام السوري في تركيا	٣٨١
- أمريكا تحاصر العراق وتضرره من تركيا	٣٨٦
- الحوار مع الأتراك	٣٩٥
التجربة العاشرة: مع الشعب التونسي الشقيق	٣٩٩
- الوعي العربي والسياسي في تونس	٤٠٠
- النشاط الصهيوني في تونس	٤٠٤
- موقف الأحزاب التونسية تجاه فلسطين	٤٠٥
- موقف البعثيين التونسيين من الإخوان	٤١٣
التجربة الحادية عشرة: مع الشعب الجزائري الشقيق	٤٢٧
- جهاد الجزائريين ضد الفرنسيين	٤٢٧
- بذل المساعي لجمع كلمة الجزائريين	٤٣٣
التجربة الثانية عشرة: مع المغرب الشقيق	٤٣٧
- ملك المغرب يرغب في لقائنا	٤٣٧
- مؤتمرات اليهود في المغرب	٤٣٨
انتشار الإسلام في العالم ملحق(١)	٤٤٣
حوار الأديان والحضارات ملحق(٢)	٤٨٧
المحتوى	٤٩٣



هذا الكتاب

يقدم تجربة فريدة في العلاقات السياسية مع الآخرين، من أحزاب حاكمة وأخرى معارضة، ومع الحكومات: عربية وإسلامية، خاضها أحد تنظيمات الإخوان المسلمين، وهو تنظيم الإخوان المسلمين في سوريا، فحقق بفضل الله وتوفيقه إنجازات فاقت الطموح، وتجاوزت المتوقع، وأسمعت الغرب وشعوب العالم أو جلهم عن عظمة الإسلام وجماله، وعن رحمته وعدله، ما أذهل كثيرين أعربوا شاكرين عن امتنانهم في معرفة ما كانوا يجهلونه عن عظمة الرسالة الخاتمة.

جدير بأبناء التنظيمات الإسلامية وحلفاء الجماعة أن يحيطوا علمًا ليفيدوا مما يجدونه صواباً، ويقرؤوا بعمق أفكار الآخرين، فيأخذوا بحسناها، ويحصنوا أنفسهم من شرورها وآثامها، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.



الإخوان المسلمين في سوريا

العلاقات السياسية لجماعة الإخوان

في ثمانينيات القرن العشرين وما بعدها

هذا الكتاب

يقدم تجربة فريدة في العلاقات السياسية مع الآخرين، من أحزاب حاكمة وأخرى معارضة، ومع الحكومات: عربية وإسلامية، خاضها أحد تنظيمات الإخوان المسلمين، وهو تنظيم الإخوان المسلمين في سوريا، فحقق بفضل الله وتوفيقه إنجازات فاقت الطموح، وتجاوزت المتوقع، وأسمعت الغرب وشعوب العالم أو جلهم عن ع神性 الإسلام وجماله، وعن رحمته وعدله، ما أذهل كثيرين أعربوا شاكرين عن امتنانهم في معرفة ما كانوا يجهلونه عن ع神性 الرسالة الخاتمة.

جدير ببناء التنظيمات الإسلامية وحلفاء الجماعة أن يحيطوا علمًا ليفيدوا مما يجدونه صواباً، ويقرؤوا بعمق أفكار الآخرين، فيأخذوا بأحسنتها، ويحصنوا أنفسهم من شرورها وأثامها، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.